

دَلِيلُ الْمَرْشَلِيَّةِ

إِلَى

الْحَقِّ الْبَقِيَّةِ

بِ

مُؤَلَّفَاتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دليل المرشدين الى الحق اليقين

كاتب:

جعفر سبحانى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٨	اشاره
١٨	اشاره
١٩	مقدمه الممثليه
٢٤	٢. لفظ الشيعه فى القرآن والسنة
٢٤	٣. نشوء المذهب الشيعى
٢٤	اشاره
٢٧	أ. الإشاده بفضائل على عليه السلام
٢٧	ب. حديث بدء الدعوة (الدار)
٢٨	ج. حديث المنزله
٢٨	د. إعلان البراءه من المشركين
٢٨	ه. مشاركه على فى المياهله
٢٨	و. حديث الغدير:
٢٩	حصيله البحث
٢٩	اشاره
٣٠	١. انحياز رؤاد النص (الشيعه) عن غيرهم
٣٠	اشاره
٣٢	وقفه مع احتجاجات القوم
٣٣	حصيله مناقشات السقيفه
٣٤	٢. رؤاد التشيع فى صدر الإسلام
٣٧	٤. افتراضات وهميه حول نشوء الشيعه
٣٧	اشاره
٣٨	الافتراض الأول: التشيع صنع عبد الله بن سبأ
٣٨	اشاره

٣٩	نظر المحققين في الفرضيه
٤١	عبد الله بن سبأ اسطوره تاريخيه
٤٢	الافتراض الثاني: التشيع فارسي المبدأ أو الصبغه
٤٥	٥. الشيعة الإماميه والخلافات السائده بينهم وبين غيرهم من طوائف الشيعة:
٤٥	اشاره
٤٦	الزيديه والإسماعيليه
٤٦	٦. دور الشيعة في بناء الحضاره الإسلاميه
٤٩	٤. التوحيد في الربوبيه
٥٠	٥. التوحيد في الحاكميه
٥٠	٦. التوحيد في العباده
٥١	٧. صفات الذات وصفات الفعل
٥١	٨. صفاته الثبوتيه والسلبيه
٥٢	٩. صفاته الخبريه
٥٣	١٠. القضاء والقدر
٥٣	١١. الإنسان موجود مختار
٥٣	١٢. ضروره النبوّه العامه
٥٣	اشاره
٥٤	صفات الأنبياء
٥٤	١٣. النبوه الخاصه
٥٤	١٤. المعاد والقيامه
٥٥	١٥. المسائل الكلاميه: التي تفردت بها الإماميه
٥٨	ملاك التوحيد والشرك في العباده
٥٨	اشاره
٦٦	١- الاستعانه بغير الله سبحانه
٧٠	٢- طلب الشفاعه من المأذونين بها
٧٠	اشاره

٧٠	الأول: حقيقه الشفاعه ومعناها
٧٢	الثاني: دراسه الآيات النافيه والمثبته للشفاعه
٧٢	اشاره
٧٤	الصنف الأول: ماينفى الشفاعه
٧٤	الصنف الثاني: ما ينفى الشفاعه التى تعتقدها اليهود للشفاعه
٧٤	الصنف الثالث: ما ينفى صلاحيه الأصنام للشفاعه
٧٤	الصنف الرابع: ما يخص الشفاعه باللّه سبحانه وأنه لا يشاركه فيها غيره
٧٥	الصنف الخامس: الشفاعه المأذونه من اللّه سبحانه
٧٦	الصنف السادس: تسميه بعض المأذونين بالشفاعه
٧٧	الثالث: حدود الشفاعه
٧٨	الرابع: ثمره الشفاعه
٧٨	الخامس: طلب الشفاعه من النبى والأولياء المأذونين بها
٧٨	اشاره
٨١	السلف وطلب الشفاعه من النبى الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم
٨١	اشاره
٨٣	شبهتان فى المقام
٨٣	اشاره
٨٣	١. طلب المشركين الشفاعه من الأصنام
٨٤	٢. طلب الشفاعه من الميت لغو
٨٥	٣- النذر للأولياء
٨٧	٤- التبرك بأثار الأولياء
٨٧	اشاره
٨٨	١. التبرك بمقام إبراهيم عليه السلام
٨٨	٢. قميص يوسف عليه السلام وعوده البصر إلى يعقوب
٩٠	٣. تابوت بنى إسرائيل والسكينه
٩٠	٤. التبرك بمقام أصحاب الكهف

٩٤	٥- زيارة القبور
٩٤	اشاره
٩٥	زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٩٧	٦- البناء على القبور
١٠٠	٧- بناء المساجد على القبور والصلاه فيها
١٠٠	اشاره
١٠٣	سيره المسلمين في البناء على قبور الصالحين
١٠٨	٨- البكاء على الميت
١٠٨	اشاره
١١١	تحليل حديث تعذيب الميت ببكاء أهله
١١٣	٩- التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأولياء بأصنافه
١١٣	اشاره
١١٤	الأول: التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قدسيته وشخصيته
١١٤	اشاره
١١٤	ويستفاد من الحديث أمران:
١١٤	اشاره
١١٦	١. اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك
١١٦	٢. محمد نبي الرحمة
١١٦	٣. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي
١١٩	١. استسقاء عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو رضيع:
١١٩	٢. استسقاء أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:
١٢١	٣. التوسل بعم النبي صلى الله عليه وآله وسلم
١٢٣	الثاني: التوسل بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء والصالحين
١٢٥	الثالث: التوسل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصالحين بعد رحيلهم
١٢٨	٤. امتناع تطرق التحريف إلى القرآن
١٣٠	٥. شهادته القرآن على عدم التحريف:

- آيه الحفظ ١٣٠
- آيه نفى الباطل ١٣٢
- آيه جمع القرآن الكريم وقراءته ١٣٣
٦. شهاده الروايات على مصونه القرآن الكريم من التحريف ١٣٤
- اشاره ١٣٤
١. أخبار عرض الأحاديث على القرآن الكريم ١٣٤
٢. حديث الثقلين ١٣٥
٧. أئمه أهل البيت وصيانته القرآن من التحريف ١٣٦
٨. علماء الشيعة وصيانته القرآن من التحريف ١٣٧
٩. آيات غير مكتوبه ادعت أنها من القرآن الكريم ١٤٠
- اشاره ١٤٠
١. آيه الرجم ١٤٠
٢. آيه الفراش ١٤٠
٣. آيه الرغبه ١٤١
٤. آيه الجهاد ١٤١
٥. آيه الرضعات ١٤١
١٠. شبهتان حول التحريف ١٤١
- الشبهه الأولى: وجود مصحف لعلى عليه السلام ١٤١
- الشبهه الثانيه: مصحف فاطمه ١٤٣
١١. تاريخ جمع القرآن الكريم ١٤٤
- اشاره ١٤٤
- القرآن قد جمع في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم ١٤٥
- الشواهد التاريخيه على جمع القرآن في زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ١٤٥
- أحاديث جمع القرآن بعد رحيل النبي صلى الله عليه و آله و سلم تُعارضُ نصَّ القرآن ١٤٨
- أحاديث جمع القرآن بعد ارتحال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا تنسجم مع حكم العقل ١٤٨
٢. صيغه الحكومه بعد رحله النبي صلى الله عليه و آله و سلم ١٥١

- ١٥١ اشاره
- ١٥١ الصيغه الأولى: تنصيب النبي على الإمام بعده
- ١٥١ اشاره
- ١٥٢ ١. استحاله ترك الأمة بلا قائد
- ١٥٣ ٢. الأمة الإسلاميه والخطر الثلاثي
- ١٥٤ ٣. تعيين الإمام في أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم
- ١٥٤ اشاره
- ١٥٤ ١. حديث يوم الدار
- ١٥٥ ٢. حَدِيثُ الْمُنْزِلَةِ
- ١٥٦ ٣. نصب الإمام يوم الغدير
- ١٥٩ الصيغه الثانيه: تفويض الأمر إلى الأمة
- ١٥٩ اشاره
- ١٦٠ إجماع المسلمين
- ١٦٢ هل الشورى أساس الحكم؟! ..
- ١٦٤ هل البيعه أساس الحكم؟ ..
- ١٦٥ السنه النبويه والأئمه الاثنا عشر
- ١٦٥ اشاره
- ١٦٥ ١. كلهم من قريش
- ١٦٥ ٢. لا يزال الإسلام عزيزاً
- ١٦٥ ٣. لا يزال الدين عزيزاً منيعاً
- ١٦٦ ٤. لا يزال الدين قائماً
- ١٦٦ ٥. لا يزال الدين ظاهراً
- ١٦٦ ٦. لا يزال هذا الأمر صالحاً
- ١٦٩ أوصاف الإمام
- ١٦٩ اشاره
- ١٧٠ ١. العصمه

- ١٧٠ اشاره
- ١٧٠ عصمه الإمام فى القرآن الكريم
- ١٧٢ ٢. الأعلمية
- ١٧٣ ٣. أفضل الناس
- ١٧٣ الغلاة ليسوا من الشيعة الإمامية
- ١٧٥ الفرق بين النبى والرسول والإمام
- ١٧٧ أهل البيت عليهم السلام
- ١٧٧ اشاره
- ١٧٩ ١. مفهوم أهل البيت عليهم السلام فى معاجم اللغة
- ١٨٠ ٢. أهل البيت فى القرآن الكريم
- ١٨٠ اشاره
- ١٨٠ دراسه آيه التطهير
- ١٨٢ القرينه الأولى: اللام فى «أهل البيت» للعهد
- ١٨٤ القرينه الثانية: تذكير الضمائر
- ١٨٧ القرينه الثالثة: العدول عن السياق
- ١٨٧ ٣. التعريف بأهل البيت عليهم السلام فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٨٧ اشاره
- ١٨٩ أ. التصريح بالأسماء:
- ١٨٩ ب. إدخالهم تحت الكساء
- ١٨٩ ج. تعيينهم بتلاوه الآية على بابهم
- ١٩٠ ٤. المرجعية العلميه لأهل البيت عليهم السلام
- ١٩٠ اشاره
- ١٩١ ١. حديث الثقلين
- ١٩٢ ٢. حديث السفينه
- ١٩٣ ٣. اعتراف أئمة المذاهب بأفقيهم أهل البيت عليهم السلام
- ١٩٤ ٥. دور أهل البيت فى توحيد الأمة

- ١٩٥ ٦. تراث أهل البيت عليهم السلام العلمى
- ١٩٥ اشاره
- ١٩٥ الأول: كتاب على
- ١٩٧ الثانى: نهج البلاغه
- ١٩٧ الثالث: الصحيفه السجديه
- ١٩٧ الرابع: رساله الحقوق
- ١٩٨ الخامس: رساله الإمام الرضا عليه السلام فى الفرائض والسنن
- ١٩٨ السادس: رساله الإمام الهادى عليه السلام
- ١٩٨ السابع: أربعمائه مصنف لأربعمائه مصنف
- ٢٠٠ ٧. فاطمه الزهراء عليها السلام فى كلام النبى صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٠٠ اشاره
- ٢٠٢ منزله بيت فاطمه عليها السلام
- ٢٠٣ ٣. ولاده الإمام المهدي المنتظر عليه السلام
- ٢٠٥ ٤. تقسيم أولياء الله إلى ظاهر مشهود، وغائب غير مشهود
- ٢٠٧ ٥. غيبه بعض الأنبياء عليهم السلام فى الأمم السابقه
- ٢٠٨ ٦. الإمام المهدي وطول العمر
- ٢١٠ ٧. علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام
- ٢١٢ ٨. الآثار البتاءه لوجود الإمام المنتظر عليه السلام
- ٢١٨ ٢. الابتداع فى تعريف البدعه
- ٢٢٠ ٣. أسباب نشوء البدعه
- ٢٢٢ ٤. تقسيم البدعه إلى حسنه وسيئه
- ٢٢٤ ٥. هل الأمور التاليه من البدع؟
- ٢٢٤ اشاره
- ٢٢٤ ١- التقيه عند الخوف على النفس والنفس
- ٢٢٧ ٢- الزواج المؤقت
- ٢٣٠ ٣- البداء وتغيير المصير بالأعمال الصالحه والطالحه

- ٢٣٥ ٤- الخمس في الكتاب والسنه
- ٢٣٥ اشاره
- ٢٣٦ الأول: الغنيمه مطلق ما يفوز به الإنسان
- ٢٣٩ الثاني: المورد غير مخصّص
- ٢٣٩ اشاره
- ٢٣٩ ١. وجوب الخمس في الركاز من باب الغنيمه
- ٢٤٣ ٢. الخمس في أرباح المكاسب
- ٢٤٥ إيضاح الاستدلال بهذه المكاتب
- ٢٤٩ ٥- الرجعه في الكتاب العزيز
- ٢٤٩ الرجعه في مصطلح العلماء
- ٢٤٩ اشاره
- ٢٥١ ١. إمكان الرجعه
- ٢٥١ ٢. الرجعه في الأمم السالفه
- ٢٥٢ *** الرجعه في الأمة الإسلاميه
- ٢٥٦ أسئله و أجوبتها
- ٢٦١ ٣- العدالة ملكه تدريجيّه الحصول
- ٢٦١ ٤- أصناف الصحابه في الكتاب
- ٢٦٣ ٥- الصحابه أعرّف بحالهم من غيرهم
- ٢٦٥ ٦- القرآن الكريم وعداله الصحابه
- ٢٦٥ اشاره
- ٢٦٥ أ. تنبؤ القرآن بارتداد لفيف من الصحابه
- ٢٦٦ ب. ترك الرسول قائماً وهو يخطب
- ٢٦٧ ج. خيانه بالنكاح سراً
- ٢٦٨ د. خيانه بعض البدرتين
- ٢٦٨ ه. فاسق يغز النبي وأصحابه
- ٢٦٩ و. تنازعهم في الغنائم إلى حدّ التخاصم

- ز. استحقاقهم مست عذاب عظيم ٢٧٠
- ح. الفرار من الزحف ٢٧٢
- ط. نسبة الغرور إلى الله ورسوله ٢٧٣
- ى. المنافقون المندسّون بين الصحابه ٢٧٣
- ٧- الستة النبويه وعداله الصحابه ٢٧٥
- اشاره ٢٧٥
- أ. زعيم الفئه الباغيه ٢٧٥
- ب. عصيان أمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم بإحضار القلم والدواه ٢٧٧
- ج. الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل النبي صلى الله عليه و آله و سلم ٢٧٩
- ٨- موقف النبي صلى الله عليه و آله و سلم مّمن لم تحسن صحبته ٢٨٤
- اشاره ٢٨٤
- أ. كلّهم مغفور له إلّا ٢٨٤
- ب. اللهم إني أبرأ إليك ممّا صنع خالد ٢٨٤
- ج. تنبؤه بمصير ذى الخويصره ٢٨٤
- د. أنّ فيك شعبه من الكفر ٢٨٤
- ه. امتناع الرسول من الصلاهعلى أحد أصحابه ٢٨٤
- و. تنبؤ النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالمصير الأسود لبعض أصحابه ٢٨٧
- ز. صحابى يخلو بامرأه ٢٨٧
- ح. صحابى يجلس بين رجلى امرأه ٢٨٨
- ط. صحابى يُقتصّ منه ٢٨٨
- ى. دعاء النبي على مُحلم بن جثامه ٢٨٨
- ٩- الصحابه فى مرآه التاريخ ٢٨٩
- ١٠- ما هى الغايه من دراسه عداله الصحابه؟ ٢٩٢
- ١١- هل قول الصحابى من مصادر التشريع؟ ٢٩٣
- ١٢- هل رؤيا الصحابى من مصادر التشريع؟ ٢٩٥
- الوضوء ومسح الأرجل أو غسلها ٣٠٠

٣٠٣	سبب الاختلاف -
٣٠٣	اشاره
٣٠٣	١. اختلاف القراءة -
٣٠٥	٢. التمسك بروايات الغسل المنسوخه -
٣٠٦	٣. إشاعه الغسل من قبل السلطه -
٣٠٧	ما هو العامل في قوله: «وأرجلكم»؟ -
٣١١	القراءتان والمسح على الأرجل -
٣١٣	القراءتان وغسل الأرجل -
٣١٤	الغسل وقراءه النصب -
٣١٥	الغسل وقراءه الجر -
٣١٥	الجر بالجوار صحه وشرطاً -
٣١٨	المسح على الأرجل في الأحاديث النبويه -
٣١٨	ما روى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حول مسح الأرجل -
٣٢٢	ما حكى عن الصحابه والتابعين حول مسح الأرجل -
٣٢٤	٢- الأذان والإقامه -
٣٢٤	اشاره
٣٢٤	الأول: كيفيه تشريع الأذان -
٣٢٩	الثاني: فصول الأذان والاقامه عدداً -
٣٢٩	اشاره
٣٣١	فصول الإقامه -
٣٣١	الثالث: جزئيه «حى على خير العمل» للأذان -
٣٣٤	الرابع: التثويب في أذان صلاه الفجر -
٣٣٤	اشاره
٣٣٦	كلمات الأعلام في التثويب -
٣٣٩	٣- قبض اليد اليسرى باليمنى بين البدعه والسنه -
٣٣٩	اشاره

١. القبض بدعه محدثه ٣٤٠
- اشاره ٣٤٠
- ألف: حديث أبي حميد الساعدي ٣٤١
- ب: حديث حماد بن عيسى ٣٤٣
٢. حديث المسيء في صلاته ٣٤٥
٣. وصف عائشه صلاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣٤٦
٤. روايه القاضي أبو حنيفه النعمان المصري ٣٤٦
٥. صفه صلاه النبي في روايه معاذ بن جبل ٣٤٦
٦. ما روى عن أئمه أهل البيت عليهم السلام ٣٤٧
- اشاره ٣٤٧
- دليل القول بكون القبض سنّه ٣٤٨
- ٤- جزئيه البسملة والجهر بها ٣٥١
- اشاره ٣٥١
١. البسملة جزء من الفاتحه ٣٥١
٢. السبع المثاني هي فاتحه الكتاب ٣٥٦
٣. فاتحه الكتاب سبع آيات مع البسملة ٣٦٠
٤. التسميه ولزوم الجهر بها ٣٦١
- اشاره ٣٦١
- أئمه أهل البيت عليهم السلام والجهر بالبسملة ٣٦٥
- ٥- التأمين بعد الفاتحه ٣٦٧
- ٦- القنوت في الركعه الثانيه ٣٦٩
- ٧- السجود على الأرض ٣٧٠
- اشاره ٣٧٠
١. اختلاف الفقهاء في شرائط المسجود عليه ٣٧١
٢. الفرق بين المسجود له والمسجود عليه ٣٧٥
٣. السنّه في السجود في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعده ٣٧٥

- ٣٧٥ اشارة
- ٣٧٧ المرحله الا ولى: السجود على الأرض:
- ٣٧٧ اشارة
- ٣٧٩ الأمر بتتريب الجبهه
- ٣٨٠ الأمر بحسر العمامه عن الجبهه
- ٣٨١ المرحله الثانيه: الترخيص فى السجود على الخمر والحصر
- ٣٨١ اشارة
- ٣٨٢ السجود على الثياب لعذر:
- ٣٨٤ حصيله البحث:
- ٣٨٥ ما هو السرّ فى اتخاذ ترابه طاهره؟
- ٣٨٧ ٨- الجلوس بعد رفع الرأس من السجده الثانيه
- ٣٨٨ ٩- كيفيه التشهد والتسليم
- ٣٨٩ ١٠- الجمع بين الصلاتين فى الحضر اختياراً
- ٣٨٩ اشارة
- ٣٩٣ *** التنوع فى الوقت فى فقه السنّه
- ٣٩٤ من يوافق الإماميه بعض الموافقه
- ٣٩٤ من يوافق الإماميه تمام الموافقه من السنّه
- ٣٩٥ الكتاب والجمع بين الصلاتين
- ٣٩٧ السنّه والجمع بين الصلاتين فى الحضر اختياراً
- ٤٠٥ تبريرات لرفض الجمع بين الصلاتين
- ٤٠٥ الجمع كان صورياً
- ٤٣٠ تعريف مركز

اشاره

سرشناسه: سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

عنوان و نام پدیدآور: دلیل المرشدین الی الحق الیقین: دراسه موضوعه الایهم المسائل الاصولیه و الفرعیه، تنبثق من معطیات الکتاب و السنه و... / تالیف جعفر السبحانی.

مشخصات نشر: تهران: نشر مشعر، ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری: ۵۶۳ ص.

شابک: ۳۵۰۰۰ ریال: ۹۶۴-۷۶۳۵-۹۱-۵

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه: ص. [۵۱۹] - ۵۴۳؛ همچنین به صورت زیرنویس.

موضوع: شیعه امامیه -- دفاعیه ها و ردیه ها

رده بندی کنگره: ۵/۲۱۲BP/س ۱۳۸۴ ۸۵۲

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی: م ۸۴-۲۰۰۴۵

ص: ۱

اشاره

[pagebreak](صفحه ۱)!

ص: ۲

[pagebreak](صفحه ۲)!

ص: ۳

[pagebreak](صفحه ۳)!

مقدمه الممثلية

الحمد لله الذي لا تدركه العيون بمشاهدته العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين.

والصلاه والسلام على من أصطفاه الله من الأولين والآخرين محمد وآله الأئمة الطيبين الطاهرين، صلاه دائمه لا نهايه لها ولا ختام.

أمّا بعدُ فالحج عمل رمزي لكثير من العبادات التي وردت في الشريعة واقتربت بظروف خاصه، وهو بمفرده مظهر لها ومجسد لكثير منها، حيث نجد في الأعمال المعبرة عن جانبه العبادي، أعنى: النيه، والطهاره من الحدث والخبث، والصلاه، والصوم، والطواف بالبيت، والذبح لله، وإطعام القانع والمعتز من اللحوم، والاعتكاف الذي يجسده الوقوف في المشاعر، ورجم الشيطان عدو الإنسان الأول الذي يوسوس في صدره.

وللخروج - في الوقت نفسه - عطاءات في المجال الاجتماعي، إذ يوفر فرصه سانحه للتفاهم وتوثيق العلاقات بين الأفراد والشعوب على اختلاف ألوانهم وقومياتهم ومذاهبهم، كما يتيح للمفكرين والعلماء في شتى الحقول إمكانية اللقاء لتبادل الأفكار ووجهات النظر بشأن القضايا

التي تهتم الأمة الإسلامية، ودراسه المشاكل والمعوقات التي تعترض سبل تقدمهم ونهضتهم، وإلى ذلك أشار سبحانه بقوله: «جَعَلَ لِلَّهِ الْكُتُبَةَ الْعَجَبَةَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ». <meta info=" المائدة: ٩٧. "[١]" type="ref" class="ref">

وفي كل موسم من مواسم الحج، يتشرف بزياره الحرم المكي والنبوي أعداد غفيره من أتباع مدرسه أهل البيت عليهم السلام ويلتقون باخوانهم في شتى المواقع والمشاهد، وهم جميعاً أغصان شجره واحده - شجره التوحيد والإسلام -، يؤيدون الله تبارك وتعالى، ويؤمنون بأنبيائه ورسله، وباليوم الآخر، ويصلون ويصومون ويزكّون ويحجّون بيته الحرام ويأتون بفرائض الحج وسننه.

وفى خلال تلك اللقاءات تُثار أسئلة حول الشيعة وأصولها وفروعها، بهدف التعرف على جذور المذهب وواقعه وأهدافه.

وهذا ما يدعو مرشدى قوافل الحج إلى أن يكونوا على

أتم الاستعداد للإجابة الصحيحه والكامله عن الأسئلة المطروحه، وتحليل الشبهات العالقه فى أذهان أخوانهم والإجابة عنها.

ولأجل تنميه القدرات العلميه وتسديد مواهب المرشدين وقابليّاتهم قامت معاونيه شؤون التعليم والبحوث الإسلاميه التابعه لممثّليه الولي الفقيه لشؤون الحج والزياره، بنشر هذا الكتاب بينهم وبين سائر

[pagebreak](صفحه ٦)

ص: ٧

المؤمنين الواعين المرافقين للحجاج الكرام على أمل أن يكون خطوه مباركه على طريق توحيد الكلمه وتعزيز الوحده، إذ تتجلى فى طيات هذا الكتاب آفاق الوحده الإسلاميه، مُثَبِّتاً بوضوح أنّ ما يجمع المسلمين أكثر ممّا يفرّقهم ويشتّتهم.

والكتاب يُعدّ من آثار عالم كبير كرسّ عمره فى تحقيق معالم الدين والأحكام الشرعيه والمسائل العقائديه وخدم الإسلام والمسلمين بقلمه وبنانه ولسانه وبيانه، ألا وهو سماحه الشيخ آيه الله جعفر السبحانى «حفظه الله تعالى».

ونحن إذ ندعو الله له بطول العمر ودوام التوفيق لخدمه الدين، نرجو من مرشدى قوافل الحج الاهتمام بمحتويات هذا السفر القيم والتمعّن فيه وقراءته بدقه.

والله ولي التوفيق

معاونيه

شؤون التعليم والبحوث الإسلاميه

ممثليه الولي الفقيه لشؤون الحج والزياره

١٠/ شعبان المعظم ١٤٢٦ هـ

[pagebreak](صفحه ٧)

ص: ٨

[pagebreak](صفحه ٨)

ص: ٩

كما حذر سبحانه من التفرق والتشتت مخاطباً نبيه الكريم بقوله: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ» (٢).

[pagebreak](صفحة ٩)

ص: ١٠

وانطلاقاً من هذه الآيات يجب على كل مثقف وكاتب مسلم أن يسلك في محاضراته ومقالاته وكتاباته سبيل الوحدة، ويتحرز عما يوجب العداة والبغضاء.

إن عناصر الوحدة- ولله الحمد- بين الشيعة وسائر الفرق الإسلاميه كثيره لا تحصى. ولذا يجدر بنا جميعاً التمسك بالأصول المتفق عليها والإغماض عن عناصر الفرقه، غير أن هذا الإغماض لا يعنى أبداً إيقاف البحث الموضوعى والدراسه المنطقيه فى هذه المجالات، فإن ممارستهما على ضوء الكتاب والسنة والعقل وبأسلوب لا يخلّ بنظام الوحدة، أمر مهم فى تجليه الحقائق وتنمية الوعي لدى المسلمين.

وتحقيقاً لهذه الأهداف قمنا بتأليف هذا الكتاب على ضوء المصادر الصحيحه فى المسائل التى اتفق فيها المسلمون (كما فى مباحث التوحيد والنبوه والمعاد) وما اختلفوا فيه من المسائل الفرعيه العمليه.

ومن يطالع هذا الكتاب يجد أن الغايه منه إنما هى توضيح الحق وإبرازه، وإماطه اللثام عن وجه الحقيقه، دون أن يرافق ذلك هدف أو غايه أخرى.

والله من وراء القصد

جعفر السبحانى

قم- مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام

غره شعبان ١٤٢٦ هـ

[pagebreak](صفحة ١٠)

ص: ١١

فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاح له <meta info="= الصواعق المحرقة: ١٤٨، الطبعة ٣، ١٣٨٥ هـ. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta

٢- مَنْ يَفْضَلْ عَلِيًّا عَلَى عِثْمَانَ أَوْ عَلَى الْخُلَفَاءِ عَامَةً مَعَ اعْتِقَادِهِ بِأَنَّهُ رَابِعُ الْخُلَفَاءِ، وَإِنَّمَا يَقْدَمُهُ لِاسْتِفَاضِهِ مَنَاقِبَهُ وَفَضَائِلَهُ عَنِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ، وَالَّتِي دَوَّنَهَا أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فِي صَحَائِهِمْ وَمَسَانِيدِهِمْ، وَهِيَ تُلْزِمُ الْإِنْسَانَ الْإِعْتِقَادَ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ، وَعَلَى ذَلِكَ مَعْتَزَلُهُ بِغَدَادٍ وَقَلِيلٍ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَعَلَى ذَلِكَ الْإِصْطِلَاحُ جَرَى أَكْثَرَ مِنْ كُتُبِ فِي الرِّجَالِ وَالتَّرَاجِمِ وَالمَقَالَاتِ حَيْثُ يَصِفُونَ قَلِيلًا مِنَ الصَّحَابَةِ وَكثِيرًا مِنَ التَّابِعِينَ

! [pagebreak] [صفحة ١٤]

ص: ١٥

بأنه يتشيع، أو أنه شيعي، وربما يعدونه من أسباب الجرح، وأن تقدم الخلفاء على علي أصل من أصول الدين لا يجوز تجاوزه، مع أن الإمامه من الفروع عند أهل السنه فكيف درجات الخلفاء ورتبهم؟!

وربما يختلط الأمر على من ليس له إمام بالاصطلاح، فلا يفرق بينهما، وأكثر من يستعمل هذا الاصطلاح هو الذهبي في «ميزان الاعتدال» و «سير أعلام النبلاء» فيصف بعض التابعين والمحدثين بالتشيع ملتحاً بذلك إلى ضعفهم، وقد رُمى أبو عبد الله الحاكم النيسابوري بالتشيع كمعتزله بغداد، والمقصود تفضيلهم علياً على سائر الخلفاء لا أنه الإمام المنصوص بالخلافه.

٣- مَنْ يَشَاعِرُ عَلِيًّا وَأَوْلَادَهُ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ خُلَفَاءُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَتَمَّهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ، نَصِبَهُمْ لِهَذَا الْمَقَامِ بِأَمْرٍ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَذَكَرَ أَسْمَاءَهُمْ وَخُصُوصِيَّاتِهِمْ. وَالشَّيْعَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى هِيَ الْمَقْصُودُ فِي الْمَقَامِ، وَقَدْ اشْتَهَرَ بِأَنَّ عَلِيًّا هُوَ الْوَصِيُّ حَتَّى صَارَ مِنْ أَلْقَابِهِ، وَذَكَرَهُ الشُّعْرَاءُ بِهَذَا الْعِنْوَانِ فِي قِصَائِهِمْ. <meta info="= خطب الإمام أبو محمّد الحسن السبط حين قتل أمير المؤمنين خطبته الغراء فقال: « أنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي». أخرجه

الحاكم في مستدرکه: ١ / ١٧٢؛ وقد ذكر ابن أبي الحديد أشعاراً وأراجيز تتضمن توصيف الإمام بالوصايه عن الصحابه والتابعين، لاحظ شرح النهج: ١ / ١٤٣ - ١٥٠ باب ما ورد في وصايه عليّ من الشعر. " [\[١\]](#) " وقد أكد الإمام علي عليه السلام هذا المعنى في بعض خطبه:

«لا يقاس بآل محمّد من هذه الأمّة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت

! [pagebreak](صفحه ١٥)

ص: ١٦

نعمتهم عليه أبدأ؛ هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفى الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصيّه والوراثه...». [\[١\]](#) " نهج البلاغه: الخطبه الثانيه. ومجمل القول: إنّ هذا اللفظ يشمل كلّ من قال: إنّ قياده الأمّة لعليّ بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأنّه يقوم مقامه فى كل ما يمتّ إليه بصله سوى النبوه ونزول الوحي عليه. كلّ ذلك بتنصيب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وعلى ذلك فالمقوم للتشيع وركنه الركين هو القول بالوصايه والقياده بجميع شؤونها للإمام عليه السلام، فالتشيع هو الاعتقاد بذلك، وأمّا ما سوى ذلك فليس مقوماً لمفهوم التشيع ولا يدور عليه إطلاق الشيعه.

لا- شك أنّ للشيعه آراءً كلاميه خاصّه فى مجالى الأصول والفروع، ربّما يشاركون غيرهم فيها وربّما يخالفونهم، ولكنها ليست من سماتهم وأعرافهم وإنّما هى أصول وأحكام دعاهم الدليل إلى تبنيها من الكتاب والسّنه والعقل.

٢. لفظ الشيعه فى القرآن والسّنه

قد استعمل لفظ الشيعه فى القرآن الكريم بمعنى التابع للأنبياء والشخصيات الكبيره، قال سبحانه: «فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ» [\[٢\]](#) " القصص: ١٥. [\[٢\]](#) " .

! [pagebreak](صفحه ١٦)

ص: ١٧

وقال تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ* إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» [\[٣\]](#) " الصافات: ٨٣-٨٤. ٢. الروم: ٣٢. "

<type="ref" class="ref">[١]</meta

كما استعمل هذا اللفظ بمعنى البث والتفرقه والخلاف، قال سبحانه:

«مِنَ الَّذِينَ فَزَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا» (٢).

فإذا استعمل بمعنى التبعية فهو يشير إلى الجانب الإيجابي له، كما في قوله تعالى: «فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ». <meta info="الفصص: ١٥. ٤. الأنعام: ٦٥." >[٢]</meta

وأما لو استعمل بمعنى البث والتفرقه فهو يشير إلى الجانب السلبي له، كما في قوله تعالى: «أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ» (٤).

وأما في السنه الشريفه فلا شك أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما أنه عربي صميم فهو يستعمل هذا اللفظ في معناه الحقيقي وهو التابع، وقد وصف صلى الله عليه وآله وسلم أتباع على عليه السلام بالشيعة في حاله حياته عندما نزل قوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» <meta info="البينه: ٧." >[٣]</meta فقد روى المحدثون والمفسرون روايات مستفيضه عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه وصف جماعه كانوا يوالون علياً ويشايعونه، بأنهم خير البريه. وإليك بعض ما ورد من هذه الأحاديث:

[pagebreak](صفحه ١٧)

ص: ١٨

١. أخرج ابن مردويه عن عائشه، قالت: قلت: يا رسول الله من أكرم الخلق على الله؟ قال: «يا عائشه أما تقرئين: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»». <meta info="الدر المنثور: ٦ / ٥٨٩؛ تفسير الآيه السابعه من سوره البينه." >[١]</meta> ٢. أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل عليّ فقال النبي: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»، ونزلت:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» فكان أصحاب النبي إذا أقبل على قالوا: جاء خير البرية. <meta type="ref" class="ref">[٢] </meta> " ٣ الدر المنثور: ٥٨٩ / ٦. و ٣ و ٤ و ٥. وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً: «علي خير البرية». (٣)

٤- وأخرج ابن عدى عن ابن عباس قال: لَمَّا نزلت: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلّي: «هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين». (٤) ٥- أخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألم تسمع قول الله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» أنت وشيعتك، موعدي وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غزاً محجلين». (٥)

هذه نبذة مما روى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في إطلاقه لفظ الشيعة على من

[pagebreak](صفحة ١٨)

ص: ١٩

يشايعون علياً عليه السلام، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى المصادر التالية:

١. تفسير الطبري الجزء الأخير (تفسير سورة البينة).

٢. الدر المنثور ج ٦ ص ٥٨٩ (تفسير سورة البينة).

وهذه النصوص المتضافرة الغنيّة عن ملاحظه أسانيدها تعرب عن كون علي عليه السلام متميزاً بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وآله وسلم بأنّ له شيعة وأتباعاً، ولهم مواصفات وسمات كانوا مشهورين بها في حياة النبي وبعدها.

٣. نشوء المذهب الشيعي

إشارة

إنّ التشيع ليس مسلكاً كلامياً كالاعتزال حتّى نبحت عن مبدأ نشوئه وعلل وجوده، ولا هو وليد حادثه من الحوادث كالخوارج، بل أنّ التشيع عبارة عن الاعتقاد باستمرار القيادة الإسلامية في قالب الوصاية لعلّي وعترته، وهذا هو نفس التشيع وروحه وأصله؛ وأمّا سائر ما يعتقده

الشيعة من أصول وفروع فليست دخيله في صدق التشيع ثبوتاً ونفيّاً، فالذى يقوم به صرح التشيع هو ما ذكرنا من استمرار القيادة الإسلامية في قالب الوصاية لعلّى عليه السلام.

وهذه الفكرة قد غرست بيد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أيام حياته وتبناها جمع من المهاجرين والأنصار في عصره صلى الله عليه وآله وسلم وبقوا عليها بعد حياته، واقتدى بهم جمع آخر من التابعين لهم بإحسان، وتواصل الاعتقاد بهذا الأصل من العصور الماضية إلى زماننا الحالي.

[pagebreak](صفحة ١٩)

ص: ٢٠

وعلى هذا فليس للتشيع تاريخ غير تاريخ الإسلام، وليس له مبدأ ظهور غير مبدأ ظهور الإسلام نفسه، وفي الحقيقة إنّ الإسلام والتشيع وجهان لعملة واحدة، أو وجهان لحقيقة واحدة، وتوأمان ولدا في زمن واحد.

والدليل على ذلك - على نحو الإجمال والإيجاز، إذ قد فصلناه في محلّه - الأمور التالية:

أ. الإشادة بفضائل على عليه السلام

لقد تحدّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيام حياته عن فضائل الإمام على ومناقبه، وكذا عن قيادته وزعامته للأمة الإسلامية من بعده مراراً وفي مناسبات مختلفه، يشهد على ذلك التاريخ المدوّن. وكان هذا النوع من الإشادة سبباً في التفاف فريق من الصحابة حول الإمام على عليه السلام في حياه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وجعلوا يتبعونه ويقتدون به بما أنّه المثل الأعلى للفضائل العاليه والمناقب الحسنه.

ب. حديث بدء الدعوه (الدار)

بعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لهدايه الناس من الوثنيه إلى الوجدانيه، فأخذ بالدعوه سراً ونشر دعوته خفاءً عده سنوات إلى أن نزل قوله سبحانه:

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» <meta info=" الشعراء: ٢١٤. </meta >[١] " <type="ref" class="ref" > وعند ذلك جمع النبي وجوه بني هاشم

[pagebreak](صفحة ٢٠)

ص: ٢١

وشخصياتهم فعرض عليهم نبوته وقال: «فأيتكم يؤمن بي ويؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم». فلم يقم إلّاعلى، ثم كرّر دعوته ثانيه وثالثه، ففى كل مرّه يحجم القوم عن تلييه دعوته ويقوم على ويعلن استعداداه لمؤازره النبي

صلى الله عليه وآله وسلم، فعند ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا». <meta info=" راجع مسند أحمد: ١/ ١١١؛ تاريخ الطبري: ٢/ ٦٢-٦٣؛ الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٠-٤١. إلى غير ذلك من المصادر المتضافه. </meta [1] </ref" type="ref" class="ref" >

ج. حديث المنزله

روى أصحاب السير والحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى غزوه تبوك وخرج الناس معه فقال له علي: أخرج معك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا» فبكى علي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما ترضى أن تكون مني بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفةي». <meta info=" صحيح البخاري: ج ٥، باب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي، ص ٢٤. </meta [2] </ref" type="ref" class="ref" > والاستثناء يدل على ثبوت كل ما لهارون من المناصب لعلي سوى النبوه.

د. إعلان البراءه من المشركين

لما نزلت آيات من سورة التوبه ورفع الأمان فيها عن المشركين علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر تلك الآيات ووجهه صوب مكه يرافقه أربعون رجلاً، ليلتوها على مسامع الناس يوم عيد الأضحى، إلا أن جبرائيل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «إنه لا يؤذى عنك إلا أنت أو رجل منك» مما جعل

[pagebreak](صفحه ٢١)

ص: ٢٢

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يطلب من الإمام علي عليه السلام القيام بهذه المهمه، فقال له: «إلحق أبا بكر فخذ الآيات من يده وامض بها إلى مكه وانبذ بها عهد المشركين إليهم». أى اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى أنحاء الجزيره العربيه آيات براءه. <meta info=" تفسير الطبري: ١٠ / ٤٧؛ وتفسير الدر المنثور: ٤ / ١٢٢ وغير ذلك. </meta [1] </ref" type="ref" class="ref" >

</meta [1] </ref" class="ref" >

ه. مشاركه علي في المباهله

لما امتنع نصارى نجران من إعطاء الجزيه اتفقوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المباهله فنزل قوله سبحانه على إنجازها قال: «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» <meta info=" آل عمران: ٦٠. </meta [2] </ref" type="ref" class="ref" > فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمه وحسنًا وحسينًا فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» ولم يشارك غيرهم في تلك الساعه الخطيره ولم يعدل بهم إلى غيرهم، وكأنه لم يكن علي أديم الأرض من له الجداره التامه للتأمين على دعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم غيرهم.

و. حديث الغدير:

إنّ هذا الحديث من الأحاديث المتواتره التي رواها الصحابه والتابعون في كلّ عصر وجيل، ولسنا بصدد ذكر مصادره وبيان تواتره، بل بصدد أنّ تلك الحادئه المهمه في تاريخ الإسلام وقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

[pagebreak](صفحه ٢٢)

ص: ٢٣

فيها وهو على أحداج الإبل: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أدت إلى التفاف عدد من المهاجرين والأنصار حول علي عليه السلام بما أنّه محور الهدايه والقياده بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهذا هو حسان بن ثابت شاعر عهد الرساله قد أفرغ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شعره. فقال:

وقال له قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهادياً

حصيله البحث

إشاره

هذه الأحداث المهمه في حياه علي عليه السلام تعرب عن أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف علياً بأنّه الإنسان الصالح للقياده الحكيمه بعد رحيله، وأنّ له مواهب وقابليات ليست لغيره.

ولذا فقد تابعه عده من المهاجرين والأنصار خاصّه من الذين لم يكن في قلوبهم غيظ أو ضغن عليه وعرفوا هؤلاء بشيعة علي.

فعلي هذا يكون التشيع هو نفس الإسلام ووجهاً آخر له يرمز إلى أصل إسلامي، وهو أنّ القياده الحكيمه والهدايه العلميه مرتكزتان في علي بتنصيب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن فهم ذلك ووعاه شايح علياً وتابعه، وعرفوا بشيعة علي في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبقوا علي هذه العقيدته بعد رحيله، وتبعهم علي ذلك جموع من التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا.

وقد صرح بهذا جماعه من المؤلفين يقول النوبختي: الشيعة هم أتباع علي بن أبي طالب عليه السلام المسّمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى

الله عليه وآله وسلم وبعده،

[pagebreak](صفحة ٢٣)

ص: ٢٤

معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته. <meta info=" فرق الشيعة: ١٧. "[١]" type="ref" class="ref">
<</meta وقال أبو الحسن الأشعري: وإنما قيل لهم (شيعة) لأنهم شايعوا علياً، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم. <meta info=" مقالات الإسلاميين: ١ / ٦٥. "[٢]" type="ref" class="ref">
وقال الشهرستاني: الشيعة هم الذين شايعوا علياً على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية. <meta info=" الملل
والنحل: ١ / ١٣١. "[٣]" type="ref" class="ref"> إن التفاف عدّه من المهاجرين والأنصار- الذين امتحن
الله قلوبهم للتقوى- حول علي عليه السلام بعد سماع هذه الروايات الحاثّة، واشتهار طائفه في عصر الرساله بشيعة علي، نتيجة
تلك المواصفات في حق علي عليه السلام، أمر طبيعي وليس بغريب جعل الإسلام والتشيع، توأمان تولّداً معاً، وسيقيان إلى أن
يرث الله الأرض ومن عليها.

بقي هنا أمران جديران بالبحث والدراسة، وهما:

١. انحياز رواد النص (الشيعة) عن غيرهم.

٢. رواد التشيع في صدر الإسلام.

وإليك دراسته الأمرين:

[pagebreak](صفحة ٢٤)

ص: ٢٥

١. انحياز رواد النص (الشيعة) عن غيرهم

إشارة

قد ظهر ممّا سبق: أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي بذر بذره التشيع وغرس نواته الأولى في حال حياته ورباها
بقوله وفعله وعزّف علياً عليه السلام بفضائله ومناقبه، فصار ذلك سبباً لالتفاف جماعه من الصحابه حول علي عليه السلام. ولما
التحق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى صار المسلمون على طائفتين:

الأولى: هم الجماعة الذين بقوا على ما كانوا عليه في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اعتقادهم أنّ منصب

القيادة الإسلامية الحكيمه منحصر فى على عليه السلام فى المجالين السياسى والعلمى، وقد احتجوا بذلك على الآخرين بحديث
الغدير وغيره، وهم الذين

سمّوا بالشيعة والموالين لعلي وأهل بيته، وقد بقوا على ذلك ولم يؤثر على عقيدتهم انتزاع الخلافة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى غيرهم.

الطائفة الثانية: وهم الذين رجّحوا المصالح المزعومة على تنصيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فحصل لهم اجتماع في سقيفه بنى ساعده والذي عقده الأنصار بأنفسهم دون أن يطلعوا المهاجرين، لأنهم كانوا مشغولين بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبعد أن أطلع عمر وأبو بكر باجتماع الأنصار هناك لتعيين الخليفة قال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار لنرى ما هم عليه، فدخلا ومعهما بعض المهاجرين كأبي عبيده بن الجراح، وكان خطيب الأنصار ونقيبه سعد بن عباده يخطب ويحث الأنصار على الأخذ

! [pagebreak](صفحة ٢٥)

ص: ٢٦

بمقاليد الخلافة بحجه أنهم آووا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عندما أخرجهم قومه، وضخّوا في سبيل دعوته بكلّ غالٍ ونفيس.

فلما أتمّ كلامه ابتدأ أبو بكر بالكلام فاستند إلى أن اللاتق بالخلافه هم قوم النبي وقبيلته، بحجه أنهم أوسط العرب داراً وأحسنهم أحساباً، ولم يكتف بذلك حتى أخذ بيد عمر بن الخطاب وأبي عبيده بن الجراح ورشّحهما للبيعة.

وقفه مع احتجاجات القوم

كان اللازم على الحاضرين في السقيفه أوّلاً: تقديم النص على القيم القبليّة آخذين بقوله سبحانه: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ» [١] [١] "الأحزاب: ٣٦". [١] [١] ولكن القوم كانوا معتادين على تقديم المصالح على النصّ، وليس هذه أوّل قاروره تكسر، بل كان للتقديم هذا جذور في حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبعته حوادث كثيرة ربما تناهز ستين مورداً قد قدّموا فيها المصالح

على النص.

وثانياً: لو افترضنا أنهم رأوا أنّ مصالح الإسلام في تناسي النص كان لزاماً عليهم أن يتفحصوا عن أعلم القوم بالكتاب والسنة وأكثرهم درايه بهما، وأفواهم وأخشنهم في ذات الله، وأسبقهم إلى الإيمان والإسلام. كما هو الوارد عن الكتاب والسنة، قال سبحانه: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ

[pagebreak](صفحة ٢٦)

ص: ٢٧

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَ اللهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» <meta info=" الحج: ٤١. " </meta [١] <ref="ref" class="ref"> .

قال الإمام على عليه السلام: «أيها الناس إن أحق الناس بهذا الأمر أفواهم عليه وأعلمهم بأمر الله». <meta info=" نهج البلاغه: الخطبه رقم ١٧٣. " </meta [٢] <ref="ref" class="ref"> وقال الإمام السبط الطاهر الحسين بن على عليه السلام: «فما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، الدائن بدين الحق، القائم بالقسط، الحابس نفسه على ذات الله». <meta info=" روضه الواعظين: ٢٠٦. " </meta [٣] <ref="ref" class="ref"> وأين هذه الملاكات والضوابط ممّا جاء في احتجاجات المهاجرين والأنصار؟!</p></div>
<div data-bbox="784 541 957 559" data-label="Section-Header">

حصيلة مناقشات السقيفه

</div>
<div data-bbox="54 594 957 700" data-label="Text">
<p>كان النزاع بين الطائفتين محتدماً على قدم وساق، إلى أن قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: ابسط يدك يا أبا بكر، فيسط يده فبايعه، ثم بايعه المهاجرون الثلاثة الحاضرون هناك، فصار ذلك ذريعه لثن ببايعه رئيس قبيله الأوس خوفاً من أن يكون النجاح لسعد بن عباده رئيس قبيله الخزرج، وقد اكتفى المهاجرون بهذا المقدار من البيعه فخرجوا من السقيفه داعين الناس لبيعه أبي بكر.</p>
</div>
<div data-bbox="727 726 957 745" data-label="Text">
<p>[pagebreak](صفحة ٢٧)</p>
</div>
<div data-bbox="889 773 957 792" data-label="Text">
<p>ص: ٢٨</p>
</div>
<div data-bbox="54 815 957 864" data-label="Text">
<p>إنّ دراسه ما جرى في السقيفه- من الضرب والشتم- وتحليل الأحداث المريره التي جرت بعدها يُحوجنا إلى تأليف كتاب مفرد لسنا بصدده الآن.</p>
</div>
<div data-bbox="261 890 957 913" data-label="Text">
<p>ونقتصر في بيانها بكلمه عمر بن الخطاب الذي رفع الستر عمّا جرى فيها بعد حُقب من الزمن وقال:</p>
</div>
<div data-bbox="388 933 957 956" data-label="Text">
<p>كانت بيعه أبي بكر فلته كفلته الجاهليه وقي الله المسلمين شرّها- أو قال- كانت</p>
</div>

بيعه أبي بكر فلتته فتّمت، وانها قد كانت كذلك إلّا أنّ الله قد وقى شرّها- فمن بايع رجلاً عن غير مشوره من المسلمين فإنّه لا بيعه له. <meta info=" السيره النبويه: ٢/ ٦٥٨؛ تاريخ الطبرى: ٢/ ٤٤٦. "[1]>

٢. رواد التشيع فى صدر الإسلام

قد عرفت أنّ العنصر المقوم للتشيع هو الاعتقاد بأنّ القيادة الإسلاميه الحكيمه فى حقلى التعليم والسياسه منحصره فى على وأهل بيته عليهم السلام، وهذا هو الأصل الجامع بين الشيعه، وهذا الأصل يمثل العمود الفقري بين سائر المسائل الأصوليه، ولأجل أن نتعرف على رواد التشيع والمتمسكين بهذا المبدأ نذكر أسماء عدد من الصحابه من الشيعه من بنى هاشم وغيرهم:

١- عبد الله بن عباس. ٢- الفضل بن العباس.

٣- عبيد الله بن العباس. ٤- قثم بن العباس.

[pagebreak](صفحه ٢٨)

ص: ٢٩

٥- عبد الرحمن بن العباس. ٦- تمام بن العباس.

٧- عقيل بن أبى طالب. ٨- أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.

٩- نوفل بن الحرث. ١٠- عبد الله بن جعفر بن أبى طالب.

١١- عون بن جعفر. ١٢- محمّد بن جعفر.

١٣- ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب. ١٤- الطفيل بن الحرث.

١٥- المغيره بن نوفل بن الحارث. ١٦- عبد الله بن الحرث بن نوفل.

١٧- عبد الله بن أبى سفيان بن الحرث. ١٨- العباس بن ربيعه بن الحرث.

١٩- العباس بن عتب بن أبى لهب. ٢٠- عبد المطلب بن ربيعه بن الحرث.

٢١- جعفر بن أبى سفيان بن الحرث.

هؤلاء من مشاهير بنى هاشم، وأمّا غيرهم فإليك أسماء طائفه منهم:

٢٢- سلمان الفارسى المحمّدى. ٢٣- المقداد بن الأسود الكندى.

٢٤- أبو ذرّ الغفارى. ٢٥- عمّار بن ياسر.

٢٦- حذيفه بن اليمان. ٢٧- خزيمه بن ثابت.

٢٨- أبو أيوب الأنصارى، مضميف النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم.

٢٩- أبو الهيثم مالك بن التيهان.

٣٠- أبى بن كعب.

٣١- سعد بن عبادہ.

٣٢- قيس بن سعد بن عبادہ. ٣٣- عدی بن حاتم.

[pagebreak](صفحة ٢٩)

ص: ٣٠

٣٤- عبادہ بن الصامت. ٣٥- بلال بن رباح الحبشى.

٣٦- أبو رافع مولى رسول الله. ٣٧- هاشم بن عتبہ.

٣٨- عثمان بن حنيف. ٣٩- سهل بن حنيف.

٤٠- حكيم بن جبلة العبدي. ٤١- خالد بن سعيد بن العاص.

٤٢- ابن الحبيب الأسلمى. ٤٣- هند بن أبى هاله التميمى.

٤٤- جعده بن هيبه. ٤٥- حجر بن عدى الكندى.

٤٦- عمرو بن الحمق الخزاعى. ٤٧- جابر بن عبد الله الأنصارى.

٤٨- محمد بن أبى بكر. ٤٩- أبان بن سعيد بن العاص.

٥٠- زيد بن صوحان العبدي.

هؤلاء خمسون صحابياً من الطبقة الأولى للشيعة، فمن أراد التفصيل والوقوف على حياتهم وتشيعهم فليرجع إلى الكتب المؤلفة فى الرجال، ولكن بعين مفتوحة وبصيره نافذه.

وفى الختام نورد ما ذكره محمّد كرد علىّ فى كتابه «خطط الشام» قال: عرف جماعه من كبار الصحابه بموالاه علىّ فى عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل سلمان الفارسى القائل: بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين والائتمام بعلىّ بن أبى طالب والموالاه له. ومثل أبى سعيد الخدرى الذى يقول: أمر الناس بخمس فعملوا

[pagebreak](صفحة ٣٠)

ص: ٣١

بأربع وتركوا واحده، ولما سئل عن الأربع، قال: الصلاة، والزكاة، وصوم شهر رمضان، والحجّ.

قيل: فما الواحده التي تركوها؟

قال: ولأيه عليّ بن أبي طالب.

قيل له: وإنّها لمفروضه معهنّ؟

قال: نعم هي مفروضه معهنّ.

ومثل أبي ذر الغفاري، وعمّار بن ياسر، وحذيفه بن اليمان، وذو الشهداءتين خزيمة بن ثابت، وأبي أيّوب الأنصاري، وخالد بن سعيد، وقيس بن سعد بن عباده. <meta info="خطط الشام: ٥ / ٢٥١." [١]" type="ref" class="ref"></meta

٤. افتراضات وهميه حول نشوء الشيعة

اشاره

قد تعرّفت على أنّ نشوء مذهب التشيع ليس وليد نتيجة الجدل الكلامي ولم يكن من نتاج السياسات الزمنية، وإنّما نشأ

بنشوء الإسلام، لأنَّ الباذر الأوَّل للتشيع هو ذاته رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ إنَّ التشيع والإسلام هما وجهان لعمله واحده، إلَّا أنَّ جماعهم المؤرِّخين وكتاب المقالات صوَّروا أنَّ التشيع أمرٌ حادثٌ وطارئٌ على المجتمع الإسلامي، فأخذوا يُفتشون عن مبدئه ومصدره، وسوف نتناول بعض الافتراضات المهمه وناقشها ونجيب عنها واحداً بعد الآخر.

[pagebreak](صفحة ٣١)

ص: ٣٢

الافتراض الأوَّل: التشيع صنيع عبد الله بن سبأ

إشاره

لنقرأ ما كتبه الطبري حول هذا الوهم المصطنع:

قال: «إنَّ يهودياً باسم عبد الله بن سبأ المكنى بابن السوداء في صنعاء أظهر الإسلام في عصر عثمان، واندسَّ بين المسلمين، وأخذ يتنقل في حواضرهم وعواصم بلادهم: الشام، والكوفه، والبصره، ومصر، مبشراً بأنَّ للنبي الأكرم رجعه كما أنَّ لعيسى بن مريم رجعه، وأنَّ عليّاً هو وصي محمّد صلى الله عليه وآله وسلم كما كان لكلِّ نبيٍّ وصي، وأنَّ عليّاً خاتم الأوصياء كما أنَّ محمّداً خاتم الأنبياء، وأنَّ عثمان غاصب حقِّ هذا الوصيِّ وظالمه، فيجب مناهضته لإرجاع الحقِّ إلى أهله».

«إنَّ عبد الله بن سبأ بثَّ في البلاد الإسلاميه دعواته، وأشار عليهم أن يظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والظعن في الأمراء، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابي الكبير والتابعي الصالح من أمثال أبي ذر، وعمار بن ياسر، ومحمّد بن حذيفه، وعبد الرحمن بن عديس، ومحمّد بن أبي بكر، وصعصعه بن صوحان العبدى، ومالك الأشتر، إلى غيرهم من أبرار المسلمين وأخيارهم، فكانت السبثيه تثير الناس على ولاتهم، تنفيذاً لخطّه زعيمها، وتضع كتباً في عيوب

[pagebreak](صفحة ٣٢)

ص: ٣٣

الأمراء وترسل إلى غير مصرهم من الأمصار. فنتج عن ذلك قيام جماعات من المسلمين - بتحريض السبثيين - وقدومهم إلى المدينه وحصرهم عثمان في داره، حتّى قتل فيها، كلُّ ذلك كان بقيادة السبثيين ومباشرتهم».

«إنَّ المسلمين

بعد ما بايعوا علياً، ونكث طلحه والزبير بيعته وخرجا إلى البصره، رأى السبتيون أنّ رؤساء الجيشين أخذوا يتفاهمون، وأنه إنّ تمّ ذلك سيؤخذون بدم عثمان، فاجتمعوا ليلاً وقرّروا أنّ يندسوا بين الجيشين ويشيروا الحرب بكره دون علم غيرهم، وأنهم استطاعوا أنّ ينفذوا هذا القرار الخطير في غلس الليل قبل أن ينتبه الجيشان المتقاتلان، فناوش المندسّون من السياسيين في جيش عليّ من كان بأزائهم من جيش البصره، ففزع الجيشان وفزع رؤساؤهما، وظنّ كلّ بخصمه شراً، ثمّ إنّ حرب البصره وقعت بهذا الطريق، دون أن يكون لرؤساء الجيشين رأى أو علم». <meta info="=meta info"> تاريخ الطبري: ٣/ ٣٧٨. </meta info> إلى هنا انتهت قصه السبئيّه التي يذكرها الطبري في تاريخه في أحداث سنوات ٣٠-٣٦ للهجره، وقد أخذ ذلك من جاء بعده من المؤرخين وكتاب المقالات كحقيقه راهنه، وبنوا عليها ما بنوا من الأفكار والآراء، فصارت الشيعه وليده السبئيّه في زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال، ولا حاجة لنا في ذكر أسماء من اتّخذ قصه الطبري مسنداً لادّعائه.

هذا حال من كتب عن الشيعه من المسلمين، وأمّا المستشرقون

! [pagebreak] (صفحة ٣٣)

ص: ٣٤

المتطفّلون على موائد المسلمين فقد اتّبعوا تلك الفرضيه الخاطئه في بحوثهم.

نظر المحقّقين في الفرضيه

١. ما سرده الطبري من قصه- مع الغض عمّا في سندها من مجاهيل- أشبه بالأساطير والخرافات، إذ كيف يصح لإنسان أن يصدّق أنّ يهودياً جاء من صنعاء وأسلم في عصر عثمان، واستطاع أن يُغري كبار الصحابه والتابعين، ويخدعهم ويطوف بين البلاد واستطاع أن يكون خلايا ضد عثمان ويستقدمهم إلى المدينه ويؤلّبهم على الخلافه الإسلاميه، فيهاجموا داره ويقتلوه، بمرأى ومسمع من الصحابه العدول ومن تبعهم بأحسان، هذا شيء لا- يحتمله العقل وإن وُظنّ نفسه على قبول العجائب والغرائب!!

إنّ هذه القصه

تمسّ كرامه المسلمين والصحابه والتابعين وتصوّرهم أمّه ساذجه يغترون بفكر يهودى ماكر متظاهر بالإسلام دون أن يعرفوه، وفيهم الساده والقاده والعلماء والمفكرون!!

٢. أنّ القراءه الموضوعيه لسيره عثمان بن عفان ومعاويه بن أبى سفيان تثبت أنّهما لا يسمحان للمعارضين بالتحرك فى البلاد الإسلاميه وبثّ الدعايه ضدّهم، والشاهد على ذلك:

أ. لما خالف أبو ذر عثمان بن عفان نفاه من المدينه إلى الربذه، لاعتراضه عليه فى تقسيم الفى ء وبيت المال على أبناء عمومته.

ب. ضرب عثمان عمّار بن ياسر حتّى انفتق له فتقاً فى بطنه

[pagebreak](صفحه ٣٤)

ص: ٣٥

<type="ref" class="ref">[١]</meta " =meta info" الاستيعاب: ٢ / ٤٢٢. إلى غير ذلك من الأحداث التى جرت على المعارضين المخالفين للخلافه الذين نفوا من عقر دارهم.

فلماذا لم يتعامل معه، بالأسلوب الذى تعامل به مع الآخرين.

يقول العلامه الأمينى: لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إقحاق الفتن، وشقّ عصا المسلمين، وقد علم به وبعيثة أمراء الأمه وساستها فى البلاد، وانتهى أمره إلى خليفه الوقت، فلماذا لم يقع عليه الطلب؟ ولم يبلغه القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطره، والتأديب بالضرب والإهان، والزجّ إلى أعماق السجون؟ ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأمه من شرّه وفساده كما وقع ذلك كلّه على الصلحاء الأبرار الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ وهتاف القرآن الكريم يرُنُّ فى مسامع الملأ الدينى:

«إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» <meta info" المائده: ٣٣. type="ref" " </meta >[٢] <class="ref" >فهلما اجتاح الخليفه جرثومه تلك القلاقل بقتله؟ وهل كان تجهّمه وغلظته قصراً على الأبرار من أمّه

محَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ففعل بهم ما فعل؟! <meta info=" الغدير: ٢١٩ / ٩ - ٢٢٠. " type="ref" <class="ref">[٣]</meta

[pagebreak](صفحة ٣٥)

ص: ٣٦

٣. ان روايه الطبرى نقلت عن أشخاص لا يصح الاحتجاج بهم، وإليك من ورد فى سند هذه القصة:

أ. السرى: ان السرى الذى يروى عنه الطبرى مرّد بين رجلين:

١. السرى بن إسماعيل الهمداني الذى كذبه يحيى بن سعيد وضعفه غير واحد من الحفاظ. <meta info=" ميزان الاعتدال: ١١٧ / ٢. " type="ref" class="ref">[١]</meta> ٢. السرى بن عاصم بن سهل الهمداني الذى أدرك الطبرى شرطاً من حياته، كذبه غير واحد من علماء الرجال وعدّوه من الوضّاعين. <meta info=" ميزان الاعتدال: ١١٧ / ٢؛ لسان الميزان: ١٢ / ٣. " type="ref" class="ref">[٢]</meta> ب. شعيب والمراد به شعيب بن إبراهيم الكوفى المجهول، قال ابن عدى: ليس بالمعروف، وقال الذهبى: راويه كتب سيف عنه، فيه جهاله. <meta info=" ميزان الاعتدال: ٢٧٥ / ٢؛ لسان الميزان: ١٤٥ / ٢. " type="ref" class="ref">[٣]</meta> ج. سيف بن عمر: وهذا هو رأس الفتنة- قال ابن حبان: كان سيف بن عمر يروى الموضوعات عن الأثبات، وقال: قالوا: أنه كان يضع الحديث، وأنهم بالزندقة. <meta info=" ميزان الاعتدال: ١ / ٤٣٨؛ تهذيب التهذيب: ٢٩٥ / ٤. " type="ref" class="ref">[٤]</meta> إلى غير ذلك من الكلمات الكاشفه عن سوء سريره وفساد عقيدته وعدم اكترائه عن الوضع والكذب.

فإذا كان هذا هو حال السند، فكيف نعلم فى تحليل نشوء طائفه كبيره من طوائف المسلمين تشكّل خمسهم أو ربعهم على تلك الروايه مع

[pagebreak](صفحة ٣٦)

ص: ٣٧

أنّ هذا هو حال سندها، فالاعتماد عليها خداع وضلال.

عبد الله بن سبأ أسطوره تاريخيه

إلى الآن قد فرضنا أنّ لعبد الله بن سبأ وجوداً خارجياً يحلم بإفساد الأمر على المسلمين، والذى نكره هو نجاح رجل يهودى ماكر متظاهر بالإسلام

إلى هذه الدرجة من القوه بحيث يستطيع أن يفسد الأمر على الخلافه ويبيث دعاته فى الأمصار ويكاتب الآخرين حتى ينتهى الأمر إلى قتل الخليفه، وبالتالي إلى تقابل الجيشين فى البصره وإفساده الأمر عليهم، واختراع مذهب باسم الشيعه و...

والآن نعود إلى حقيقه أخرى كشف عنها المحققون المعاصرون، وهى أنّ الشواهد والقرائن تشهد بأنّ مثل عبد الله بن سبأ مثل مجنون بنى عامر وبنى هلال، وأمثال هؤلاء الرجال والأبطال كلّها أحاديث خرافيه قصّوها القصاصون وأرباب السمر والمجون كى تأنس بها ربّات الحجال وأبناء الترف والنعمة، وأما على أرض الواقع فلا وجود لها، وهذه الحقيقه هى التى انتهى إليها الدكتور طه حسين فى كتابه «الفتنه الكبرى» وقد تبعه غير واحد من المستشرقين، ومن أراد أن يقف على ما حقّقه هؤلاء الأكابر حول عبد الله بن سبأ فليرجع إلى المصادر المذكوره فى الهامش <meta info="أ. أصل الشيعه وأصولها لكاشف الغطاء ص ٧٣.

ب. الفتنه الكبرى لطفه حسين ص ١٣٤، فصل ابن سبأ.

ج. الغدير: ٢٢٠ / ٩.

د. عبد الله بن سبأ للسيد مرتضى العسكري.

ه. نظريه الإمامه للدكتور أحمد محمود صبحى: ٣٧. <meta [1] class="ref" type="ref".

! [pagebreak] (صفحه ٣٧)

ص: ٣٨

الافتراض الثانى: التشيع فارسى المبدأ أو الصبغه

وهنا تطرح فرضيه ثانيه اخترعها المستشرقون لنشوء الشيعه فى المجتمع الإسلامى، وهؤلاء كغيرهم من الباحثين اعتقدوا بأنّ التشيع ظاهره حدثت بعد رحيل النّبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذوا يفتشون عن علّتها وسبب حدوثها حتى انتهوا إلى أنّ التشيع فارسى المبدأ أو الصبغه.

وهذه الفرضيه اخترعها المستشرق «دوزى» وحاصلها: أنّ للمذهب الشيعى نزعه فارسىه لأنّ العرب كانوا يدينون بالحريه، والفرس يدينون بالملك والوراثه ولا يعرفون معنى الانتخاب، ولما انتقل النّبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى دار البقاء ولم يترك ولداً

قالوا عليّ أولى بالخلافه من بعده.

وبتعبير موجز: أنّ الانسجام الفكري بين الفرس والشيعة - أعني: كون الخلافه أمراً وراثياً - دليل على أنّ التشيع وليد الفرس.

وهذه الفرضيه أشبه بالفرضيه السابقه من الضعف حيث إنّها دعوى بلا برهان، بل هي دعوى تكذّبها الشواهد الكثيره الدالّه على أنّ التشيع عربى المبدأ؛ وهي:

أولاً: إنّ التشيع حسب ما عرفت ظهر في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو

[pagebreak](صفحه ٣٨)

ص: ٣٩

الغذى سمى أتباع علي عليه السلام بالشيعة، وكانوا متواجدين في عصر النبي وبعده، إلى زمن لم يدخل أحد من الفرس سوى سلمان، في الإسلام.

إنّ رواد التشيع في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والوصى عليه السلام كانوا كلّهم عرباً، ولم يكن بينهم أى فارسى سوى سلمان المحمدى.

ثانياً: كان لأبى الحسن الإمام علي بن أبى طالب عليه السلام أيام خلافته ثلاثه حروب، هي: حرب الجمل، وصفين والنهروان؛ وكان جيشه كلّه عرباً أقحاحاً بين عدنانيّ وقحطانيّ، فقد انضم إلى جيشه زرافات من قريش والأوس والخزرج، ومن قبائل مذحج وهمدان وطى وكنده وتميم، ومضر، وكان زعماء جيشه من رؤوس هذه القبائل، كهاشم المرقال، ومالك الأشر، وصعصعه بن صوحان وأخوه زيد، وقيس بن سعد بن عباده، وعبد الله بن عباس، ومحمد بن أبى بكر، وحجر بن عدى، وعدى بن حاتم، وأضرابهم. وبهذا الجيش وبأولئك الزعماء فتح أمير المؤمنين البصره، وحارب القاسطين - معاويه وجنوده - يوم صفين، وبهم قضى على المارقين.

فأين الفرس في ذلك الجيش وأولئك القاده كى نحتمل أنّهم كانوا الحجر الأساس للتشيع؟! ثم إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من غير العرب.

وقد شهد بما ذكرنا لفيف من المحققين من المستشرقين

[pagebreak](صفحه ٣٩)

ص:

وغيرهم، ونقتصر على ذكر قول واحد منهم:

قال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق في عهد معاوية خصوصاً أهل الكوفة شيعه ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤوساء العرب. <meta info="الخوارج والشيعة: ٢٤١ - ٢٤٨. [١]" class="ref" type="ref"> وثالثاً: إنّ الإسلام كان ينتشر بين الفرس بالمعنى الذي كان ينتشر به في سائر الشعوب، ولم يكن بلد إيران معروفاً بالشيعة إلى أن انتقل قسم من الأشعرين الشيعة إلى قم وكاشان، فبذروا الشيعة، وكان ذلك في أواخر القرن الأول مع أنّ الفرس دخلوا في الإسلام في عهد الخليفة الثاني أي من سنه ١٧ هـ، وهذا يعني أنّه قد انقضى عشرات الأعوام ولم يكن عندهم أثر من الشيعة.

يقول السيد الأمين: إنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعه في أوّل الأمر إلّا القليل، وجلّ علماء السنّه وأجلاؤهم من الفرس كالبخارى والترمذى والنسائي وابن ماجه والحاكم النيسابورى وهكذا غيرهم ممّن أتوا في الطبقة التاليه. <meta info="أعيان الشيعة: ١/٣٣، الطبعة الخامسة. [٢]" class="ref" type="ref"> نعم ربّما يستدلّ على أنّ التشيع فارسى المبدأ في اتفاقهما في أنّ الخلافة أمراً وراثياً في منطق الشيعة والفرس، حيث كان الأمر كذلك في عهد ملوك بني ساسان وغيرهم، ولكن ذلك ذريعه باطله حيث إنّ الخلافة

[pagebreak](صفحة ٤٠)

ص: ٤١

عند الشيعهليست وراثيه، بل هي أمر تنصيصي، غايه الأمر أنّ الله سبحانه جعل نور الإمامه في بيوت خاصه ينصّ كلّ إمام على إمامه إمام آخر بعده.

والذي يقرب ذلك أنّه سبحانه تبارك وتعالى جعل النبوه في ورثه إبراهيم فكان يتوارث نبيّ نبياً ووصي وصياً، قال سبحانه: (وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَ إِبْرَاهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ النَّبِيَّةَ وَ الْكِتَابَ) <meta info="الحديد: ٢٦. [١]" class="ref" type="ref">.

فلماذا لا تكون

الإمامه فى التوارث كالنبوه فى ذريه إبراهيم عليه السلام!؟

رابعاً: من قرأ تاريخ الفرس وحياء علمائهم ودخولهم فى التسنن والتشيع يقف على أنّ التسنن كان هو السائد عليهم إلى أوائل القرن العاشر حتى غلب عليهم التشيع فى العصر الصفوى.

نعم كانت الرى وقم وكاشان معقل الشيعة، وهذه المدن بالنسبه إلى سائر البلاد الفارسيه صغيره جداً.

قال بروكلمان: إنّ الشاه الصفوى إسماعيل لما انتصر على ألوند توجه نحو تبريز فأعلمه علماء الشيعة فى تبريز أن ثلثى سكان المدينه- الذين يبلغ عددهم ثلاثمائه ألف- من السنّه. <meta info=" " type="ref" > تاريخ المذاهب الإسلاميه: ١/ ١٤٠. </meta > هذه بعض الفروض التي افترضها عدّه من الباحثين الذين فرضوا التشيع أمراً عارضاً على جسم الأمه الإسلاميه وذهبوا إلى افتراض علل لنشوئه، وأما نحن فقد ذكرنا أنّ جوهر التشيع ليس له إلّأصل واحد، وهو

[pagebreak](صفحه ٤١)

ص: ٤٢

كون القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى مجالى العلم والسياسه لعلى عليه السلام ثم للأوصياء من بعده، فالتشيع كالإسلام حجازى المولد والمنشأ اعتنقه العرب فتره طويله ثم انتشر شيئاً فشيئاً بين الأمه الإسلاميه.

وأما سائر الافتراضات فليس لها قيمه حتى نتطرق إلى مناقشتها.

٥. الشيعة الإماميه والخلافات السائده بينهم وبين غيرهم من طوائف الشيعة:

اشاره

كانت الشيعة بعد رحله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كتله واحده يشايعون علماً وأهل بيته إلى أن وقعت رزيه الطف واستشهد الإمام الحسين عليه السلام بيد الطغمه الغاشمه من بنى أميه فظهرت فرقه الكيسانيه وهم القائلون بإمامه محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب، ثم تبعتها فرق أخرى فى الظهور حسب تطورات الأحداث مثل الزيديه أتباع زيد بن على، والمغبريه، والمحمديه، والناووسيه، والإسماعيليه، والسميطيه، والفتحيه، والواقفيه، والخطّايه، والنصيريه، والمفوضه.

هذه فرق الشيعة التي ذكرها أصحاب المقالات والفرق، وقد انقرضت

أكثرها وبادت وتشتت آراؤها وطويت في سجل التاريخ ولم يبق منها إلّا ثلاث، هي: الإماميه، والزيديه، والإسماعيليه.

وعليه نسلط الضوء بصورة مختصره على فرقتي الزيديه والإسماعيليه والفارق الجوهرى بينها وبين الشيعة الإماميه.

! [pagebreak] (صفحة ٤٢)

ص: ٤٣

الزيديه والإسماعيليه

الزيديه والإسماعيليه من فرق الشيعة كالإماميه، وقد اتفقت الشيعة بطوائفها الثلاث على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أوصى لعلى بالوصايه والخلافه، وأمر بالتمسك بالثقلين، وأنه لا يعدل بهما إلى غيرهما.

والنقطه الفارقه الشاخصه الّتى تميّز المذهب الزيدى عن المذهب الإمامى هو القول باختصاص الوصايه عند الزيديه لعلى والحسينين عليهم السلام دون باقى الأئمّه، بل الزعامه بعدهم لكل هاشمى عالم خارج بالسيف يدعو إلى إمامه نفسه، ولكن الإماميه يسوقون النصّ على اثنى عشر خليفه، أولهم على وآخرهم القائم المهدي عليه السلام.

ويقرب منهم الإسماعيليه فهم يسوقون النصّ بالإمامه إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام وبعده إلى ابنه اسماعيل ثمّ تستمر الإمامه فى رأيهم فى أولاد هؤلاء.

ثمّ إنّ لكلّ من الزيديه والإسماعيليه فرقاً تمتاز كلّ عن الآخر بآراء وأصول، تطلب من محالّها.

٦. دور الشيعة فى بناء الحضاره الإسلاميه

للشيعة الإماميه دور فى بناء صرح الحضاره الإسلاميه الكبرى يتمثّل فى تأسيس العلوم الإسلاميه، فبرز منهم طلائع العلوم اللغويه والشرعيه

! [pagebreak] (صفحة ٤٣)

ص: ٤٤

كتفسير القرآن الكريم وعلم الحديث والفقه والرجال، كما طلع منهم عباقره كذلك فى العلوم الطبيعيه كالجغرافيا والتاريخ والطب والكيمياء والرياضيات والهندسه وغيرها. والتاريخ حافل بأعلامهم ولهم فى هذه المجالات جهود مشكوره، ومؤلفاتهم مشهوره ذائعه تقرأ على رؤوس الأشهاد.

إن هذه الجهود الكبرى- الّتى بذلت فى سبيل العلوم والثقافه وابتدأت من القرن الهجرى الأوّل وحتىّ هذا اليوم، وأسست من أجلها الحوزات والمدارس والجامعات والمعاهد العديده- تمّت على أيدي علماء الشيعة، ورجالهم الذين لم يفتأوا لحظه واحده

عن تقديم خدمه للعالم البشرى والحضاره الإسلاميه والإنسانيه.

إنّ كتب المعاجم والتراجم حافله بذكر جهابذه الشيعة فى المجالات المختلفه من غير فرق بين الفقه وأصوله والقرآن والحديث وعلومهما واللغه والأدب، كما أنّ لهم دور فى تأسيس المعاهد والجامعات فى شرق

العالم الإسلامي وغربه.

ومن أراد التفصيل فعليه أن يقرأ تاريخ الشيعة والحضارة الإسلامية.

[pagebreak]!(صفحه ٤٤)

ص: ٤٥

المسيح يُسند الخلقه إلى نفسه ويقول: «أَنْتَى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا يَأْذَنُ اللّٰهُ» <meta info=" " آل عمران: ٤٩. </meta " [٢]> .

ومن هنا يجب أن نعترف بأن حصر الخالقيه في الله سبحانه لا يعنى إنكار السنن بين الظواهر الطبيعيه، لأنّ العليه والمعلوليه فى أجزاء عالم

! [pagebreak] (صفحه ٤٩)

ص: ٥٠

الماده لا تعنى استقلال العله فى العليه والإيجاد، وإنما تعنى أنه سبحانه أجرى فى عالم ماده قانون العليه والمعلوليه وهو وراؤها، فكلّ من الشمس والهواء يؤثر فى نبات الأرض كما أنّ الماء مؤثر فى نموه لكن وجود المؤثر وتأثيره كلها بإذن الله سبحانه، والجميع من مظاهر سنن الله فى الكون، ولقد ضل من فسّر التوحيد بالخالقيه بإنكار العلل والروابط الماديه بين أجزاء العالم فجعل الدين منكرًا للعلم ومقابلًا له.

٤. التوحيد فى الربوبيه

قد كان التوحيد فى الخالقيه مورد اتفاق بين أغلب المشركين وإنما كانوا يختلفون عن الموحّدين بالتوحيد فى الربوبيه، فمشركو عصر النبى إبراهيم الخليل عليه السلام كانوا يعتقدون بوحده خالق الكون، إلّا أنهم كانوا يعتقدون خطأ بأنّ النجوم والكواكب هى الأرباب والمدبّرات لهذا الكون، وقد تركّزت مناظره إبراهيم لهم على هذه المسأله كما يتّضح ذلك من بيان القرآن الكريم حيث ركّز البحث على ربوبيه الأجرام السماويه. <meta info=" " راجع سوره الإنعام الآيات: ٧٦-٧٨. ٢. يوسف: ٣٩. </meta [١]> " <type="ref" class="ref"> وكذا فى عهد النبى يوسف عليه السلام الذى كان يعيش بعد عصر النبى إبراهيم الخليل عليه السلام، فإنّ الشرك كان فى مسأله الربوبيه حيث كانوا يتصورون أنّ الله بعد أن خلق الكون فوّض أمر تدبيره وإدارته إلى الآخرين. ولذلك ركّز يوسف فى هدايتهم على التوحيد فى الربوبيه حيث قال: «أَرَبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» (٢).

! [pagebreak] (صفحه ٥٠)

ص:

ويدل على التوحيد الربوبي هو أنّ تدبير عالم الخلق في مجال الإنسان والكون، لا ينفصل عن مسأله الخلق، وليس التدبير شيئاً غير عمله الخلق. فإذا كان خالق الكون والإنسان واحداً، كان مدبرهما بالطبع والبداهه واحداً كذلك، لوضوح علاقته الكامله بين عمله التدبير وعمله الخلق للعالم.

ولهذا فإن الله تعالى عندما يصف نفسه بكونه خالق الأشياء يصفها في ذات الوقت بأنه مدبرها، قال تعالى: «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» <meta info="الرعد: ٢." [١]> </meta> .

٥. التوحيد في الحاكمية

كما أنّ لصحيفه التكوين مدبراً حقيقياً واحداً وهو الله تبارك وتعالى، فهكذا لصحيفه التشريع حاكم واحد وهو الله سبحانه، فهو الحاكم وبالتالي هو المقنن والمطاع بالذات، وليس لغيره حق الحكومه ولا التشريع ولا الإطاعة إلا بإذنه سبحانه، يقول الله تعالى: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» <meta info="يوسف: ٤٠." [٢]> </meta> ، وقال: «مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ» <meta info="النساء: ٨٠." [٣]> </meta> ، وقال تعالى: «وَمَا

[pagebreak](صفحة ٥١)

ص: ٥٢

أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ» <meta info="النساء: ٦٤." [١]> </meta> . وبالجملة فعامه الشؤون التي ترجع إلى الحكومه والتشريع والإطاعة كلها ثابتة لله تعالى بالذات، وأنما تثبت لغيره بأمره وإذنه.

٦. التوحيد في العبادة

إنّ التوحيد في العبادة هو الأصل المشترك والقاعده المتفق عليها بين جميع الشرائع السماويه.

وبكلمه واحده: إنّ الهدف الأسمى من بعث الأنبياء والرُّسُل الإلهيين هو التذكير بهذا الأصل كما يقول سبحانه: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» <meta info="النحل: ٣٦." [٢]> </meta> .

إنّ جميع المسلمين يعترفون في صلواتهم اليوميه بهذا الأصل ويقولون: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» <meta info="الفاتحه: ٥." [٣]> </meta> .

وعلى هذا الأساس فإنَّ وجوبَ عباده الله وحده، والاجتناب عن عباده غيره أمرٌ مسلّمٌ لا كلامَ فيه، ولا يخالف أحدٌ في هذه القاعدة الكلية أبداً، وإنَّما الكلام هو في أن بعض الأعمال والممارسات هل هي مصداق لعباده غير الله أم لا؟ وللوصول إلى القول الفصل في هذا المجال يجب

[pagebreak](صفحة ٥٢)

ص: ٥٣

تحديد مفهوم العبادة تحديداً دقيقاً، وتعريفها تعريفاً منطقياً، بغية تمييز ما يدخل تحت هذا العنوان ويكون عباده، ممّا لا يكون كذلك، بل يُؤتى به من باب التعظيم والتكريم. وسيوافيك ملاك العبادة في الفصل الثالث.

٧. صفات الذات وصفات الفعل

تنقسم صفات الله سبحانه إلى قسمين:

ذاتي وفعلية.

والمراد من الأول ما توصف به الذات بما هي هي، ككونه عالماً قادراً.

والمراد من الثاني ما توصف به الذات بملاحظه صدور فعل منه كالخالقيه والرازقيه وما شابه ذلك من الصفات التي تنتزع من مقام الفعل ويوصف بها سبحانه بعد ملاحظه ما صدر منه من الأفعال. فيما أنه خلق العالم فهو خالق، أو رزق الناس فهو رازق، وهكذا.

٨. صفاته الثبوتيه والسلبيه

تنقسم صفات الله سبحانه إلى صفات ثبوتيه وصفات سلبيه، والمراد بالأولى الصفات التي تحكى عن الكمال كما مرّ من كونه عالماً وقادراً.

والمراد من الصفات السلبيه هو تنزيه ذات الله تعالى عن الصفات التي تحكى عن الحاجه والنقص والفقير.

[pagebreak](صفحة ٥٣)

ص: ٥٤

وبتعبير آخر: ان لله سبحانه صفات جمال وصفات جلال، فالأولى تحكى عن كمال الذات فتوصف بها، والأخرى تحكى عن النقص فتسلب عنها. وعلى ضوء هذا فالله سبحانه ليس بجسم ولا جسماني ولا محلاً لشيء ولا حالاً في شيء، لأن هذه الصفات

تلازم النقص والحاجه كما إذا كان حالاً، أو أنها مستلزمه للتركيب كما إذا كان محلاً.

وللمحققين من علماء الإماميه بحوث دقيقه حول صفات الجمال والجلال جديره بالمراجعه.

٩. صفاته الخبريه

المراد من الصفات الخبريه هي الصفات التي وردت في آيات القرآن الكريم أو السنّه الشريفه ولم يكن لها مستند سوى النقل
مثل:

١. يد الله، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» [\[١\]](#) `<meta info="meta info"= "الفتح: ١٠. ١" type="ref" class="ref">`

٢. وجه الله، قال تعالى: «وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَوَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» [\[٢\]](#) `<meta info="meta info"= "البقره: ١١٥. ٢" type="ref" class="ref">`

٣. عين الله، قال تعالى: «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا» [\[٣\]](#) `<meta info="meta info"= "هود: ٣٧. ٣" type="ref" class="ref">`

[pagebreak](صفحه ٥٤)

ص: ٥٥

٤. الإستواء على العرش، قال تعالى: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [\[٤\]](#) `<meta info="meta info"= "طه: ٥. ٤" type="ref" class="ref">`

إنّ مفردات الآيات المذكوره تحكى عن كون الله سبحانه وتعالى جسماً أو جسمانياً، هذا من جانب ومن جانب آخر دلّت الآيات المحكمات على تنزيهه عن ذلك، كما في قوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [\[٥\]](#) `<meta info="meta info"= "الشورى: ٧. ٥" type="ref" class="ref">`، كما [\[٦\]](#) `<meta info="meta info"= "الشورى: ٧. ٥" type="ref" class="ref">`

دلت البراهين العقلية على ذلك أيضاً، وعلى ضوء ذلك فتحقيق المراد من هذه الصفات رهن دراسته عامه الآيات والإمعان في القرائن الموجوده في خصوص هذه الألفاظ والخروج بنتيجه قطعيه، ولذلك ذهب أهل التنزيه بعد هذه الدرسته إلى أنّها كنيات واستعارات ومجازات، والتفصيل في محله.

١٠. القضاء والقدر

إنّ الاعتقاد بالقضاء والقدر من العقائد الإسلاميه التي وردت في الكتاب والسنة ولكن لابد من تفسيرهما بشكل لا ينتج الجبر وسلب الاختيار عن الإنسان، أما القدر فهو عباره عن تقدير وجود الشئ و هندسته، فالله سبحانه خلق كل شئ بقدر خاص، قال تعالى: «إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ» [pagebreak](صفحة ٥٥)

ص: ٥٦

وأما القضاء فهو وصول الفعل إلى مرحله القطعيه والحتميّه، وفي الوقت نفسه إنّ لاراده الإنسان واختياره دوراً في بلوغ الفعل إلى مرتبه القضاء، فالإنسان باختياره فعلاً من الأفعال يكون سبباً للقضاء عليه بالاحتم.

١١. الإنسان موجود مختار

مهما تجاهل الإنسان من أمر فلا يمكن له أن يتجاهل أنّه إنسان مختار في الأخذ بأحد طرفي الفعل بقدره مفاضه من الله سبحانه، ففعله مستند إلى الله سبحانه من جهه وفي الوقت نفسه مستند إليه من جهه أخرى.

أمّا الأوّل فلأنّه يعمل بالقدره المفاضه عليه، وأمّا الثاني فهو باختياره ينتخب أحد الأمرين، ولذلك ورد عن أئمه أهل البيت عليهم السلام قولهم: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين».

١٢. ضرورة النبوه العامه

إشاره

اختار الله الحكيم رجالاً صالحين لهدايه الإنسان وإسعاده، وهؤلاء هم الأنبياء والرسل الذين جرى فيض الهدايه بواسطتهم من الله سبحانه على عباده.

ثم إنّ بعث الأنبياء أمر لازم في وصول الإنسان إلى الكمال الذي خلق له، فإنّ عقله وإن كان مؤثراً أو مفيداً في سلوكه طريق الكمال إلّا أنّه غير كافٍ لذلك.

[pagebreak](صفحة ٥٦)

ص: ٥٧

إنَّ اختلاف الرؤى والنظريات البشريه فى الأخلاق والاقتصاد والعلاقات الاجتماعيه وغير ذلك من مناحى الحياه خير دليل على قصوره عن إدراك الصحيح من هذه المسائل، قال تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...» [\[1\]](#) <meta info="البقره: ٢١٣" type="ref" class="ref"> .

صفات الأنبياء

إنَّ لوسائط الفيض صفاتٍ تميزهم عن غيرهم، وأهمها العصمه فى المراحل الثلاثه:

أ. العصمه فى مرحله تلقى الوحي وإبلاغه.

ب. العصمه عن المعصيه والذنب.

ج. العصمه عن الخطأ فى الأمور الفرديه والاجتماعيه.

وللزوم العصمه فى هذه المراحل الثلاث براهين عقليه ونقليه مذكوره فى محلها.

١٣. النبوه الخاصه

والمراد من النبوه الخاصه هو نبوه رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى هو خاتم الرسل والنبيين وكتابه خاتم الكتب، ورسالته خاتمه

[pagebreak](صفحه ٥٧)

ص: ٥٨

الرسالات، والقرآن معجزته الخالده إلى يوم القيامة، وقد خصّه سبحانه بهذه المعجزه، لأنّ الشريعه الخالده رهن الدليل الخالده، ولذلك أرسله بكتاب لا- يأتیه الباطل من بين يديه ولا- من خلفه وتحدى به الأئسن والجن إلى يوم القيامة، وقال: «قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَمَّا يُأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» [\[1\]](#) <meta info="الإسراء: ٨٨" type="ref" class="ref"> .

١٤. المعاد والقيامة

اتفقت جميع الشرائع السماويه على أنه سبحانه يحيى الناس بعد موتهم يوم القيامة ليجزيهم بما عملوا.

والاعتقاد بالقيامة من أركان الإيمان فى الإسلام، يقول سبحانه:

«أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» [\[1\]](#) <meta info="المؤمنون: ١١٥" type="ref" class="ref"> .

وليس الموت نهايه للحياه، بل هو انتقال من نشأه إلى أخرى ومن حياه قصيره إلى حياه خالده.

وللمحققين من العلماء الكرام حول المعاد وأدلته القرآنيه والعقليه وعالم البرزخ، ودرجات الجنه ودركات الجحيم بحوثاً مفصّله، فمن أراد فليرجع إليها. هذه هي الأصول الكليه للشيعة الإماميه التي تشارك فيها عامه المسلمين ذكرناها موجزه.

[pagebreak](صفحه ٥٨)

ص: ٥٩

١٥. المسائل الكلاميه: التي تفرّدت بها الإماميه

إنّ للشيعة الإماميه آراء خاصه في مسائل كلاميه لا تشكّل العمود الفقري للشيعة، فإنّ جوهر التشيع أمر واحد، وهو أنّ المرجع السياسى والعلمى بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هو أهل بيته، وأنّ سفينه النجاه هم على وأولاده كما قال: «ألا إنّ مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». <meta info="مستدرك الحاكم: ٨٣/٣٥١"> [١] </meta " type="ref" class="ref"> وأما سائر ما تفرّدت به الشيعة فكلّها مباحث كلاميه، مثلاً الشيعة تفارق المعتزله في أصول عشره كما أنّها تفارق الأشاعره في أصول سته، وبما أنّه ليس للمعتزله دور في المجتمع الإسلامى المعاصر نشير إلى رؤوس الفوارق الكلاميه المهمه بينهم وبين الأشاعره:

١. اتّفقت الإماميه على أنّ صفاته سبحانه غير ذاته مفهوماً عين ذاته مصداقاً، خلافاً للأشاعره الذين قالوا بأنّها قديمه غير أنّها لازمه زائده.

٢. أفعال العباد عند الإماميه صادرة عن العباد حقيقه بلا مجاز وتوسّع، فالإنسان هو الآكل والضارب والصائم والمصلّى، خلافاً للأشاعره حيث إنّ أفعال العباد عندهم مخلوقه لله سبحانه فليس للإنسان فيها صنع

ولا دور سوى كونه محلاً لفعل الله.

[pagebreak](صفحة ٥٩)

ص: ٦٠

٣. رؤيه الله سبحانه في الآخرة أمر محال لاستلزامها التجسيم والجهه خلافاً للأشاعره.

٤. كلامه سبحانه فعله، وهو حادث لا قديم، خلافاً للأشاعره، فهو عندهم قديم، لأن الكلام عندهم أمر نفسى قائم بالذات.

٥. التحسين والتقييح العقليان ممّا اعترف بهما الإماميه وأنّ العقل قادر على أن يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها خلافاً للأشاعره.

فإنّ كلّ إنسان - مهما كان دينه ومسلكه، وأينما حلّ في بقعه من بقاع الأرض - يدرك بنفسه حسن العدل وقبح الظلم، وكذلك يدرك حسن الوفاء بالعهد، وقبح نقضه، وحسن مقابله «الإحسان بالإحسان» وقبح مقابله «الإحسان بالإساءة».

والقرآن الكريم يؤيد تلك المقدره للإنسان، ولذلك يحتكم إلى العقل ويدعو إلى تحكيمه أكثر من مره في حسن الأمور وقبحها قائلاً:

«أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» <meta info=" القلم: ٣٤ - ٣٥. type="ref" " </meta> [١]</ref>، وقال سبحانه: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» <meta info=" الرحمن: ٦٠. " </meta> [٢]</ref> .

٦. ويتفرع على هذا الأصل وصفه سبحانه بالعدل. وأنه لا يظلم قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» <meta info=" النساء: ٤٠. " </meta> [٣]</ref> .

[pagebreak](صفحة ٦٠)

ص: ٦١

لأنّ الظلم نابع من أحد عوامل ثلاثه:

١. جهل الفاعل بقبح الظلم.

٢. حاجه الفاعل إلى الظلم مع علمه بقبحه.

٣. كون فاعل الظلم غير حكيم.

ولا سبيل لأى واحد من هذه العوامل إلى ذاته سبحانه.

وبما أن أكثر البراهين الكلاميه- خصوصاً فيما يرجع إلى النبوه والإمامه والمعاد- مبنى على إدراك العقل محاسن الأفعال ومساوئها، فلذلك احتلت هذه المسأله مكانه كبرى فى أبحاث العقائد.

وهذه الخصائص بما أنّها بحوث كلاميه تختص بالعلماء والباحثين ولا تعمّ عامّه المسلمين، فعلى علماء الإسلام أن لا يتخذوها ذريعه للتفرقه والدعوه إلى الطائفه.

[pagebreak](صفحه ٦١)

ص: ٦٢

[pagebreak](صفحه ٦٢)

ص: ٦٣

الشفاعه من المأذونين بها، وفيها أمور:

أ. حقيقه الشفاعه ومعناها.

ب. دراسه الآيات المشبهه والنافيه للشفاعه.

ج. حدود الشفاعه. د. ثمره الشفاعه ونتيجتها.

ه. طلب الشفاعه من النبي والاولياء المأذونين بها.

٣. النذر للأولياء

٤. التبرك بآثار الأولياء

٥. زياره القبور

٦. البناء على القبور

٧. بناء المساجد على القبور والصلاه فيها

٨. البكاء على الميت

٩. التوسل بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم والأولياء بأصنافه

[pagebreak](صفحه ٦٣)

ص: ٦٤

[pagebreak](صفحه ٦٤)

ص: ٦٥

ملاك التوحيد والشرك فى العباده

اشاره

قد تعرفت أن للتوحيد مراتب، وبأزائها توجد للشرك ألوان مختلفه، والذى نركز عليه البحث هنا هو التوحيد فى العباده الذى يقابله الشرك فيها، وقد تقدم فى الفصل السابق أن التوحيد فى العباده أمر متفق عليه بين الشرائع السماويه، ولو كان هناك اختلاف فإنما هو فى تطبيق الضابطه على بعض الموارد. ولأجل القضاء الصحيح فى تلك الموارد التى تضاربت فيها الآراء أخيراً

يجب تعريف العباده تعريفًا منطقيًا جامعًا للأفراد ومانعًا للأغيار، ولولا هذا لما أمكن حسم النزاع في تلك المواضع، فعلينا بيان الضابطه المستفاده من الكتاب والسنة فنقول:

يظهر من أهل اللغة أن العباده هي الخضوع والتذلل `<meta info="> لاحظ لسان العرب، مفردات الراغب، القاموس المحيط، ماده «عبد».` `</meta >` [١].

يلاحظ عليه: هذا النوع من التعريف تعريف لها بالأعم، لأن العباده مختصه بالله سبحانه، فلو كانت العباده بمعنى الخضوع تلزم ممنوعيه الخضوع أمام الغير على وجه الإطلاق وخروج الخاضع من عداد الموحدين مع أنه سبحانه يحكى خضوع الملائكه لآدم وخضوع يعقوب وأبنائه ليوسف خضوعاً ليس فوقه خضوع، ويمدح خضوع الملائكه لآدم

! [pagebreak] (صفحه ٦٥)

ص: ٦٦

وَيُنَادُّ بِتَمَرْدِ إبليس عن السجود له. يقول سبحانه: «فَسَيَجِدَ الْمَلَأِكَةَ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» `<meta info="> الحجر: ٣٠.` " `</meta >` [١]. ويقول تعالى: «وَرَفَعَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا» `<meta info="> يوسف: ١٠٠.` " `</meta >` [٢].

ويقول: في آيه ثالته مخاطباً إبليس: «قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَمْ يَكُنْ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» [\[3\]](#) [\[4\]](#) [\[5\]](#) الحجج: ٣٢. " [\[3\]](#) [\[4\]](#) [\[5\]](#) الحجج: ٣٣. " [\[3\]](#) [\[4\]](#) [\[5\]](#) الحجج: ٣٤. " [\[3\]](#) [\[4\]](#) [\[5\]](#) الحجج: ٣٤. " [\[3\]](#) [\[4\]](#) [\[5\]](#) الحجج: ٣٤. " [\[3\]](#) [\[4\]](#) [\[5\]](#) الحجج: ٣٤. "

كل ذلك يدلنا على أنّ الخضوع المجرد- سواء أكان باللفظ والبيان، أو بالفعل والعمل- ليس عباده، فلا بد لحل المعضلة من بيان الضابطه الكليه للعباده حتى يتميّز الخضوع المتّسم بالعباده عن غيره والبيان الّذى يأتي تفصيله يتلخّص فى كلمه واحده، وهى:

أَنَّ الْعِبَادَةَ تَتَحَقَّقُ بِأَمْرَيْنِ:

أ. الْخُضُوعُ بِالْبَيَانِ وَالْعَمَلِ.

ب. الْإِعْتِقَادُ بِالْوَهْمِ الْمَخْضُوعِ لَهُ وَرَبُوبِيَّتِهِ، وَأَنَّ مَصِيرَ الْخَاضِعِ كُلُّهُ

[pagebreak](صفحه ٦٦)

ص: ٦٧

أو بعضه آجلاً أو عاجلاً بيده، سواء أكان الاعتقاد المذكور صحيحاً كما فى حقّه سبحانه، أم باطلاً كما فى عباده غيره.

فلو تجرّد الخضوع عن ذلك الاعتقاد لما صار عباده، وسيوافيك أنّ عامّه الموحّدين والمشرّكين يحملون فى عبادتهم اعتقاداً خاصاً بالنسبه إلى المخضوع له، سواء أكان هو الله سبحانه أم كانت الآلهه المدعاه، وإليك البيان.

إنّ جميع أقسام العبادات صحيحها وباطلها تتمتع بأمرين:

١. الخضوع للمعبود، سواء أكان مستحقاً له كالله سبحانه، أم غير مستحق له كالأصنام والأوثان أو الأجرام السماويه من النجم والقمر والشمس والأرواح والمثل النوريه المجرده، فالعباده فى جميع تلك المراحل تتمتع بالخضوع وهو عمل قائم بالجوارح كالرأس واليد وغيرهما، فالعابد يخضع بجلّ جوارحه أو بشىء منها أمام المعبود وهذا أمر لاستره فيه.

٢. الاعتقاد الخاص بالمعبود الذى يكون مبدأ للخضوع الظاهرى.

فالواجب علينا التعرف على ذلك الاعتقاد الموجود فى جميع الموارد:

أمّا الموحّدون الذين يعبدون الله تبارك و تعالى، فخضوعهم نابع عن اعتقادهم

بأنه خالق للكون والإنسان، والمدبر للعالم الذى بيده كل شىء فى الدنيا والآخرة، وليس هناك أى خالق ومدبر ومالك لمصالح العباد

[pagebreak](صفحة ٦٧)

ص: ٦٨

ومصائرهم فى العاجل والآجل سواه.

أمّا العاجل فيعتقدون أنّ الخلق والتدبير والإحياء والإماتة و إنزال المطر والخصب و الجذب و كل ما يعدّ ظاهره طبيعياً من فعله سبحانه لا من فعل غيره الذى لا يملك أى تأثير فى مصير الإنسان.

أمّا الآجل فيعتقدون أنّ الشفاعة ومغفرة الذنوب وغيرهما من الأمور الأخروية بيده تعالى.

وعلى ضوء ذلك فالعبادة هى الخضوع النابع عن الاعتقاد بخالقيته ومدبريته وكون أزمنة الأمور ومصير الإنسان فى الدنيا والآخرة بيده.

هذا حال الموحّدين، وأمّا المشركون فى عصر الرسالة وقبله وبعده فخضوعهم لمعبوداتهم كان نابعاً عن نفس ذلك الاعتقاد فكانوا معتقدين بربوبيتها وكون مصير العابد بأيديها.

يظهر من بعض الآيات أنّ العرب فى العصر الجاهلى كانوا موحّدين فى الخالقيه، قال تعالى: «وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ» <meta info="الزخرف: ٩. [١]> ولكنهم فى الوقت نفسه كانوا مشركين فى التدبير الذى نعبر عنه بالربوبية، فكانوا يعتقدون بأرباب، مكان الرب الواحد، ولكل رب شأن فى عالم الكون.

وتتجلى عقيدة الطائفتين بالإيمان فى الآيات التالية:

[pagebreak](صفحة ٦٨)

ص: ٦٩

١. أنّ الموحّد يرى أنّ العزه بيد الله سبحانه، ومنطقه قوله سبحانه:

«فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً». <meta info="فاطر: ١٠. ٢. مريم: ٨١. [١]>

ولكن المشرك فى عصر الرسالة كان يرى أنّ العزه بيد الأصنام والأوثان، كما يحكى عن عقيدته قوله سبحانه: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا». (٢)

٢. انّ الموحّد يرى أنّ النصر بيد الله تبارك و تعالي، ويردّد على لسانه قوله سبحانه: «وَمَا النَّصِيرُ إِلَّا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ».

<type="ref" class="ref">[٢]</meta " " =meta info"> ١٢٦.

ولكن

المشرك في عصر الرساله كان يعتقد بأن النصر بيد الآلهه والأرباب المزيّفه، قال سبحانه: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ». [\[٣\]](#) يس: ٧٤. " [\[٤\]](#) قال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ» لقمان: ٣٤. " [\[٥\]](#) [\[٤\]](#) قال سبحانه: «وَلَنَبِّئَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ مَنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ». البقره: ١٥٥. " [\[٥\]](#)

[pagebreak](صفحه ٦٩)

ص: ٧٠

ولكن المشرك كان يستمطر بالأنواء، بل يستمطر بالأصنام.

يقول ابن هشام في سيرته: كان عمرو بن لُحَيٍّ أول من أدخل الوثنيه إلى مكه وضواحيها، فقد رأى في مآرب من أرض البلقاء من بقاع الشام أناساً يعبدون الأوثان وعندما سألهم عما يفعلون قائلًا: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها؟

قالوا: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟

وهكذا استحسن طريقتهم واصطحب معه إلى مكه صنماً كبيراً يقال له «هبل» ووضعه على سطح الكعبه المشرفه ودعا الناس إلى عبادته. [\[١\]](#) انظر السيره النبويه: ١/ ٧٦-٧٧. " [\[١\]](#) يرى أنّ غفران الذنوب والشفاعه بيده سبحانه، فليس هناك غافر للذنوب إلا الله سبحانه ولا شفيع إلا بإذنه، يقول سبحانه:

«فَأَسِئْتُمْ تَغْفِرُوا لِمَن دُونِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ» [\[٢\]](#) آل عمران: ١٣٥. " [\[٢\]](#) وقال سبحانه:

«قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [\[٣\]](#) الزمر: ٤٤. " [\[٣\]](#) وقال سبحانه:

«وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ». [\[٤\]](#) الزخرف: ٨٦. " [\[٤\]](#)

[pagebreak](صفحه ٧٠)

ص: ٧١

وأما المشرك فكان يعتقد بأنّ الشفاعة بيد الآلهة والأرباب المزيّفة، والشاهد عليه

ان الآيات الماضيه نزلت رداً على عقيدته المشركين حيث كانوا يعتقدون بأنهم مالكون مقام الشفاعة، ولأجل ذلك يؤكد على نفى تلك العقيدته فى آيات أُخرى، ويقول: «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» <meta info="مریم: ۸۷. ۲۳. <type="ref" class="ref">[۲]</meta " وقال: «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» <meta info="سبأ: بِالْحَقِّ». <meta info="الزخرف: ۸۶. <type="ref" class="ref">[۳]</meta "

كما يرى أنّ مغفره الذنوب بيد الآلهه، والشاهد على ذلك وصفه سبحانه نفسه بأنه «غَافِرِ الذُّنُوبِ». <meta info="راجع سورة غافر: ۳. <type="ref" class="ref">[۴]</meta " خلاصه القول

إنّ أئىّ خضوع وتذلّل أو سؤال ينبع من الاعتقاد بأنّ المخضوع إله أو ربّ، وإنّ بيده مصير العابد يعد عباده له، فلو خضع لأجله سبحانه فهو عباده لله ولو خضع لغيره يكون عباده لغيره ويكون صاحبه مشركاً. ويقابل ذلك، القول والفعل والخضوع غير النابع من هذا الاعتقاد.

فخضوع أحد أمام موجود وتكريمه - مبالغاً فى ذلك - من دون أن ينبع من الاعتقاد بالوهيته، ولا ربوبيته، لا يكون شركاً ولا عباده لهذا الموجود، وإن كان من الممكن أن يكون حراماً، مثل سجود العاشق

[pagebreak](صفحه ۷۱)

ص: ۷۲

لمعشوقته أو المرأه لزوجها، فإنّه وإن كان حراماً فى الشريعة الإسلاميه لكنّه ليس عباده، بل أنّ حرّمته كانت لسبب آخر، فالعباده والتحریم شيان مختلفان.

وبذلك تستطيع أن تقيّم التعاريف المختلفه للعباده لأكثر المفسرين عند تفسيرهم لقوله سبحانه: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» لا سيّما ما ذكره صاحب تفسير «المنار»، فلاحظ.

ثم إنّك إذا وقفت على تعريف العباده وتمييزها عن غيرها تستطيع القضاء البات فى الأمور التى اتخذت ذريعه لآتهام فاعليها بالشرك زعماً بأنها عباده وأنّ القائمين

بها يعبدون غير الله تعالى. ولأجل إيضاح الحال نتعرض لدراسه هذه المواضيع بالتفصيل.

[pagebreak](صفحة ٧٢)

ص: ٧٣

١- الاستعانه بغير الله سبحانه

إِنَّ المَوْحِدَ كما أَنَّهُ لا يعبد إِلَّا الله سبحانه كذلك فهو لا يستعين في حياته الدينويه والآخرويه إِلَّا به، ولذلك نرى أَنَّهُ سبحانه يعطف التوحيد في الاستعانه على التوحيد في العباده، ويأمر المسلم أن يقول كَلَّ يوم وليله في صلواته الخمس: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»، فالتفريق بين العباده والاستعانه بتحريم الأولى للغير مطلقاً وتجويز الاستعانه بغيره على خلاف نص القرآن الكريم، فالمسلم لا يعبد إِلَّا الله ولا يستعين إِلَّا به. هذا من جانب.

ومن جانب آخر أَنَّ العقلاء عامه - موحدين وغير موحدين - والأنبياء والأولياء كانوا - وما زالوا - يستعينون في حياتهم ومعاشرتهم بغيره سبحانه، حتى أَنَّهُ سبحانه يأمر بالاستعانه بالغير في غير واحد من آياته الكريمه حيث يقول: «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ» <meta info="البقره: ٤٥." [١] ref="ref" type="ref" >.

كما يحكى عن ذى القرنين أَنَّهُ استعان بمن كان في أرض يأجوج

[pagebreak](صفحة ٧٣)

ص: ٧٤

ومأجوج وقال على لسانه: «مَآ مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ» <meta info="الكهف: ٩٥." [١] ref="ref" type="ref" >.

كما أَنَّهُ سبحانه يأمر المسلمين بنصر من طلب الاستعانه بهم وقال:

«وَ إِنِ اسْتَضَىٰ رُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ» <meta info="الأنفال: ٧٢." [٢] ref="ref" type="ref" class="ref" >.

وعندئذ فما هو العلاج بين هاتين الطائفتين، فمن جانب يحصر الاستعانه والنصر بالله سبحانه، ومن جانب آخر يأمر بالاستعانه بغيره.

كَلَّ ذلك يتطلب دراسه حقيقه الاستعانه المختصه بالله سبحانه التي لا يجوز طلبها من غيره، وتمييزها عن الاستعانه بغيره سبحانه والتي تدور عليها رحى الحياه، وإليك البيان.

إن الاستعانة بغير الله يمكن أن تتحقق بصورتين:

١. أن نستعين بعامل - سواء كان طبيعياً أم غير طبيعي - مع الاعتقاد بأن عمله مستند إلى الله، بمعنى أنه قادر على أن

يعين العباد ويزيل مشاكلهم بقدرته المكتسبه من الله وإذنه.

وهذا النوع من الاستعانه- فى الحقيقه- لا- ينفك عن الاستعانه بالله ذاته، لأنه ينطوى على الاعتراف بأنه هو الذى منح تلك العوامل ذلك الأثر وأذن به وإن شاء سلبها وجردّها منه.

فإذا استعان الزارع بعوامل طبيعیه كالشمس والماء وحرث الأرض، فقد استعان بالله- فى الحقيقه- لأنه تعالى هو الذى منح هذه العوامل،

[pagebreak](صفحه ٧٤)

ص: ٧٥

القدره على إنماء ما أودع فى بطن الأرض من بذر ومن ثم إنباته والوصول به إلى حد الكمال.

دليل المرشدين إلى الحق اليقين ؛ ؛ ص ٧٥

وإذا استعان بإنسان أو عامل طبيعى أو غير طبيعى مع الاعتقاد بأنه مستقل فى وجوده، أو فى فعله عن الله فلا- شك أن ذاك الاعتقاد يصير شركاً والاستعانه معه عباده.

فإذا استعان زارع بالعوامل المذكوره وهو يعتقد بأنها مستقله فى تأثيرها، أو أنها مستقله فى وجودها، ومادتها كما فى فعلها وقدرتها فالاعتقاد شرك والطلب عباده.

من هذا البيان اتضح هدف صنفين من الآيات وردا فى مسأله الاستعانه:

الصنف الأول: يحصر الاستعانه بالله فقط ويعتبره الناصر والمعين الوحيد دون سواه.

والصنف الثانى: يدعونا إلى سلسله من الأمور المعينه غير الله ويعتبرها ناصره ومعينه إلى جانب الله.

ولا- تعارض ولا خلاف بين الصنفين إذا وقفنا على موقف كل منهما فالصنف الحاصر للاستعانه بالله سبحانه ناظر إلى أن فى صحيفه الوجود مؤثراً تاماً، ومستقلاً واحداً غير معتمد على غيره لا فى وجوده ولا فى فعله وهو الله سبحانه.

والصنف المجيز للاستعانه بالغير ناظر إلى أن فى الكون عوامل

[pagebreak](صفحه ٧٥)

ص: ٧٦

مفتقره- فى وجودها وفعلها- إلى الله سبحانه، وهى تؤدى ما تؤدى بإذنه ومشيتته وقدرته، ولو لم يعط تلك العوامل ما أعطها

اللّٰه من القدره، ولم تجر مشيئته على الاستمداد منها لما كانت لها

أيه قدره على شىء.

فالمعین الحقیقی فی کلّ المراحل - علی هذا النحو تماماً - هو الله فلا يمكن الاستعانه بأحد باعتباره معيناً مستقلاً، إلاًلله، فلهذه الجبهه حصرت مثل هذه الاستعانه بالله وحده، ولكن هذا لا يمنع بتاتاً من الاستعانه بغير الله باعتباره غير مستقل (أى باعتباره معيناً بالاعتماد على القدره الإلهيه)، ومعلوم أنّ استعانه - كهذه - لا تنافى حصر الاستعانه بالله سبحانه لسببين:

أولاً: إنّ الاستعانه المخصوصه بالله هي غير الاستعانه بالعوامل الأخرى، فالاستعانه المخصوصه بالله هي: ما تكون باعتقاد أنه قادر على إعانتنا بالذات، وبدون الاعتماد على غيرها؛ فى حين أنّ الاستعانه بغير الله سبحانه إنّما هي على نحو آخر، أى مع الاعتقاد بأنّ المستعان قادر على الإعانه مستنداً على القدره الإلهيه، لا بالذات، وبنحو الاستقلال، فإذا كانت الاستعانه - على النحو الأول - خاصه بالله تعالى، فإنّ ذلك لا يدلّ على أنّ الاستعانه بصورتها الثانيه مخصصه به أيضاً.

ثانياً: أنّ استعانه - كهذه - غير منفكّه عن الاستعانه بالله، بل هي عين الاستعانه به تعالى، وليس فى نظر الموحّيد (الذى يرى أنّ الكون كلّه من فعل الله وقائماً به) مناص من هذا.

[pagebreak](صفحه ٧٦)

ص: ٧٧

٢- طلب الشفاعة من المأذونين بها

إشاره

هل طلب الشفاعة من المأذونين بها عباده لهم، ومناف للتوحيد، أو هو طلب دعاء منهم؟ وتحقيق ذلك رهن بيان الأمور التاليه:

١. حقيقه الشفاعة ومعناها.

٢. دراسه الآيات المثبتة والنافيه للشفاعة.

٣. حدود الشفاعة.

٤. آثار الشفاعة ونتيجتها.

٥. طلب الشفاعة من النبى والأولياء المأذونين بها.

وإليك دراسه هذه الأمور واحداً بعد الآخر:

الأول: حقيقه الشفاعة ومعناها

الشفاعة عبارته عن وصول رحمته سبحانه ومغفرته وفيضه إلى عباده عن طريق أوليائه وصفوه عباده، وليس هذا بأمرٍ غريب؛ فكما أنّ الهدايه الإلهيه التي هي من فيوضه سبحانه، تصل إلى عباده في هذه الدنيا عن طريق أنبيائه وكتبه، فهكذا تصل مغفرته سبحانه وتعالى إلى المذنبين والعصاة يوم القيامة من عباده عن ذلك الطريق.

[pagebreak](صفحة ٧٧)

ص: ٧٨

ولا- يبعد في أن يصل غفرانه سبحانه إلى عباده يوم القيامة عن طريق خيره عباده، فإنّ الله سبحانه قد جعل دعاءهم في الحياه الدنيويه سبباً، ونصّ بذلك في بعض آياته، فنرى أنّ أبناء يعقوب لما عادوا خاضعين، رجعوا إلى أبيهم، وقالوا له: «قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ» [\[1\]](#) [\[1\]](#) يوسف: ٩٧. [\[2\]](#) [\[2\]](#) فأجابهم يعقوب عليه السلام بقوله: «سَيُوفَ أَسْتِغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» يوسف: ٩٨. [\[3\]](#) [\[3\]](#)

ولم يقتصر الأمر على يعقوب فحسب، بل كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ممن يستجاب دعاؤه أيضاً في حق العصاة، قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً» [\[4\]](#) [\[4\]](#) النساء: ٦٤. [\[5\]](#) [\[5\]](#) وهذه الآيات ونظائرها ممّا لم نذكرها، مثل قوله: «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَيَكُنْ لَهُمْ» [\[6\]](#) [\[6\]](#) التوبه: ١٠٣. [\[7\]](#) [\[7\]](#) تدلّ على أنّ مغفرته سبحانه قد تصل

إلى عباده بتوسيط واسطه كالأنبياء، وقد تصل بلا واسطه.

وتتضح هذه الحقيقه إذا وقفنا على أنّ الدعاء بقول مطلق - وبخاصه دعاء الصالحين - من المؤثرات الواقعه فى سلسله نظام العله والمعلول، ولا تنحصر العله فى العلل الواقعه فى إطار الحس فإنّ فى الكون مؤثرات خارجه عن إحساسنا وحواسنا، بل قد تكون بعيده حتى عن تفكيرنا،

[pagebreak](صفحه ٧٨)

ص: ٧٩

يقول سبحانه: «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا* وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا* فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا* فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» <meta info="النازعات: ١- ٥. <ref" class="ref">[١]</meta " .

فما المراد من هذه المدبرّات؟ أهى مختصه بالمدبرّات الطبيعیه الماديّه، أو المراد هو الأعم منها؟ فقد روى عن على عليه السلام تفسيرها بالملائكه الأقوياء الذين عهد الله إليهم تدبير الكون والحياه بإذنه سبحانه، فكما أنّ هذه المدبرّات يجب الإيمان بها وإن لم تعلم كيفيه تدبيرها وحقيقه تأثيرها، فكذلك الدعاء يجب الإيمان بتأثيره فى جلب المغفره، ودفع العذاب وإن لم تعلم كيفيه تأثيره.

إنّ الاعتقاد بشفاعه الأولياء ليس إلّانوعاً من الرجاء فى رحمه الله، والأمل فى عفوه ولطفه، وقد فتح الإسلام نوافذ الأمل والرجاء أمام العاصى النادم، ليعود إلى ربه، ويواصل مسيره تكامله فى ثقّه وطمأنينه.

ومن هذه النوافذ: التوبه والإنابه والاستغفار، ومنها: الشفاعه للمذنبين، الشفاعه التى تنالهم وفق معايير وردت فى الكتاب والسّنه، الشفاعه التى يبعث الأمل فيها بصيصاً من الرجاء فى نفوس العصاه، ويمنع من قنوطهم ويأسهم، ويبعث فيهم روح العمل والنشاط.

وهذا لا يعنى تمهيد الطريق للعصاه، وتسهيل الخلاف لهم برجاء الشفاعه، لما للشفاعه من شروط وقبود، وليست مطلقه ومرسله شامله لكلّ العصاه، بل هى عمليه زرع الأمل والرجاء فى النفوس، مادام الأصل هو

[pagebreak](صفحه ٧٩)

ص: ٨٠

العمل والإنيان بالواجبات واجتناب المحرمات.

الثانى: دراسه الآيات النافيه والمثبته للشفاعه

إشاره

أجمع علماء الأمة الإسلاميه على ثبوت الشفاعه يوم القيامه للنبي الأعظم صلى الله عليه

و آله و سلم و من يأذن له سبحانه بالشفاعة، وهذا مما لا ينكره إلا المعاند أو الجاهل بالقرآن الكريم والمفاهيم الإسلامية.

إلما أن الآيات الواردة في الشفاعة بين نافية ومثبتة، إذ ربما يتمسك بالقسم الأول لنفي الشفاعة غفلة عن مرماها. وإليك دراسته هذه الآيات وتفسيرها، فنقول: إن الآيات الواردة على أصناف:

الصنف الأول: ما ينفي الشفاعة

ورد في الذكر الحكيم آية واحده تنفي في ظاهرها الشفاعة على الإطلاق، وهي قوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا شَفَاعَةَ وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ» <meta info=" البقره: ٢٥٤. ٢. البقره: ٢٥٥." [١]> </meta> .

ولكن الإمعان في ذيل الآيه يثبت بأن المنفي هو نفي الشفاعة في حق الكافرين بدليل ذيل الآيه «وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ»، أضف إلى ذلك أنه سبحانه أثبت في الآيه التاليه وجود الشفاعة بإذنه وقال: «من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه» (٢).

[pagebreak](صفحة ٨٠)

ص: ٨١

الصنف الثاني: ما ينفي الشفاعة التي تعتقدها اليهود للشفاعة

قال سبحانه: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَمَّا تَجْزَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ» <meta info=" البقره: ٤٧ - ٤٨." type="ref" " [١]> </meta> .

ووحده السياق تقضى بأن الهدف من نفي الشفاعة هو نفي الشفاعة الخاطئه، التي كانت تعتقدها اليهود في تلك الفتره، وهو الاعتقاد بالشفاعة دون أن يشترطوا في الشفيع والمشفوع له شرطاً معيناً، وأين ذلك من الشفاعة المحدوده؟!

الصنف الثالث: ما ينفي صلاحه الأصنام للشفاعة

إن عرب الجاهليه كانوا يعبدون الأصنام لاعتقادهم بشفاعتها عند الله، والآيات في هذا المعنى كثيره نقتصر على واحده: «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُ أُولَئِكَ لَمَّا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَ لَمَّا يَعْلَمُونَ» <meta info=" الزمر: ٤٣." type="ref" " [٢]> </meta> .

الصنف الرابع: ما يخص الشفاعة بالله سبحانه وأنه لا يشاركه فيها غيره

يقول سبحانه: «قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَمَّا يَمْلِكُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» <meta info=" الزمر: ٤٤." type="ref" " [٣]> </meta> .

ص: ٨٢

ومن المعلوم أنه سبحانه لا يشفع لأحد عند أحد، فإنه فوق كل شىء وذلل كل شىء لديه، فمعنى قوله: «قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا» هو أنه سبحانه مالك لمقام الشفاعة لا يشفع أحد لأحد إلا بإذنه، فيكون رفضاً لعقيدة المشركين التي أُشير إليها في قوله سبحانه: «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ»، وعقيدة اليهود والنصارى المعتقدين بالشفاعة المطلقة من دون شرط في الشفيع والمشفوع له. فيكون مفاد الآيه هو أن المالك لمقام الشفاعة والمسيطر عليها هو الله سبحانه وغيره لا يملكون منها شيئاً، وهذا لا يتنافى أن يكون هناك عباد مأذونون يشفعون لمن ارتضاه سبحانه، وهذا ما يأتي في الصنف الآتي.

الصنف الخامس: الشفاعة المأذونه من الله سبحانه

هناك آيات تدلّ بوضوح على أنه سبحانه يأذن لعدّه بالشفاعة، وأما من هؤلاء فلا يذكر القرآن الكريم منهم شيئاً، يقول سبحانه:

١. «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» <meta info="البقره: ٢٥٥"> [١]</meta

٢. «مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ» <meta info="يونس: ٣"> [٢]</meta

٣. «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» <meta info="مريم: ٨٧"> [٣]</meta

ص: ٨٣

وبذلك بان الفرق بين الشفاعة المرفوضه والشفاعة المأذونه.

فالشفاعة المطلقة - أعنى: الشفاعة بلا إذنه سبحانه أو شفاعة الأصنام والأوثان - شفاعة مرفوضه، وأما شفاعة غيرهم ممن أذن له الرحمن واتخذ عند الرحمن عهداً فهي شفاعة مقبولة.

شروط الشفيع

رفض القرآن الكريم شفاعة الأصنام التي كان العرب يعبدونها كذباً وزوراً، وقد صرح بأنها عاجزه عن الدفاع عن نفسها فكيف تكون قادره على الشفاعة في حق عبادهما؟! فشفاعة هؤلاء والشفاعة المطلقة

التي يتبناها أهل الكتاب هو الهدف للآيات النافية، وأما الشفاعة المقبولة فهي عباره عن شفاعة فئه خاصه من عباد الله الذين تقبل شفاعتهم عند الله بشروط خاصه، وقد وردت أسماء الشفعاء وشروط الشفاعة في المشفوع له في الروايات الإسلاميه.

إن أهل الكتاب وأخص بالذكر اليهود كانوا يعتقدون بالشفاعة المطلقه، من دون وجود شرط في المشفوع له، فالمطيع والعاصي يوم القيامة يدخلان الجنه بشفاعة أنبيائهم وأوليائهم، وذلك لوجود عقائد فاسده بينهم. ومنها:

١. فكره الشعب المختار كما يحكى سبحانه عنهم في قوله: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ». <meta type="ref" class="ref">[١]</meta " =info المائده: ١٨. </meta type="ref" class="ref">[١]</meta

[pagebreak](صفحه ٨٣)

ص: ٨٤

٢. أنهم لا يعذبون إلا أياماً معدودات: «وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً» <meta type="ref" class="ref">[١]</meta " =info البقره: ٨٠. </meta type="ref" class="ref">[١]</meta <class="ref">[١]</meta، إلى غير ذلك من العقائد الفاسده التي صارت أرضيه للاعتقاد بالشفاعة المطلقه الحره خصوصاً في حق المشفوع له، مع أن القرآن الكريم ينفي الشفاعة في حق من قطع علاقته الإيمانيه بالله سبحانه فلم يؤمن به أو بوحدانيته أو بقيامته وأفسد في الأرض وظلم عباده كما قطع علاقته الروحيه مع الشفيح فهؤلاء لا يتمتعون بشيء من الشفاعة، يقول سبحانه:

١. «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنْفُسَهُمْ» <meta type="ref" class="ref">[٢]</meta " =info الحشر: ١٩. </meta type="ref" class="ref">[٢]</meta

٢. «قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى» <meta type="ref" class="ref">[٣]</meta " =info طه: ١٢٦. </meta type="ref" class="ref">[٣]</meta

٣. «فَالْيَوْمَ نُنسِيَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا» <meta type="ref" class="ref">[٤]</meta " =info الاعراف: ٥١. </meta type="ref" class="ref">[٤]</meta

الصنف السادس: تسميه بعض المأذونين بالشفاعة

جاء في بعض الآيات بعض المأذونين بالشفاعة نذكر منها آيه واحده: قال سبحانه: «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى» <meta type="ref" class="ref">[٥]</meta " =info النجم:

ص: ٨٥

وبدراسه الروايات الواردة فى الشفاعةفى كتب الفريقين يتضح أنّ الشفاعة المحدوده المأذونه أحد المفاهيم الأصيله فى الذكر الحكيم والروايات الشريفه.

الثالث: حدود الشفاعة

قد تعرفت على أنّ الشفاعة المطلقه المجرده عن كلّ قيد وشرط هى الشفاعة التى تبنتها اليهود والنصارى والمشركون، وأمّا الشفاعة التى أمضاها القرآن الكريم فهى الشفاعة المشروطه بشرائط خاصه فى الشفيع أولًا، والمشفوع له ثانيًا، ومورد الشفاعة ثالثًا.

أمّا الشفيع فمهما كان له من المكان والمرتبّه عند الله سبحانه فلا يشفع إلّا بعد أن يأذن الله ويرضى، وقد دلّت الآيات السالفه الذكر على هذا الشرط.

وأمّا المشفوع له فيشترط فيه أن يوطّد صلته بالله تعالى بالإيمان به وبوحدانيته وإيمانه بأنبيائه ورسله وكتبه، ولا يكون من الذين تلطّخت أيديهم بالجريمه وأوغلوا فى المعاصى والذنوب والخطايا.

وقد وردت هذه الشروط والحدود فى روايات الفريقين التى لا يمكننا ذكر عشرها، ونقتصر هنا بذكر قليل من كثير.

١. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أقربكم منى غدًا وأوجبكم علىّ شفاعه أصدقكم لسانًا، وآداكم لأمانته، وأحسنكم خلقًا، وأقربكم من الناس». <meta info=" تيسير المطالب، للسيد يحيى الزيدى: ١ / ٤٤٢. " type="ref" class="ref">[١]</meta

ص: ٨٦

٢. قال الإمام الصادق عليه السلام: «يا معشر الشيعة فلا تعودون وتتكلمون على شفاعتنا، فوالله لا ينال شفاعتنا إذا ركب هذا (الزنا) حتّى يصيبه ألم العذاب ويرى هول جهنم». <meta info=" الكافى: ٥ / ٤٦٩. " type="ref" class="ref">[١] </meta> ٣. قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «لما حضرت أبى جعفر بن محمد عليهما السلام الوفاه قال لى: يا بنى أنّه لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاه». <meta info=" الكافى: ٣ / ٢٧٠. " type="ref" class="ref">[٢] </meta> <</meta >> وأمّا مورد الشفاعة، فالشرك والإلحاد لا تقبل فيهما الشفاعة لقوله

سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» <meta info="النساء: ٤٨ و ١١٦." type="ref" >[٣]</meta .

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الروايات.

الرابع: ثمره الشفاعة

هل إنّ نتيجة الشفاعة هي حطّ ذنوب المذنب والعتو عن العاصي أو هي زيادة الثواب ورفع الدرجات للمطيعين.

وقد ذهب جمهور المسلمين إلى الأول، وذهب إلى الثاني قسم من متكلمي المعتزلة. ويدلّ على قول الجمهور أن الشفاعة ليست من المفاهيم التي ابتكرها الإسلام واستعملها، بل كان مفهومها رائجاً بين المشركين واليهود

[pagebreak](صفحة ٨٦)

ص: ٨٧

والنصارى من أهل الكتاب، فالمفهوم الرائج للشفاعة قبل الإسلام هو الذي طرحه القرآن الكريم.

فالشفاعة المقبولة هي نفس الشفاعة الرائجة قبل نزول القرآن ولكن تحت شروط وحدود.

ويدلّ على ذلك ما رواه الفريقين عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:

«أدخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمّتي» <meta info="سنن ابن ماجه: ٢ / ١٤٤١، وغيره." type="ref" >[١]</meta .

الخامس: طلب الشفاعة من النبي والأولياء المأذونين بها

إشارة

المفهوم الواضح للشفاعة لدى العامّة هو دعاء الشفيع وطلبه من الله غفران ذنوب عباده، إذا كانوا أهلاً لها. فإذا يرجع طلب الشفاعة من الشفيع إلى طلب الدعاء منه لتلك الغاية، وهل ترى في طلب الدعاء من الأخ المؤمن إشكالاً؟! فضلاً عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، الذي يُستجاب دعاؤه ولا يُردّ بنص الذكر الحكيم <meta info="النساء: ٦٤، المنافقون: ٥." type="ref" class="ref">[٢]</meta .

والذي يوضح أنّ شفاعة النبي عبارته عن دعائه في حقّ المشفوع له، ما رواه مسلم في «صحيحه» عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «ما من ميت يُصلّى عليه أمّه من المسلمين يبلغون مائة كلّهم يشفعون له إلّا شُفّعوا فيه» <meta info="صحيح مسلم ٤: ٥٣، ط. مصر، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده." type="ref" class="ref">[٣]</meta .

ص: ٨٨

وفسر الشارح قوله صلى الله عليه و آله: «يشفعون له» بقوله: أى يدعون له، كما فسر قوله صلى الله

عليه وآله: «إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ» بقوله: أى قبلت شفاعتهم.

وروى أيضاً عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله يقول:

«ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ». <meta info=" " المصدر نفسه. " [١]></meta " type="ref" class="ref"> أى قبلت شفاعتهم فى حق ذلك الميت فيغفر له.

فإذا كان مرجع الاستشفاع من الصالحين إلى طلب الدعاء، فكل من يطلب من النبي الشفاعة لا- يقصد منه إلما المعنى الشائع <meta info=" " لو كان للشفاعة معنى آخر من التصرف التكويني فى قلوب المذنبين، وتصفييتهم فى البرزخ، ومواقف القيامة فهو أمر عقلى لا يتوجّه إليه إِلَّا الأوحى من الناس. " [٢]></meta " type="ref" class="ref"> .

فعندما كان النبي الأ- كرم صلى الله عليه وآله حياً فى دار هجرته، كان طلبُ أصحابه الدعاءَ منه، راجعاً إلى طلب الشفاعة منه والاختلاف فى الاسم لا- فى الواقع والحقيقه. وبعد انتقاله من الدنيا إلى عالم البرزخ، يرجع طلب الشفاعة منه أيضاً إلى طلب الدعاء منه لا غير.

فلو أنّ أعرابياً جاء إلى مسجده فطلب منه أن يستغفر له، فقد طلب منه الشفاعة عند الله. ولو جاء ذاك الرجل بعد رحيله، وقال له: يا أيها النبي، استغفر لى عند الله. أو قال: اشفع لى عند الله، فالجميع بمعنى واحدٍ لبأ

[pagebreak](صفحة ٨٨)

ص: ٨٩

وحقيقه، وإنما يختلفان صورةً وظاهراً. فالإذعان بصحّه أحدهما، والشك فى صحّه الآخر كالتفكيك بين المتلازمين.

إلى هنا تبين أنّ طلب الشفاعة يرجع إلى طلب الدعاء من الشفيح، وهو أمر مطلوب فى الشرع من غير فرق بين طلبه من الشفيح فى حال حياته أو مماته، فهو لا يخرج عن حد طلب الدعاء، وأمّا كونه ناجعاً أو لا، فهو أمر آخر ليس هنا مقام بيانه.

والذى يحقّق

هذا الأمر هو صدور مثله من السلف الصالح في العصور المتقدمه، وإليك نزرًا منه:

السلف وطلب الشفاعة من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

إشارة

١- الأحاديث الإسلامية وسيره المسلمين تكشفان عن جواز هذا الطلب، ووجوده في زمن النبي صلى الله عليه وآله؛ فقد روى الترمذى في «صحيحه» عن أنس قوله: سألت النبي أن يشفع لى يوم القيامة، فقال: «أنا فاعل»، قال:

قلت: يا رسول الله فأنى أطلبك؟ فقال: «اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط» <meta info=" " type="ref" class="ref">[١]</meta " . كتاب صفه القيامة، الباب ٩.

فالسائل يطلب من النبي الأعظم، الشفاعة دون أن يخطر بباله أن هذا الطلب يصطدم مع أصول العقيدة.

٢- هذا سواد بن قارب، أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يقول مخاطباً إياه:

[pagebreak](صفحه ٨٩)

ص: ٩٠

فكن لى شفيعاً يوم لا- ذو شفاعةمغن فتيلًا عن سواد بن قارب <meta info=" " type="ref" class="ref">[١]</meta " type="ref" " . طرق روايته البالغة إلى ست، وراجع أيضاً الروض الأنف: ١ / ١٣٩؛ بلوغ الإرب: ٣ / ٢٩٩؛ عيون الأثر: ١ / ٧٢.

٣- روى أصحاب السير والتاريخ، أن رجلاً من قبيله حمير عرف أنه سيولد فى أرض مكة نبى الإسلام الأعظم صلى الله عليه وآله، ولما خاف أن لا يدركه، كتب رساله وسلمها لأحد أقاربه حتى يسلمها إلى النبي صلى الله عليه وآله حينما يبعث، ومما جاء فى تلك الرساله قوله: «وإن لم أدرك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى» ولما وصلت الرساله إلى يد النبي صلى الله عليه وآله قال: «مرحباً ببتبع الأخ الصالح». <meta info=" " type="ref" class="ref">[٢]</meta " type="ref" " . مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٢؛ السيره الحلبيه: ٢ / ٨٨.

فإن وصف النبي صلى الله عليه وآله لطالب الشفاعة بالأخ الصالح،

أوضح دليل على أنه أمر لا يتعارض وأصول العقيدة.

٤- وروى المفيد عن ابن عباس أن أمير المؤمنين عليه السلام لما غسل النبي صلى الله عليه وآله وكفنه كشف عن وجهه وقال: «بأبي أنت وأمي طبت حياً وطبت ميتاً... اذكرنا عند ربك» ["meta info"](#) مجالس المفيد، المجلس الثاني عشر: ص ١٠٣. "[\[٣\]](#)" [<type="ref" class="ref">](#)

وروى الشريف الرضى فى «نهج البلاغه»: أن علياً عليه السلام قال عندما ولى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله: «بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك» ["meta info"](#) نهج البلاغه: الخطبه ٢٣٥. "[\[٤\]](#)" [<type="ref" class="ref">](#)

! [pagebreak] (صفحه ٩٠)

ص: ٩١

٥- روى أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وآله أقبل أبو بكر فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وقال: «بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك» ["meta info"](#) السيره الحلييه: ٣/ ٤٧٤، ط دار المعرفه، بيروت. "[\[١\]](#)" [<type="ref" class="ref">](#)

وهذا استشفاع بالنبي صلى الله عليه وآله فى الحياه الدنيا بعد موته.

إن العرب تستعمل جمله: «اذكرنى عند ربك» فى طلب الشفاعة، وقد ورد ذلك فى قصه النبي يوسف عليه السلام حيث طلب من صاحبه فى السجن - ساقى الملك - وقال «اذكرنى عند ربك» ["meta info"](#) يوسف: ٤٢. "[\[٢\]](#)" [<class="ref">](#)

٦- وختاماً نذكر ما ذكره الدكتور عبد الملك السعدى فى كتابه «البدعه فى مفهومها الإسلامى الدقيق» قال: أما طلب الشفاعة من رسول الله صلى الله عليه وآله بصوره عامه وبدون قيد بعد أذان أو غيره فقد ورد فى السنه، حيث قد طلبها منه بعض الصحابه - رضى الله عنهم - دون نكير من رسول الله صلى الله عليه وآله. والأحاديث الواردة بهذا الخصوص

وبمواضع ومناسبات عديدة كثيره جداً نذكر منها:

عن مصعب الأسلمي قال: انطلق غلام مِّنَا فَأتَى النبي صلى الله عليه وآله وقال: إني سائلك سؤالاً، قال: «وما هو؟» قال: أسألك أن تجعلني مَمَّنْ تشفع له يوم القيامة، قال: «من أمرك هذا؟» أو «من علمك هذا؟» أو «من دلّك على هذا؟» قال: ما أمرني به أحد إلّانفسي، قال: «فإنّك ممَّنْ أشفع له يوم

! [pagebreak](صفحة ٩١)

ص: ٩٢

القيامة». أوردته الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني.

وقد أورد الهيثمي بهذا الموضوع كثيراً من الأحاديث <meta info="مجمع الزوائد: ١٠ / ٣٦٩؛ صحيح مسلم: ١ / ٢٨٩." </meta> [١] <type="ref" class="ref"> . هذا في حياته صلى الله عليه وآله.

أمّا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فهل يصح طلب الشفاعة منه لا سيما أمام قبره الشريف وعند السلام عليه؟

بما أنّه ثبت بما لا يقبل الشك أنّ الأموات يسمعون ويتكلّمون ويدعون في عالم البرزخ وبخاصه هو صلى الله عليه وآله عندما يُسَلَّم عليه تردّ إليه روحه الشريفه، فلا- موجب للتفرقه في طلب الشفاعة بين حياته قبل انتقاله وبين حياته: الحياه البرزخيه بعد انتقاله. ومن ادّعى المنع فعليه بالدليل. واللّه الموفق <meta info="البدعه في مفهومها الإسلامى: ص ١٠٥ - ١٠٦." </meta> [٢] <type="ref" class="ref"> .

شبهتان في المقام

اشاره

وقد طرح المانعون من طلب الشفاعة شبهتين، نذكرهما مع ما حولهما من التحليل.

١. طلب المشركين الشفاعة من الأصنام

الدليل الثانى الذى تمسك به القائلون بتحريم طلب الشفاعة من الشفعاء هو:

! [pagebreak](صفحة ٩٢)

ص: ٩٣

إنّ القرآن الكريم اعتبر علّه شرك الوثنيين فى عصر الرساله تكمن فى طلبهم الشفاعة من أصنامهم وأوثانهم، فقال تعالى:

«وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ». <meta info=" يوسف: ١٨. " </meta <ref" class="ref" type="ref" [١]>

وعلى هذا الأساس يكون طلب الشفاعة من الأنبياء أو الأولياء شركاً شبيه طلب الشفاعة من الأصنام. <meta info=" انظر كشف الشبهات: ١٤. " </meta <ref" class="ref" type="ref" [٢]> ويرد على ذلك:

أولاً: أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين طلب الشفاعة من الأصنام وطلبها من الأولياء الصالحين، لأنّ طلب المشركين الشفاعة من أصنامهم ينبع من الاعتقاد بأنّ أصنامهم آلهة أو فَوْض إليها فعل الإله، والحال أنّ الموحّدين ينطلقون في طلبهم هذا من الاعتقاد بأنّ الشفعاء عباد لله أخلصوا له العبودية، فتفضّل عليهم سبحانه ووهبهم هذه المنزلة والمقام، فكيف ياترى جاز اعتبار الطلبين يعودان إلى حقيقه مشتركه وجوهر واحد؟!

وثانياً: أنّ المشركين عبدوا الأصنام أولاً ثمّ طلبوا منها الشفاعة ثانياً، وهذا ما تحكى عنه الآيه المذكوره حيث قال تعالى أولاً: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» ثمّ أردف ذلك بقوله: «وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا»، والحال أنّ الموحّدين لا يعبدون إلّا الله تعالى وحده لا شريك له، نعم بعد الخضوع له

! [pagebreak] (صفحه ٩٣)

ص: ٩٤

سبحانه والإيمان به، يطلبون الشفاعة من أوليائه الصالحين، انطلاقاً من إذنه سبحانه وتعالى بهذا الفعل.

اتّضح من هذا البيان أنّ عطف عمل المؤمنين على المشركين واعتبارهما أمراً واحداً، عطف لا أساس له من الصّحّه، ولا يقوم على أيّ مستند علمي أو دليل برهاني.

٢. طلب الشفاعة من الميّت لغو

هذا الدليل هو آخر ما تمسّك به المانعون لطلب الشفاعة من الأولياء والصالحين.

ويرد عليه: أنّنا أثبتنا في بحث الحياه البرزخيه أنّ الشهداء أحياء عند

رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، فَإِذَا كَانَ الشَّهَدَاءُ أَحْيَاءً عِنْدَ رَبِّهِمْ فَنَبِيُّ الشَّهَدَاءِ مِنْ بَابِ أَوْلَى يَكُونُ حَيًّا عِنْدَ رَبِّهِ، وَحِينَئِذٍ لَا يَكُونُ طَلِبُ الشَّفَاعَةِ مِنْهُ لِعُتْوَاهُ، لِأَنَّهُ حَى يَرْزُقُ يَسْمَعُ كَلَامَنَا وَيَرَى مَقَامَنَا بِإِذْنِهِ سُبْحَانَهُ.

وَعَلَى فَرْضِ التَّسْلِيمِ بَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالشَّهَدَاءَ مَوْتَى لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَنَا وَلَا يَرُونَ مَقَامَنَا، فَحِينَئِذٍ أَقْصَى مَا يَسْتَلْزِمُهُ طَلِبُ الشَّفَاعَةِ مِنْهُمْ أَنْ يُعَدَّ أَمْرًا لِعُتْوَاهُ، لَا أَنَّهُ أَمْرٌ مُحْرَمٌ كَمَا يَدَّعِيهِ أَصْحَابُ الْفِكْرِ الْوَهَابِيِّ، وَالشَّاهِدُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْغَرِيقَ يَتَمَسَّكُ بِكُلِّ قَشَةٍ لِلنَّجَاةِ وَالْخِلَاصِ، وَمَنْ الْوَاضِحُ أَنَّ عَمَلَهُ هَذَا لِعُتْوَاهُ لَا طَائِلَ وَرَاءَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ كَلَّهُ لَا تَجِدُ مُتَعَلِّمًا - فَضْلًا عَنِ الْعَالَمِ - يَصِفُ الْغَرِيقَ بِالشَّرْكَ أَوْ بِارْتِكَابِ الْحَرَامِ.

[pagebreak](صفحة ٩٤)

ص: ٩٥

٣- النذر للأولياء

النذر عبارته عن إلزام الإنسان نفسه بالقيام بأداء عمل إذا قضيت حاجته، كأن يقول: لله عليّ أن أختم القرآن إذا نجحت في الامتحان، هذا هو النذر الشرعي ويعتبر أن يكون النذر لله سبحانه ولا يجوز لغيره.

وربما يلتزم في ضمن النذر إهداء ثواب عمله إلى المقربين له كالأب والأُمّ أو الأنبياء والأولياء، فيقول: نذرت لله أن أختم القرآن واهدى ثوابه لفلان؛ واللام الداخلة على لفظ الجلالة غير اللام الداخلة على لفظه «فلان»، فاللام الأولى للغاية أي لغايته التقرب إلى الله سبحانه، واللام الثانية لبيان موضع الانتفاع.

هذا هو المتعارف بين المسلمين يندرون عملاً لله ثم يلتزمون بإهداء ثوابه لأحد أولياء الله وعباده الصالحين.

وربما يختصرون في العبارة ويقولون: هذه- الشاه- مندوره للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد هو جهة انتفاعه، والقرآن الكريم مشحون بكلا الاستعمالين.

قال سبحانه حاكياً عن امرأه عمران: «رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي

[pagebreak](صفحة ٩٥)

ص: ٩٦

بَطْنِي مُحَرَّرًا» <meta info=" آل عمران: ٣٥. <ref" class="ref">[١] </meta >، فاللام في هذه الآية نظير قولنا: «صليت لله

ونذرت لله.

وقال سبحانه: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ» <meta info=" التوبه: ٦٠. [٢]" class="ref" type="ref"> واللام للفقراء بمعنى الانتفاع، نظير قولنا عند الاختصار: هذا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو للإمام عليه السلام وقد مضى أنّ سعد بن عباد لما حفر بئراً قال: هذه لأُمّ سعد.

وبذلك ظهر أنّه لا مانع من النذر للأولياء والصالحين، على ما عرفت من تفسيره.

ولأجل إيضاح الحال نأتى بكلام بعض المفكرين وعلماء الإسلام.

يقول الخالدي: إنّ المسأله تدور مدار تيّات الناذرين، وإنّما الأعمال بالتيات، فإن كان قصد الناذر الميت نفسه والتقرب إليه بذلك لم يجز، قولاً واحداً، وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء - بوجه من الوجوه - به وثوابه لذلك المنذور له سواء عين وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه، وكان هناك ما يطرد الصرف فيه في عرف الناس أو أقرباء الميت، أو نحو ذلك - ففي هذه الصورة يجب الوفاء بالندور. <meta info=" صلح الإخوان: للخالدي: ١٠٢ وما بعده. [٣]" class="ref" type="ref"> وقال العزّامى في كتاب «فرقان القرآن»:.... ومن استخبر حال من يفعل ذلك من المسلمين، وجدهم لا يقصدون بذبائهم وندورهم للأموات - من الأنبياء والأولياء - إلّا الصدقه عنهم و جعل ثوابها إليهم، وقد

[pagebreak](صفحه ٩٦)

ص: ٩٧

علموا أنّ إجماع أهل السنّه منعقد على أنّ صدقه الأحياء نافعه للأموات واصله إليهم، والأحاديث في ذلك صحيحة مشهوره. <meta info=" فرقان القرآن: ١٣٣. [١]" class="ref" type="ref"> أخرج أبو داود عن ميمونه أنّ أباهما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا رسول الله اتّى نذرت إن وُلد لى ذكر أن أنحر على رأس «بوانه» فى عقبه من الثنايا، عدّه من الغنم.

قال الراوى عنها: لا أعلم إلّا أنّها قالت: خمسين.

فقال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: هل من الأوثان شئ؟

قال: لا.

قال: أوف بما نذرت به لله. <meta info="سنن أبي داود: ٨١ / ٢. [٢]" class="ref" type="ref"> تجد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكّد السؤال عن وجود الأصنام في المكان الذي تذبح فيه الذبائح أنّ هذا دليل على أنّ النذر الحرام هو النذر للأصنام حيث جرت عاده أهل الجاهلية على ذلك كما قال تعالى: «... وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصْبِ... ذَلِكَمُ فِشْقٌ». <meta info="المائدة: ٣. [٣]" class="ref" type="ref"> وكلّ مَنْ وقف على أحوال الزائرين للعبات المقدسه ومراقده أولياء الله الصالحين يجد أنّهم ينذرون لله تعالى ولرضاه، ويذبحون الذبائح باسمه عزّ وجلّ بهدف انتفاع صاحب القبر بثوابها وانتفاع الفقراء بلحومها.

[pagebreak](صفحه ٩٧)

ص: ٩٨

٤- التبرك بآثار الأولياء

إشاره

التبرك لغة مشتق من «البركه» بمعنى الزيادة في النعمه.

وأما اصطلاحاً فهو: طلب الموحّدين إفاضه النعم عليهم وزيادة البركه من خلال التبرك بالذوات الصالحه للنبي الأكرم والصالحين من عباده، أو التبرك بآثارهم الباقية.

وهذا لا يعنى أنّ المتبرك يسد في وجهه الطرق والأسباب الطبيعيه لتحقيق مراده والأمر التي يتوخّاها، بل في الوقت الذي يعتمد فيه الأسباب و العلل الطبيعيه، يبقى أمامه باب التبرك مفتوحاً ليتسنى له من خلاله نيل الفيض الإلهي النازل من خلال هذا الطريق بالإضافة إلى الفيوضات النازله من خلال الطرق والأسباب الطبيعيه.

ومن المسلم به أنّه لا توجد علاقه ماديه بين آثار الأنبياء عليهم السلام والصالحين، وبين الخيرات التي يجنيها الإنسان من خلال هذا الطريق، ولكن - كما قلنا سابقاً- أنّ الفيوضات الإلهيه تاره تفاض على العباد من غير مجاريها الطبيعيه حيث تتعلّق الإراده الإلهيه بأن تلبّي حاجات الإنسان المؤمن عن طريق التبرك بشخص النبي أو الآثار المتبقية منه، وهذه الحقيقه

[pagebreak](صفحه ٩٨)

ص: ٩٩

قد

أكدتها آيات الذكر الحكيم والروايات المتواتره، أضف إلى ذلك أنه لا يوجد مانع عقلي يمنع عن فاعليه آثار النبي والصالحين في تلبية حاجات الإنسان وإنجاح طلبته.

وهانحن نستعرض بعض الآيات الواردة في هذا الصد:

١. التبرك بمقام إبراهيم عليه السلام

لقد اعتبر الله سبحانه وتعالى بعض الأراضي التي لامست بدن دعاه التوحيد، محلًا للعباده. فعلى سبيل المثال جعل من مقام إبراهيم عليه السلام مصلى، حيث قال سبحانه:

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْعِيبَةَ لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى». <meta info=" البقره: ١٢٥. " type="ref" >[١]</meta

ولا ريب أن الصلاه نفسها لا تختلف من الناحيه الجوهريه، سواء أُقيمت في هذا المقام أو سائر نقاط المسجد، وهذا يكشف عن أن المقام المذكور قد اكتسب بسبب وجود النبي إبراهيم عليه السلام ميزه أخرى، فأصبح مكاناً مباركاً، لذلك تجد المصلى يأتي بصلاته هناك لأجل التبرك بذلك المكان الطاهر.

وفي موضع آخر من القرآن نجد الله سبحانه وتعالى يعتبر «المسعى»- وهو المسافه الواقعه بين الصفا والمروه- محلًا للعباده، وما ذلك إلا لأن

[pagebreak](صفحه ٩٩)

ص: ١٠٠

السيد الطاهره والموحده «هاجر» قد لامست بقدميها المباركتين هذه الأرض سبعة أشواط بحثًا عن الماء، وليس لذلك الأمر علّه إلا التبرك بهذه البقع المقدسه التي لامست جزءاً من بدن أم إسماعيل عليه وعليها السلام.

٢. قميص يوسف عليه السلام وعوده البصر إلى يعقوب

لقد عانى يعقوب عليه السلام ألم فراق ولده العزيز يوسف عليه السلام ردحاً طويلاً من الزمن، ولقد بكاه طوال تلك المدّه حتّى فقد بصره إلى الدرجه التي وصفه فيها الذكر الحكيم بقوله: «وَإِيضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ». <meta info=" يوسف: ٨٤. " type="ref" class="ref" >[١]</meta

فشاءت الإراده الإلهيه أن يعود إلى يعقوب بصره عن طريق قميص ولده يوسف عليه السلام حيث قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: «اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا». <meta info=" يوسف: ٩٣. " type="ref" >[٢]</meta

ولا ريب أنّ قميص يوسف عليه السلام لا يختلف من الناحية المادية أو من ناحية الشكل عن غيره، ولكن تعلّقت الإرادة الإلهية بأن يصدر الفيض الإلهي

إلى عبده يعقوب من خلال هذا الطريق، وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقيقة حيث قال سبحانه:

«فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا». <meta info=" يوسف: ٩٦. "[٣]" type="ref" class="ref"></meta>

[pagebreak](صفحة ١٠٠)

ص: ١٠١

٣. تابوت بنى إسرائيل والسكينة

لقد وضع موسى عليه السلام وفي الأيام الأخيرة من عمره الشريف، الألواح المقدسة التي تحتوى على شريعته عليه السلام، ودرعه وسلاحه وآثاره الأخرى فى صندوق، وجعل الصندوق عند وصيه «يوشع بن نون»، ومن هنا اكتسب هذا الصندوق أهميه كبرى لدى بنى إسرائيل، فكانوا يحملونه معهم أثناء الحروب التي تقع بينهم وبين خصومهم متبركين به، ومستنزلين النصر من الله عن طريقه، وكانوا يعيشون حياه عزيزه مادام ذلك الصندوق المبارك بين ظهرانيهم، ولكن لما دبّ فيهم الضعف الدينى، وقلّ تأثير الوازع الأخلاقى فى أوساطهم، تمكّن خصومهم من هزيمتهم والتغلب عليهم، وتمكّنوا كذلك من نهب ذلك الصندوق المبارك.

ولما اختار الله سبحانه- بعد فتره من الزمن - طالوت ملكاً وقائداً لبنى إسرائيل، قال لهم نبيهم: إن آيه صدقه وكونه قائداً منصباً من قبله سبحانه هو أن يأتيكم ذلك الصندوق، ولقد أشار الذكر الحكيم إلى ذلك بقوله سبحانه:

«وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ». <meta info=" البقره: ٢٤٨. "[١]" type="ref" class="ref"></meta>

[pagebreak](صفحة ١٠١)

ص: ١٠٢

والإمعان فى الآيه المباركه يكشف أنّ القرآن الكريم ينقل لنا على لسان نبيه، تبرك بنى إسرائيل بذلك الصندوق ويؤكد كذلك مدى قيمته وشرفه بحيث تحمله الملائكه، وحينئذ نتساءل لو كان هذا العمل مخالفاً لأصول التوحيد ومتعارضاً معها، فكيف ياترى جاز لذلك النبى أن يلقى إليهم الخبر على نحو البشرى؟!!

٤. التبرك بمقام أصحاب الكهف

حين اكتشف المؤمنون والمؤخّدون المكان الذى اختفى فيه الفتية «أصحاب الكهف»، أخذوا يتداولون الأمر بينهم ماذا نعمل؟ فكان إطباق الجميع واتفاقهم على أن يبنوا على قبورهم مسجداً ليكون محلماً للعباده وللتبرك بالعباده إلى جنب تلك الأجساد الطاهره، ولقد

نقل لنا القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله سبحانه:

«وَقَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا» . <meta info="الكهف: ٢١." [١]> type="ref" class="ref"><</meta

قال المفسرون: إنّ الهدف من بناء المسجد هو إقامة الصلاة والتبرّك بأجسادهم الطاهرة.

إلى هنا نكتفى بهذه الآيات الأربع، والتي يكشف الإمعان فيها عن حقيقته واضحة وترشدنا إلى أصل علمي وقرآني جليّ، وهو أنّ المشيئة الإلهية قد تعلّقت بأن تفاض نعمه ومواهبه المادية والمعنوية على البشر من

[pagebreak](صفحة ١٠٢)

ص: ١٠٣

خلال الأسباب الطبيعية، بلا- فرق بين الأمور المادية والمعنوية، فعلى سبيل المثال شاءت الإرادة الإلهية أن تفاض هدايته على البشر عن طريق الأسباب الطبيعية فأرسل لهم الأنبياء مبشرين ومنذرين.

ولكن في الوقت نفسه قد تتعلّق الإرادة الإلهية بأن يجرى فيضه عن طريق الأسباب والطرق والمجاري غير الطبيعية، وما التبرّك إلّا واحداً من تلك المجاري التي يتمسّك بها الإنسان لاستئصال الفيض الإلهي والنعم الربّانية عليه.

وعلى ضوء ذلك كان المسلمون يتبرّكون بآثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يتبركون بشعره وبفضل وضوئه وثيابه وآنيته ومسّ جسده الشريف، إلى غير ذلك من آثاره الشريفة التي رواها الأخيار عن الأخيار.

فصار التبرّك بها سنّة الصحابة واقتدى آثارهم من نهج نهجهم من التابعين والصالحين.

قال ابن هشام في الفصل الذي عقده لصلح الحديبية: إنّ قريشاً بعثت عروه بن مسعود الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس بين يديه، وبعد ما وقف على نية الرسول من خروجه إلى مكة رجع إلى قومه وأخبرهم بما دار بينه وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ قال: إنّ محمداً لا يتوضأ إلّا وابتدر أصحابه بماء وضوئه، ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه، ثمّ قال:

يا معشر قريش لقد

رأيت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قومه قط مثل محمد في أصحابه،
ولقد

[pagebreak](صفحة ١٠٣)

ص: ١٠٤

رأيت قوماً لا- يسلمونه لشيء أبداً فرؤا رأيكم. <meta info="السيرة النبوية: ابن هشام: ٣١٤ / ٢، صلح الحديبية." </meta >[١] <type="ref" class="ref" >وقد ألفت غير واحد من علماء الإسلام ما قام به الصحابة من التبرك بآثار
النبي صلى الله عليه وآله وسلم نذكر عناوينها:

التبرك بتحنيك الأطفال.

التبرك بالمسح والمس.

التبرك بفضله وضوئه وغسله.

التبرك بسؤر شرابه وطعامه.

إن تبرك الصحابة لم يقتصر على ذلك بل كانوا يتبركون بماء أدخل فيه يده المباركة، وبماء من الآنيه التي شرب منها، وبشعره،
وعرقه، وظفره، والقدح الذي شرب منه، وموضع فمه، ومنبره، والدنانير التي أعطاهما، وقبره وجرت عادتهم على التبرك به، ووضع
الخد عليه والبكاء عنده.

وقد ألفت المحقق العلامة محمد طاهر بن عبد القادر كتاباً باسم «تبرك الصحابة»، وهو من علماء مكة المكرمة قال فيه: أجمعت
صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على التبرك بآثار رسول الله والاهتمام في جمعها، وهم الهداه المهديون والقُدوه
الصالحون فيتبركون بشعره وبفضله وضوئه وعرقه وثيابه وآنيته وبمس جسده الشريف، وبغير ذلك ممّا عرف من آثاره الشريفه
التي صحت به الأخبار عن الأخيار.

[pagebreak](صفحة ١٠٤)

ص: ١٠٥

وقد وقع التبرك ببعض آثاره في عهده وأقره ولم ينكر عليه، فدل ذلك دلالة قاطعه على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعاً لنهى
عنه وحذر منه.

وكما تدلّ الأخبار الصحيحة وإجماع الصحابة على مشروعيته تدلّ على قوة إيمان المتبركين وشده محبتهم وموالانهم ومتابعتهم
للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كقول الشاعر:

أمرّ على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ

<type="ref" class="ref">[١]</meta " تبرك الصحابه: ٥٠. "

[pagebreak](صفحه ١٠٥)

ص: ١٠٦

٥- زيارة القبور

اشاره

إن زياره قبور الأنبياء والأولياء تنطوى على آثار تربويه وأخلاقية هامه، لأن مشاهدته المقابر التى تضم فى طياتها مجموعه كبيره من رفات الذين عاشوا فى هذه الحياه، ثم انتقلوا إلى الآخرة، تؤدى إلى الحد من الطمع والحرص على الدنيا، وربما يُغيّر سلوك الإنسان فيترك الظلم والمنكر ويتوجه إلى الله والآخرة.

لذا يقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور فإنها تذكركم بالآخرة». <type="ref" class="ref">[١]</meta " شفاء السقام: ١٠٧. " نعم يستفاد من بعض الأحاديث أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى يوماً عن زياره القبور ثم رخصها، ولعلّ النهى كان لملاك آخر، وهو أنّ أكثر الأموات - يومذاك - كانوا من المشركين، فنهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن زيارتهم، ولما كثر المؤمنون بينهم رخصها بإذن الله عزّ وجلّ، وقال: «كنت نهيتكم عن زياره القبور فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر فى الآخرة». <type="ref" class="ref">[٢]</meta " سنن ابن ماجه: ١/١١٧، باب ما جاء فى زياره القبور. "

[pagebreak](صفحه ١٠٦)

ص: ١٠٧

وقالت عائشه: إنّ رسول الله رخص فى زياره القبور، وقالت: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أمرنى ربّى أن آتى البقيع وأستغفر لهم. قلت: كيف أقول يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: قولى: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، أنا إن شاء الله بكم لاحقون. <type="ref" class="ref">[١]</meta " لاحظ صحيح مسلم: ٢/٦٤، باب ما يقال عند دخول القبور. " <</meta وجاء فى الصحاح والمسانيد صور الزيارات التى زار بها النبي صلى الله

عليه وآله وسلم البقيع.

قال مؤلف كتاب «الفقه على المذاهب الأربعة»: زيارة القبور مندوبه للاتعاظ وتذكر الآخرة وتأكيد يوم الجمعة، وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع، والاعتبار بالموتى، وقراءة القرآن للميت، فإن ذلك ينفع الميت على الأصح، وبما ورد أن يقول الزائر عند رؤيه القبور: «السَّلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لـاحقون» ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر قريبه أو بعيده `<meta info="إلا الحنابلة فقالوا إذا كانت القبور بعيده فزيارتها مباحه لا مندوبه." type="ref" class="ref">` بل يندب السفر لزياره الموتى خصوصاً مقابر الصالحين.

هذه كلمات فقهاء المذاهب الأربعة حول زياره القبور. `<meta info="الفقه على المذاهب الأربعة: ١ / ٥٤٠." type="ref" class="ref">`

[pagebreak](صفحه ١٠٧)

ص: ١٠٨

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

هذا كله حول زياره قبور المسلمين، وأما زياره قبر النبي وأئمه الإسلام والشهداء والصالحين فلا شك أن لزيارتهم نتائج بناءه نشير إليها، كما نشير إلى الأحاديث الواردة حول زياره قبورهم ليكون البحث مرفقاً بالتحليل وجامعاً للدليل.

أما التحليل: أن زياره مراقد هذه الشخصيات هو نوع من الشكر والتقدير على تضحياتهم وإعلام للجيل الحاضر بأن هذا هو جزاء الذين يسلكون طريق الحق والهدى، والفضيله والدفاع عن المبدأ والعقيدة، وهذا لا يدفعنا إلى زياره قبورهم فحسب، بل إلى إبقاء ذكرياتهم حيه ساخنه، والمحافظه على آثارهم وإقامه المهرجانات، في ذكرى مواليدهم، وعقد المجالس وإلقاء الخطب المفيده في أيام التحاقهم بالرفيق الأعلى، وهذا شىء يدركه كل ذى مسكه.

ولأجل ذلك ترى أن الأمم الحيه يتسابقون فى زياره مدفن رؤسائهم وشخصياتهم الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل نجاه الشعب، وإنقاذه من مخالب المستعمرين والظالمين، ويقيمون المجالس لإحياء معالمهم، دون أن يخطر ببال أحد أن هذه الأمور عباده لهم، فأين التعظيم للشخصيات من عبادتهم؟

فإنَّ التعظيم تقدير لجهودهم، والعبادة تأليهم واتخاذهم أرباباً. أفهل هناك من يخلط بين الأمرين منّا أو من غيرنا؟! كلا،

[pagebreak](صفحة ١٠٨)

ص: ١٠٩

ولا، شريطه الإمعان في مقومات العبادة وتعريفها الماضيتين في الفصلين السابقين.

إذا وقفت على الآثار البتاء لزياره مطلق القبور وزياره قبور الأولياء والصالحين، نذكر خصوص ما ورد من الروايات التي جاء فيها الحث على زياره قبر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

أخرج أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمّه في زياره قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم نذكر شرطاً منها:

١. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من زار قبري وجبت له شفاعتي.

٢. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من جاءني زائراً لا تحمله إلّا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيحاً يوم القيامة.

٣. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كمن زارني في حياتي.

٤. عن عبد الله بن عمر مرفوعاً: من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني.

٥. عن عمر مرفوعاً: من زار قبري أو من زارني كنت له شفيحاً أو شهيداً.

٦. عن حاتم بن أبي بلتعه مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي.

[pagebreak](صفحة ١٠٩)

ص: ١١٠

٧. عن أبي هريره مرفوعاً: من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حيّ، ومن زارني كنت له شهيداً أو شفيحاً يوم القيامة.

٨. عن أنس بن مالك مرفوعاً: من زارني في المدينة محتسباً كنت له شفيحاً.

٩. عن أنس بن مالك: من زارني ميتاً فكأنما زارني حيّاً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعه ثمّ لم يزرني فليس له عذر.

١٠. عن ابن عباس مرفوعاً: من زارني في مماتي كمن زارني في حياتي، ومن

زارني حتى ينتهي إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيداً، أو قال شفيحاً.

فهذه أحاديث عشره أخرجها الحفاظ من المحدثين، وقد جمع أسانيدھا وطرقھا وصححھا تقي الدين السبكي (المتوفى سنة ٧٥٦ هـ) في كتاب شفاء السقام في زيارهخير الأنام، فمن أراد التفصيل فليرجع إليه. <meta info=" شفاء السقام في زياره خير الأنام، الباب الأول في الأحاديث الواردة في زيارته؛ ولاحظ أيضاً وفاء الوفا بأحوال دار المصطفى: ١٣٣٦ / ٤. " type="ref" <class="ref">[١]</meta

[pagebreak](صفحه ١١٠)

ص: ١١١

٦- البناء على القبور

المراد من القبور في العنوان هو قبور الأنبياء والشهداء والأئمة الأولياء الذين لهم مكانه عاليه في قلوب المؤمنين، فهل هو أمر جائز أو لا؟

وهذه المسأله كالمسألتين السابقتين لا تمت إلى العقيدته الإسلاميه بصله حتى تكون ملاكاً للتوحيد والشرك، وإنما هي من المسائل الفقهيّه التي يدور أمرها بين الإباحه والكراهه والاستحباب وغيرها.

ولا- يصحّ لمسلم واع أن يتخذ تلك المسأله ذريعه للشرك والتكفير، فكم من مسائل فقهيّه اختلفت فيها كلمه الفقهاء، ومن حسن الحظ لم يختلف في هذه المسأله فقهاء الأئمه الأربعة ولا فقهاء المذهب الإمامي ودليلهم على جواز البناء على قبور تلك الشخصيات عبارته عن سيره المسلمين منذ رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا.

أ. وارى المسلمون جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيته المسقف وحرصوا على بذل المزيد من العنايه بحجرتة الشريفه بشتى الأساليب، وقد جاء ذكرها في الكتب التي ألفت في تاريخ المدينة لا سيما كتاب وفاء الوفا للعلامة السمهودى. <meta info=" وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ٢ / ٤٥٨، الفصل التاسع. " type="ref" class="ref">[١]</meta

[pagebreak](صفحه ١١١)

ص: ١١٢

وشيد البناء الموجود عام ١٢٧٠ هـ وهو بحمد الله قائم لم يمسه السوء، وسوف يبقى بفضل الله تبارك وتعالى محفوظاً

مصوناً عن الاندثار، فلو كان البناء على القبور أمراً حراماً لدفنه المسلمون في مكان واسع لا سقف فيه.

ب. أنّ البناء على القبور كانت سيره سائده بين المسلمين من عصر الصحابه إلى يومنا هذا، وهذه هي كتب الرّحلات تذكر لنا وصف القبور الموجوده في المدينه التي كانت عليها قباب وعلى قبورهم صخره فيها أسماؤهم ونحن نذكر من ذلك نزراً يسيراً:

١. يقول المسعودي (المتوفى ٤٤٥ هـ) حول المشاهد والقباب في البقيع: وعلى قبورهم في هذا الموضع من البقيع، رخامه مكتوب عليها:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ميّد الأمم ومحیی الرمم وهذا قبر فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيده نساء العالمين، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد. `<meta info="مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٢ / ٢٨٨. " type="ref" class="ref">[١]</meta>` وذكر السبط ابن الجوزي (المتوفى عام ٦٥٤ هـ) في «تذكرة الخواص» ص ٣١١ نظير ذلك.

٣. كما وصف محمد بن أبي بكر التلمساني المدينه الطيبه وبقيع الغرقد في القرن الرابع بقوله: وقبر الحسن بن علي عن يمينك إذا خرجت

! [pagebreak] (صفحه ١١٢)

ص: ١١٣

من الدرب ترتفع إليه قليلاً عليه مكتوب هذا قبر الحسن بن علي دفن إلى جنب أمّه فاطمه عليها السلام. `<meta info="مجله العرب، رقم ٥-٦، المؤرخه ١٣٩٣ هـ. " type="ref" class="ref">[١]</meta>` يقول الحافظ محمد بن محمود بن النجار (المتوفى عام ٦٤٣ هـ) في «أخبار مدينه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم»: في قبه كبيره عاليه قديمه البناء في أول البقيع، وعليها بابان يفتح أحدهما في كلّ يوم للزياره رضى الله عنهم. `<meta info="أخبار`

مدينة الرسول، اهتمّ بنشره صالح محمد جمال بمكة المكرمة عام ١٣٦٦ هـ. " [٢] type="ref" class="ref"> ٥ </meta>. ويقول ابن جبير الرحاله الطائر الصيت (المتوفى عام ٦١٤ هـ) في رحلته في وصف بقيع الغرقد: يقع في مقابل قبر مالك قبر السلالة الطاهره إبراهيم بن النبي عليها قبه بيضاء، وعلى اليمين منها تربه ابن عمر ابن الخطاب، وبإزائه قبر عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه وعبد الله بن جعفر الطيار رضى الله عنه، وبإزائهم روضه فيها أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبها روضه صغيره فيها ثلاثه من أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وروضه العباس بن عبد المطلب والحسن بن علي رضى الله عنه وهى قبه مرتفعه فى الهواء على مقربه من باب البقيع المذكور وعن يمين الخارج منه، ورأس الحسن إلى رجلى العباس، وقبراهما مرتفعان عن الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقه، أبدع إصاق، مرصعه بصفائح الصفر، ومكوكبه بمسامير على أبدع صفه، وأجمل منظر، وعلى هذا الشكل قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويلى هذه القبه العباسيه بيت ينسب لفاطمه بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويعرف ببيت الحزن... وفى آخر البقيع قبر عثمان الشهيد

[pagebreak](صفحه ١١٣)

ص: ١١٤

المظلوم ذى النورين وعليه قبه صغيره مختصره، وعلى مقربه منه مشهد فاطمه ابنه أسد أمّ عليّ رضى الله عنها وعن بنيتها. <meta info="رحله ابن جبير، طبع بيروت، دار صادر، وقد زار ابن جبير المدينة المنوره عام ٥٧٨ هـ. " type="ref" class="ref"> ٦ </meta> [١] >class="ref">. وروى البلاذرى أنّه لما ماتت زينب بنت جحش سنه عشرين صلّى عليها عمر، وكان دفنها فى يوم صائف، ضرب عمر على قبرها فسطاطا.

<meta info=" أنساب الأشراف: ١ / ٤٣٦. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " ولم يكن الهدف من ضربه ذلك الفسطاط تسهيل الأمر لمن يتعاطى دفنها، بل لأجل تسهيله لأهلها حتى يتفتئوا بظله، ويقرأوا ما يتيسر من القرآن والدعاء.

٧. يقول السهودي (المتوفى ٩١١ هـ) في وصف بقيع الغرقد: قد ابتنى عليها مشاهد، منها المشهد المنسوب لعقيل بن أبي طالب وأمهات المؤمنين، تحوى العباس والحسن بن علي... وعليهم قبه شامخه في الهواء، قال ابن النجار:... وهي كبيره عاليه، قديمه البناء، وعليها بابان، يفتح أحدهما في كل يوم. وقال المطري: بناها الخليفة الناصر أحمد بن المستضى... وقبر العباس وقبر الحسن مرتفعان من الأرض متسعان مغشيان بألواح ملصقه أبداع إصاق، مصحفه بصفائح الصفر، مكوكبه بمسامير على أبداع صفه وأجمل منظر. <meta info=" وفاء الوفا: ٣ / ٩١٦ - ٩٢٩. <type="ref" class="ref">[٣]</meta "

! [pagebreak] (صفحة ١١٤)

ص: ١١٥

إلى غير ذلك من الرحاله الذين زاروا المدينة المنوره ووصفوا تلكم المزارات و المشاهد و القباب المرتفعه ونظر الكل إليها بعين الرضا والمحبه لا بعين السخط والغضب.

وهذا النوع من الاتفاق والإجماع من قبل علماء الإسلام طيله قرون أقوى شاهد على جواز البناء على قبور الشخصيات الإسلاميه الذين لهم منزله ومكانه في القلوب.

ولنعم ما يقول العلامة العاملي:

مضت القرون وذى القباب مشيدهوا الناس بين مؤسس ومجدد

فى كل عصر فيه أهل الحل والعقد الذين بغيرهم لم يعقد

لم ينكروا أبداً على من شادهاشيدت ولا من منكر ومفند

فسيره للمسلمين تتابعت فى كل عصر نستدل ونقتدى <meta info=" كشف الارتباب: ٣٩٥. type="ref" " <class="ref">[١]</meta

! [pagebreak] (صفحة ١١٥)

ص: ١١٦

٧- بناء المساجد على القبور والصلاه فيها

اشاره

إنَّ بناء المساجد على القبور أو عندها والصلاه فيها مسأله فقهيه فرعيه لا تمتُّ إلى العقائد بصله.

فالمرجع في هذه المسائل هم أئمه المذاهب وفقهاء الدين يستنبطون حكمه من الكتاب والسنة، وليس لنا تكفير أو

تفسيق واحد من الطرفين إذا قال بالجواز أو بعدمه، وكم من مسأله فقهيه اختلفت فيها آراء الفقهاء والمجتهدين، ونحن بدورنا نعرض المسأله على الكتاب والسنة لنستنبط حكمها من أوثق المصادر الفقهيه.

الذكر الحكيم يشرح لنا كيفيه عثور الناس على قبور أصحاب الكهف وأنهم- بعد العثور- اختلفوا فى كيفيه تكريمهم وإحياء ذكراهم والتبرك بهم على قولين: فمن قائل: يُبنى على قبورهم بنيان ليُخلد ذكراهم بين الناس.

إلى قائل آخر: يبنى على قبورهم مسجداً يصلّى فيه.

وقد حكى سبحانه كلا الاقتراحين من دون تنديد بواحد منهما، قال سبحانه: «وَكَذَلِكَ أَعْتَزْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ

[pagebreak](صفحه ١١٦)

ص: ١١٧

قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا».

<meta info="الكهف: ٢١." [١]>

<</meta

قال المفسرون: إن الاقتراح الأول كان لغير المسلمين ويؤيده قولهم فى حق أصحاب الكهف: «رَبَّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ» وهو ينم عن اهتمام بالغ بحالهم ومكانتهم فحوّلوا أمرهم إلى ربهم.

وأما الاقتراح الثانى فنفس المضمون (اتخاذ قبورهم مسجداً) شاهد على أن المقترحين كانوا هم المؤمنين، وما اقترحوا ذلك إلا للتبرك بالمكان الذى دفنت فيه أجساد هؤلاء الموحدين.

والقرآن يذكر ذلك الاقتراح من دون أن يعقب عليه بنقد أو ردّ، وهو يدلّ على كونه مقبولاً عند مُنزل الوحي.

قال الطبرى فى تفسير الآيه: إن المبعوث دخل المدينة فجعل يمشى بين ظهري سوقها فيسمع أناساً كثيرين يحلفون باسم عيسى بن مريم، فزاده فرقا ورأى أنه حيران، فقام مُسِينداً ظهره إلى جدار من حُدُر المدينة، ويقول فى نفسه: واللّه ما أدرى ما هذا أمّا عشيّه أمس فليس على الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلاقتل، وأمّا الغداه فأسمعهم وكلّ إنسان يذكر أمر عيسى

لا يخاف، ثم قال في نفسه: لعل هذه ليست بالمدينه التي أعرف. <meta info=" تفسير الطبرى: ١٤٥ / ١٥. " type="ref" >[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ١١٧)

ص: ١١٨

سيره المسلمين في البناء على قبور الصالحين

إن سيره المسلمين تكشف عن جواز بناء المساجد على قبور الصالحين الذين يُتبرّك بهم ولهم مكانه عاليه في قلوبهم، ويدلّ على ذلك الأمور التاليه:

أ. دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيته الذي فيه وكان في جوار المسجد النبوي، ولما كثر المسلمون وازداد عددهم وضاق المسجد بهم أدخلوا الجانب الشرقي - الذي كان فيه بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والبيت الذي دفن فيه - في المسجد النبوي على نحو يقف المصلون أطراف القبر من الجوانب الأربعة ويحيطون به.

يقول الطبرى في حوادث سنه ٨٨: إنّه في شهر ربيع الأوّل من هذه السنه قدم كتاب الوليد على عمر بن عبد العزيز يأمره بهدم المسجد النبوي وإضافه حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن يوسعه من قبلته وسائر نواحيه، باشتراء الأملاك المحيطه به، فأخبر عمر الفقهاء العشره وأهل المدينه بذلك، فحبذوا بقاء تلك الحُجْر على حالها ليعتبر بها المسلمون، ويكون أدعى لهم إلى الزهد اقتداءً بنبيهم، فكاتب ابن عبد العزيز الوليد في ذلك، فأرسل إليه يأمره بالخراب، وتنفيذ ما ذكره في كتابه الأوّل، فضجّ بنو هاشم وتباكوا، ولكن عمر نصدّ ما أمره به الوليد، فأدخل الحجره النبويه (حجره عائشه) في المسجد، فدخل القبر في المسجد وسائر حجرات أمّهات المؤمنين وقد

[pagebreak](صفحة ١١٨)

ص: ١١٩

بنى عليه سقف مرتفع كما أمر الوليد. <meta info=" راجع تاريخ الطبرى: ٥ / ٢٢٢؛ البدايه والنهايه: ٦٥ / ٨. " type="ref" class="ref" >[١]</meta

عامه، وفي مقدم التابعين

منهم على بن الحسين زين العابدين وابنه محمد بن علي الباقر عليهم السلام اللذين لم يشك أحد في زهدهما وعلمهما وعرفانهما. فهو أوضح دليل على جواز إقامة المسجد عند قبور الأنبياء والصالحين والصلاة فيه.

ولم يعترض على هذا العمل كلّ التابعين بما فيهم مالك إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب الأربعة.

ب. يقول السمهودي في حقّ السيدة فاطمة بنت أسد أمّ الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام: فلما توفيت خرج رسول الله فأمّر بقبرها فحفر في موضع المسجد الذي يقال له اليوم قبر فاطمة. <meta info=" وفاء الوفا: ٣ / ٨٩٧. " type="ref" <class="ref">[٢]</meta

وقال في موضع آخر: إنّ مصعب بن عمير وعبد الله بن جحش دفنا تحت المسجد الذي بنى على قبر حمزه. <meta info=" المصدر السابق: ٣ / ٩٢٢. " type="ref" class="ref">[٣]</meta " ج. أنّ السيدة عائشة قضت حياتها في بيتها وصلّت فيه تمام عمرها، ولم يكن بينها وبين القبر أيّ جدار إلى أن دفن عمر فبنى

[pagebreak](صفحة ١١٩)

ص: ١٢٠

جدار حال بينها وبين القبور الثلاثة. <meta info=" وفاء الوفا: ٢ / ٥٤١. " type="ref" class="ref">[١]</meta <</meta >> د. روى البيهقي أنّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تذهب إلى زيارته قبر عمها حمزه فتبكي وتصلّي عنده. <meta info=" السنن الكبرى: ٤ / ٧٨. " type="ref" class="ref">[٢]</meta > أخرج الحاكم، عن سليمان بن داود، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين عليهم السلام، عن أبيه، أنّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كانت تزور قبر عمها حمزه كلّ جمعة فتصلّي وتبكي عنده.

قال الحاكم: وهذا الحديث رواه عن آخرهم ثقات. وأقرّه الذهبي عليه ونقله البيهقي في سننه. <meta

"=info" مستدرك الحاكم: ١ / ٣٧٧. <meta " class="ref" type="ref">[٣] </meta " وهذا يدل على بناء المسجد على قبر حمزه في حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصلاه فيه.

ه. انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في معراجہ الذي بدأ به من المسجد الأقصى - نزل في المدينة، وطور سينا وبيت لحم، وصلّى فيها، فقال جبرئيل: صلّيت في «طيبه» وإليها مهاجرتك، وصلّيت في طور سينا حيث كلم الله موسى، وصلّيت في بيت لحم حيث ولد المسيح. <meta info=" الخصاص الكبرى: ١ / ١٥٤. <meta " class="ref" type="ref">[٤] </meta " هل هناك فرق بين المدفن والمولد، مع أنّ الصلاه في كل، لغايه

! [pagebreak](صفحة ١٢٠)

ص: ١٢١

واحدہ وهي التبرک بالإنسان المثالی الذي مسّ جسده الطاهر، ذلك التراب بدايه عمره أو نهايته؟!

وبما انّ الكتاب - مضافاً إلى السيره المستمره بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا - دليل قطعي، يكون محكماً يؤخذ به، وما دلّ على خلافه، يكون متشابهاً، فيرد إلى المحكم ويفسره بفضله.

ربّما يتراءى من بعض الروايات عدم جواز اتّخاذ قبور الأنبياء مساجد.

فروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: قاتل الله اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي روايه أخرى: لعن الله اليهود والنصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وفي روايه ثالثة: ألا وإنّ من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. <meta

"=info" للوقوف على مصادر هذه الأحاديث راجع صحيح البخارى: ٢ / ١١١ كتاب الجنائز؛ سنن النسائي: ٢ / ٨٧١، كتاب

الجنائز؛ صحيح مسلم: ٢ / ٦٨، باب النهى عن بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد. <meta " class="ref" type="ref">[١] </meta

<[١]> ولنا مع هذه الأحاديث وقفه قصيره، وذلك لأنّ تاريخ اليهود لا يتفق

مع مضامين تلك الروايات، لأن سيرتهم قد قامت على قتل الأنبياء وتشريدهم وإيذائهم إلى غير ذلك من أنواع البلايا التي كانوا يصيبنها على أنبيائهم.

[pagebreak](صفحة ١٢١)

ص: ١٢٢

ويكفي في ذلك قوله سبحانه: «لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ». <meta info=" آل عمران: ١٨١. <ref" class="ref">[١]</meta " وقوله سبحانه: «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ بَالِغَاتِ وَالْعَدَى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ». <meta info=" آل عمران: ١٨٣. <ref" class="ref">[٢]</meta "

وقال سبحانه: «فَبِمَا نَفَضَتْ بَنَاتُهُمْ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْتُمْ وَمِنْ قَبْلِ بَالِغَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...». <meta info=" النساء: ١٥٥. " <ref" class="ref">[٣]</meta

أفترع ان أمه قتلت أنبياءها في مواطن مختلفه تتحول إلى أمه تشيد المساجد على قبور أنبيائها تكريماً وتبجيلاً لهم. وعلى فرض صدور هذا العمل عن بعضهم، فللحديث محتملات أخرى غير الصلاه فيها والتبرك بصاحب القبر، وهي: أ. اتخاذ القبور قبله.

ب. السجود على القبور تعظيماً لها بحيث يكون القبر مسجوداً عليه.

ج. السجود لصاحب القبر بحيث يكون هو المسجد له، فالقدر المتيقن هو هذه الصور الثلاث لا بناء المسجد على القبور تبركاً بها.

[pagebreak](صفحة ١٢٢)

ص: ١٢٣

والشاهد على ذلك ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حسب بعض الروايات يصف هؤلاء بكونهم شرار الناس.

أخرج مسلم في كتاب المساجد: ان أم حبيبه وأم سلمه ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشه فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنى على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة. <meta info=" صحيح مسلم: ٦٦ / ٢، باب النهي عن

بناء المساجد على القبور من كتاب المساجد. [\[١\]](#) ["type="ref" class="ref">](#) إنَّ وصفهم بشرار الخلق يميظ اللثام عن حقيقته عملهم إذ لا يوصف الإنسان بالشر المطلق إلَّا إذا كان مشركاً- وإن كان في الظاهر من أهل الكتاب- قال سبحانه: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ». ["meta info"=الأنفال: ٢٢.](#) ["type="ref" "](#) [</meta class="ref">](#)[\[٢\]](#)

وقال: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ». ["meta info"=الأنفال: ٥٥.](#) ["type="ref" "](#) [</meta class="ref">](#)[\[٣\]](#) وهذا يعرب عن أنَّ عملهم لم يكن صرفاً بناء المسجد على القبر والصلاه فيه، أو مجرد إقامة الصلاه عند القبور، بل كان عملاً مقروناً بالشرك بألوانه، وهذا كما في اتخاذ القبر مسجوداً له أو مسجوداً عليه أو قبله يصلى عليه.

قال القرطبي: وروى الأئمة عن أبي مرثد الغنوي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها. «لفظ مسلم» أي لا

[pagebreak](صفحة ١٢٣)

ص: ١٢٤

تتخذونها قبله فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى فيؤدي إلى عباده من فيها. ["meta info"=](#) تفسير القرطبي: ["type="ref" class="ref">](#)[\[١\]](#) ["meta info"=٣٨ / ١٠.](#) إنَّ الصلاه عند قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو لأجل التبرك بمن دفن، ولا غرور فيه وقد أمر سبحانه الحجيج باتخاذ مقام إبراهيم صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحانه:

«وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ». ["meta info"=البقره: ١٢٥.](#) ["type="ref" class="ref">](#)[\[٢\]](#)

إنَّ الصلاه عند قبور الأنبياء كالصلاه عند مقام إبراهيم غير أنَّ جسد النبي إبراهيم عليه السلام لامس هذا المكان مره أو مرات عديده، ولكن مقام الأنبياء احتضن أجسادهم التي لا تبلى أبداً.

هذا وإنَّ علماء الإسلام فسروا الروايات الناهيه بمثل ما قلناه.

قال البيضاوي: لما كانت اليهود والنصارى يسجدون

لقبور الأنبياء تعظيماً لشأنهم ويجعلونها قبله يتوجهون في الصلاة نحوها، وأتخذوها أوثاناً، لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك. فأما من اتخذ مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه ونحوه، فلا يدخل في الوعيد المذكور. <meta info=" فتح الباري في شرح صحيح البخارى: ١/ ٥٢٥، طبعه دار المعرفه؛ وقريب منه ما فى إرشاد السارى فى شرح صحيح البخارى: ٢/ ٤٣٧، باب بناء المسجد على القبور. " </meta info=" [٣] </meta info=" وقال السندى شارح سنن النسائى: أتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، أى

[pagebreak](صفحة ١٢٤)

ص: ١٢٥

قبله للصلاه ويصلون إليها، أو بنوا مساجد يصلون فيها، ولعل وجه الكراهه أنه قد يفضى إلى عباده نفس القبر.

إلى أن يقول: يحذر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمته أن يصنعوا بقبره ما صنع اليهود والنصارى بقبور أنبيائهم من اتخاذ تلك القبور مساجد، إماً بالسجود إليها تعظيماً لها أو بجعلها قبله يتوجهون فى الصلاة إليها. <meta info=" سنن النسائى: ٢/ ٤١. " </meta info=" [١] </meta info="

[pagebreak](صفحة ١٢٥)

ص: ١٢٦

٨- البكاء على الميت

إشارة

الحزن والتأثر عند فقدان الأحبه أمر مجلبت عليه الفطره الإنسانيه فإذا ابتلى بمصاب عزيز من أعزائه أو فلذه من أفلاذ كبده وأرحامه يحس بحزن شديد يتعقبه ذرف الدموع على وجناته، دون أن يستطيع أن يتمالك حزنه أو بكاءه.

ولا أجد أحداً ينكر هذه الحقيقه إنكار جدٍ وموضوعيه ومن الواضح بمكان أنّ الإسلام دين الفطره يجاريها ولا يخالفها.

قال سبحانه: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا». <meta info=" الروم: ٣٠. " </meta info=" <class="ref"> [١] </meta info=" ولا- يمكن لتشريع عالمي أن يحرم الحزن والبكاء على فقد الأحبه إذا لم يقترب بشىء يغضب الرب.

ومن حسن الحظ نرى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم والصحابه الكرام

والتابعين لهم يا حسان ساروا على وفق الفطره.

[pagebreak](صفحة ١٢٦)

ص: ١٢٧

وهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي على ولده إبراهيم، ويقول: «العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يرضى ربنا، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون». <meta info="سنن أبي داود: ١ / ٥٨؛ سنن ابن ماجه: ١ / ٤٨٢. " type="ref" >[١]</meta > روى أصحاب السّير والتاريخ، أنّه لما احتضر إبراهيم ابن النبي، جاء صلى الله عليه وآله وسلم فوجده في حجر أمّه، فأخذه ووضعهُ في حجره، وقال: «يا إبراهيم إنّنا لن نغنى عنك من الله شيئاً - ثمّ ذرفت عيناه وقال: - إنّنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكى العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الربّ، ولولا أنّه أمرٌ حقٌّ ووعدٌ صدقٌ وأنّها سبيل مأتيه لحزنا عليك حزناً شديداً أشدّ من هذا».

ولما قال له عبد الرحمان بن عوف: أو لم تكن نهيت عن البكاء؟

أجاب بقوله: «لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين وآخرين: صوت عند مصيبه وخمش وجوه وشقّ جيوب ورنه شيطان، وصوت عن نغمه لهو، وهذه رحمه، ومن لا - يرحم لا - يُرحم». <meta info="السيره الحلبيه: ٣ / ٣٤٨. " type="ref" >[٢]</meta > وليس هذا أوّل وآخر بكاء منه صلى الله عليه وآله وسلم عند ابتلائه بمصائب أعزّائه، بل كان صلى الله عليه وآله وسلم قد بكى على ابنه «طاهر» وقال: «إنّ العين تذرّف، وإنّ الدمع يغلب، والقلب يحزن، ولا نعصى الله عزّ وجلّ». <meta info="مجمع الزوائد للهيثمى: ٣ / ٨. " type="ref" class="ref" >[٣]</meta >

[pagebreak](صفحة ١٢٧)

ص: ١٢٨

وقد قام العلّامة الأميني في موسوعته الكبيره «الغدير» بجمع موارد كثيره بكى فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابه والتابعون على موتاهم وأعزّائهم عند افتقادهم، وإليك

نصّ ما جاء به ذلك المتتبع الخبير:

وهذا هو صلى الله عليه وآله وسلم لما أُصيب حمزه رضي الله عنه وجاءت صفته بنت عبد المطلب - رضي الله عنها - تطلبه فحال بينها وبينه الأنصار، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: دعوها، فجلست عنده فجعلت إذا بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا نشجت نَشَجَ، وكانت فاطمه عليها السلام تبكى، ورسول الله كلما بكت يبكى، وقال: لن أُصاب بمثلك أبداً. <meta info="امتاع المقرئى: ص ١٥٤." [١] /meta > ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحد بكت نساء الأنصار على شهدائهن، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: لكن حمزه لا بواكى له، فرجع الأنصار فقالوا للنساءهم: لا تبكين أحداً حتى تبدأن بحمزه، قال: فذاك فيهم إلى اليوم لا يبكين ميتاً إلأبدان بحمزه. <meta info="مجمع الزوائد: ١٢٠ / ٦." [٢] /meta > وهذا هو صلى الله عليه وآله وسلم يعنى جعفرأ، وزيد بن حارثه، وعبد الله بن رواحه، وعينه تذر فان. <meta info="صحيح البخارى: كتاب المناقب فى علامات النبوه فى الإسلام؛ سنن البيهقى: ٧٠ / ٤." [٣] /meta > وهذا هو صلى الله عليه وآله وسلم زار قبر أمه وبكى عليها وأبكى من حوله. <meta info="سنن البيهقى: ٧٠ / ٤؛ تاريخ الخطيب البغدادي: ٢٨٩ / ٧." [٤] /meta >

[pagebreak](صفحة ١٢٨)

ص: ١٢٩

وهذا هو صلى الله عليه وآله وسلم يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت ودموعه تسيل على خده. <meta info="سنن أبى داود: ٦٣ / ٢؛ سنن ابن ماجه: ١ / ٤٤٥." [١] /meta > وهذا هو

صلى الله عليه وآله وسلم يبكي على ابن لبعص بناته، فقال له عباده بن الصامت:

ما هذا يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: «الرحمة التي جعلها الله في بني آدم وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». [\[٢\]](#) سنن أبي داود: ٥٨ / ٢؛ سنن ابن ماجه: ٤٨١ / ١. وهذه الصديقه الطاهره تبكى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقول: يا أبتاه من ربّه ما أدناه، يا أبتاه أجاب ربّاً دعاه، يا أبتاه إلى جبرئيل نعاه، يا أبتاه جنّه الفردوس مأواه. [\[٣\]](#) سنن النسائي: ١٣ / ٤؛ مستدرک الحاكم: ١٦٣ / ٣؛ تاريخ الخطيب: ٢٦٢ / ٦. وهذه هي عليها السلام وقفت على قبر أبيها الطاهر، وأخذت قبضه من تراب القبر فوضعتها على عينها وبكت وأنشأت تقول:

ماذا على من شمّ تربه أحمد أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

صُبت عليّ مصائب لو أنّها صُبت على الأيام صرن لياليا

وهذا أبو بكر بن أبي قحافه يبكي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرثيه بقوله:

يا عين فابكي ولا تسأمي وحقّ البكاء على السيّد

[pagebreak](صفحة ١٢٩)

ص: ١٣٠

وهذا حسان بن ثابت يبكيه صلى الله عليه وآله وسلم ويقول:

ظلمت بها أبكى الرسول فأسعدت عيوناً ومثلاها من الجفن أسعد [\[١\]](#) الغدير: ١٦٥ / ٦.

[١]

تحليل حديث تعذيب الميت ببكاء أهله

نعم ربما يتمسك بالرواية المعروفه من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ويتخذ ذلك ذريعه للمنع عن البكاء الذي تتطلبه الفطره الإنسانية وتدفع الإنسان إليه.

ولكن المتمسكين قد غفلوا عن مفاد الحديث وإليك دراسته.

أخرج مسلم في صحيحه عن هشام بن عروه،

عن أبيه، قال:

ذُكر عند عائشه قول ابن عمر: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت:

رحم الله أبا عبد الرحمن، سمع شيئاً فلم يحفظه إنما مرّت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازه يهودى، وهم يبكون عليه، فقال: أنتم تبكون وأنه ليعذب. <meta info=" صحيح مسلم: ٣/ ٤٤، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة. "[٢]</meta " type="ref" class="ref"> وأخرج أبو داود فى سننه عن عروه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، فذكر ذلك لعائشه فقالت - وهى تعنى ابن عمر -: إنما مرّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قبر يهودى فقال: إن

! [pagebreak](صفحه ١٣٠)

ص: ١٣١

صاحب هذا ليعذب وأهله يبكون عليه. ثم قرأت «ولا تزرّ وازرّة وزرّ أخرى». <meta info=" سنن أبى داود: ٣/ ١٩٤، برقم ٣١٢٩. "[١]</meta " type="ref" class="ref"> قال الشافعى: ما روت عائشه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أشبه أن يكون محفوظاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم بدلاله الكتاب والسنة، فإن قيل: فأين دلالة الكتاب؟

قيل: فى قوله عزّ وجلّ: «ولا تزرّ وازرّة وزرّ أخرى...»، و«وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» <meta info=" النجم: ٣٩. "[٢]</meta " type="ref" class="ref"> وقوله: «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» <meta info=" الزلزله: ٧ - ٨. "[٣]</meta " type="ref" class="ref">، وقوله: «... لِيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» <meta info=" طه: ١٥. "[٤]</meta " type="ref" class="ref"> .

فإن قيل: أين دلالة السنة؟ قيل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل: ابنك هذا؟ قال: نعم، قال: أما

أنه لا يجنى عليك ولا تجنى عليه.

فأعلم رسول الله مثلما أعلم الله من أن جنايه كل امرئ عليه، كما أن عمله لا- لغيره ولا- عليه». <meta info="> اختلاف الحديث بهامش كتاب الأم للشافعي: ٢٦٧ / ٧. </meta " class="ref" type="ref">[٥] وأخرج مسلم عن ابن عباس: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، فقال ابن عباس: فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشه،

[pagebreak](صفحة ١٣١)

ص: ١٣٢

فقلت: يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد ولكن قال: إن الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه، قال: وقالت عائشه: حسبكم القرآن: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى». <meta info="> صحيح مسلم: ٣ / ٤٣، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من كتاب الصلاة. </meta " class="ref" type="ref">[١] وما أخرجه مسلم عن هشام بن عروه هو الحقّ دون ما أخرجه عن ابن عباس، لأنّ تعذيب الكافر ببكاء أهله عليه أيضاً يضاد الذكر الحكيم.

[pagebreak](صفحة ١٣٢)

ص: ١٣٣

٩- التوسّل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأولياء بأصنافه

إشاره

اتفق المسلمون على جواز التوسّل بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته، بل يستحب التوسّل بدعاء المؤمن كذلك، قال سبحانه: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً». <meta info="> النساء: ٦٤. </meta " class="ref" type="ref">[١] تجد أنه سبحانه يدعو الظالمين إلى المجيء إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كي يستغفر لهم.

وفي آيه أخرى يندد بالمنافقين بأنهم إذا دعوا إلى المجيء إلى مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطلب المغفره منه تنكروا لذلك واعترضوا عليه بلّى الرأس، قال سبحانه: «وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ». <meta info="المنافقون: ٥. " >[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ١٣٣)

ص: ١٣٤

وتاريخ الإسلام حافل بنماذج عديدة من أصناف التوسّل، وإليك بيانها:

الأول: التوسّل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قدسيته وشخصيته

إشارة

وها هنا وثيقه تاريخيه نقلها بنصّها تعرب عن توسّل الصحابه بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته أوّلاً، وبقدسيته وشخصيته ثانياً، والمقصود من نقلها هو الاستدلال على الأمر الثاني.

روى عثمان بن حنيف أنّه قال: إنّ رجلاً ضريراً أتى النبي فقال: ادع الله أن يعافيني؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت وهو خير؟

قال: فادعه، فأمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى، اللهم شفّعه في». «

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتّى دخل علينا كأن لم يكن به ضرر.

وهذه الروايه من أصح الروايات، قال الترمذى: هذا حديث حق، حسن صحيح. <meta info=" صحيح الترمذى ٥، كتاب الدعوات، الباب ١١٩ برقم ٣٥٧٨. " >[١]</meta وقال ابن ماجه: هذا حديث صحيح.

<meta info=" سنن ابن ماجه: ١ / ٤٤١ برقم ١٣٨٥؛ مسند أحمد: ٤ / ١٣٨؛ إلى غير ذلك. " >[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ١٣٤)

ص: ١٣٥

ويستفاد من الحديث أمران:

إشارة

الأول: جواز التوسّل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويدلّ على ذلك قول الضرير: ادعُ الله أن يعافيني، وجواب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت وهو خير».

الثاني: أنّه يجوز للإنسان الداعي أن يتوسّل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ضمن دعائه، وهذا يستفاد من الدعاء الذي علّمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم للضرير، والإمعان فيه يثبت هذا المعنى، وأنّه يجوز لكلّ مسلم في مقام الدعاء أن يتوسّل

بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتوجه به إلى الله.

وإليك الجمل التي تدل على هذا النوع من التوسل:

١. اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك

إن كلمة «بنبيك» متعلقة بفعلين «أسألك» و «أتوجه إليك» والمراد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه القدسيه وشخصيته الكريمه لا دعاءه.

٢. محمد نبي الرحمة

نجد أنه يذكر اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يصفه بنبي الرحمة معرباً عن أن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما لها من الكرامه والفضيله.

٣. يا محمد إني أتوجه بك إلى ربّي

إن جملة: «يا محمد إني أتوجه بك إلى ربّي» تدل على أن الضرير

[pagebreak](صفحه ١٣٥)

ص: ١٣٦

حسب تعليم الرسول، اتخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وسيله لدعائه وتوسل بذاته بما لها من المقام والفضيله.

نعم لم يكن يدور في خلد الضرير سوى التوسل بدعائه ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علمه دعاء جاء فيه التوسل بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في نوعه توسل ثان، وبذلك وقفنا على أنه يستحب للمسلم أن يتوسل بدعاء الصالحين من الأنبياء والأولياء كما يجوز له في دعائه التوسل بذواتهم ومقامهم ومنزلتهم.

ويظهر من الأحاديث الشريفه أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتوسلون بذات النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مقام الابتهاال والدعاء حتى بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أخرج الطبراني، عن أبي أمامه بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: أنّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجه له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضاه فتوضأ، ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

سلم نبى الرحمه، يا محمد إننى أتوجه بك إلى ربى فتقضى لى حاجتى» فتذكر حاجتك ورح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل

فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسه، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت

[pagebreak](صفحة ١٣٦)

ص: ١٣٧

حاجتك حتى كان الساعه. وقال: ما كانت لك من حاجه فاذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف، فقال له: جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته فيّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فتصبر؟ فقال: يا رسول الله ليس لي قائد فقد شقّ عليّ.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إئت الميضاة فتوضأ، ثم صلّ ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات.

قال ابن حنيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط. <meta info=" المعجم الكبير للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني: ٩/ ٣٠-٣١، باب ما أسند إلى عثمان بن حنيف برقم ٨٣١١؛ والمعجم الصغير له أيضاً: ١/ ١٨٣-١٨٤. </meta " [١]>***

إن سيره المسلمين في حياه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعدها، استقرت على أنهم كانوا يتوسلون بأولياء الله والصالحين من عباده، دون أن يدور في خلد أحد منهم بأنه أمر حرام أو شرك أو بدعه، بل كانوا يرون التوسل بدعاء الصالحين طريقاً إلى التوسل بمنزلتهم، وشخصيتهم، فإنه لو كان لدعاء الرجل الصالح أثر، فإنما هو لأجل قداسه نفسه وطهارتها، ولولاها لما استجيبت دعوته، فما معنى الفرق بين التوسل بدعاء

ص: ١٣٨

بشخصه وذاته، حتى يكون الأول نفس التوحيد و الآخر عين الشرك أو ذريعه إليه.

إنَّ التوسل بقديسيه الصالحين، والمعصومين من الذنب، والمخلصين من عباد الله لم يكن قط أمراً جديداً بين الصحابه، بل كان ذلك امتداداً للسيره الموجوده قبل الإسلام، فقد تضافرت الروايات التاريخيه على ذلك وإليك البيان:

١. استسقاء عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو رضيع:

لقد استسقى عبد المطلب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو طفل صغير، حتى قال ابن حجر: إنَّ أبا طالب يشير بقوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمه للأرامل

إلى ما وقع فى زمن عبد المطلب حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وآله وسلم معه غلام. <meta info=" فتح البارى: ٢/ ٣٩٨؛ دلائل النبوه: ٢/ ١٢٦. </meta " <type="ref" class="ref">[١]</meta " </meta info="

٢. استسقاء أبى طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أخرج ابن عساكر عن ابن عرفله، قال: قدمت مكة وقريش فى قحط.... فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادى وأجدب العيال، فهلهم فاستسقى، فخرج أبو طالب ومعه غلام- يعنى: النبي صلى الله عليه وآله وسلم- كأنه شمس دجى تجلّت عنه سحابه قتماء، وحوله اغيلمه، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبه،

ص: ١٣٩

ولاذ باصبغه الغلام وما فى السماء قرعه، فأقبل السحاب من هاهنا و من هاهنا واغدودق وانفجر له الوادى وأخصب النادى والبادى، وفى ذلك يقول أبو طالب فى قصيده يمدح بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمه للأرامل <meta info=" السيره الحلييه: ١/ ١١٦. </meta info=" <type="ref" " <class="ref">[١]</meta

وقد كان استسقاء أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو غلام، بل استسقاء عبد المطلب به وهو صبي أمراً معروفاً بين العرب، وكان شعر أبي طالب في هذه الواقعة مما يحفظه أكثر الناس.

ويظهر من الروايات أنّ استسقاء أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان موضع رضاً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه بعد ما بعث للرسالة استسقى للناس، فجاء المطر وأخصب الوادي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لو كان أبو طالب

حيًا لقرت عيناه، من ينشدنا قوله؟».

فقام على عليه السلام وقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كأنك أردت قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل <meta info=" " type="ref" > إرشاد السارى: ٢ / ٣٣٨. </meta >[٢]<class="ref">

إنَّ التوسل بالأطفال الأبرياء فى الاستسقاء أمر ندب إليه الشرع الشريف، فهذا هو الإمام الشافعى يقول: أن يخرج الصبيان، ويتنظفوا

! [pagebreak] (صفحة ١٣٩)

ص: ١٤٠

للاستسقاء وكبار النساء ومن لا هيئه له منهنّ، ولا أحب خروج ذوات الهيئه ولا أمر بإخراج البهائم. <meta info=" " type="ref" > الأُم: ٨ / ٢٤٨، باب خروج النساء والصبيان فى الاستسقاء. </meta >[١]<type="ref" class="ref"> وما الهدف من إخراج الصبيان والنساء الطاعنات فى السن، إلّا استنزال الرحمه بهم وبقداستهم وطهارتهم، وكلّ ذلك يعرب عن أنّ التوسل بالأبرياء والصلحاء والمعصومين مفتاح استنزال الرحمه، وكأنّ المتوسل بهم يقول: ربّى و سيدى أنّ الصغير معصوم من الذنب، و الكبير الطاعن فى السن أسيرك فى أرضك، وكلتا الطائفتين أحقّ بالرحمه والمرحمه، فلاجلهم أنزل رحمتك إلينا، حتى تعمنا فى ظلهم.

فإنّ الساقى ربما يسقى مساحه كبيره لأجل شجره واحده وفى ظلها تسقى الأعشاب غير المفيده.

وعلى ضوء هذا التحليل يفسر توسل الخليفه بعمّ الرسول: «العباس بن عبد المطلب» الذى سيمر عليك، وأنّه كان توسلاً بشخصه وقداسته وصلته بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتعلم بالتالى أنّ هذا العمل كان امتداداً للسيره المستمره، وأنّ هذا لا يمت إلى التوسل بدعاء العباس بصله.

٣. التوسل بعمّ النّبى صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج البخارى فى صحيحه، عن أنس: «أنّ عمر بن الخطاب كان إذا قَحَطُوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال: اللهمّ إنّنا كنّا نتوسل

! [pagebreak] (صفحة ١٤٠)

ص: ١٤١

إليك بنينا فتسقينا، وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون». <meta info=" صحيح البخارى: ٢ / ٢٧، باب

صلاه الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا من كتاب الصلاه. [١] </meta></ref"> هذا ما نصّ عليه البخارى وهو يدل على أنّ عمر بن الخطاب عند دعائه واستسقاؤه توسّل بعمّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم وشخصه وشخصيته و قدسيته و قرابته من النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا بدعائه. ويدلّ على ذلك:

قول الخليفة عند الدعاء: «اللّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا». وهذا ظاهر في أنّ الخليفة قام بنفسه بالدعاء عند الاستسقاء، وتوسّل بعمّ الرسول و قرابته منه في دعائه.

الثانى: التوسّل بحقّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم والأنبياء والصالحين

وهناك لون آخر من التوسّل وهو التوسّل بحقّ الأنبياء والمرسلين، والمراد الحقّ الذى تفضّل به سبحانه عليهم فجعلهم أصحاب الحقوق، وليس معنى ذلك أنّ للعباد أو للصالحين على الله حقّاً ذاتياً يلزم عليه تعالى الخروج منه، بل الحقّ كلّهُ لله، وإنّما المراد الحقّ الذى منحه سبحانه لهم تكريماً، وجعلهم أصحاب حقّ على الله، كما قال سبحانه: «وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصِيرُ الْمُؤْمِنِينَ». </meta info=" الروم: ٤٧. [٢] </meta " type="ref" class="ref"> ويدلّ على ذلك من الروايات ما يلي:

أ. روى أبو سعيد الخدرى: قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من خرج من

[pagebreak](صفحة ١٤١)

ص: ١٤٢

بيته إلى الصلاه، وقال: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مِمَّشَى هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرَجْ أَشْراً وَلَا بطراً وَلَا رِيَاءً وَلَا - سمعه، وخرجت اتقاء سُدِّ خَطِّكَ وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذنى من النار، وأن تغفر لى ذنوبى أنه لا يغفر الذنوب إلّمأنت» أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك. </meta info=" سنن ابن ماجه: ١ / ٢٥٦ رقم ٧٧٨، باب المساجد؛ مسند أحمد: ٣ / ٢١. [١] </meta " type="ref" class="ref"> ب.

روى عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: ربّي أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي، فقال الله عزّ وجلّ:

يا آدم كيف عرفت محمّداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله، محمّد رسول الله، فعلمت أنّك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك، فقال الله عزّ وجلّ: صدقت يا آدم أنّه لأحبّ الخلق إليّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت ولولا محمّد ما خلقتك». <meta info=" دلائل النبوه ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي: ٥ / ٤٨٩، دار الكتب العلميّه. " type="ref"> [٢] </meta> ج. روى الطبراني بسنده عن أنس بن مالك أنّه لما ماتت فاطمه بنت أسد حفروا قبرها، فلمّا بلغوا اللحد حفر رسول الله بيده وأخرج ترابه بيده، فلمّا فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيى ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمه بنت أسد ولقننها حجتها، ووسّع عليها

! [pagebreak] (صفحة ١٤٢)

ص: ١٤٣

مدخلها بحقّ نبيّك والأنبياء الذين من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين. <meta info=" معجم الطبراني الأوسط: ٣٥٦؛ حليه الأولياء: ٣ / ١٢١؛ مستدرّك الحاكم: ٣ / ١٠٨. " type="ref" class="ref"> [١] </meta> إلى هنا تمّ البحث عن أقسام التوسّل الثلاثة وعرفت أنّ الجميع يدعمه الكتاب والسنة وتصور أنّ التوسّل بغيره سبحانه تأليه وعباده لغيره قد عرفت بطلانه وذلك لوجهين:

الوجه الأوّل: لو كان التوسّل بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذاته أو حقّه شركاً يلزم أن يكون كلّ توسّل كذلك حتى التوسّل بالغير في الأمور العاديّه مع أنّه باطل بالضرورة، لأنّ الجميع من قبيل التوسّل بالأسباب، عاديّه كانت

أو غير عاديته، طبيعياً كانت أو غير طبيعياً.

الوجه الثانى: قد عرفت فى تعريف العباده أنه الخضوع أمام الغير بما هو إله أو ربّ أو مفوض إليه أموره سبحانه، وليس واحد من هذه القيود متحققاً فى التوسّل بالأنبياء والصالحين والشهداء، بل يتوسّل بهم بما أنّهم عباد مكرمون يستجاب دعاؤهم عند الله سبحانه، أو أنّ لذواتهم وحقوقهم منزله عند الله، فالتوسّل بهم يثير بحار رحمته.

كيف يكون التوسّل بنبى التوحيد صلى الله عليه وآله وسلم شركاً مع أنه يتوسّل به بما أنه مكافح للشرك ومقوض لدعائمه؟

الثالث: التوسّل بدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم والصالحين بعد رحيلهم

من أقسام التوسّل الرائجه بين المسلمين هو التوسّل بدعاء

[pagebreak](صفحه ١٤٣)

ص: ١٤٤

النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو الصالحين بعد رحيلهم.

ولكنّ ثمه سؤالاً يطرح نفسه وهو:

إنّ التوسّل بدعاء الغير إنّما يصحّ إذا كان الغير حياً يسمع دعاءك ويستجيب لك ويدعو الله سبحانه لقضاء وطرك ونجاح سؤالك، أمّا إذا كان المستغاث ميتاً انتقل من هذه الدنيا فكيف يصحّ التوسّل بمن انتقل إلى رحمه الله وهو لا يسمع؟

والجواب: أنّ الموت - حسب ما يوحى إليه القرآن والسنة النبويه - ليس بمعنى فناء الإنسان وانعدامه، بل معناه الانتقال من دار إلى دار وبقاء الحياه بنحو آخر والذى يعبر عنه بالحياه البرزخيه. وقد دلّت الآيات الكريمه على أنّ الشهداء فى سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون <meta info="البقره: ١٥٤، آل عمران: ١٦٩-١٧١، يس: ٢٠-٢٩، إلى غير ذلك من الآيات والروايات الداله على الحياه البرزخيه للمؤمنين والكافرين. والتفصيل فى محلّه. </meta> [١] <ref="ref" class="ref">، فما ظنك بنبى الشهداء وأفضل الخليقه.

[pagebreak](صفحه ١٤٤)

ص: ١٤٥

٣٩٠. " ٢ <meta>[٢] type="ref" class="ref">. النقص والزيادة في الحركة والحرف مع حفظ القرآن وصيانتها، مثاله قراءة «يطهرن» حيث قُرئ بالتخفيف والتشديد؛ فلو صحَّ تواتر القراءات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ولن يصحَّ أبداً- وإنَّ النبي هو الذى قرأ القرآن بها، فيكون الجميع قرآناً بلا- تحريف، وإن قلنا: إنَّه نزل بروايه واحد، فهى القرآن وغيرها كلّها تحريف اخترعتها عقول القراء وزينوا قرآنهم بالحجج التى ذكروها بعد كلّ قراءة، وعلى هذا ينحصر القرآن بواحد منها وغيرها لا صلة لها بالقرآن، والدليل الواضح على أنّهما من اختراعات القراء،

[pagebreak](صفحة ١٤٩)

ص: ١٥٠

إقامتهم الحجّ على قراءتهم ولو كان الجميع من صميم القرآن لما احتاجوا إلى إقامة الحجّ، ويكفيهم ذكر سند القراءة إلى النبي.

ومع ذلك فالقرآن مصون عن هذا النوع من التحريف، لأنَّ القراء المتواتره، هى القراء المتداوله فى كلّ عصر، أعنى: قراءة عاصم بروايه حفص، القراءة الموصولة إلى على عليه السلام، وغيرها اجتهادات مبتدعه، لم يكن منها أثر فى عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، و لذلك صارت متروكه لا وجود لها إلّا فى بطون كتب القراءات، وأحياناً فى ألسن بعض القراء، لغايه إظهار التبخر فيها. روى الكليني عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنَّ القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجىء من قبل الرواه». <meta info=" الكافى: ٢ / ٦٣٠، الحديث ١٢. <meta>[١] type="ref" class="ref"> ولذلك لا نجيز القراءه غير المعروفه منها فى الصلاه.

٣. تبديل كلمه مكان كلمه مرادفه، كوضع «اسرعوا» مكان «امضوا» فى قوله سبحانه: «وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ». <meta info=" الحجر: ٦٥. <meta>[٢] type="ref" class="ref"> وقد نسب ذلك إلى عبد الله بن مسعود وكان يقول: ليس

الخطأ أن يقرأ مكان «العليم»، «الحكيم».

لكن أجل ذلك الصحابي الجليل عن هذه التهمة، وأى غايه عقلانيه يترتب على ذاك التبديل!؟

[pagebreak](صفحة ١٥٠)

ص: ١٥١

٤. التحريف في لهجه التعبير، أنّ لهجات القبائل كانت تختلف عند النطق بالحرف أو الكلمه من حيث الحركات والأداء، كما هو كذلك في سائر اللغات، فإنّ «قاف» العربية، يتلفظ بها في إيران الإسلاميه العزيزه على أربعة أوجه، فكيف المفردات من حيث الحركات والحروف؟! قال سبحانه: «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا». <meta type="ref" class="ref">[١]</meta " =info الإسرائ: ١٩.

فكان بعض القراء تبعاً لبعض اللهجات يقرأ «وسعى» بالياء مكان الألف.

وهذا النوع من التحريف لم يتطرق إلى القرآن، لأنّ المسلمين في عهد الخليفه الثالث لمّا رأوا اختلاف المسلمين في التلفظ ببعض الكلمات، مثل ما ذكرناه (أو تغيير بعضه ببعض مع عدم التغيير في المعنى، مثل: امض، عجل، اسرع على فرض الصحه) قاموا بتوحيد المصاحف وغسل غير ما جمعه، فارتفع بذلك التحريف بالمعنى المذكور فاتفقوا على لهجه قريش.

٥. التحريف بالزياده لكنّه مجمع على خلافه، نعم نسب إلى ابن مسعود أنّه قال: إنّ المعوذتين ليستا من القرآن، إنّهما تعويذان، و إنّهما ليستا من القرآن. <meta info="فتح الباري بشرح البخارى: ٥٧١ / ٨. "[٢]> type="ref" class="ref"> <</meta كما نسب إلى العجارد من الخوارج أنّهم أنكروا أن تكون

[pagebreak](صفحة ١٥١)

ص: ١٥٢

سوره يوسف من القرآن، وكانوا يرون أنّها قصه عشق لا- يجوز أن يكون من الوحى. <meta info="الملل والنحل للشهرستاني: ١٢٨ / ١. "[١]> type="ref" class="ref"> ولكن النسبتين غير ثابتتين، ولو صحّ ما ذكره ابن مسعود لبطل تحدّى القرآن بالسوره، حيث أتى الإنسان غير الموحى إليه بسورتين مثل سور القرآن القصار.

٦. التحريف بالنقص والإسقاط عن عمد أو نسيان، سواء كان

الساقط حرفاً، أو كلمه، أو جملة، أو آيه، أو سوره، وهذا هو الذى دعانا إلى استعراض ذلك البحث، فنقول:

إنّ ادّعاء النقص فى القرآن الكريم بالوجه التى مرّ ذكرها أمر يكذبه العقل والنقل، وإليك البيان:

٤. امتناع تطرّق التحريف إلى القرآن

إنّ القرآن الكريم كان موضع عناية المسلمين من أوّل يوم آمنوا به، فقد كان المرجع الأوّل لهم، فكانوا يهتمون به قراءه وحفظاً، كتابه وضبطاً، فتطرّق التحريف إلى مثل هذا الكتاب لا يمكن إلّا بقدره قاهره حتى تتلاعب بالقرآن بالنقص، ولم يكن للأُمويّين ولا للعباسيين تلك القدره القاهره، لأنّ انتشار القرآن بين القرّاء والحفّاظ، وانتشار نسخه على صعيد هائل قد جعل هذه الأُمنيه الخبيثه فى عداد المحال.

[pagebreak](صفحه ١٥٢)

ص: ١٥٣

إنّ للسيد الشريف المرتضى بياناً فى المقام نأتى بنصّه، يقول: إنّ العلم بصحّه نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهوره، وأشعار العرب المسطوره، فإنّ العنايه اشتدت والدواعى توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حدّ لم يبلغه (غيره) فيما ذكرناه، لأنّ القرآن معجزه النبوه، ومأخذ العلوم الشرعيه، والأحكام الدينيه، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغايه، حتى عرفوا كلّ شىء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً مع العنايه الصادقه والضبط الشديد؟!

قال: والعلم بتفسير القرآن وأبعاضه فى صحّه نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضروره من الكتب المصنّفه ككتاب سيبويه والمُزنى، فإنّ أهل العنايه بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، ومعلوم أنّ العنايه بنقل القرآن وضبطه أصدق من العنايه بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء. <meta info=" مجمع البيان: ١٥ / ١، قسم الفن الخامس، طبعه صيدا. " [١]></meta> <type="ref" class="ref"> وهناك نكته أخرى جديره بالإشاره، وهى إنّ تطرّق التحريف إلى المصحف الشريف يعدُّ

من أفضح الجرائم التي لا يصحّ السكوت عنها، فكيف سكت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وخاصيته نظير سلمان و المقداد وأبي ذر وغيرهم، مع أنّا نرى أنّ الإمام وريحانه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد اعترضوا على غضب فدك مع أنّه لا يبلغ عشر ما للقرآن من العظمه والأهميه؟!

ويرشدك إلى صدق المقال أنّه قد اختلف أبي بن كعب والخليفه

[pagebreak](صفحه ١٥٣)

ص: ١٥٤

الثالث في قراءه قوله سبحانه: «وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ» <meta info=" التوبه: ٣٤. " type="ref" > [١] </meta >، فأصرّ أبي أنّه سمع عن النبي (بالواو) وكان نظر الخليفه إلى أنّه خال منها، فتشاجرا عند كتابه المصحف الواحد وإرساله إلى العواصم، فهدّده أبي وقال: لابد وأن تكتب الآيه بالواو وإلّا لأضع سيفى على عاتقى فألحقوها. <meta info=" الدر المثور: ١٧٩ / ٤. " type="ref" class="ref" > [٢] </meta " > كما نجد أنّ الإمام عليه السلام أمر بردّ قطائع عثمان إلى بيت المال، وقال:

«والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، ومُلك به الإمام، لرددته، فإنّ في العدل سعه، و من ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيّق». <meta info=" نهج البلاغه: الخطبه ١٥، تحقيق صبحى الصالح. " type="ref" class="ref" > [٣] </meta " > كان هناك تحريف كان ردّ الآيات المزعوم حذفها من القرآن إلى محالّها أوجب وألزم.

نرى أنّ علياً عليه السلام بعدما تقلّد الخلافه الظاهريه اعترض على إقامه صلاه التراويح جماعه، كما اعترض على قراءه البسمله سرّاً في الصلوات الجهرية، إلى غير ذلك من البدع المحدثه، فعارضها الإمام وشدّد النكير عليها بحماس، فلو صدر أيّام الخلفاء شىء من هذا القبيل حول القرآن لقام الإمام بمواجهته، وردّ ما حذف بلا واهمه. والحاصل: من قرأ سيره المسلمين في الصدر الأوّل يقف على أنّ نظريه التحريف بصوره النقص

كان أمراً ممتنعاً عادة.

[pagebreak](صفحة ١٥٤)

ص: ١٥٥

٥. شهاده القرآن على عدم التحريف:

آيه الحفظ

إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الْكِتَابُ النَّازِلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ تَكْفُلُ صِيَانَهُ الْقُرْآنَ وَحَفْظَهُ عَنْ أَيْ تَلَاعِبٍ، قَالَ سُبْحَانَهُ: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ* لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ* مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ* إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ». <meta info=" الحجر: ٦- ٩. "[١]" type="ref" class="ref">

إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الذِّكْرِ فِي كَلَامِ الْمُرْسَلِينَ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِقَرِينِهِ «نُزِّلَ» وَ «نَزَّلْنَا» وَالضَّمِيرُ فِي «لَهُ» يَرْجِعُ إِلَى الْقُرْآنِ، وَقَدْ أُورِدَ الْمَشْرُوكُونَ اعْتِرَاضَاتٍ ثَلَاثَةً عَلَى النَّبِيِّ، أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ مَعَ نَقْدِهَا، وَهِيَ:

١. أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ شَخْصٍ مَجْهُولٍ، وَيَشِيرُ إِلَى هَذَا الْاِعْتِرَاضِ قَوْلُهُمْ: «يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ» بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ.

٢. أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَخْتَلِ الْحَوَاسِ لَا- اِعْتِبَارَ بِمَا يَتَلَقَّاهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَيَنْقُلُهُ، فَلَا تُؤْمِنُ مِنْ تَصَرُّفِ مَخِيلَتِهِ وَعَقْلِيَّتِهِ فِي الْقُرْآنِ.

٣. لَوْ صَحَّ قَوْلُهُ: بِأَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْمَلَكُ وَيَأْتِي بِالْوَحْيِ ف: «لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ».

[pagebreak](صفحة ١٥٥)

ص: ١٥٦

فَقَدْ أَجَابَ الْوَحْيَ عَنِ الْاِعْتِرَاضَاتِ الثَّلَاثَةِ، وَنَقَدَّمَ الْجَوَابَ عَنِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ بِوَجْهِ مُوجِزٍ، ثُمَّ نَعَطَفَ النَّظَرَ إِلَى الْاِعْتِرَاضِ الْأَوَّلِ لِأَهْمِيَّتِهِ.

أَمَّا الثَّانِي، فَقَدْ رَدَّهُ بِالتَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنَزَّلُ دُونَ غَيْرِهِ وَقَالَ:

«إِنَّا نَحْنُ».

كَمَا رَدَّ الثَّلَاثَ بِأَنَّ نَزُولَ الْمَلَائِكَةِ مُوجِبٌ لِهَلَاكِهِمْ وَإِبَادَتِهِمْ، وَهُوَ يَخَالِفُ هَدْفَ الْبَعْثَةِ، حَيْثُ قَالَ: «وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ».

وأما الأول، فقد صرّح سبحانه بأنه الحافظ لذكره عن تطرق أى خلل وتحريف فيه، وهو لا تُغلب إرادته.

وبذلك ظهر عدم تماميه بعض الاحتمالات فى تفسير الحفظ حيث قالوا المراد:

١. حفظه من قدح القادحين.

٢. حفظه فى اللوح المحفوظ.

٣. حفظه فى

صدر النبي والإمام بعده.

فإن قده القادحين ليس مطروحاً في الآيه حتى تجيب عنه الآيه، كما أنّ حفظه في اللوح المحفوظ أو في صدر النبي صلى الله عليه وآله لا يرتبط باعتراض المشركين، فإنّ اعتراضهم كان مبيّناً على اتّهام النبي بالجنون الذي لا ينفك عن الخلط في إبلاغ الوحي، فالإجابة بأنّه محفوظ في اللوح المحفوظ أو ما أشبهه لا يكون قالماً للإشكال، فالحقّ الذي لا ريب فيه أنّه سبحانه يخبر

[pagebreak](صفحة ١٥٦)

ص: ١٥٧

عن تعهده بحفظ القرآن وصيانتها في عامّة المراحل، فالقول بالنقصان يتضاد مع تعهده سبحانه.

فإن قلت: إنّ مدعى التحريف يدعى التحريف في نفس هذه الآيه، لأنّها بعض القرآن، فلا يكون الاستدلال بها صحيحاً، لاستلزامه الدور الواضح.

قلت: إنّ مصبّ التحريف - على فرض طروئه - عبارته عن الآيات الراجعة إلى الخلافه والزعامه لأنّهم أهل البيت، أو ما يرجع إلى آيات الأحكام، كآيه الرجم، وآيه الرضعات، وأمثالهما؛ وأمّا هذه الآيه ونحوها فلم يتطرق التحريف إليها باتّفاق المسلمين.

آيه نفى الباطل

يصف سبحانه كتابه بأنّه المقترن الذي لا يُعْلَب ولا يأتيه الباطل من أي جانب، قال: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ». <meta info=" فصلت: ٤١ - ٤٢ . ٢ . الحجر: ٦. " [١]></meta> <type="ref" class="ref"> ودلاله الآيه رهن بيان أمور:

الأول: المراد من الذكر هو القرآن، ويشهد عليه قوله: «وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ» مضافاً إلى إطلاقه على القرآن في غير واحد من الآيات، قال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ». (٢) وقال

[pagebreak](صفحة ١٥٧)

ص: ١٥٨

سبحانه: «وَإِنَّهُ لَعَزِيزٌ لِمَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ». <meta info=" الزخرف: ٤٤ . ٢ . الرعد: ١٧. " type="ref" class="ref"> الثاني: أنّ خبر «انّ» محذوف مقدر وهو:

سوف نجزيهم وما شابهم.

الثالث: الباطل يقابل الحق، فالحق ثابت لا يُغلب؛ والباطل له جوله، لكنّه سوف يُغلب، مثلهما كمثل الماء والزبد، فالماء يمكث في الأرض والزبد يذهب جفاء، قال سبحانه: «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ». (٢)

فالقرآن حقّ في مداليله ومفاهيمه، وأحكامه خالده، ومعارفه وأصوله مطابقيه للفطره، وأخباره الغيبية حق لا زيغ فيه، كما أنّه نزيه عن التناقض بين دساتيره وأخباره «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا». <meta info="النساء: ٨٢." </meta> [٢]</ref">

فكما أنّه حقّ من حيث الماده والمعنى، فهو حقّ من حيث الصورة واللفظ أيضاً، فلا يتطرق إليه التحريف، ونعم ما قاله الطبرسي: لا- تناقض في ألفاظه، ولا- كذب في أخباره، ولا يعارض، ولا يزداد، ولا ينقص. <meta info="مجمع البيان: ١٥/٩، ط صيدا. " </meta> [٣]</ref"> ويؤيّد قوله قبل هذه الآيات: «وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ». <meta info="فصلت: ٣٦." </meta> [٤]</ref"> ولعلّه إشاره إلى ما كان يدخله في

[pagebreak](صفحة ١٥٨)

ص: ١٥٩

نفسه من إمكان إبطال شريعته بعد مماته، فأمره بالاستعاذه باللّهِ السميع العليم.

والحاصل أنّ تخصيص مفاد الآيه (نفي الباطل) بطروء التناقض في أحكامه وتكاذب أخباره لا وجه له، فالقرآن مصون عن أيّ باطل يبطله، أو فاسد يفسده، بل هو غضّ طرّي لا يُبلى ولا يُفنى.

آيه جمع القرآن الكريم وقراءته

رُوى أنّه إذا نزل القرآن، عجل النبي بقراءته، حرصاً منه على ضبطه، فوفاه الوحي ونهاه عنه، وقال: «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ» * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ». <meta info="القيامة: ١٦- ١٩." </meta> "type="ref "

<class="ref">[١]</meta
و آله و سلم القرآن وقال: «سَيُنْفِرُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى». <meta info=" الأعلى: ٦-٧. </meta
<type="ref" class="ref">[٢]</meta

هذا بعض ما يمكن أن يستدل به، على صيانته القرآن من التحريف بالقرآن، والاستثناء في الآية الأخيره نظير الاستثناء في قوله:
«وَأَمَّا الَّذِينَ سُبِعُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ». <meta info=" هود: ١٠٨. </meta " <type="ref" class="ref">[٣]</meta و من المعلوم أنّ أهل السعاده محكومون

[pagebreak](صفحه ١٥٩)

ص: ١٦٠

بالخلود في الجنة ويشهد له ذيل الآية، أعنى: قوله: «عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ» أى غير مقطوع، ومع ذلك فليس التقدير على وجه يخرج الأمر من يده سبحانه، فهو فى كلّ حين قادر على نقض الخلود.

٦. شهاده الروايات على مصونه القرآن الكريم من التحريف

اشاره

وأما الروايات الدالّه على كونه مصوناً منه، فنقتصر منها بما يلي:

١. أخبار عرض الأحاديث على القرآن الكريم

قد تضافرت الروايات عن الأئمة عليهم السلام بعرض الروايات على القرآن والأخذ بموافقه وردّ مخالفه، وقد جمعها الشيخ الحر العاملى فى الباب التاسع من أبواب صفات القاضى.

روى الكلينى عن السكونى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ على كلّ حقّ حقيقه، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه». <meta info=" الوسائل: ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضى، الحديث ١٠. </meta " <type="ref" class="ref">[١]</meta وروى أيوب بن راشد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: «ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف». <meta info=" الوسائل: ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضى، ح ١٢. </meta " <type="ref" class="ref">[٢]</meta وفى روايه أيوب بن الحر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كلّ

[pagebreak](صفحه ١٦٠)

ص: ١٦١

شىء مردود إلى الكتاب والسنة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف». <meta info="=meta info"> الوسائل: ١٨، الباب ٩ من أبواب صفات القاضي، ح ١٥ وغيرها. </meta " [١] <type="ref" class="ref"> وجه الدلالة من وجهين:

ألف. أنّ المتبادر من أخبار العرض أنّ القرآن مقياس سالم لم تنله يد التبديل و التحريف والتصرف، والقول بالتحريف لا يلائم القول بسلامه المقيس عليه.

ب. أنّ الإمعان في مجموع روايات العرض يثبت أنّ الشرط اللازم هو عدم المخالفه، لا وجود الموافقه، وإلّا لزم ردّ أخبار كثيره لعدم تعرض القرآن إليها بالإثبات والنفي، ولا تعلم المخالفه وعدمها إلّا إذا كان المقيس (القرآن) بعامة سوره وأجزائه موجوداً عندنا، وإلّا فيمكن أن يكون الخبر مخالفاً لما سقط وحرّف.

٢. حديث الثقلين

إنّ حديث الثقلين يأمر بالتمسك بالقرآن، مثل التمسك بأقوال العتره، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا» ويستفاد منه عدم التحريف، وذلك:

ألف. أنّ الأمر بالتمسك بالقرآن، فرع وجود القرآن بين المتمسكين.

ب. أنّ القول بسقوط قسم من آياته وسوره، يوجب عدم الاطمئنان

[pagebreak](صفحة ١٦١)

ص: ١٦٢

فيما يستفاد من القرآن الموجود، إذ من المحتمل أن يكون المحذوف قرينه على المراد من الموجود.

٧. أئمة أهل البيت وصيانته القرآن من التحريف

إنّ الإمعان في خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات أوصيائه المعصومين عليهم السلام يعرب عن اعتبارهم القرآن الموجود بين ظهراني المسلمين، هو كتاب الله المنزل على رسوله بلا- زياده ولا- نقيصه، ويعرف ذلك من تصريحاتهم تاره، وإشاراتهم أخرى، ونذكر شيئاً قليلاً من ذلك:

١. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنزل عليكم الكتاب تبياناً لكلّ شيء، وعمّر فيكم نبيه أزماناً، حتى أكمل له ولكم - فيما أنزل من كتابه - دينه الذي رضى لنفسه». `<meta info="نهج البلاغه: الخطبه ٨٦">[١]` `</meta>` والخطبه صريحه في إكمال الدين تحت ظل كتابه، فكيف يكون الدين كاملاً ومصدره محزفاً غير كامل؟! ويوضح ذلك أنّ الإمام يحثّ على التمسك بالدين الكامل بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهو فرع كمال مصدره وسنده.

٢. وقال عليه السلام: «وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا- يعيا لسانه، وبيت لا- تهدم أركانه، وعز لا- تهزم أعوانه». `<meta info="نهج البلاغه: الخطبه ١٣٣">[٢]` `</meta>`

[pagebreak](صفحة ١٦٢)

ص: ١٦٣

٣. وقال عليه السلام: «كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب إمامهم». `<meta info="نهج البلاغه: الخطبه: ١٤٧">[٣]` `</meta>` وفي رساله الإمام الجواد عليه السلام إلى سعد الخير `<meta info="نهج البلاغه: الخطبه: ١٤٧">[٣]` `</meta>` هو من أولاد عمر بن عبدالعزيز، وقد بكى عند أبي جعفر الجواد لاعتقاده أنه من الشجره الملعونه في القرآن،

فقال الامام (ع) له: « لست منهم و أنت منا، أما سمعت قوله تعالى»: فمن تبعني فهو مني (لا حظ قاموس الرجال: ٣٥ / ٥) و منه يعلم وجه تسميته بالخير. ^[٢] «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده». ^[٣] الكافي: ٥٣ / ٨ ح ١٦. ^[٤] «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ». ^[٥] النساء: ١١. وقال سبحانه: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ». ^[٦] النمل: ١٦. وقال سبحانه عن لسان زكريا: «فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنِّي آلٌ يَغْتُوبُ». ^[٦] مريم: ٥ - ٦. ^[٦]

ولعلّ فيما ذكرنا كفايه، فلنستعرض كلمات علمائنا.

[pagebreak](صفحة ١٦٣)

ص: ١٦٤

٨. علماء الشيعة وصيانته القرآن من التحريف

إنّ التتبع في كلمات علمائنا الكبار الذين كانوا هم القدوة والأسوة في جميع الأجيال، يعرب عن أنّهم كانوا يتبرّأون من القول بالتحريف، وينسبون فكره التحريف إلى روايات الآحاد، ولا- يمكننا نقل كلمات علمائنا عبر القرون، بل نشير إلى كلمات بعضهم:

١. قال الشيخ الأجل الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري (المتوفى ٢٦٠ هـ) - في ضمن نقده مذهب أهل السنّة-: إنّ عمر بن الخطاب قال:

إنّي أخاف أن يقال زاد عمر في القرآن، ثبتت هذه الآية، فإنّا كنّا نقرؤها على عهد رسول الله: الشيخ والشيخه إذا زنيا فارجموهما ألّبتة بما قضيا من الشهوة نكالاً من الله والله عزيز حكيم. ^[٦] الإيضاح: ٢١٧. روى البخاري آيه الرجم في صحيحه: ٢٠٨ / ٨، باب رجم الجبلي. ^[٦]

<class="ref">[١]</meta
لاشتراكهما في ذلك القول.

٢. قال أبو جعفر الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ): اعتقادنا أنه كلام الله ووحيه تنزيلاً، وقوله في كتابه: «إنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» وأنه القصص الحق، وأنه لحق فصل، وما هو بالهزل، وإن الله تبارك و تعالي مُحَدِّثه ومنزله ورِيَّه وحافظه والمتكلم به. <meta info=" اعتقادات الصدوق: ٩٣. " type="ref" ">[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ١٦٤)

ص: ١٦٥

٣. قال الشيخ المفيد (المتوفى ٤١٣ هـ): وقد قال جماعه من أهل الإمامه أنه لم ينقص من كلمه ولا من آيه ولا من سورته، ولكن حذف ما كان مثبتاً في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من تأويل وتفسير معانيه على حقيقته تنزيلاً، وذلك كان ثابتاً منزلاً، وإن لم يكن من جملة كلام الله الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً، وعندى أنّ هذا القول أشبه بالحق من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على حقيقته دون التأويل وإليه أميل. <meta info=" أوائل المقالات: ٥٣-٥٤. ٢. مجموعه الرسائل للمفيد: ٣٦٦. " type="ref" class="ref">[١]</meta " وقال أيضاً في أجوبه «المسائل السرويه» في جواب من احتج على التحريف بالروايات الوارده حيث ورد فيها «كنتم خير أئمة أخرجت للناس» مكان «أمه»، وورد كذلك: «جعلناكم أئمة وسطاً» مكان «أمه» وورد: «يسألونك الأنفال» مكان «يسألونك عن الأنفال»، فأجاب: أنّ الأخبار التي جاءت بذلك أخبار آحاد لا يقطع على الله تعالى بصحتها، فلذلك وقفنا فيها، ولم نعدل عمّا في المصحف الظاهر. (٢)

٤. قال الشريف المرتضى (المتوفى ٤٣٦ هـ): مضافاً إلى من نقلنا عنه في الدليل الأول، أنّ جماعه من

الصحابه، مثل عبد الله بن مسعود و أبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدّه ختمات، وكلّ ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنّه كان مجموعاً مرتباً غير مستور ولا ميثوث. <meta info="مجمع البيان: ١٠ / ١، نقلًا عن جواب المسائل الطرابلسيه للسيد المرتضى. ">[٢]</meta>

[pagebreak](صفحه ١٦٥)

ص: ١٦٦

٥. قال الشيخ الطوسي (المتوفى ٤٦٠ هـ): أمّا الكلام في زياده القرآن ونقصانه فمما لا يليق به أيضاً، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى رحمه الله، وهو الظاهر في الروايات، ثم وصف الروايات المخالفه بالآحاد. <meta info="التيان: ٣ / ١. " type="ref" class="ref">[١]</meta> ٦. قال أبو علي الطبرسي (المتوفى ٥٤٨ هـ) الكلام في زياده القرآن ونقصانه؛ أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانها، وأمّا النقصان منه فقد روى جماعه من أصحابنا وقوم من حشويه العامه أنّ في القرآن تغييراً أو نقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه. <meta info="مجمع البيان: ١٠ / ١. " type="ref" class="ref">[٢]</meta> ٧. قال السيد علي بن طاووس الحلّي (المتوفى ٦٦٤ هـ): إنّ رأى الإماميه هو عدم التحريف. <meta info="سعد السعود: ١٤٤. " type="ref" class="ref">[٣]</meta> ٨. قال العلامة الحلّي (المتوفى ٧٢٦ هـ) في جواب السيد الجليل المهنا: الحق أنّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم، وأنّه لم يزد ولم يُنقص، ونعوذ باللّٰه من أن يعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب تطرّق الشكّ إلى معجزه الرسول المنقوله بالتواتر. <meta info="أجوبه المسائل المهنايه: ١٢١. " type="ref" class="ref">[٤]</meta>

[pagebreak](صفحه ١٦٦)

ص: ١٦٧

٩. قال المحقّق الأردبيلي (المتوفى ٩٩٣ هـ) في مسأله لزوم تحصيل العلم: بأنّ ما يقرأه هو القرآن، فينبغي تحصيله من التواتر

الموجب للعلم، وعدم جواز الاكتفاء بالسماع حتى من عدل واحد- إلى أن قال: - ولما ثبت تواتره فهو مأمون من الاختلال... مع أنه مضبوط في الكتب حتى أنه معدود حرفاً حرفاً، وحركة حركة، وكذا طريق الكتابه وغيرها ممّا يفيد الظن الغالب بل العلم بعدم الزيادة على ذلك والنقص. <meta info="=meta info"> مجمع الفائده والبرهان: ٢/ ٢١٨، في محل النقاط كلمه « لفسقه» فتأمل. " ١٠ </meta> [١] <ref" class="ref" type="ref">. وقال القاضي السيد نور الله التستري (المتوفى ١٠٢٩ هـ): ما نسب إلى الشيعة الإماميه من وقوع التحريف في القرآن ليس ممّا يقول به جمهور الإماميه، إنّما قال به شذمه قليله منهم لا اعتداد لهم فيما بينهم. <meta info="=meta info"> آلاء الرحمن؛ ١/ ٢٥. </meta> [٢] <ref" class="ref" type="ref"> ولو استقصينا كلمات علمائنا في هذا المجال لطال بنا الموقف. إلى هنا ظهر الحقّ بأجلى مظاهره فلم يبق إلّا دراسته بعض الشبهات ودحضها.

والعجب أنّ أهل السنّه يتّهمون الشيعة بالقول بالتحريف ويشنون الغاره عليهم، وهم يروون أحاديثه في أصحّ صحاحهم ومسانيدهم.

والحقّ أنّ أكابر الفريقين بريئون عن هذه الوصمه، غير أنّ لفيماً من حشويه أهل السنّه، وأخباريه الشيعة يدعون التحريف وهم يستندون إلى روايات لا قيمه لها في سوق الاعتبار. ولنذكر ما رواه أهل السنّه في كتبهم.

[pagebreak](صفحه ١٦٧)

ص: ١٦٨

٩. آيات غير مكتوبه ادّعت أنّها من القرآن الكريم

إشاره

يرى عمر بن الخطاب أنّ آيات أربع سقطت من القرآن وهي: آيه الرجم، وآيه الفراش، وآيه الرغبه، وآيه الجهاد، والعجب أنّ الصحاح والمسانيد احتفلت بنقلها، مع أنّ نصوصها تشهد على أنّها ليست من القرآن وإن كانت مضامينها مطابقه للشريعه، وإليك الآيات الأربع المزعومه:

١. آيه الرجم

خطب عمر عند منصرفه من الحج وقال: إِيَّاكُمْ أَنْ تَهْلِكُوا عَنْ آيَةِ الرَّجْمِ يَقُولُ قَائِلٌ لَا نَجِدُ حَدِيثَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَدْ رَجِمَ رَسُولُ اللَّهِ وَرَجَمْنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا- أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: زَادَ عُمَرُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى لَكِتَابَتِهَا: «الشيخ والشيخه إذا زنيا فارجموهما ألبته» فإنّا قد قرأناها. <meta info="=meta info"> البخارى: الصحيح: ٨/ ٢٠٨ - ٢١١. </meta> [١] <ref" class="ref" type="ref"> ولفظها ينادى بأنّها ليست من القرآن، والمضمون غير خال من الإشكال، لأنّ الموضوع للرجم هو المحصن والمحصنه، سواء كانا شابين أو شيخين أو مختلفين.

٢. آيه الفراش

قال عمر بن الخطاب مخاطباً لأبيّ بن كعب: أو ليس كُنَّا نقرأ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فيما فقدنا من كتاب الله؛ فقال أباّ:

بلى. <meta info=" الدر المنشور: ١ / ١٠٦. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " واللفظ

[pagebreak](صفحة ١٦٨)

ص: ١٦٩

مع فصاحته أيضاً يأبى أن يكون من القرآن، لكن الخليفة زعم أنّ العبارة من القرآن.

٣. آية الرغبه

روى البخارى أنّ عمر قال: «إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آباءكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آباءكم أو أن كفرا بكم أن ترغبوا عن آباءكم». <meta info=" البخارى: الصحيح: ٨ / ٢٠٨ - ٢١١؛ مسلم: الصحيح: ٤ / ١٦٧ و ج ٥ / ١١٦. <type="ref" class="ref">[١]</meta "

٤. آية الجهاد

روى السيوطى أنّ عمر قال لابن عوف: ألم تجد فيما أنزل علينا: وإن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة؟ قال: أسقطت فيما أسقط من القرآن. <meta info=" الدر المنشور: ١ / ١٠٦. <type="ref" class="ref">[٢]</meta "

٥. آية الرضعات

روى مالك - فى الموطأ - عن عائشه قالت: فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن ب «خمس معلومات» فتوفى رسول الله وهنّ فيما يقرأ من القرآن. <meta info=" تنوير الحوالك: ٢ / ١١٨، آخر كتاب الرضاع. <type="ref" class="ref">[٣]</meta <class="ref">[٣]</meta إن آيتها نظير آيات الخليفة تأبى أن تكون من صميم القرآن، ولو كان لكتب فى المصاحف، ولا وجه لإسقاطها.

[pagebreak](صفحة ١٦٩)

ص: ١٧٠

١٠. شبهتان حول التحريف

الشبهه الأولى: وجود مصحف لعلى عليه السلام

روى ابن النديم (المتوفى ٣٨٥ هـ) فى «فهرسته» عن على عليه السلام أنه رأى من الناس طيره عند وفاه النبى، فأقسم أن لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس فى بيته ثلاثه أيام حتى جمع القرآن. <meta info=" فهرست ابن النديم، نقله الزنجانى فى تاريخ القرآن: ٧٦. <type="ref" class="ref">[١]</meta " روى اليعقوبى (المتوفى ٢٩٠ هـ) فى «تاريخه»: روى بعضهم أنّ على بن أبى طالب عليه السلام كان جمعه - القرآن - لما قبض رسول الله، وأتى وحمله على جمل،

فقال: هذا القرآن جمعته، وكان قد جزّاه سبعة أجزاء، ثم ذكر كلّ جزء، والسور الواردة فيه.

يلاحظ عليه: أنّ الإمامان فيما ذكره اليعقوبي أنّ مصحف على لا يخالف المصحف الموجود في سورة وآياته، وإنّما يختلف في ترتيب السور، وهذا يثبت أنّ ترتيب السور كان باجتهاد الصحابه والجامعين، بخلاف وضع الآيات وترتيبها، فإنّه كان بإشاره النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما ذكره ابن النديم يثبت أنّ القرآن كان مكتوباً في عصر النبي كلّ سورة على حده، وكان فاقداً للترتيب الذي رتبّه الإمام على سبعة أجزاء، وكلّ جزء يشتمل على سور، وقد نقل المحقّق الزنجاني ترتيب سور مصحف الإمام في ضمن جداول تعرب عن أنّ مصحف على عليه السلام كان في سبعة أجزاء، وكلّ جزء

[pagebreak](صفحه ١٧٠)

ص: ١٧١

يحتوى

على سور، فالجزء الأوّل يسمّى بالبقره وفيه سور، والجزء الثاني يسمّى جزء آل عمران وفيه سور، والثالث جزء النساء وفيه سور، والرابع جزء المائده وفيه سور، والخامس جزء الأنعام وفيه سور، والسادس جزء الأعراف وفيه سور، والسابع جزء الأنفال وفيه سور، والظاهر منه أنّ التنظيم لم يكن على نسق تقديم الطوال على القصار ولا على حسب النزول.

الشبهه الثانيه: مصحف فاطمه

لا شكّ أنّه كان عند فاطمه مصحف، حسبما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى بقرآن خاصّ، وإنّما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار.

والمصحف لغه: من أصحف، بمعنى ما جعل فيه الصحف، وإنّما سمي المصحف مصحفاً؛ لأنّه جعل جامعاً للمصحف المكتوبه بين الدفتين.

ولم يكن ذلك اللفظ علماً للقرآن في عصر نزوله، وإنّما صار علماً له بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله قال السيوطي: روى ابن أخته في كتاب المصاحف أنّه لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: السّفْر، وقال بعضهم: المصحف؛ فإنّ الحبشه يسمّونه المصحف، قال: وكان أبو بكر أوّل من جمع كتاب الله وسمّاه المصحف <meta info="الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٨٥. [1]> .

[pagebreak](صفحه ١٧١)

ص: ١٧٢

وأما ما هو واقع هذا الكتاب؟ فقد كشفت عنه الروايات المتضافره عن أئمه أهل البيت، وقد جمع قسماً كبيراً منها العلامة الشيخ مصطفى قصير العاملي في دراسته: كتاب عليّ ومصحف فاطمه.

وإليك بعضها:

١- روى أبو عبيده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... إنّ فاطمه مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمساً وسبعين يوماً، و كان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها،

ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمه»
<meta info="الكافي: ١ / ٢٤١." type="ref" class="ref">[١]</meta .

٢- روى أبو حمزه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مصحف فاطمه مافيه شىء من كتاب الله، وإنما هو شىء ألقى إليها بعد موت أبيها صلوات الله عليهما» <meta info="بصائر الدرجات: ١٩٥، ط مكتبة المرعشى." type="ref" class="ref">[٢]</meta . والعجب أن الدس الإعلامي قد اتخذ لفظ «مصحف فاطمه» ذريعه لآتهام الشيعة بأنّ عندهم قرآناً يسمى «مصحف فاطمه»، وقد سعى غير واحد من دعاة التفرقة إلى نشر تلك الفكرة الخاطئة بين المسلمين، ولكن خاب سعيهم؛ فإنّ للحقّ دونه، وللباطل جوله.

ولعلّ القارئ يسأل نفسه عن كون فاطمه محدّثه تحدّثها الملائكة،

! [pagebreak](صفحة ١٧٢)

ص: ١٧٣

كما ورد في الروايه السابقه، غير أنّ فاطمه عليها السلام لا- تقلّ شأنًا عن مريم البتول، ولا عن امرأه الخليل، قال سبحانه: «وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين» <meta info="آل عمران: ٤٢." type="ref" class="ref">[١]</meta إلى غير ذلك من الآيات الواردة في سورتى آل عمران، ومريم.

وهذه امرأه إبراهيم تسمع كلام الملك، يقول سبحانه: «ولقد جاءت رُسُلنا إبراهيم بالبريىء.. وامرأته قائمه فضحك فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب» قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخاً إنّ هذا لشيء عجب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أم أهل البيت إنّهم حميدٌ مجيدٌ» <meta info="هود: ٦٩ - ٧٣." type="ref" class="ref">[٢]</meta .

فإذا كانت مريم وامرأه الخليل محدّثتين، ففاطمه سيده نساء العالمين أولى بأن تكون محدّثه.

١١. تاريخ جمع القرآن الكريم

اشاره

البحث عن تاريخ القرآن الكريم وكيفيه جمعه والوقت الذي جمع فيه

طويل الذيل، قد ألف حوله كتب ورسائل ونحن نأتى فى المقام بملخص الكلام فيه.

[pagebreak](صفحة ١٧٣)

ص: ١٧٤

القرآن قد جمع فى عصر النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

قد جُمع القرآن فى حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد رتبت السور والآيات بأمر منه صلى الله عليه وآله وسلم.

إنّ الدليل على جمع القرآن الكريم فى حياته صلى الله عليه وآله وسلم، إضافةً إلى شواهد تاريخيه كثيره- سنعرضها على القراء الأجزاء- هو حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه حيث سُمى سورة الحمد باسم (فاتحه الكتاب) وقال:

«لا- صلاه إلابفاته الكتاب» <meta info="مسند أحمد: ٢/ ٤٢٨. [١]> [1] ومن هنا يتضح أنّ القرآن جُمع فى زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّ سورة الحمد كانت فى المقدمه، ولو كان القرآن مجموعه سور وآيات متفرقه، لما كان هناك من معنى لاسم (فاتحه الكتاب).

الشواهد التاريخيه على جمع القرآن فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم

الحق أنّ القرآن الكريم قد جمع فى عهد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن نعرضُ هنا شواهد على جمع القرآن فى زمنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن ثم نقارنها بالروايات التى تقول إنّ القرآن جمع بعد ارتحال النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونتعرف من خلال ذلك على الحقيقه:

١. نقل الطبرانى وابن عساكر عن الشعبى؛ أنّ سته أشخاص جمعوا القرآن فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هم: أبى بن كعب، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل،

[pagebreak](صفحة ١٧٤)

ص: ١٧٥

أبو الدرداء، سعد بن عبيد، وأبو زيد، وينقلون أيضاً أن (مجمع بن جاريه) قد جمع القرآن إلأمن سورتين من سوره.

٢. يقول قتاده: سألتُ أنس بن مالك؛ من جمع القرآن الكريم فى زمن النبى صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: أربعه وكلهم من الأنصار: أبى بن كعب،

معاذ بن جبل، زيد بن ثابت، وأبو زيد.

٣. نقل مسروق: قال عبد الله بن عمر: إتنى أحب عبد الله بن مسعود، لأتنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: تعلموا القرآن من أربعه؛ عبد الله بن مسعود، سالم، معاذ، وأبي بن كعب.

٤. نقل النسائي عن عبد الله بن عمر أنه قال: جمعت القرآن وكنت أقرأه كل ليلة مره، فوصل خبر ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إقرأه في الشهر مره.

٥. نُقل عن عثمان أنه كلما كان الوحي ينزل يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويطلب كتاب الوحي ويقول: ضعوا هذه الآيه في سورة إلى جانب آيات معينه. <meta info="البیان: ٢٦ - ٢٧. "[١]" type="ref" class="ref"> ٦. كتب أبو عبد الله الزنجاني مؤلف (تاريخ القرآن): قام بعض الصحابه في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بجمع القرآن أو أجزاء منه، وأميا المجموعه التي لم تجمع القرآن تماماً في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم أكملوه بعد ذلك.

![[pagebreak]](صفحه ١٧٥)

ص: ١٧٦

٧. ويذكر محمد بن إسحاق في «الفهرست» إن جامع القرآن الكريم في زمن النبي هم؛ علي بن أبي طالب عليه السلام، سعد بن عبيد، أبو الدرداء، معاذ بن جبل، أبو زيد، ثابت بن زيد، أبي بن كعب، عبيد بن معاويه، وزيد بن ثابت.

٨. وينقل السيوطي في كتاب (الإتقان) عن محمد بن كعب القرظي أن خمساً جمعوا القرآن هم: معاذ بن جبل، عباده بن صامت، أبي بن كعب، أبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري.

٩. وينقل مؤلف (تاريخ القرآن) عن (ابن سيرين) أن أربعه جمعوا القرآن هم: معاذ، أبي، أبو زيد، أو

أبو الدرداء، أو عثمان، أو هو وتميم الدارى.

١٠. وينقل الخوارزمي في كتاب (المناقب) عن علي بن رباح أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام وابن كعب، جمعا القرآن الكريم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١١. وجاء في روايات لأبي بكر الحضرمي نقلًا عن الإمام الصادق عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام: «إن القرآن خلف فراشي في الصحف والحريير والقراطيس، فخذوه ولا تضيعوه كما ضيعت اليهود التوراه» <meta info=" تاريخ القرآن: ٧ و ٨. <ref" class="ref">[١]. فذهب علي عليه السلام وجمعه في قماش أصفر وختم عليه.

! [pagebreak] (صفحة ١٧٦)

ص: ١٧٧

١٢. إن حديث الثقلين دليل على جمع القرآن في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا أضفنا هذا الحديث إلى ما ذكرنا، فلن يبق هناك شك في أنّ القرآن جُمع في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدًا، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» <meta info=" وهذا الحديث من الأحاديث المسنده وأكثر من المتواتر. <ref" class="ref">[١]. </meta .

إنّ هذا الحديث يثبت بوضوح بأنّ القرآن كان قد جمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا القول بأنّه كان محفوظاً في الصدور فإنّه حديث غير صحيح، وإذا لم يكن هذا الحديث دالاً على الكتاب المنظمه للقرآن في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّه على الأقل يدل على أنّ سور القرآن ومكان الآيات كان منظماً في زمن رسول

اللَّهُ صلى الله عليه و آله و سلم، حتى ولو كان غير مكتوبٍ على الورق.

أحاديث جمع القرآن بعد رحيل النبي صلى الله عليه و آله و سلم تعارض نص القرآن

هنا يبقى سؤال وهو: إذا كان حقاً أنّ القرآن قد جُمع في عهد الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، إذن كيف تقول روايات إن القرآن جمع في عهد الخلفاء؟

الجواب: إن الروايات التي تذكر أنّ القرآن جمع بعد ارتحال النبي صلى الله عليه و آله و سلم تعارض القرآن نفسه، لأنّ الكثير من آيات القرآن تدلّ على أنّ السور كانت مشهوره ومعروفه حتى بين المشركين.

إضافه إلى ذلك، فإنّه أُطلق على القرآن الكريم اسم (كتاب)، فإذا

[pagebreak](صفحة ١٧٧)

ص: ١٧٨

كانت أجزاءه متفرقة لما أُطلق عليه اسم (كتاب)، ومجازاً وبدون قرينه سيكون بلا معنى.

أحاديث جمع القرآن بعد ارتحال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا تنسجم مع حكم العقل

إنّ عظمه القرآن الكريم والأهميه التي كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يوليها له وكذلك المسلمون من جهات مختلفه، تكشف بوضوح عن عدم صحّه الروايات التي تذكر أنّه جمع بعد ارتحال النبي صلى الله عليه و آله و سلم.

أضف على ذلك إن أعظم وأكبر شىء عند المسلمين هو القرآن، ويتلخص كيانهم وعظمتهم في صيانته وحفظه، وإنّ أساس النبوه يشكّله القرآن الكريم، فهل يُحتمل أنّ شخصيه مثل النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا يولى أهميه لجمع وكتابه القرآن الكريم؟ أو أن ينشغل بشىء آخر عن توضيح كيفيه وضع السور والآيات؟ إنّ المعجزه الخالده للنبي صلى الله عليه و آله و سلم هي القرآن وهو صلى الله عليه و آله و سلم يتحدّى به الجميع على مرور الأعصار والقرون.

وبملاحظه هذه النقطة كان لزاماً على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن يسعى لصيانته وحفظ القرآن، لأنّه مهما كان ذهن الإنسان قوياً وحافظته قويه فإنّه لا يمكن الاعتماد عليهما في خضمّ أحداث الحياه.

إنّ القرآن كان

ينزل بالتدرّيج وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عيّن مجموعةً لكتابتته يُسمّون (كتاب الوحي).

يقول أبو عبد الله الزنجاني في كتاب «تاريخ القرآن» بهذا الصدد:

[pagebreak](صفحة ١٧٨)

ص: ١٧٩

وكان للنبي من كتاب يكتبون الوحي بالخط المقرر وهو النسخ، وهم ثلاثة وأربعون. وأكثرهم كتابه: زيد بن ثابت وعلي بن أبي طالب عليه السلام، ويظهر من الروايات أنّه كان يهتم بكتابه القرآن.

ثم يُوردُ قصه إسلام عمر بن الخطاب وكيف أنّه شاهد سورة «سَبَّحَ لِلَّهِ...» (سورة الحديد) وقسمًا من سورة (طه) في منزل أُخته.

وفي الختام يُضيف: إنّ جميع هذه الأحاديث تدلّ على اهتمام المسلمين بكتابه القرآن، وإنّ جميع القرآن قد جُمع في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. <meta info="> تاريخ القرآن: ٤٣، الفصل ٦. </meta> إنّ بعض سور القرآن أو قسمًا من سورة كان موجوداً لدى جميع المسلمين، وقد جاء ذلك في الروايات، من بينها نقرأ روايه عباده بن الصامت أنّ كلّ مهاجرٍ كان يأتي يدفع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أحد المسلمين لتعليمه القرآن الكريم. وقد جاء في روايه (كليب) أنّه قال: كنت مع علي عليه السلام عندما ارتفع صوت قراءه القرآن من المسجد فقال علي عليه السلام:

«طوبى لهم».

وكانت مجموعه تقرأ القرآن بصوت عالٍ فصدر الأمر إليهم أن يقرأوا بصوت أكثر هدوءاً وانخفاضاً.

هاتان الحادثتان تدلّان على اهتمام المسلمين بقراءه القرآن،

[pagebreak](صفحة ١٧٩)

ص: ١٨٠

ولذا كيف يمكن أن يتأخّر جمعه إلى زمن أبي بكر؟!

والنتيجة: أنّ انتساب جمع القرآن الكريم إلى زمن الخلفاء أمرٌ وهمي ومخالف للكتاب والسُّنة والعقل، ولا يمكن نسبُ جمع القرآن إلى أبي بكر.

وإنّ جمع عثمان للقرآن في زمنه فهو بمعنى أنّه جمع المسلمين على

قراءه واحده، وقد أقرّ كبار علماء أهل السنّه بهذه الحقيقه، منهم: حارث المحاسبى إذ يقول: المشهور أنّ عثمان جمع القرآن، ولكن هذا ليس صحيحاً، وإنما جمع عثمانُ الناسَ على قراءه واحده، لأنّه كانت هناك قراءات أُخرى شائعه.

أمّا أنّه يُقال: إنّ علياً عليه السلام جمع القرآن بعد ارتحال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا يعنى أنّه كتب القرآن طبقاً لشأن النزول، وقدم المنسوخ على الناسخ، وهذا ما يقرّره العلامه المجلسى فى «بحار الأنوار»، وصاحبُ كتاب «تاريخ القرآن».

وإذا كان الأمر غير ذلك فى جمع القرآن فهل كان باستطاعه الإمام على عليه السلام أن يجمع القرآن فى عدّه أيام؟

[pagebreak](صفحه ١٨٠)

ص: ١٨١

الموضوعات التي كانت تُحدّث في زمن دعوته.

٣- يَزِدُّ على الحملات التشكيكية، والتساؤلات العويصة المريبه التي كان يثيرها أعداء الإسلام من يهود ونصارى.

٤- يصون الدين من التحريف والفساد، ويراقب ما أخذه عنه المسلمون من أصول وفروع، حتى لا تَزَلَّ فيه أقدامهم.

والإمامه عند الشيعة الإماميه لمن يملأ هذا الفراغ الهائل الحاصل من

[pagebreak](صفحه ١٨٤)

ص: ١٨٥

رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وراء القيادة في أمور الدنيا كتأمين البلاد وحفظ الثغور، واجراء الحدود، ونشر الدين الحنيف بالجهاد المتواصل.

٢. صيغه الحكومه بعد رحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

يسود بين المسلمين، في صيغه الحكومه وقياده الأئمه بعد النبي، رأيان واتجاهان:

الأول: أنّ صيغه الحكومه صيغه التنصيب، وأنّ الإمام بعد النبي يعين عن طريق الرسول بأمر من الله سبحانه.

الثاني: تفويض الأمر إلى اختيار الأئمه، وانتخابها بشكل من الأشكال التي ستوافيك.

و البحث في المقام: يرجع إلى محاسبه مصالح الأئمه الإسلاميه آنذاك، فهل كانت تقتضى تحقيق النظرية الأولى، وهي نظريه النصّ على شخص أو أشخاص معينين، أو تقتضى ترك مسأله الخلافه إلى رأى الأئمه؟.

وإليك التفصيل.

الصيغه الأولى: تنصيب النبي على الإمام بعده

اشاره

الحق أنّ هنا أموراً تدلّ على أنّ مصلحه الأئمه آنذاك، كانت تتطلب تنصيب الإمام والقائد الذي يخلف النبي، وتعيينه بلسانه في حياته، وكان في ترك هذا رمى للأئمه أمام أكبر المخاطر، وإليك بيان تلك الأمور:

[pagebreak](صفحه ١٨٥)

١. استحاله ترك الأمة بلا قائد

إنَّ العقلَ البديهيَّ يحكم بأنَّ أى إنسانٍ مصلحٍ إذا استطاع من خلال جهودٍ مُضنيه دامت سِنَوَاتٍ عديدهً، من تنفيذِ أطروحه اجتماعيَّه خاصه له، وابتكر طريقه جديده للمجتمع البشرى فإنه لا بدَّ من أن يفكر في وسيله مؤثره للإبقاء على تلك الأطروحه، وضمان استمرارها، بل رُشدها، ونموها أيضاً، وليس من الحكمة أن يؤسِّس شخصٌ مَياً بناءً عظيماً، متحملاً في ذلك السبيل متاعبَ كثيره، ولكن لا يفكر فيما يقيه من الأخطار، ولا ينصب أحداً لصيانته والعنايه به من بعده.

إنَّ النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من أكبر الشخصيات العالميه في تاريخ البشرى، قد أوجد- بما أتى من شريعته- أرضيَّه مساعدهً لتحوُّلِ إلهيِّ عالميِّ كبيرٍ، ومَهَّدَ لقيام حضارهٍ جدُّ حديثه، وفريده.

إنَّ هذه الشخصيه العظيمه، التي طرَّحت على البشرى شريعته خالدهً، وقادت المجتمع البشرى في عصره وأيام حياته، من المسلم أنه فكر لحفظ شريعته من الأخطار والآفات المحتمله التي تهددها في المستقبل، وكذا لهدايه أمته الخالده، وإدارتها، ويبن صيغه القياده من بعده، وذلك لأنه من غير المعقول أن يؤسِّس هذا النبيُّ الحكيمُ قواعدَ شريعته خالدهً أبديَّه، دون أن يطرح صيغه قويَّه لقيادتها من بعده، يضمن بها بقاء تلك الشريعته.

إنَّ النبيَّ الَّذى لم يألُ جهداً في بيان أصغر ما تحتاج إليه سعاده

[pagebreak](صفحه ١٨٦)

البشرى، كيف يُعقل أن يسكت في مجال قياده المجتمع الإسلامى وصيغتها، وكيفيتها، والحال أنها من المسائل الجوهرية، والمصيريه، في حياه الأمم، بل وفي حياه البشرى، وفي الحقيقه يترك

المجتمع الإسلامي حيارى مهملين، لا يعرفون واجبهم في هذا الصعيد؟!

وعلى هذا الأساس لا يمكن مطلقاً القبول بالزعم القائل بأن النبي الأكرم أغمض عينيه عن الحياه دون أن ينسب بنت شفه في مجال قياده الأمة.

٢. الأمة الإسلامية والخطر الثالث

إنّ مراجعة التاريخ، وأخذ الظروف التي كانت تحيط بالمنطقه، وبالعالم في زمان رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبيل وفاته بالذات بنظر الاعتبار تثبت - بوضوح بداهه وضروره «تنصيبه» منصب الامامه، وذلك لأنّ أخطاراً ثلاثه كانت تهدد الدين والكيان الإسلامي، وتحيط به على شكل مثلث مشؤوم.

الضلع الأول من هذا المثلث الخطر كان يتمثل في الإمبراطوريه الروميّه.

والضلع الثاني كان يتمثل في الإمبراطوريّه الفارسيّه.

والضلع الثالث كان يتمثل في فريق المنافقين الداخلين.

وبالنسبه لخطر الضلع الأول، وأهميته القصوى يكفي أن نعلم أنّ

[pagebreak](صفحه ١٨٧)

ص: ١٨٨

النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يفكر فيه حتى آخر لحظه من حياته، ولهذا جهز - قبيل أيام بل ساعات من وفاته - جيشاً عظيماً بقياده «أسامه بن زيد» وبعثه لمواجهة الروم، كما ولعن من تخلف عنه أيضاً.

وبالنسبه لخطر الضلع الثاني يكفي أن نعرف أنّه كان عدواً شرساً أيضاً أقدم على تمزيق رساله النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكتب إلى حاكم اليمن بأن يقبض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويبعث به إليه، أو يرسل إليه برأسه.

وبالتالى بالنسبه إلى الخطر الثالث يجب أن نعلم أنّ هذا الفريق (أى المنافقين) كان يقوم في المدينه بمزاحمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستمرار، وكان المنافقون هؤلاء يؤذونه بالمؤامرات المتنوعه، ويعرقلون حركته، وقد تحدّث القرآن الكريم عنهم وعن خصالهم، ونفاقهم، وأذاهم، ومحاولاتهم الخبيثه في سوره المختلفه إلى درجه أنّه سميت سوره كامله باسمهم،

وهي تتحدّث عنهم وعن نواياهم وأعمالهم الشرّيره.

والآنَ نظرحُ هذا السؤالَ وهو: هل مع وجودِ هذا المثلثِ الخطرِ كانَ من الصحيحِ أن يتركَ النبيُّ الأكرمُ صلى الله عليه وآله وسلم الأُمَّةَ الإسلاميّةَ، والدينَ الإسلاميَّ اللّذين كانا محاطين بالأخطار من كلّ جانب، وكان الأعداءُ لهما بالمرصاد من كلّ ناحيه، من دونِ قائِدٍ معيّنٍ؟!؟

إنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ولاشكَّ كانَ يَعْلَمُ أنّ حياةَ العرب حياه قَبْلِيّه، عشائريه، وأنّ أفرادَ هذه القبائلِ كانتْ مُتَعَصِبَه لرؤساء تلك القبائل، فهم كانوا يطيعون الرؤساء بشدّه، ويخضعون لهم خضوعاً كبيراً، ولهذا فإنّ تركَ مثل

[pagebreak](صفحه ١٨٨)

ص: ١٨٩

هذا المجتمع من دون نصبِ قائِدٍ معيّنٍ سوف يودى إلى التشتت والتنازع بين هذه القبائل، وسيستفيد الأعداء من هذا التخاصم والتنازع، والاختلاف.

وانطلاقاً من هذه الحقيقه قال الشيخ الرئيس أبو على بن سينا:

الاستخلاف بالنصّ أصوب، فإنّ ذلك لا يودى إلى التشعب والتشاغب والاختلاف <meta info=" الشفاء، الإلهيات: ٥٦٤، المقاله العاشره، الفصل الخامس. " </meta >[١] <ref" class="ref" type="ref" .

٣. تعيين الإمام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

إشاره

إنّ الإمامان في حياه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن كُلف بتبليغ شريعته إلى أقربائه وعشيرته، ثم الإعلان عن دعوتِهِ إلى الناس كافه، يفيد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم سلك طريق «التنصيب» في مسأله القيادة، والخلافه، مراراً، دون طريق «الانتخاب الشعبي» وهذا الموضوع ثبتهُ من خلال الأمور التاليه:

١. حديث يوم الدار

بعد أن مضت ثلاثُ سنّوات على اليوم الذي بُعث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كلفهُ الله تعالى بأن يبلغ رسالته لأبناء قَبيلته، وذلك عندما نزل قوله عز وجلّ: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» <meta info=" الشعراء: ٢١٤. " type="ref" >[٢] </meta > .

فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رُؤُوسَ بَنِي هَاشِمٍ وَقَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ
بِأَفْضَلِ مِمَّا قَدْ جِئْتُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا

[pagebreak](صفحة ١٨٩)

ص: ١٩٠

وَالْآخِرَهُ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ فَأَتِيَكُمْ يُؤَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ يَكُونُ أَخِي وَوَصِيي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ».

ولقد كثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم العبارة الأخيرة ثلاث مرّات، ولم يَقم في كلّ تلك المرّات إلّا الإمام على عليه السلام،
الَّذِي أَعْلَنَ عَنْ اسْتِعْدَادِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ لِمُؤَازَرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَنُصْرَتِهِ، وَفِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا». <meta info="مسند أحمد: ١/ ١٥٩؛ تاريخ
الطبري: ٢ / ٤٠٦؛ تفسير الطبري (جامع البيان): ١٩ / ٧٤ - ٧٥، تفسير سورة الشعراء، الآيه ٢١٤. type="ref" "

<class="ref">[١]</meta

٢. حَدِيثُ الْمَنْزَلِ

لَقَدْ اعْتَبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْزِلَهُ «عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ» مِنْهُ عَلَى غَرَارِ مَنْزَلِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَمْ
يَسْتَشِنْ مِنْ مَنَازِلِ وَمَرَاتِبِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا النَّبُوَّةَ حَيْثُ قَالَ: «يَا عَلِيُّ أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزَلِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا
نَبِيَّ بَعْدِي» <meta info="صحيح البخاري: ٣/ ٦، طبع ١٣١٢ هـ، باب غزوه تبوك؛ صحيح مسلم: ١٢٠ / ٧، باب فضائل
الإمام على عليه السلام؛

سنن ابن ماجه: ١/ ٥٥ باب فضائل أصحاب النبي؛ مسند أحمد: ١/ ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٥ و ٢٣٠؛ والسيره النبويه لابن هشام: ٤/ ١٦٣ (غزوه تبوك). " <type="ref" class="ref">[٢]</meta " وهذا النفي والسلب هو في الحقيقة من باب «السالبه بانتفاء الموضوع»، إذ لم تكن بعد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم نبوة حتى يكون علي نبياً من بعده إذ بُنِيَ رسول الإسلام خُتِمَت النبوات، وبشريعته خُتِمَت الشرائع.

[pagebreak](صفحة ١٩٠)

ص: ١٩١

ولقد كان لهارون - بنص القرآن الكريم - مقام «النبوه» <meta info=" " « وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا » (مريم: ٥٣). " <type="ref" class="ref">[١]</meta " و «الخلافة» <meta info=" " « وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي » (الأعراف: ١٤٢). " <type="ref" class="ref">[٢]</meta " و «الوزاره» <meta info=" " « وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي » (طه: ٢٩). " <type="ref" class="ref">[٣]</meta " في زمان موسى، وقد أثبت حديث «المنزله» جميع هذه المناصب الثابتة لهارون للإمام علي عليه السلام ما عدا النبوه، على أنه إذا لم يكن المقصود من هذا الحديث هو إثبات جميع المناصب والمقامات لعلي إلا النبوه، لم يكن أيه حاجه إلى استثناء النبوه.

٣. نصب الإمام يوم الغدير

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما يبدو في الأحاديث السالفه - يعرف بخليفته ووصيه تارة بصوره كلييه، وأخرى بصوره مبعينه، أي بذكر اسم الخليفه والوصي، بحيث يمثل كل واحد من تلك الأحاديث حججه كامله وتامه لمن يطلب الحقيقه وهو شهيد واع. ولكن مع ذلك ولكي يوصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نداءه إلى كل قاص ودان من المسلمين في ذلك اليوم، ويرفع كل إبهام وغموض، ويدفع كل شك أو تشكيك في هذا المجال، توقف عند قفوله ومراجعتة من حجه الوداع

فى أرض تسمى بغدير خم، وأخبر من معه من الحجيج بأنه كلف من جانب الله تعالى بأن يُبلغ رساله إليهم، وهى رساله تحكى عن القيام بأمرٍ جدٍ عظيم، بحيث إذا لم يُبلغها يكون كأنه لم يُبلغ شيئاً من رسالته كما قال تعالى:

[pagebreak](صفحه ١٩١)

ص: ١٩٢

«يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» <meta info=" المائدة: ٦٧. <meta info=" <ref" class="ref">[١]</meta> . أشار المحدثون والمفسرون المسلمون إلى نزول هذه الآية فى حَجَّة الوداع، يوم الغدير، انظر: كتاب الدرّ المنثور للسيوطى: ٢/ ٢٩٨؛ وفتح القدير للشوكانى ٢/ ٥٧؛ وكشف الغمه للإربلى، ص ٩٤؛ ينابيع الموده للقندوزى: ١٢٠؛ تفسير المنار: ٦ / ٤٦٣ وغيرها. " type="ref" <class="ref">[٢]</meta

ثم رقى النبى منبراً من أقتاب الإبل وحيداً وجهها، وقال صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً الناس: «يوشك أن أدعى فأجيب فماذا أنتم قائلون؟».

قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها؟» . قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «فإني فرط (أى أسبقكم) على الحوض (أى الكوثر)، فانظروا كيف تخلفوني فى الثقلين؟» .

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الثقل الأ-كبر: كتاب الله طرّف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا- تفضّوا، والآخرا الأصغر عترتى، وإنّ اللطيف الخبير نبأنى أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا».

ثم أخذ بيد «على» فرفعها حتى رأتى بياض آباطهما فعرّفه القوم

[pagebreak](صفحه ١٩٢)

ص: ١٩٣

أجمعون،

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟».

قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتِي مَوْلَاهُ».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْآلَةِ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَأَحِبَّ مِنْ أَحْبَبِهِ، وَابْغَضْ مِنْ ابْغَضَهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، أَلَا فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ».

إِنَّ حَدِيثَ الْغَدِيرِ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمَتَوَاتِرَةِ، وَقَدْ رَوَاهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَعُلَمَاءُ الْحَدِيثِ فِي كُلِّ قَرْنٍ بِصَوَرِهِ مَتَوَاتِرِهِ.

فقد نقل حديث الغدير ورواه (١١٠) من الصحابه، و (٨٤) من التابعين، و (٣٦٠) من العلماء والمحدثين، وفي ضوء هذا التواتر لا يبقى أى مجالٍ للشكِّ فى أصالته، وصحِّه هذا الحديث.

كما أنّ فريقاً من العلماء ألفوا كتباً مستقلّةً حولَ حديث «الغدِير» أشمَلها وأكثرها استتيعاباً لَطُرُق وأسنادِ هذا الحديث كتابُ «الغدِير» للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠ هـ).

والآن يجب أن نرى ما هو المقصود من لفظه «المولى»، وماذا تعنى «مولويّه» على عليه السلام؟

إِنَّ الْقَرَائِنَ وَالشَّوَاهِدَ الْكَثِيرَةَ وَالْعَدِيدَةَ تَشْهَدُ بِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ

[pagebreak](صفحة ١٩٣)

ص: ١٩٤

اللفظه، والكلمه هو: الزعامه والقياده، وها نحن نشيرُ إلى بعض هذه الشواهد والقرائن:

ألف: فى واقعه الغدير، أمر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّ يحطَّ الحجاجُ الذين كانوا يرجعون معه من الحج، فى أرض قاحله لا ماء فيها، ولا كلاً، وفى وقتِ الزوال، وتحت أشعه الشمس الحارقة.

ولقد كانت حرارةُ الهجير من الشده فى ذلك الوقت بحيث أن الشخص من الحاضرين فى ذلك المشهد كان يضع بعض عباءته تحت رجليه وبعضها فوق رأسه توقياً من شده الرّمضاء،

وحراره الشمس.

من الطبيعي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد في هذه الحالة الخاصه، أن يقول ماله دورٌ مصيرٌ هامٌ في هداية الأُمَّه.

ترى أى شىء يمكنه أن يكون له دور مصيرى وهامٌ في حياه المسلمين أكثر من تعيين القيادة التي توجب وحده كلمه المسلمين، وتكون حافظه لدينهم.

ب: لقد تحدّث رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذكر مسأله ولايه الإمام على عليه السلام عن أصول الدين الثلاثه: التوحيد، والنبوه، والمعاد، وأخذ من الناس الإقرار بها، ثم طرح مسأله ولايه الإمام على عليه السلام بعد ذلك. إن التقارن بين إبلاغ هذه الرساله وأخذ الاعتراف والإقرار بالأصول المذكوره يمكن أن يقودنا إلى معرفه أهميه الرساله التي أمر النبي بإبلاغها إلى الناس في «غدیر خم»، ويمكن معرفه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يقصد من

[pagebreak](صفحه ١٩٤)

ص: ١٩٥

ذلك الاجتماع العظيم في تلك الظروف الاستثنائية والملابسات الخاصه التوصيه فقط بمحبته ومواده شخص معين..

ج: قبل إبلاغ الرساله الإلهيه في شأن على عليه السلام تحدّث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ولايته ومولويته وقال: الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم.

إن ذكر هذه المطالب دليل على أنّ «مولوية الإمام على عليه السلام» كانت من نمط وسنخ مولويه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن النبي أثبت بأمر الله تعالى مولويته وألويته بالأمر لعلّ أيضاً.

د: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بعد إبلاغ هذه الرساله الإلهيه: فليبلغ الشاهد الغائب.

الصيغه الثانيه: تفويض الأمر إلى الأُمَّه

إشاره

قد أوقفك البحث والتحليل السابق على أنّ صيغه الحكومه بعد رحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي

صيغه التنصيص بإمامه من يملأ الفراغ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأن المحاسبات الاجتماعيه والأحاديث المتضافره تؤيد تلك الحقيقه، إلّا أنه وجدت في وسط الأمة طائفه تعتقد بأن أمر الحكومه بعد وفاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مفوضاً إلى انتخاب الأمة، وأن الخليفه يتعين بأحد الطرق التاليه:

١. إجماع المسلمين.

٢. شورى المهاجرين والأنصار.

![[pagebreak]](صفحه ١٩٥)

ص: ١٩٦

٣. بيعه أهل الحل والعقد.

وسندرس هذه الطرق الثلاثه بإيجاز.

إجماع المسلمين

إن نظريه إجماع المسلمين على قياده فرد منهم، لم تتحقق بشكل عملي ولا مره واحده.

إن دراسه التاريخ الإسلامى خير دليل على أنّ خلافه أبى بكر لم تأت نتيجة مشاركته الأمة الإسلاميه فى اختياره وانتخابه للحكم والقياده، بل لم ينتخبه إلّا أربعه أنفار لا غير، وهؤلاء نفرهم؛ عمر بن الخطاب، وأبو عبيده من المهاجرين، وبشير بن سعد وأسيد بن حضير من الأنصار، وأما الباقون من رجال الأوس لم يبايعوا أبى بكر إلّا تبعاً لرئيسهم أسيد بن حضير، فى حين غاب عن هذا المجلس كبار الصحابه وأفاضلهم، كالإمام على بن أبى طالب، والمقداد، وأبى ذر، وحذيفه بن اليمان، وأبى بن كعب وطلحه والزبير، وعشرات آخرين من الصحابه.

كما أنّ الخزرجيين - رغم حضورهم فى السقيفه - امتنعوا عن البيعه لأبى بكر. <meta info=" تاريخ الطبرى: ٣/ ٢١٠؛ السيره النبويه لابن هشام: ٢/ ٦٦٠. </meta " [١]> <type="ref" class="ref"> ومن درس أحداث السقيفه وما بعدها يقف على أنه لم يكن هناك أى إجماع على خلافه أبى بكر.

![[pagebreak]](صفحه ١٩٦)

ص: ١٩٧

وهذا هو عمر يعترف بأن هذه البيعه كانت فلتة لا تخضع لضابطه ولا تقوم على أساس من المبادئ الإسلاميه والمنطلقات الصحيحه والمشروع، إذ يقول:

كانت بيعه أبي بكر فلتة كفلة الجاهلية وقى الله المسلمين شرها.

ولهذا يحذر المسلمين من الأخذ

بها، لأنها لم تكن تمثل أى صوره انتخابيه صحيحه حتى لو قيل بمشروعيه تعيين الخليفه عن طريق الانتخاب، فيقول: فمن عاد إليها فاقتلوه <meta info=" شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ١/ ١٢٣، ط. مصر. "[١]" type="ref" class="ref"> .</meta .

فإن كان هذا حال تنصيب أبي بكر فما بالك بخلافه الآخرين، إذ عقد أبو بكر الخلافه لعمر واعترض جماعه من الصحابه على أبي بكر فى هذا التعيين وال نصب. <meta info=" الإمامه والسياسه: ١/ ٢٤ - ٢٥. "[٢]" type="ref" class="ref"> </meta > وإن من البديهي أنه لو كان تعيين أبي بكر لعمر بن الخطاب من باب مجرد الاقتراح والترشيح فحسب، لما كان لاعتراض الصحابه عليه أى مجال ولا مبرر.

هذا مضافاً إلى أن الخليفه الثالث هو الآخر تم تعيينه عن طريق شورى تألفت من (٦) أشخاص عينهم الخليفه الثانى، وكان هذا نوعاً من تعيين الخليفه الذى منع الآخرين من مراجعه الرأى العام.

ومن الموانع التى لا يمكن تحقق إجماع المسلمين من خلالها هو تفرقهم فى أطراف العالم، وهذا مما يجعل عمليه إجماعهم على شخص

[pagebreak](صفحه ١٩٧)

ص: ١٩٨

واحد أمر عسير إن لم يكن مستحيل، والاقتصار ببيعه المهاجرين والانصار وأولادهم وإلقاء رأى الآخرين المستقرين فى بقاع العالم إهانه لقطاع واسع من المسلمين.

هل الشورى أساس الحكم؟!

حاول المجددون من متكلمي السنه صب صيغه الحكومه الإسلاميه على أساس الشورى بجعلها بمنزله الاستفتاء الشعبى، واستدلوا على ذلك بآيتين:

الآيه الأولى: قوله سبحانه: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» <meta info=" آل عمران: ١٥٩. "[١]" type="ref" class="ref"> </meta > وقد قيل فى تفسير هذه الآيه: إن الله سبحانه يأمر نبيه بالمشاوره، تعليماً للأئمه، حتى يتشاوروا فى مهام الأمور، ومنها الخلافه.

يلاحظ عليه: أولاً: إن الخطاب فى الآيه متوجه إلى الحاكم الذى استقرت حكومته، فيأمره سبحانه

أن ينتفع من آراء رعيته، فأقصى ما يمكن التجاوز به عن الآيه، هو أن من وظائف كلِّ الحكام التشاور مع الأمه، وأما أن الخلافه بنفس الشورى، فلا يمكن الاستدلال عليه بهذه الآيه.

و ثانياً: إنَّ المتبادر من الآيه هو أنَّ التشاور لا- يوجب حكماً للحاكم، ولا يلزمه بشىء، بل هو يقبل وجوه الرأى ويستعرض الأفكار المختلفه، ثم يأخذ بما هو المفيد فى نظره، وذلك لقوله سبحانه فى نفس الآيه: «فَإِذَا

[pagebreak](صفحه ١٩٨)

ص: ١٩٩

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»، المعرب عن أن العزم والتصميم والاستنتاج من الآراء الأخذ بما هو الأصلح راجع إلى نفس المشير، وهذا يتحقق فى ظرف يكون هناك مسؤول تام الاختيار فى استحصال الأفكار والعمل بالنافع منها، حتى يخاطب بقوله: «فَإِذَا عَزَمْتَ»، وأمياً إذا لم يكن ثمة رئيس، فلا- تنطبق عليه الآيه، إذ ليس فى انتخاب الخليفه بين المشيرين من يقوم بدعوه الأفراد للمشوره، لغايه استعراض آرائهم، ثم تمحيص أفكارهم، والأخذ بالنافع منها، ثم العزم القاطع عليه.

و كل ذلك يعرب عن أن الآيه ترجع إلى غير مسأله الحكومه وما شابهها. ولأجل ذلك لم نر أحداً من الحاضرين فى السقيه احتج بهذه الآيه.

الآيه الثانيه: قوله سبحانه: «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» <meta info="= " . سورة الشورى: ٣٨. </meta " [١] </ref" class="ref" type="ref" .

بيان أن المصدر (أمر) أضيف إلى الضمير (هم)، وهو يفيد العموم والشمول لكل أمر، ومنه الخلافه، فيعود معنى الآيه أن شأن المؤمنين فى كل مورد، شورى بينهم.

يلاحظ عليه: أن الآيه تأمر بالمشوره فى الأمور المضافه إلى المؤمنين، وأما أن تعيين الخليفه من الأمور المضافه إليهم، فهو أول الكلام، والتمسك بالآيه فى هذا المجال، تمسك بالحكم فى إثبات موضوعه.

[pagebreak](صفحه ١٩٩)

ص: ٢٠٠

و بعبارة أخرى: إنَّ الآيه

حَثَّتْ عَلَى الشورى فيما يمتُّ إلى شؤون المؤمنين بصله، لا فيما هو خارج عن أمورهم، أما كون تعيين الإمام داخلاً في أمورهم، فهو أوّل الكلام، إذ لا- ندرى هل هو من شؤونهم أو من شؤون الله سبحانه؟ ولا- ندرى هل هي إمره وولايه إلهيه تتم بنصبه سبحانه وتعيينه، أو إمره وولايه شعبيه، يجوز للناس التدخّل فيها؟ ومع هذا التردد لا يصحّ التمسك بالآيه.

هل البيعه أساس الحكم؟

ربّما يتصوّر أنّ البيعه أساس الحكم، وأنّه يتم من طريقها. ولكنّه غفله عن حقيقه البيعه وموقفها، فإنّ البيعه فى حياه العرب وبعد رحيل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، كانت تجسيدا لما تمّ أمره من قبل.

مثلاً: إنّ بيعه المسلمين للنبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، لم تعن الاعتراف بزعامه الرسول وراثته، فضلاً عن نصبه وتعيينه، بل إنّ المبايعين بعد أن آمنوا بنبوه النبي واعترفوا بقيادته وزعامته، وأرادوا أن يصبّوا ما يلازم ذلك الإيمان، من الالتزام النفسى بأوامر النبي، بعد الإقرار بنبوته، وزعامته. فكأنّ النبي الأكرم يقول: «فإن آمنتم بى فبايعونى على أن تطيعونى، وتصلّوا وتركّوا، وأن تدفعوا عنى العدو حتى الموت، ولا- تفروا من الحرب». و الهدف عندئذٍ من البيعه لم يكن هو الاعتراف بمنصب المبايع، وانتخابه وتعيينه لمقام الحكومه والولايه، بل كانت لأجل التأكيد العملى على الالتزام بلوازم الإيمان السابق عليه، وهذا بارز فى البيعه الثانيه للأنصار

[pagebreak](صفحه ٢٠٠)

ص: ٢٠١

فى منى، وبيعه الصحابه فى غزوه الحديبيه.

وعلى ضوء ما ذكرنا فإنّ البيعه ليست طريقاً لتعيين الحاكم وانتخاب القائد، وإنما يتعين الحاكم بالمقاوله وتصويت الجماعه الحاضرين، ثم يُصبّ ذلك الانتخاب فى قالب الحسّ بالبيعه والصفق، وكأنّ البيعه تأكيد لما التزموا، وتجسيد لما أضمروه أو تقاولوه. وعلى فرض كونها طريقاً لتعيين

الحاكم، فهي إحدى الطرق لا- الطريق الوحيد، فلو علم رضا الأمة بحكومه فرد وزعامه شخص عن غير طريق البيعه، وأبرزت رضاها بطريق من الطرق، لكفى ذلك في كونه قائداً لازم الطاعه، لأنه أشبه بالعقد والعهد.

أضف إلى ذلك: أنّ الشورى أو بيعه الجماعه الحاضرين إنّما يعدّ طريقاً لتعيين الحاكم إذا لم يكن هناك نصّ من الرسول على تنصيب شخص للزعامة، وإلّا تكون البيعه رفضاً للنص، واجتهاداً في مقابله. وقد عرفت النصوص المتواتره على الوصى عليه السلام.

السنة النبويه والأئمه الاثنا عشر

إشاره

إنّ النبي الأكرم لم يكتف بتنصيب على منصب الإمامه والخلافه، كما لم يكتف بإرجاع الأمة الإسلاميه إلى أهل بيته وعترته الطاهره، بل قام ببيان عدد الأئمه الذين يتولون الخلافه بعده، واحداً بعد واحد، حتى لا يبقى لمرتاب ريب، ولا لشاك شك، وقد جاء ذلك في الصحاح والمسائيد بصُور مختلفه نشير إليها.

[pagebreak](صفحه ٢٠١)

ص: ٢٠٢

١. كلهم من قریش

روى البخارى عن جابر بن سمره قال: سمعت النبي يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً، فقال كلمه لم أسمعها، فقال أبى: إنّه قال: كلهم من قریش» <meta info=" صحیح البخارى: ج ٩، باب الاستخلاف، ص ٨١. ورواه ناقصاً كما يظهر ممّا نقله مسلم وغيره، رواه أحمد في مسنده: ٥ / ٩٠، و ٩٢، و ٩٥، و ١٠٨. " </meta [١]> <ref" class="ref" type="ref" .

٢. لا يزال الإسلام عزيزاً

روى مسلم عن جابر بن سمره قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفه، ثم قال كلمه لم أفهمها، فقلت لأبى: ما قال؟ قال: كلهم من قریش». <meta info=" صحیح مسلم: ج ٦، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقریش، ص ٣. وروى هذا المضمون تاره عن سماك بن حرب عن جابر، وأخرى عن الشعبي عن جابر. ورواه أحمد في مسنده: ٥ / ٩٠، و ٩٨، وفيه فكبر الناس وضجوا. " </meta [٢]> <ref" class="ref" type="ref" .

٣. لا يزال الدين عزيزاً منيعاً

و روى أيضاً عن جابر بن سمره قال، انطلقت إلى رسول الله ومعى أبى فسمعتة يقول:

لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفه، فقال كلمه

[pagebreak](صفحه ٢٠٢)

ص: ٢٠٣

صمّنيها الناس، فقلت لأبى: ما قال؟ قال: كلهم من قريش. <meta info="المصدر السابق من صحيح مسلم، ومسند أحمد: ٩٨ / ٥. وفيه: « لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ينصرون على من ناواهم عليه».> [١] type="ref" class="ref"></meta

٤. لا يزال الدين قائماً

وروى أيضاً عنه، قال: سمعت رسول الله يوم جمعه عشيّه رجم الأسلمى، يقول: لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفه كلهم من قريش. <meta info="المصدر نفسه. ومسند أحمد: ٨٩، ٨٦ / ٥، وفي ص ٩٢: « لا يزال الدين قائماً يقاتل عليه عصابه حتى تقوم الساعة».> [٢] type="ref" class="ref"> وفي ص ٩٨: « عصابه من المسلمين».</meta

٥. لا يزال الدين ظاهراً

روى أحمد فى مسنده، عن جابر قال: سمعت رسول الله يقول فى حجه الوداع: إنّ هذا الدين لن يزال ظاهراً على من ناواه، لا يضرّه مخالف ولا مفارق حتى يمضى من أمتى اثنا عشر خليفه. ثم تكلم بشىء لم أفهمه، فقلت لأبى: ما قال؟ قال: كلهم من قريش. <meta info="مسند أحمد: ٧٨ / ٥ و ٩٠؛ ولاحظ المستدرک: ٦١٨ / ٣ وفيه:

« لا يزال أمر هذه الأُمّة ظاهراً».> [٣] type="ref" class="ref"></meta

٦. لا يزال هذا الأمر صالحاً

روى أحمد فى مسنده عن جابر بن سمره قال: جئت أنا وأبى إلى النبى، وهو يقول: لا يزال هذا الأمر صالحاً، حتى يكون اثنا عشر أميراً، ثم

[pagebreak](صفحه ٢٠٣)

ص: ٢٠٤

قال كلمه لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش. <meta info=" " type="ref" class="ref">[١]</meta> ٧ " ٦١٨ / ٣. المستدرك: لا يزال الناس بخير

وروى أيضاً عنه قال: كنت مع أبي عند رسول الله، فقال رسول الله: لا يزال هذا الدين عزيزاً، أو قال: لا يزال الناس بخير - شك أبو عبد الصمد - إلى اثني عشر خليفه، ثم قال كلمه خفيه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش. <meta info=" " type="ref" class="ref">[٢]</meta> " ٩٨ / ٥. أحمد: هلّم الآن إلى البحث عن هؤلاء الخلفاء الاثني عشر، حتى نعرف من هم؟ وقد وقفت على أنّ الرسول الأكرم قد عرفهم بالخصوصيات التاليه:

- لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفه.

- لا يزال الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفه.

- لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفه.

- لا يزال الدين ظاهراً على من ناواه... حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفه.

- لا يزال هذا الأمر صالحاً حتى يكون اثنا عشر أميراً.

-

ص: ٢٠٥

وقد اختلفت كلمه شرّاح الحديث فى تعيين هؤلاء الأئمه، ولا تجد بينها كلمه تشفى العليل، وتروى الغليل، إلا ما نقله القندوزى عن بعض المحققين، قال:

إنّ الأحاديث الدالّه على كون الخلفاء بعده اثني عشر، قد اشتهرت من طرق كثيره، فبشرح الزمان، وتعريف الكون والمكان، علم أنّ مراد رسول الله من حديثه هذا، الأئمه الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يُحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه، لقّلتهم عن اثني عشر، ولا- يمكن أن يحمل على الملوك الأمويين لزيادتهم على الاثني عشر، ولظلمهم الفاحش إلّاعمر بن عبد العزيز، ولكونهم غير بنى هاشم، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: كلهم من بنى هاشم، فى روايه عبد الملك عن جابر، وإخفاء صوته فى هذا القول يريّح هذه الروايه، لأنهم لا يُحسّنون خلافه بنى هاشم، ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسيين لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّ رعايتهم قوله سبحانه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»، وحديث الكساء، فلا بدّ من أن يُحمل على الأئمه الاثني عشر من أهل بيته وعترته، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلهم، وأورعهم، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، أكرمهم عند الله، وكانت علومهم عن آبائهم متصله بجدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، وبالوراثه اللدنيّه، كذا عرّفهم أهل العلم والتحقيق، وأهل الكشف والتوفيق.

و يؤيد هذا المعنى، أى أن مراد النبي الأئمه الاثني عشر من أهل بيته،

ص: ٢٠٦

ويشهد عليه ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكثرة المذكوره فى هذا الكتاب وغيرها.
وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: كلهم يجتمع عليه الأئمه، فى روايه جابر بن سمره، فمراده

أن الأئمة تجتمع على الإقرار بإمامه كلهم وقت ظهور قائمهم المهدي <meta info=" ينابيع الموده: ٤٤٦، ط اسطنبول- عام ١٣٠١ هـ. </meta " [١]>[١]</meta " .

و هذه الخصوصيات لا- توجد في الأئمة الإسلاميه إلفى الأئمة الاثنى عشر المعروفين عند الفريقين، خصوصاً ما يدلّ على أنّ وجود الأئمة مستمر إلى آخر الدهر، ومن المعلوم أنّ آخر الأئمة هو المهدي المنتظر، الذي يعدّ ظهوره من أشرط الساعه.

و لو أضفنا إلى هذا، الروايات الكثيره الوارده في الأئمة الاثنى عشر، يقطع الإنسان بأنّه ليس المراد إلهؤلاء الذين اعترف بفضلهم، وورعهم، وتّقاهم، وعلمهم، ووعيمهم، وحلمهم، وصبرهم، ودرائتهم، وكفايتهم، الداني والقاصي، والصديق والعدو، ألا وهم: علي بن أبي طالب، فالحسن بن علي، فالحسين بن علي، فعلى بن الحسين، فمحمد بن علي، فجعفر بن محمد، فموسى بن جعفر، فعلى بن موسى، فمحمد بن علي، فعلى بن محمد، فالحسن بن علي، فمحمد بن الحسن العسكري، المهدي المنتظر الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً

[pagebreak](صفحه ٢٠٦)

ص: ٢٠٧

بعدهما ملئت ظلماً وجوراً <meta info=" سيوافيك الكلام في الإمام المنتظر، وأحاديثه في السنّه النبويه، وطول عمره، وعلائم ظهوره، وغير ذلك مما يرجع إليه. </meta " [١]>[١]</meta "، صلوات الله وتحياته وسلامه عليهم أجمعين.

وقد تضافرت النصوص في تنصيب الإمام السابق على الإمام اللاحق، فمن أراد الوقوف على هذه النصوص، فعليه الرجوع إلى الكتب المعده لإمامه الأئمة الاثنى عشر. <meta info=" لاحظ الكافي، ج ١، كتاب الحجّه، وأجمع كتاب في هذا الموضوع هو كتاب «إثبات الهداه» للشيخ الحرّ العاملي وقد جمع فيه النصوص المتضافره على إمامه كلّ واحدٍ من الأئمة الاثنى عشر. </meta [٢]>[٢]</meta ***

أوصاف الإمام

أشاره

قد علمت أنّ الإمامه عند الشيعه تختلف في مفهومها عمّا عند السنّه، فإنّها عند الشيعه عباره

عن استمرار وظائف رسالته، فالإمام وإن لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا يوحى إليه ولكنه يقوم بسائر الوظائف التي كان النبي يقوم بها. وملء هذا الفراغ رهن شروط وأوصاف يجب توفرها فيه، وهي:

١. العصمه

إشاره

يشترط في الإمام أن يكون معصوماً من الخطأ والزلل، وذلك لأنّ الدليل الذي يبعثنا إلى القول بالعصمه في النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو بنفسه يسبب القول بالعصمه في الإمام أيضاً، وذلك لأنّ من مهمات الإمام سدّ الفراغات الهائله

[pagebreak](صفحه ٢٠٧)

ص: ٢٠٨

بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو لا يتحقّق إلّا بأن يكون الإمام متمتعاً بما يتمتع به النبي الأكرم من الكفاءات والمؤهلات، فيكون عارفاً بالكتاب والسنة على وفق الواقع، وعالماً بحكم الموضوعات المستجده عرفاناً واقعيّاً، وذاباً عن الدين شبهات المشككين، ومن المعلوم أنّ هذه الوظيفة تستدعي كون الإمام مصوناً من الخطأ. فما دلّ على أنّ النبي يجب أن يكون مصوناً في مقام إبلاغ الرسالة، قائم في المقام بنفسه، فإنّ الإمام يقوم بنفس تلك الوظيفة، وإن لم يكن رسولاً ولا طرفاً للوحي، ولكنه يكون عيبه لعلمه، وحاملاً لشرعه وأحكامه، فإذا لم نجوز الخطأ على النبي في مقام الإبلاغ، فليكن الأمر كذلك في مقام القيام بتلك الوظيفة بلا منصب الرساله والنبوه.

عصمه الإمام في القرآن الكريم

إنّ آية الابتلاء تدلّ بوضوح على أنّ الإمامه لا ينالها الظالمون، قال سبحانه: «وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَمَّا نَبَأَ لَمَّا يَنَالُ غَهِدِي الظَّالِمِينَ» <meta info=" البقره: ١٢٤. " type="ref"> [١]</meta> .

والمراد من الإمامه التي وهبها سبحانه لإبراهيم وذريته غير النبوه، وذلك لأنّه سبحانه خاطبه وبشّره بالإمامه وقد كان نبياً، فيدلّ ذلك على أنّ الإمامه التي بُشّر بها إبراهيم هي غير النبوه.

[pagebreak](صفحه ٢٠٨)

ص: ٢٠٩

ولمّا طلبها إبراهيم لذريته استجاب سبحانه دعوته لكنّه استثنى الظالمين، والمراد من غير الظالمين هو من لم يتلبس بالظلم طيله

عمره.

ويدلّ على ذلك أمران:

الأوّل: إنّ الهدف الأسمى من تنصيب كل إنسان للإمامه،

تجسيد الشريعة الإلهية في المجتمع، فإذا كان القائد رجلاً مثالياً نقي الثوب، مشرق الصحيفة لم ير منه عصيان ولا زلّة، يتحقّق الهدف من نصبه في ذلك المقام.

و أمّا إذا كان في فتره من عمره مقترباً للمعاصي، ماجناً، مجتراحاً للسيئات، فيكون غرضاً لسهام الناقدين، ومن البعيد أن ينفذ قوله، وتقبل قيادته بسهولة، بل ينادى عليه إنّه كان بالأمس يقترف الذنوب، وأصبح اليوم آمراً بالحق ومميتاً للباطل!!

و لأجل تحقّق الهدف يحكم العقل بلزوم نقاوه الإمام عن كلّ رذيله ومعصيه في جميع فترات عمره، وأنّ الإنابه لو كانت ناجعه في حياته الفرديه فليست كذلك في حياته الاجتماعيه، فلن تخضع له الأعناق، وتميل إليه القلوب.

الثاني: إنّ الناس بالنسبه إلى الظلم على أقسام أربعة:

١- من كان طيله عمره ظالماً.

٢- من كان طاهراً ونقياً في جميع فترات عمره.

٣- من كان ظالماً في بدايه عمره، وتائباً في آخره.

[pagebreak](صفحة ٢٠٩)

ص: ٢١٠

٤- من كان طاهراً في بدايه عمره وظالماً في آخره.

عند ذلك يجب أن نقف على أنّ إبراهيم عليه السلام، الذي سأل الإمامه لبعض ذريته، أيّ قسم أراد منها؟

حاش إبراهيم أن يسأل الإمامه للقسم الأول، والرابع من ذريته، لوضوح أنّ الغارق في الظلم من بدايه عمره إلى آخره، أو المتصف به أيام تصديه للإمامه لا يصلح لأن يؤتمن عليها.

فبقي القسمان الآخران: الثاني والثالث، وقد نصّ سبحانه على أنّه لا ينال عهداه الظالم، والظالم في هذه العبارة لا ينطبق إلّا على القسم الثالث، أعني: من كان ظالماً في بدايه عمره، وكان تائباً حين التصدي.

فإذا خرج هذا القسم، بقي القسم الثاني، وهو من كان نقي الصحيفة طيله عمره، لم ير منه -لا- قبل التصدي ولا- بعده- أيّ انحرافٍ عن جادّه الحق، ومجاوزه للصراط السوي.

٢. الأعلّميه

يجب أن يكون الإمام

أعلم الناس بالقرآن والسنة والمعارف والأحكام على أن تنيخ الأمة ركائبها على بابه دون أن يرجع الإمام إليهم، ودليله واضح لما عرفت من أن منصب الإمامه ليس منصباً عرفياً كسائر المناصب الدنيوية، بل هي رئاسه عامه لتسيير أمور الناس في الدين والدنيا، وهو يلزم أن يكون الإمام أعلم الناس بما يرجعون الناس فيه إليه.

[pagebreak](صفحة ٢١٠)

ص: ٢١١

أضف إلى ذلك: أن ملء الفراغات التي تركتها رحله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرع كونه أعلم الأمة بالأصول والفروع والعقائد والأحكام.

٣. أفضل الناس

يجب أن يكون الإمام أفضل الأمة، لأنه إما أن يكون مساوياً لهم أو أنقص منهم أو أفضل، والثالث هو المطلوب، والأول محال لأنه مع التساوى يستحيل ترجيحه على غيره بالإمامه، والثاني أيضاً محال لأن المفضول يقبح عقلاً تقديمه على الفاضل.

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى: «أَمَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» <meta info="يونس: ٣٥." </meta> [١].

ويدخل تحت هذا الحكم كون الإمام أفضل في العلم والدين والكرم والشجاعه وجميع الفضائل النفسانيه والبدنيه.

الفلاه ليسوا من الشيعة الإماميه

إن وصف الإمام بالعصمه والأعلميه والأفضليه لا يعنى سوى كونهم عباد الله المخلصين الذين شملتهم عنايه الله سبحانه وهو أعلم بمواضعها فجعلهم أئمه يهدون بأمر الله سبحانه، وهم فى الوقت نفسه عباد مكرمون لا يعصون الله وهم بأمره يعملون، فمن فرط فى حقهم فهو ضال، كما أن من أفرط وغالى فى حقهم فهو مثله.

[pagebreak](صفحة ٢١١)

ص: ٢١٢

فالفرق المغاليه فى حقهم ليسوا من الشيعة وإن انتموا إليها، وقد حذر أئمه أهل البيت عليهم السلام شيعتهم من التفريط والغلو.

فالخطايه والمغيريه وغيرهما من الفرق الغاليه البائده ليسوا فى الحقيقه من الشيعة، وفى كلام الإمام على عليه السلام تعريف لأئمه أهل البيت نذكره بنصه وهو كافٍ فى المقام:

«لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساس الدين،

وعماد اليقين، إليهم يفىء الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». <meta info=">
نهج البلاغه: الخطبه رقم ٢. </meta "[1] <type="ref" class="ref"> هذا وإن للإمام الطاهر على بن موسى الرضا
عليهما السلام دعاء يبين موقف أئمه أهل البيت من الغلاه. يقول

فى دعائه:

«اللَّهُمَّ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ وَأُبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ ادَّعَوْا لَنَا مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُبْرَأُ إِلَيْكَ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا فِينَا مَا لَمْ نَقْلِهِ فِي أَنْفُسِنَا، اللَّهُمَّ لَكَ الْخَلْقُ وَمَنْكَ الرِّزْقُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ خَالِقُنَا وَخَالِقُ آبَائِنَا الْأَوْلِيَيْنِ وَآبَائِنَا الْآخِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَلِيقَ الرَّبُوبِيَّةُ إِلَّا بِكَ وَلَا تَصْلِحُ إِلَّا لَهُ الْإِلَهِيَّةُ إِلَّا لَكَ، فَالْعَنِ النَّصَارَى الَّذِينَ صَغَّرُوا عِظْمَتَكَ وَالْعَنِ الْمُضَاهَيْتِينَ لِقَوْلِهِمْ مِنْ بَرِيَّتِكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا عبيدك وأبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً

[pagebreak](صفحة ٢١٢)

ص: ٢١٣

ولا حياه ولا نشوراً، اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه براء، ومن زعم أن إلينا الخلق وعلينا الرزق فنحن براء منه كبراءه عيسى بن مريم عليه السلام من النصارى، اللهم أنا لم ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يدعون ولا تدع على الأرض منهم دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً». <meta info="بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٤٣." </meta [١] <ref="ref" class="ref" >

الفرق بين النبى والرسول والإمام

إنَّ تبيين هذه المفاهيم الثلاثة الواردة فى الذكر الحكيم، على وجه التفصيل غير ميسر فى المقام، وقد أوضحنا حالها فى كتابنا «مفاهيم القرآن» <meta info="مفاهيم القرآن: ٥ / ٣٧٥ - ٣٩٠." </meta [٢] <ref="ref" class="ref" >. وموجز القول فيها:

إنَّ الإمام هو الحاكم السائد على المجتمع والآخذ بيد الأمة إلى نحو الكمال فى الحياه الدنيويه والأخرويّه والفرديه والاجتماعيه، فيجب على الأمة امتثال أوامره وتوجيهاته فى عامه الحقول، وعلى ضوء هذا نقول:

النبى: عبارهُ عمَّن يتلقَى الوحي.

الرسول: عبارهُ عمَّن يؤمر بإبلاغه إلى الناس.

فإذا تلقَى الوحي ولم يؤمر بإبلاغه فهو نبى، فإذا أمر بالتبليغ يكون رسولاً.

[pagebreak](صفحة ٢١٣)

ص: ٢١٤

الإمام: عبارهُ عمَّن يُجسّد الشريعة السماويه فى

المجتمع، سواء أنزلت عليه فيكون نبياً ورسولاً وإماماً- كما هو الحال في الخليل عليه السلام- أم أنزلت على غيره كما هو الحال في الأئمة الاثني عشر، فالقاده المعصومون- أعني: علياً وأولاده- الذين نصبوا أئمة للأمة الإسلامية لا يحققون أهدافهم ولا يقومون بشؤون الأمة وسياستها، إلّا في ضوء الشريعة المحمّديه النازله على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعبارة أخرى: أنّ الإمامه وتدير الأئمة ليست مقصوده بالذات، وأما اتخذت أداه لإسعاد الأمة وإرشادها إلى قمه الكمال، ولا يحصل ذلك إلّا بتطبيق الشريعة الإلهيه وتجسيدها في المجتمع، لقصور كلّ المناهج البشريه عن القيام بذلك الهدف الأسمى.

وهذا إنّ دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ الإمام لا يحقق أهدافه إلّا في ضوء الشريعة السماويه، سواء أنزلت عليه أم نزلت على غيره، وسواء كان ذلك الغير حياً حاضراً أم ميتاً راحلاً، وعلى كل تقدير فسياسه الأمة وتديرها وقيادتها ودفعها إلى الكمال والتي تعدّ من الوظائف الأساسيه للإمام، لا تحصل إلّا أن يكون أمره ونهيه وفعله وتقريره انعكاساً عن الكليات والذات العامه النازله منه سبحانه على نبي زمانه وصاحب شريعته، إلّا أن يكون بنفسه صاحب شريعة كما في خليل الرحمن عليه السلام.

[pagebreak](صفحه ٢١٤)

دور أهل البيت في توحيد الأئمة

٦. تراث أهل البيت عليهم السلام العلمى

٧. فاطمه الزهراء عليها السلام فى كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

[pagebreak](صفحه ٢١٥)

ص: ٢١٦

[pagebreak](صفحه ٢١٦)

ص: ٢١٧

أهل البيت عليهم السلام

إشاره

هذا اللفظ مركب من كلمتين ولكل مفهوم، ويمكن تحديد مفهوم «الأهل» من موارد استعماله فيقال:

١. أهل الأمر والنهى.

٢. أهل الإنجيل.

٣. أهل الكتاب.

٤. أهل الإسلام.

٥. أهل الرجل.

٦. أهل الماء.

وهذه الموارد تُوقفنا على أنّ كلمة «أهل» تستعمل مضافاً، فى مَنْ كان له علاقة قويه بمن أُضيف إليه، فأهل الأمر والنهى هم الذين يمارسون الحكم والبعث والزجر، وأهل الإنجيل هم الذين لهم اعتقاد به كأهل الكتاب وأهل الإسلام.

وقد اتفقت كلمة أهل اللغة على أنّ الأهل والآل كلمتان بمعنى واحد، قال ابن منظور: آل الرجل: أهله، وآل الله وآل رسوله: أولياؤه، أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير أأل، فلما توالى الهمزتان أبدلوا

[pagebreak](صفحه ٢١٧)

الثانية ألفاً، كما قالوا: آدم وآخر، وفي الفعل آمن وآزر.

وقد أنشأ عبد المطلب عند هجوم أبرهه على مكة المكرمه، وقد أخذ حلقه باب الكعبه وقال:

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

وعلى ما ذكرنا، فهذا اللفظ إذا أُضيف إلى شىء يقصد منه المضاف الذى له علاقه خاصه بالمضاف إليه، فأهل الرجل مثلاً هم أخصّ الناس به، وأهل المسجد: المترددون كثيراً إليه، وأهل الغابه: القاطنون فيها... فإذا لاحظنا موارد استعمال هذه الكلمه لا نتردد فى شمولها للزوجه والأولاد، بل وغيرهم ممن تربطهم رابطه خاصه بالبيت من غير فرق بين الأولاد والأزواج، ولأجل ذلك ترى أنه سبحانه يطلقه على زوجه إبراهيم كما فى قوله سبحانه: «قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» <meta info=" هود: ٧٣. ٢. لسان العرب: ٢٩ / ١١، ماده «أهل».

<type="ref" class="ref">[١]</meta " .

١. مفهوم أهل البيت عليهم السلام في معاجم اللغة

هذا هو حق الكلام في تحديد مفهوم هذه الكلمة، ولنأت ببعض نصوص أنتم اللغة.

قال ابن منظور: أهل البيت: شِيكَّانَه، وأهل الرجل: أخَصَّ الناس به، وأهل بيت النبي: أزواجه وبناته وصهره، أعنى: علياً عليه السلام، وقيل: نساء النبي والرجال الذين هم آله. (٢)

[pagebreak](صفحة ٢١٨)

ص: ٢١٩

فلقد أحسن الرجل في تحديد المفهوم أوّلاً، وتوضيح معناه في القرآن الكريم ثانياً، كما أشار بقوله: «قيل» إلى ضعف القول الآخر، لأنه نسبه إلى القيل.

وقال ابن فارس ناقلاً عن الخليل بن أحمد: أهل الرجل: زوجته، والتأهل: التزوج، وأهل الرجل: أخَصَّ الناس به، وأهل البيت: سَكَّانَه، وأهل الإسلام: مَنْ يدين به. <meta info="معجم مقاييس اللغة: ١ / ١٥٠. [١]" type="ref" class="ref"> </meta >> وقال الراغب في «مفرداته»: أهل الرجل: مَنْ يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعه وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز به ف قيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم النسب، وتعرف في أسره النبي عليه الصلاه والسلام مطلقاً إذا قيل أهل البيت. <meta info="المفردات: ٢٩. [٢]" type="ref" class="ref"> </meta > وقال الفيروز آبادي: أهل الأمر: ولاته، وللبيت: سَكَّانَه، وللمذهب:

مَنْ يدين به، وللرجل زوجته كأهله، وللنبي: أزواجه وبناته وصهره على - رضى الله تعالى عنه - أو نساؤه والرجال الذين هم آله. <meta info="القاموس المحيط: ٣ / ٣٣١. [٣]" type="ref" class="ref"> </meta > هذه الكلمات ونظائرها بين أعلام أهل اللغة كلها تعرب عن أنّ مفهوم أهل البيت في اللغة هم الذين لهم صلته وطيدة بالبيت، وأهل الرجل

[pagebreak](صفحة ٢١٩)

ص: ٢٢٠

مَنْ له صلته به بنسب أو سبب أو غيرهما.

إنّ مراجعه كتب اللغة، وموارد استعمال الكلمة في الكتاب والسنة تعرب عن أنّ مفهوم «الأهل» هو المعنى العام، وهو يشمل

كُلِّ مَنْ لَهُ صَلَهِ بِالرَّجْلِ وَالْبَيْتِ صَلَهِ وَطِيْدِهِ مُؤَكَّدِهِ مِنْ نَسَبٍ أَوْ سَبَبٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ بَيْنَ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنَّ تَخْصِيصَهَا بِالزَّوْجَةِ قَسْوَهُ عَلَى الْحَقِّ، كَمَا أَنَّ تَخْصِيصَهَا لُغَةً بِالْأَوْلَادِ وَإِخْرَاجَ الْأَزْوَاجِ يَخَالِفُ نَصُوصَ الْقُرْآنِ وَاسْتِعْمَالَهَا كَمَا عَرَفَتْ فِي الْآيَاتِ الْمَاضِيَةِ.

٢. أهل البيت في القرآن الكريم

إشاره

لقد وردت لفظه «أهل البيت» مرّتين في القرآن الكريم.

قال سبحانه حاكياً عن لسان الرسل: «قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ». <meta info="هود: ٧٣"> [١]

وقال تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». <meta info="الأحزاب: ٣٣"> [٢]

</meta><</meta> فالآية الأولى تخاطب أهل بيت خليل الله عند ما جاءتهم الرسل فبشروا امرأته بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب.

[pagebreak](صفحة ٢٢٠)

ص: ٢٢١

ولمّا كانت هذه البشاره على خلاف السنن الكونية حيث كان الخليل شيخاً وزوجته طاعنه في السن، فلذلك تعجبت وقالت مخاطبه الرسل: «يَا وَيْلَعْتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ» <meta info="هود: ٧٢"> [١]

</meta> فوافها الجواب من جانب الرسل الذين كانوا ملائكة وتمثلوا بصوره الإنسان، قائلين: «أتعجبين من أمر الله رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت أنه حميد مجيد».

وأما الآية الثانية فقد وردت في ثنايا الآيات التي نزلت في شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدعوتهن إلى التخلّي عن الدنيا والتخلّي بالتقوى إلى غير ذلك من الوصايا التي وردت ضمن آيات. <meta info="انظر سورة الأحزاب، الآيات: ٢٨-٣٤"> [٢]

دراسه آيه التطهير

ونتناول هنا بالتفصيل دراسه الآيه الثانيه التي أشرنا إليها، وذلك لكثرة ما دار حولها من نقاش وألف حولها من كتب حملت شبهاً وردوداً.

اختلف المفسرون في بيان ما هو المراد من «أهل البيت» في الآيه المباركه على أقوال، غير أنّ العبره بقولين:

١. المراد بنت النبي وصهره وولداهما الحسن والحسين عليهم السلام.

٢. نساء النبي صلى الله عليه وآله

و سلم. <meta info=" " وهناك أقوال أخر شاذه جداً ستوافيك في مختتم البحث. [٣]> type="ref" class="ref"></meta></meta>

[pagebreak](صفحه ٢٢١)

ص: ٢٢٢

ولا- بد من إمعان النظر في تعيين المراد بعد قابليه اللفظ لشمول كلتا الطائفتين، فنقول: إنَّ هناك قرائن تدلّ بوضوح على أنَّ المراد من هذه الكلمه جماعه خاصه منتمين إلى البيت النبوى بوشائج خاصه لا كلَّ المنتمين إليه، وإليك تلك القرائن:

القرينه الأولى: اللام فى «أهل البيت» للعهد

لا شك أنَّ اللام قد تطلق ويراد منها الجنس المدخول، كقوله سبحانه: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ». <meta info=" " العصر: ٢. " <type="ref" class="ref">[١]</meta> وقد يطلق ويراد منها استغراق أفراده، كقوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ». <meta info=" " التوبه: ٧٣. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta> وثالثه تستعمل فى العهد باعتبار معهوديه مدخولها بين المتكلم والمخاطب.

ولا يمكن حمل اللام فى «البيت» على الجنس أو الاستغراق، لأنَّ الأوّل إنّما يناسب إذا أراد المتكلم بيان الحكم المتعلّق بطبيعته كما يعلم من تمثيلهم لذلك بقوله تعالى: «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً» <meta info=" " المعارج: ١٩. " type="ref" class="ref">[٣]</meta>، ومن المعلوم أنَّ الآيه الكريمة ليست بصدد بيان حكم طبيعه أهل البيت، كما لا يصح أن يحمل على العموم، أى: جميع البيوت فى العالم، أو بيوت النبى، وإلّا

[pagebreak](صفحه ٢٢٢)

ص: ٢٢٣

لناسب الإتيان بصيغه الجمع فيقول: أهل البيوت، كما أتى به عندما كان فى صدد إفاده ذلك، وقال فى صدر الآيه: «وقرن فى بيوتكن».

فتعيّن أن يكون المراد هو الثالث، أى البيت المعهود، فالآيه تشير إلى إذهاب الرجس عن أهل بيت خاص، معهود بين المتكلم والمخاطب، وحينئذ يقع الكلام فى تعيين هذا البيت المعهود، فما هو هذا البيت؟ هل هو بيت أزواجه، أو بيت فاطمه وزوجها والحسن والحسين عليهم السلام؟

لا سبيل إلى الأوّل، لأنّه لم يكن لأزواجه بيت

واحد حتى تشير اللام إليه، بل تسكن كل واحد في بيت خاص، ولو أريد واحد من بيوتهن لاختصت الآية بواحدة منهن، وهذا ما اتفقت الأمة على خلافه.

أضف إلى ذلك: أنه على هذا يخرج بيت فاطمه مع أن الروايات ناطقه بشمولها، وإنما الكلام في شمولها لأزواج النبي كما سيوافيك بيانه.

هذا كله على تسليم أن المراد من البيت هو البيت المبنى من الأحجار والآجر والأخشاب، فقد عرفت أن المتعين حمله على بيت خاص معهود ولا يصح إلحاقه على بيت فاطمه، إذ ليس هناك بيت خاص صالح لحمل الآية عليه.

وأما لو قلنا بأن البيت قد يطلق ويراد منه تاره هذا النسق، كما في قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليه الأولى»، وأخرى غير هذا النمط من البيت، مثل قول القائل: «بيت النبوه» و «بيت الوحي» تشبيهاً لهما على المحسوس، فلا محيص أن يراد منه المنتمون إلى

[pagebreak](صفحة ٢٢٣)

ص: ٢٢٤

النبوه والوحي بوشائج معنويه خاصه على وجه يصح مع ملاحظتها، عدّهم أهلاً لذلك البيت، وتلك الوشائج عباره عن النزاهه في الروح والفكر، ولا يشمل كل من يرتبط ببيت النبوه عن طريق السبب أو النسب فحسب، وفي الوقت نفسه يفتقد الأواصر المعنويه الخاصه، ولقد تفتن العلامة الزمخشري صاحب التفسير لهذه النكته، فهو يقول في تفسير قوله تعالى:

«قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ» <meta info=" هود: ٧٣. " type="ref" >[١]</meta>، لأنها (زوجه إبراهيم) كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأُمور الخارقة للعادات، فكان عليها أن تتوقّر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوه، وان تسبح الله وتمجّده مكان التعجب، وإلى ذلك أشارت الملائكه في قولها: «رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت» أرادوا أن

هذه وأمثالها مِمَّا يكرمكم به رب العزه، ويخصِّكم بالأنعام به يا أهل بيت النبوه. <meta info="الكشاف: ١٠٧/٢. " </meta [٢]> وعلى ذلك لا- يصح تفسير الآيه بكل المنتسبين عن طريق الأواصر الجسمانيه لبيت خاص حتى بيت فاطمه، إلّا أن تكون هناك الوشائج المشار إليها، ولقد ضلّ من فسّر البيت بالبيت المبنى من حجر ومدّر مع أنّ المراد غيره.

ولقد جرى بين قتاده ذلك المفسّر المعروف وبين أبي جعفر محمد

! [pagebreak](صفحه ٢٢٤)

ص: ٢٢٥

بن علي الباقر عليه السلام محادثه لطيفه أرشده الإمام فيها إلى هذا المعنى الذي أشرنا إليه، قال- عندما جلس أمام الباقر عليه السلام:- لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس فما اضطرب قلبي قدّام واحد منهم ما اضطرب قدّامك.

قال له أبو جعفر عليه السلام: «ويحك، أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدي: «في بيوتِ أذنَ اللهُ أنْ تُرْفَعَ ويُذَكَرَ فيها اسمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رجالاً لا تلهيهم تجارُهُ ولا بيعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وإِقامِ الصلاه وإيتاءِ الزكاه» <meta info="النور: ٣٦-٣٧. " </meta [١]> فأنت ثم ونحن أولئك». فقال له قتاده: صدقت والله جعلني الله فداك، والله ما هي بيوت حجاره ولا- طين. <meta info="الكافي: ٦ / ٢٥٦ - ٢٥٧. " </meta [٢]> وهذه القرينه تحضّ المفسر على التحقيق عن الأفراد الذين يرتبطون بالبيت بأواصر معينه، وبذلك يسقط القول بأن المراد منه أزواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم، لأنّه لم تكن تلك الوشائج الخاصه باتّفاق المسلمين بينهم وأقصى ما عندهنّ انهنّ كنّ مسلمات مؤمنات.

القرينه الثانيه: تذكير الضمائر

نرى أنّه سبحانه عندما يخاطب أزواج النبي يخاطبهن حسب المعتاد بضمائر التانيث، ولكنّه عندما يصل إلى قوله: «إنّما يريد الله ليذهب...» يغير الصيغه الخطابيه في التانيث

ويأتي بصيغته التذكير، فما هو السر في تبادل الضمائر لو كان المراد أزواج النبي؟ وإليك نص الآيات:

[pagebreak](صفحة ٢٢٥)

ص: ٢٢٦

«يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ فَلَمَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الْمَدَى فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا». <meta info="الأحزاب: ٣٢." class="ref" type="ref">[١]</meta> «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَمَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلِي الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا». <meta info="الأحزاب: ٣٣." class="ref" type="ref">[٢]</meta> «وَإِذْ كُورَنَ مَا يُنْتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا». <meta info="الأحزاب: ٣٤." class="ref" type="ref">[٣]</meta> ترى أنه سبحانه يخاطبهن في الآية الأولى بهذه الخطابات:

١. لستن. ٢. اتقيتن. ٣. فلا تخضعن. ٤. وقلن.

ويخاطبهن في الآية الثانية بهذه الخطابات:

١. قرن. ٢. بيوتكن. ٣. لا تبرجن. ٤. أقمن. ٥. آتين. ٦. أطعن.

كما يخاطبهن في الآية الثالثة بقوله:

١. واذكرن. ٢. بيوتكن.

وفي الوقت نفسه يتخذ في ثنايا الآية الثانية موقفاً خاصاً في الخطاب ويقول:

[pagebreak](صفحة ٢٢٦)

ص: ٢٢٧

١. عنكم. ٢. يطهركم.

فما وجه هذا العدول إذا كان المراد نساء النبي؟!

أو ليس هذا يدل على أن المراد ليس نساءه صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد حاول القرطبي التفتيش عن الإشكال فقال: إن تذكير الضمير يحتمل لأن يكون خرج مخرج «الأهل» كما يقول لصاحبه: كيف أهلك، أي امرأتك ونساؤك؟ فيقول: هم بخير، قال الله تعالى: «أتعجبين من أمر الله رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت». <meta info="جامع الأحكام: ١٨٢ / ١٤." class="ref" type="ref">[١]</meta> ولكن المحاولة

فاشله فإنّ ما ذكره من المثال على فرض سماعه من العرب، إنّما إذا تقدّم «الأهل» وتأخّر الضمير (هم بخير)، دون العكس كما
فى الآية، فإنّ أحد الضميرين

مقدّم على لفظ «الأهل» في الآية كما يقول:

«عنكم الرجس أهل البيت».

وأما الاستشهاد في الآية فغير صحيح، لأنّ الخطاب فيها لإبراهيم وزوجته معاً، لا خصوص زوجته، فيصح التغليب تغليب الأشراف على غيره في الخطاب والمفروض في المقام أنّ الآية نزلت في زوجاته ونسائه خاصة فلا معنى للتغليب.

[pagebreak](صفحة ٢٢٧)

ص: ٢٢٨

القرينه الثالثه: العدول عن السياق

إنّ الآيات المتعلّقه بأزواج النبي تتدئ من الآية ٢٨ وتنتهى بالآيه ٣٤، وهى تخاطبهن تاره بلفظ «الأزواج» ومرتين بلفظ «نساء النبي» الصريحين في زوجاته، فما هو الوجه في العدول عنهما إلى لفظ «أهل البيت» فإنّ العدول قرينه على أنّ المخاطب به غير المخاطب بهما.

فهذه القرائن الثلاث تورث اليقين بأنّ المراد به، هو غير زوجاته ونسائه، وأما من هم مصاديقه فقد تكفل بيانهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المتضافره.

٣. التعريف بأهل البيت عليهم السلام في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

إنّ الأحاديث الوارده في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم تكشف عن وجه الحقيقه، فإنّ للنبي الأكرم عناية وافره بتعريف أهل البيت لم ير مثلها إلّا في أقلّ الموارد، حيث قام بتعريفهم بطرق مختلفه، كما أنّ للمحدّثين والمفسرين وأهل السير والتاريخ عناية كامله بتعريف أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في مواضع مختلفه حسب المناسبات التى تقتضى طرح هذه المسأله، كما أنّ للشعراء الإسلاميين المخلصين في طوال قرون، عناية بارزه ببيان فضائل أهل البيت والتعريف بهم، والتصريح بأسمائهم على وجه يظهر من الجميع اتفاقهم على نزول الآية في حق العتره الطاهره.

[pagebreak](صفحة ٢٢٨)

ص: ٢٢٩

كلّ ذلك يعرب عن أنّ الرأى العام بين المسلمين في تفسير أهل البيت هو القول الأول، وإنّ القول بأنّ المقصود منهم زوجاته كان قولاً شاذاً متروكاً ينقل ولا يعتنى به، ولم ينحرف عن ذلك الطريق المهيع إلّا بعض من اتخذ لنفسه تجاه أهل البيت موقفاً يشبه موقف أهل العداة والنصب.

قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتعريف أهل البيت بطرق ثلاثه نشير إليها:

١. صرّح بأسماء من نزلت الآيه في حقّهم حتى يتعيّن المنزول فيه باسمه ورسومه.

٢. قد أدخل جميع من نزلت الآيه في حقّهم تحت

الكساء، ومنع من دخول غيرهم، وأشار بيده إلى السماء وقال: «اللهم إن لكل نبي أهل بيت وهؤلاء أهل بيتي» كما سيوافيك نصه.

٣. كان يمر بيت فاطمه عدّه شهر، وكلما خرج إلى الصلاة فيقول:

الصلاة أهل البيت: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وقد أوردنا في كتابنا مفاهيم القرآن <meta info="مفاهيم القرآن: ١٠/١٤٣-١٥٣. type="ref" class="ref"> [١]</meta> الروايات التي تتضمن تعريف أهل البيت من جانب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بالطرق الثلاثة، وسنقتصر هنا على ذكر واحد من كل طريق ومن أراد التفصيل فليراجع.

[pagebreak](صفحة ٢٢٩)

ص: ٢٣٠

أ. التصريح بالأسماء:

روى الطبري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نزلت هذه الآية في خمسه: في وفي عليّ وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمه (رضي الله عنها): «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». <meta info="لاحظ للوقوف على مصادر هذه الروايات وغيرها مما لم نذكر تفسير الطبري: ٢٢/٥-٧؛ الدر لمنتور: ٥/١٩٨-١٩٩. type="ref" class="ref"> [١]</meta " type="ref" class="ref">

ب. إدخالهم تحت الكساء

أدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل بيته تحت الكساء، فقد أخرج الطبري عن أم سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندي وعلي وفاطمه والحسن والحسين فجعلت لهم حريره فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءه أو قטיפه ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». <meta info="نفس المصدر. type="ref" class="ref"> [٢]</meta

ج. تعيينهم بتلاوه الآية على بابهم

أخرج الطبري عن أنس، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بيت فاطمه ستة أشهر كلما خرج إلى الصلاة، فيقول: الصلاة أهل البيت: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». <meta info="نفس المصدر. type="ref" class="ref"> [٣]</meta

[pagebreak](صفحة ٢٣٠)

٤. المرجعية العلمية لأهل البيت عليهم السلام

إشاره

إنّ البحث عن صيغه الخلافه بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يطرح على نوعين:

الأول: البحث عن الحكم في مرحله خاصه من الزمان، وهو: هل الخلافه من جانب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت أمراً تنصيصياً أو كانت أمراً محوّلاً إلى الصحابه؟ وهذا النوع من البحث وإن كان غير خال من الفائده ولكنّه بحث تاريخي ربّما تجاوز عنه الزمان.

الثاني: إنّ المرجعية العلميه بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هل هي متمثله في أئمه أهل البيت عليهم السلام أو في غيرهم؟ وهل إنّ واجب كلّ مسلم في كل عصر وقرن هو التمسك بأئمه أهل البيت عليهم السلام أحد الثقلين، أو التمسك بغيرهم؟ وهذا النوع من البحث طرى في كلّ زمان وجدير بالتأمل.

فالبحت على الطراز الأول إذا كان غير مستحسن عند طائفه ولكن البحث على الطراز الثاني أمر يتطلّبه كلّ من يريد أن يأخذ أصوله وفروعه من معين صاف.

أقول: وبغض النظر عن أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نصب علياً وأهل بيته للزعامة والحكومه يوم الغدير في اليوم الذي لم يكن يظل المسلمون غير حرّ الشمس وجعل ولاءه أصلاً ثالثاً بعد التوحيد والمعاد- بغض النظر عن

[pagebreak](صفحه ٢٣١)

هذا نقول:- إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يزل يهيب في الجاهلين ويصرخ في الغافلين داعياً إلى

التمسك بالكتاب والعترة، وهذا تصريح منه بأن المرجعية العلميه- وراء الزعامه السياسيه- منحصره بأهل البيت عليهم السلام، وعلى المسلمين الانكباب عليهم فيما يطرأ عليهم من الحوادث والوقائع الدينيه وكل ما يمت إلى الدين بصله، ولأجل التعرف على ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الصدد نذكر بعض الأحاديث:

١. حديث الثقلين

روى أصحاب الصحاح والمسانيد عن النبي الأكرم أنه قال: «يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي».

وقال في موضع آخر: «إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا:

كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي؛ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». وغير ذلك من النصوص المتقاربه.

وقد صدع بها في غير موقف، تاره بعد انصرافه من الطائف، وأخرى يوم عرفه في حجّه الوداع، وثالثه يوم غدیر خمّ، ورابعه على منبره في المدينة، وأخرى في حجرتة المباركه في مرضه والحجره غاصّه بأهله.

[pagebreak](صفحه ٢٣٢)

ص: ٢٣٣

ولا يشك في صحّحه الحديث إلّا الجاهل به أو المعاند، فقد روى بطرق كثيره عن نيف وعشرين صحابياً <meta info=" وکفی فی ذلك أنّ دار التقريب بين المذاهب الإسلاميه قامت بنشر رساله جمعت فيها مصادر الحديث ونذكر من طرقه الكثيره ما يلي: صحيح مسلم: ١٢٢/٧؛ سنن الترمذی: ٢/٢٠٧؛ مسند أحمد: ٣/١٧ و ٢٦ و ٥٩. و ج ٤/٣٦٦ و ٣٧١. و ج ٥/١٨٢ و ١٨٩.

وقد قام المحدث الكبير السيد حامد حسين الهندي بجمع طرق الحديث و نقل كلمات الأعظم حوله و نشره في ستة أجزاء و هو من أجزاء كتابه الكبير العبقات. <meta " type="ref" class="ref">[١]</meta " .

إنّ الإمامان

فى الحديث يعرب عن عصمه العتره الطاهره، حيث قورنت بالقرآن الكريم، وأنهما لا يفترقان، ومن المعلوم أنّ القرآن العظيم، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكيف يمكن أن يكون قرناء القرآن وأعداء له، خاطئين فيما يحكمون ويبرمون، أو يقولون ويحدثون. فعدم الافتراق إلى يوم القيامة، آيه كونهم معصومين فيما يقولون ويروون.

أضف إلى ذلك: أنّ الحديث، يعدّ المتمسك بالعترة غير ضالّ، بقوله:

«لن تضلّوا»، فلو كانوا غير معصومين من الخلاف والخطأ، فكيف لا يضلّ المتمسك بهم؟

نعم، ورد فى بعض النصوص مكان كتاب الله وعترتى، كتاب الله وسنتى <meta info="الصواعق المحرقة: ٨٩. " </meta [٢]> . وهو على فرض صحته، حديث آخر لا يزاحمه، على أنه

[pagebreak](صفحة ٢٣٣)

ص: ٢٣٤

حديث واحد، وهذا الحديث متواتر نقله أعلام الأئمة، وأساتذته الحديث والتاريخ والسيره، ولا يعلم حقيقه ذلك إلّا من راجع مصادر الحديث <meta info=" راجع أيضاً فى الوقوف على مصادر الحديث، غايه المرام للسيد البحرانى: ٤١٧-٤٣٤.

و المراجعات، المراجعة ٨؛ وتعاليق إحقاق الحق، ج ٩. </meta [١]> .

فيقدّم عليه فى كلّ حال.

٢. حديث السفينه

روى المحدثون عن النبى الأكرم أنه قال: «مثل أهل بيتى فى أمتى، كمثل سفينه نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق» <meta info=" مستدرک الحاكم: ٢ / ١٥١؛ الخصائص الكبرى للسيوطى: ٢ / ٢٦٦.

و للحديث طرق ومسانيد كثيره، من أراد الوقوف عليها، فعليه بتعاليق إحقاق الحق: ٩ / ٢٧٠ - ٢٩٣. </meta [٢]> .

فشبهه صلى الله عليه وآله وسلم، أهل بيته بسفينة نوح فى أنّ من لجأ إليهم فى الدين فأخذ أصوله وفروعه عنهم نجا من عذاب النار، ومن تخلف عنهم كان كمن أوى يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله، غير أنّ ذلك غرق

فى الماء وهذا فى الحميم. فإذا كانت هذه منزله علماء أهل البيت، «فَأَنى تُصْرَفُونَ»!

يقول ابن حجر فى صواعقه: ووجه تشبيهم بالسفينه أن من أحبهم وعظّمهم، شكراً لنعمه مشرفهم، وأخذ بهدى علمائهم، نجى من ظلمه

[pagebreak](صفحه ٢٣٤)

ص: ٢٣٥

المخالفات. ومن تخلف عن ذلك غرق فى بحر كفر النعم، وهلك فى مفاوز الطغيان. <meta info="الصواعق: ١٩١، الباب ١١. يقول سيدنا شرف الدين فى مراجعته: ألا أنى مسائل ابن حجر أنه إذا كان هذا مقام أهل البيت، فلماذا لم يأخذ هو بهدى أئمتهم فى شىء من فروع الدين وعقائده، ولا فى شىء من علوم السنّه والكتاب، ولا فى شىء من الأخلاق والسلوك والآداب؟ ولماذا تخلف عنهم، فأغرق نفسه فى بحار كفر النعم. وأهلكها فى مفاوز الطغيان؟!> <ref">[١]</meta

٣. اعتراف أئمة المذاهب بأفقيهم أهل البيت عليهم السلام

إن كثيراً من علماء أهل السنّه - قديماً وحديثاً - اعترفوا بأفقيهم أئمة أهل البيت عليهم السلام، فها نحن نذكر هنا شيئاً قليلاً من كثير.

روى ابن عساکر فى تاريخه فى ترجمه السجاد (على بن الحسين عليه السلام) عن أبى حازم أنه قال: ما رأيت هاشمياً أفضل من على بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه. <meta info="سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٩٤. type="ref">[٢]</meta وقال الشافعى: إن على بن الحسين، أفقه أهل البيت. <meta info="شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ١٥ / ٢٧٤. type="ref" class="ref">[٣]</meta وقال عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبى جعفر، لقد رأيت الحكم بن عتيبه مع جلالته فى القوم كأنه متعلم. <meta info="الأولياء: ٣ / ١٨٦. type="ref" class="ref">[٤]</meta

[pagebreak](صفحه ٢٣٥)

ص: ٢٣٦

وقال أبو حنيفه: ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. <meta info="تهذيب الكلمات:

٧٩ / ٥. <meta ref="" class="ref">[١]</meta> ونقل الإمام الشافعي في رحلته: أنه سمع من مالك قوله للرجل الذي أجاب على مسأله:

قرأت - أو سمعت - الموطأ؟ قال: لا.

قال: فنظرت في مسائل ابن جريج؟ قال: لا.

قال: فليت جعفر بن محمد الصادق؟ قال: لا.

قال: فهذا العلم من أين لك؟ <meta info=""> رحله الإمام الشافعي: ٢٥. <ref="" class="ref">[٢]</ref> </meta> قد خرجنا بالنتيجة التاليه:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتحل وقد خلف الثقلين لترجع إليهما الأُمَّة في حلّ معضلاتها ومشكلاتها، وإنه عيّن المقصود من أهل بيته وأشاد بهم في مواقف مختلفه وعرفهم للأُمَّة بيد أن هناك سؤالاً يطرح نفسه، وهو:

٥. دور أهل البيت في توحيد الأُمَّة

إن أئمة أهل البيت عليهم السلام بما أنهم أحد الثقلين وكسفينه نوح لهم دور في توطيد وحده المسلمين ولم شعثهم وسوقهم إلى هدف واحد، لأنّ المسلمين مهما اختلفوا في شىء لا يختلفون في مرجعيتهم وعلومهم وشرفهم، كيف وهذا هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يعرفهم بقوله: «النجوم أمان

[pagebreak](صفحة ٢٣٦)

ص: ٢٣٧

لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأُمَّتى من الاختلاف في الدين، فإذا خالفتها قبيله من العرب - يعنى فى أحكام الله عزوجل - اختلفوا فصاروا حزب إبليس». <meta info=""> أخرجه الحاكم فى المستدرک: ١٤٩ / ٣ عن ابن عباس، ثم قال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه؛ الصواعق المحرقة: ٩١ و ١٤٠، ط. الميمنية. <ref="" class="ref">[١]</ref> </meta> وفى حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطه فى بنى إسرائيل من دخله غفر له». <meta info=""> مجمع الزوائد للهيثمى: ١٦٨ / ٩؛ المعجم الصغير للطبرانى: ٢٢ / ٢. <ref="" class="ref">[٢]</ref> </meta> فاتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام يوحد الصفوف ويجعل

المسلمين كلهم في صف واحد أمام عدوهم الغاشم، إلى غير ذلك من الروايات النبويه الشريفه مما يأخذ بالأعناق إلى اتباع أهل البيت عليهم السلام ويضطر المؤمن إلى الانقطاع في الدين إليهم.

٦. تراث أهل البيت عليهم السلام العلمي

إشاره

ربّما يقال: إنّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعترته الطاهره قد ارتحلوا فأين تراثهم وعلومهم حتّى ترجع إليها الأُمّه؟ هب أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعيّدنا بالرجوع إليهم والتمسك بأحاديثهم وكلماتهم فأين أحاديثهم وعلومهم حتّى نرجع إليهم؟

والجواب عنه واضح، وهو أنّ تراث أئمّه أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم ومعارفهم تتمثل في الأمور التاليه:

[pagebreak](صفحه ٢٣٧)

ص: ٢٣٨

الأوّل: كتاب على

فقد كان لعلي كتاب خاص بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد حفظته العتره الطاهره عليهم السلام وصدرت عنه في مواضع كثيره ونقلت نصوصه في موضوعات مختلفه، وقد بث الحرّ العاملي في موسوعته الحديثيه، أحاديث ذلك الكتاب حسب الكتب الفقهيه من الطاهره إلى الديات، ومن أراد فليرجع إلى تلك الموسوعه.

وقال الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن الجامعه؟ فقال: «فيها كلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضيه إلّا فيها حتّى أُرش الخدش».

وكان كتاب علي مصدراً لأحاديث العتره الطاهره يرثونه واحد بعد آخر وينقلون عنه ويستدلون به على السائلين.

وهذا هو أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول لأحد أصحابه- أعني حُمران بن أعين- وهو يشير إلى بيت كبير: «يا حمران إنّ في هذا البيت صحيفه طولها سبعون ذراعاً بخطّ علي عليه السلام وإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو وُلّينا الناس لحكمتنا بما أنزل الله لم نعد ما في هذه الصحيفه».

وهذا هو الإمام الصادق عليه السلام يعرّف كتاب علي عليه السلام بقوله: «فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فلق فيه وخط علي بن أبي طالب عليه السلام بيده، فيه والله جميع ما يحتاج إليه الناس إلى

يوم القيامة حتى أنّ فيه أرش الخدش والجلده ونصف الجلده».

[pagebreak](صفحة ٢٣٨)

ص: ٢٣٩

ويقول سليمان بن خالد: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ عندنا لصحيفه طولها سبعون ذراعاً، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خطّ على عليه السلام بيده، ما من حلال ولا حرام إلّا وهو فيها حتى أرش الخدش».

ويقول أبو جعفر الباقر عليه السلام لبعض أصحابه: «يا جابر إنّنا لو كنّا نحدثكم برأينا وهوانا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». **<meta info=" " >** قد جمع العلامة المجلسي ما ورد من الأثر حول كتاب على في موسوعته بحار الأنوار: ١٨ / ٢٦ - ٦٦ تحت عنوان باب جهات علومهم وما عندهم من الكتب، الحديث ١٢، ١، ١٠، ٢٠. **<type="ref" class="ref">[١]</meta " " >** وقد كان على عليه السلام أعلم الناس بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف لا يكون كذلك، وهو يقول: «كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنبأني وإذا سكت ابتدأني».

وقد كان يصدر عن ذلك الكتاب إمام بعد إمام، وهذا هو ولده الإمام الحسن السبط عليه السلام وهو يصف كتاب على:

«إنّ العلم فينا ونحن أهله، وهو عندنا مجموع كلّه بحذايره، ولا يحدث شيء إلى يوم القيامة حتى أرش الخدش إلّا وهو عندنا مكتوب، إملاء رسول الله وخطّ على بيده». **<meta info=" " >** مستدرك الحاكم: ٣ / ١٢٥. **<type="ref" " " >** **<class="ref">[٢]</meta >** وقال الإمام زين العابدين عليه السلام لرجل شاجره في مسأله فقهيه: «يا هذا

[pagebreak](صفحة ٢٣٩)

ص: ٢٤٠

لو صرت إلى منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، أيكون أحد أعلم بالسنة منّا». **<meta info=" " >** الاحتجاج: ١ / ٢٨٧. **<type="ref" class="ref">[١]</meta >** وقال الإمام أبو جعفر

الباقر عليه السلام للحكم بن عتيبه:

«اذهب أنت وسلمه وأبو المقدام، حيث شئتم - يميناً وشمالاً - فوالله، لا تجدون العلم أو ثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرائيل». [\[٢\]](#) [\[٣\]](#) نزهه الناظر للحلواني: ٤٥. وقال عليه السلام لسلمه بن كهيل والحكم: «شرفاً وغزياً، لن تجداً علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت». [\[٣\]](#) رجال النجاشي برقم ٩٦٦. [\[٣\]](#) إلى غير ذلك من كلمات أئمة أهل البيت عليهم السلام والتي تعرب عن علمهم بالسنة والكتاب، وأنهم أعرف الناس بمواقع الكتاب والسنة.

الثاني: نهج البلاغه

إن كتاب «نهج البلاغه» من أعرق الكتب وأشهرها عند الفريقين، وهو يتضمّن خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكتبه وكلماته القصار قام بجمعها الشريف الرضي (المتوفى عام ٤٠٦ هـ).

وقد حذف الأسانيد وجاء بالمتون لاشتهار صدورها عن علي عليه السلام، وقد قام غير واحد من الأصحاب بالاستدراك على ما نقله الشريف الرضي،

[pagebreak](صفحة ٢٤٠)

ص: ٢٤١

فذكروا خطباً ورسائل كثيرة كما استخرج بعضهم أسانيد نهج البلاغه من الكتب المؤلفة قبل الشريف الرضي، وقد قيل في حقه: إنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

الثالث: الصحيفة السجادية

هذه الصحيفة المعروفة بالصحيفة السجادية أو زبور آل محمد من مظاهر علوم أهل البيت عليهم السلام، وهي خالده على جبين الدهر، وأسانيدنا إلى الإمام متسلسلة متضافره بل متواتره. وهناك وراء اتصال الأسانيد شيء آخر وهو أنّ فصاحه ألفاظها وبلاغه معانيها وعلوّ مضامينها وما فيها من أنواع التذلل لله تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه أقوى شاهد على صحّته نسبتها إليه، وأنّ هذا الدرر من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً إلى اشتهاها شهره لا تقبل الريب وتعدّد أسانيدنا المتصلة إلى منشئها، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتصلة إلى زين العابدين عليه السلام. [\[١\]](#) في رحاب أئمة أهل البيت: ٣/٤١٤. [\[١\]](#)

<</meta

الرابع: رساله الحقوق

إنّ للإمام علي بن الحسين عليهما السلام رساله معروفه باسم رساله الحقوق، وأوردها الصدوق في خصاله بسند معتبر، كما رواها

الحسن بن شعبه في «تحف العقول» مرسله، وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، يذكر

[pagebreak](صفحة ٢٤١)

ص: ٢٤٢

الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثم يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدى التي تبلغ خمسين حقاً، آخرها حقّ الذمه.

الخامس: رساله الإمام الرضا عليه السلام في الفرائض والسنن

روى المحدثون أنّ المأمون بعث الفضل بن سهل إلى الرضا عليه السلام فقال: إنّي أحبّ أن تجمع لي من الحلال والحرام، والفرائض والسنن فإنّك حجة الله على خلقه ومعدن العلم، فدعا الرضا عليه السلام بدواه وقرطاس وقال للفضل اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

«حسبنا شهاده أن لا إله إلا الله أحداً، صمداً لم يتخذ صاحبه ولا ولداً...».

والرساله مطبوعه في كتاب «تحف العقول عن آل الرسول». <meta info="تحف العقول: ٣٠٦ - ٣١١. type="ref" <class="ref">[١]</meta

السادس: رساله الإمام الهادي عليه السلام

روى المحدثون عن الإمام الراشد الصابر أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام رساله في الردّ على أهل الجبر والتفويض وإثبات العدل والمنزله

[pagebreak](صفحة ٢٤٢)

ص: ٢٤٣

بين المنزلتين، وقد نقلها بنصها ابن شعبه الحراني في «تحف العقول». <meta info="تحف العقول: ٣٣٨ - ٣٥٢. type="ref" class="ref">[١]</meta <type="ref" class="ref">[١]</meta هذه الرسائل هي المدونه من قبل الأئمة عليهم السلام أنفسهم، وهناك رسائل أخرى بأقلامهم لم نذكرها روماً للاختصار.

وأما ما روى عنهم ودونها أئمة أهل الحديث عبر القرون فحدث عنه ولا حرج ونشير إلى بعضها.

السابع: أربعمائه مصنف لأربعمائه مصنف

إِنَّ أُمَّهُ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَدْ رَبُّوا جَيْلاً كَبِيراً مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ، فَدَوَّنُوا مَا وَعَوْهُ عَنْهُمْ فِي كُتُبِهِمُ الْمَعْرُوفَةَ بِأَرْبَعِمِائَةٍ مَصْنُوفٍ، وَلَمْ يَزَلْ بَعْضُهَا مَوْجُوداً إِلَى الْآنَ بِهَيْئَتِهَا وَوَضْعِهَا.

غَيْرَ أَنَّ كَثِيراً مِنْهَا قَدْ انْتَقَلَ مَوَادِّهَا إِلَى الْأَصُولِ الْمُؤَلَّفَةِ عَلَى يَدِ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ فِي الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخَّرَةِ، وَهِيَ بَيْنَ جَوَامِعِ أَوْلِيَةِ كَالْمَحَاسِنِ لِأَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي خَالِدِ الْبَرْقِيِّ (الْمُتَوَفَّى ٢٧٤ هـ)، وَنَوَادِرِ الْحُكْمَةِ لِمُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْأَشْعَرِيِّ الْقُمِيِّ (الْمُتَوَفَّى ٢٩٣ هـ)، وَكِتَابِ الْجَامِعِ لِأَحْمَدَ بْنَ الْبَزْنَطِيِّ (الْمُتَوَفَّى ٢٢١ هـ)، وَكِتَابِ الثَّلَاثِينَ لِلْأَخْوَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ سَعِيدَ بْنَ حَمَادِ الْأَهْوَازِيِّ.

وَبَيْنَ جَوَامِعِ ثَانَوِيهِ كُ «الْكَافِي» لِلشَّيْخِ الْكَلِينِيِّ (الْمُتَوَفَّى ٣٢٩ هـ)، وَ«مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه» لِلْمُحَدِّثِ الْخَيْرِ أَبِي جَعْفَرِ الصَّدُوقِ (الْمُتَوَفَّى

[pagebreak](صفحة ٢٤٣)

ص: ٢٤٤

٣٨١ هـ)، وَ«التَّهْذِيبُ» وَ«الاسْتَبْصَارُ» لِلشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ الطُّوسِيِّ (الْمُتَوَفَّى ٤٦٠ هـ).

وَبَيْنَ جَوَامِعِ مُتَأَخَّرَةٍ كُ «الْوَافِي» لِمُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَيْضِ الْكَاشَانِيِّ (الْمُتَوَفَّى ١٠٩١ هـ)، وَ«وَسَائِلُ الشَّيْعَةِ» لِلْحَرِّ الْعَامِلِيِّ (الْمُتَوَفَّى ١١٠٤ هـ)، وَ«بِحَارُ الْأَنْوَارِ» لِمُحْيِي السَّنَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بَاقِرِ الْمَجْلِسِيِّ (الْمُتَوَفَّى عَامَ ١١١٠ هـ).

فَهَذِهِ الْجَوَامِعُ وَغَيْرُهَا الَّتِي لَمْ تُنَشَرْ إِلَيْهَا بَغْيَةُ الْاِخْتِصَارِ قَدْ اِحْتَضَنَتْ عُلُومَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي مُخْتَلَفِ

المجالات، ومن أراد أن يتمسك بالثقلين فهذا هو كتاب الله، وهذه هي سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي نقلها أئمّه أهل البيت عليهم السلام عنه.

وهناك نكته جديره بالإشارة وهي أنّه إذا كان أئمّه أهل البيت عليهم السلام مطهّرين من الرجس حسب تنصيب الكتاب، والمرجع العلمي بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقرناء القرآن وأعداله بنفس روايه الثقلين، إلى غير ذلك من سمات ومواصفات فلماذا غفل إخواننا أهل السنّه عن الرجوع إليهم والاستضاءه بأنوارهم وركوب سفينتهم حتّى ينجوا من الغرق؟! الغرق؟! الغرق؟!

والعجب أنّهم رجعوا إلى كلّ صحابي وتابعي وكلّ إنسان يتّسم بالسلفيه، ومع ذلك لا نرى أنّهم يتمسكون بأحاديث أئمّه أهل البيت عليهم السلام إلّا نزرًا قليلًا لا يذكر!! فهم طرّفوا كلّ باب حتّى باب مستسلمه أهل الكتاب، نظراء: كعب

![[pagebreak]](صفحه ٢٤٤)

ص: ٢٤٥

الأخبار و وهب بن متبه إلى غير ذلك ولم يطرّفوا باب أئمّه أهل البيت عليهم السلام!!

نسأله سبحانه أن يلمّ شعث المسلمين ويرزقهم توحيد الكلمه كما رزقهم كلمه التوحيد.

٧. فاطمه الزهراء عليها السلام في كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إشاره

إنّ السیده فاطمه الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم هي الكوثر الفياض الذي ردّ بها سبحانه شماته أعداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث وصفوه بكونه بلا- عقب فأنزل الله سبحانه سوره الكوثر وقال: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ.....».

وقد حظيت سيده نساء العالمين بمنزله عظيمه عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتّى قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقّها:

«فاطمه بضعه منّي فمن أغضبها فقد أغضبني».

البخارى: ٤٩١ / ٦، باب علامات النبوه، و ج ٨ /

١١٠، باب المغازى. " <meta class="ref" type="ref" id="1"> [١] " إن إغضاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعقب إيذاه، ومن آذاه فقد حكم عليه بالعذاب الأليم، قال سبحانه:

"وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ". <meta info="التوبة: ٤١"> [٢] " <meta class="ref" type="ref" id="2"> [٢] "

وفى روايه أخرى، بين أن غضب الزهراء عليها السلام ورضاها يوجب غضب الله سبحانه ورضاه، فقال:

[pagebreak](صفحه ٢٤٥)

ص: ٢٤٦

"يا فاطمه إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك". <meta info="مستدرك الحاكم: ٣/١٥٤؛ مجمع الزوائد: ٩/٢٠٣، وقد استدرک الحاكم فى كتابه الأحاديث الصحيحه حسب شروط البخارى ومسلم ولكن لم يخرجاه. وعلى ذلك فهذا الحديث صحيح عند الشيخين، وهو متفق عليه. " <meta class="ref" type="ref" id="1"> [١] " فأيه مكانه شامخه للزهراء عليها السلام حتى صار غضبها ورضاها ملاكاً لغضبه سبحانه ورضاه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على عصمتها، فهو سبحانه بما أنه عادل وحكيم لا يغضب إلا على الكافر والعاصي، ولا يرضى إلا على المؤمن والمطيع.

وفى ظل تلك الكرامه أصبحت فى لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيده نساء العالمين، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

"يا فاطمه ألا ترضين أن تكونى سيده نساء العالمين، وسيده نساء المؤمنين، وسيده نساء هذه الأمة". <meta info="المستدرك للحاكم: ٣/١٥٦. ٣. آل عمران: ٤٢"> [٢] " وعلى الرغم من أن الزهراء عليها السلام معصومه لا تعصى ولا تذنّب، ولكنها ليست بنبيه، إذ لا ملازمه بين العصمه والنبوه، وهذه هى مريم البتول العذراء فهى معصومه بنص الكتاب الحكيم لكنها ليست بنبيه.

أمّا أنّها معصومه، فلقوله سبحانه فى حقّها: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ». (٣)

[pagebreak](صفحه ٢٤٦)

ص: ٢٤٧

فإنّ الإخبار عن تطهير مريم بعد

اصطفائها دليل على تطهيرها من الذنوب ومخالفه شريعته زمانها.

وأما أنها ليست بنبيه فأمر واضح لا يحتاج إلى بيان، فلتكن بنت خاتم الرسل سيده نساء العالمين، كمریم البتول معصومه غير نبیه.

ولنقتصر في بيان فضائل الزهراء عليها السلام بهذا القدر اليسير، فإن استيفاء البحث فيها بحاجة إلى تصنيف مفرد.

منزله بيت فاطمه عليها السلام

نزل قوله سبحانه: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ» `<meta info="النور: ٣٦" type="ref" "` `<class="ref">[١]</meta` على قلب سيد المرسلين وهو صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد الشريف، فقام إليه رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء»، فقام إليه أبو بكر، فقال: يا رسول الله: أهذا البيت منها؟ - مشيراً إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام - قال: «نعم، و من أفاضلها». `<meta info="الدر المنثور: ٦/٣٠٣، تفسير سورة النور؛` روح المعاني: ١٨/١٧٤. `<type="ref" class="ref">[٢]</meta "` قوله سبحانه: «فِي بُيُوتٍ ظرف لما تقدمه من قوله «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ...» `<meta info="النور: ٣٥" type="ref" "` `<class="ref">[٣]</meta` فالنور الذي نوهت به الآية بما له من صفات، مصدر إشعاعه هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع، فكيف لا يكون لها منزله وكرامه؟! `</ref">`

[pagebreak](صفحة ٢٤٧)

ص: ٢٤٨

[pagebreak](صفحة ٢٤٨)

ص: ٢٤٩

الأساس فإنَّ وجود مثل هذا المصلح العالمى فى مستقبل البشريه أمر مقطوعٌ به ومسلّمٌ من حيث الروايات والأحاديث الإسلاميه بحيث لا يمكن الشكُّ أو التشكيك فيه.

وأما ما وَقَعَ الخلافُ فيه فهو ولادته، وأنَّه هل وُلِدَ هذا الرَّجُل ولا يزال منذُ ولادته حيًّا، أم أنَّه سيولد فى المستقبل؟

يذهب الشيعة وفريقٌ من أهل التحقيق من أهل السنَّه إلى الرأى الأوَّل، فيعتقدون بأنَّ الإمامَ المهديَّ وُلِدَ من أمِّه (نرجس) عام ٢٥٥ هـ وهو لا يزال حيًّا إلى هذا اليوم.

وذهبَ فريقٌ من أهل السنَّه إلى أنَّه سيولد فيما بعد.

والشيعة الإماميه تعتقدُ بأنَّ الإمامَ المهديَّ عليه السلام وُلِدَ عام ٢٥٥ هجرية، فى سامراء فى بيت والده الإمام العسكرى عليه السلام، وهو لا يزال حيًّا إلى هذه الساعه. وهذا يبعثنا إلى أن نذكر شيئاً حول أمور أربعه:

١. ولادته.

٢. غيبته.

[pagebreak](صفحه ٢٥٣)

ص: ٢٥٤

٣. طول عمره.

٤. علائم ظهوره، على وجه الإيجاز.

٣. ولاده الإمام المهدي المنتظر عليه السلام

ربّما تكفل بعض الروايات لبيان جوانب مختلفه من ولادته وحياته وسماته، فلذلك تجاوز عدد الأحاديث عمّا سردناه سابقاً.

اتفقت الشيعة الإماميه على أنَّ المهدي المنتظر عليه السلام قد ولد فى سامراء عام ٢٥٥ هـ فى دار أبيه، وتربّى فى حضنه إلى العام الذى توفّى فيه أبوه، أعنى: عام ٢٦٠ هـ. وإليك بعض النصوص من قدماء المحدثين.

١. روى فضل بن شاذان (المتوفّى ٢٦٠ هـ) قال حدثنا محمد بن على بن حمزه بن حسين قال: سمعت أبا محمد عليه السلام يقول:

«قد ولد لىّ الله وحجته على عباده وخليفتي من بعدى مختوناً ليله النصف من شعبان سنه خمس وخمسين ومائتين عند طلوع

الفجر». <meta info="كفايه المهدي: ١١٦، الحديث ٨. " ٢ </meta>

الكلىنى (المتوفّى عام ٣٢٩ هـ): ولد الصاحب للنصف من شعبان سنه خمس

وخمسين ومائتين ثم نقل قولاً آخر أنه ولد سنة ست وخمسين ومائتين. <meta info=" الكافي: ١ / ٥١٩. " type="ref" >[٢]</meta > ولا نزيل الكلام بنقل كلمات محدثي الشيعة ومؤرخيهم في المقام،

[pagebreak](صفحة ٢٥٤)

ص: ٢٥٥

وقد وافق الشيعة في ولادة المهدي في نفس العام جمع من أعلام السنّة ربّما يبلغ عددهم إلى سته وسبعين، وقد جمعت كلماتهم في كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر». <meta info=" منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ٣٦٩ - ٣٩٣. " type="ref" class="ref" >[١]</meta > ولنقتصر ببعض الكلمات.

٣. يقول العلّامة علي بن محمد المشتهر بابن الصباغ (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) في كتابه «الفصول المهمة» في الفصل الثاني عشر يقول: «في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح ابن أبي محمد الحسن الخالص»:

وهو الإمام الثاني عشر وتاريخ ولادته ودلائل إمامته وذكر طرف من أخباره وغيبته ومدّه قيام دولته وذكر كفيته ونسبه وغير ذلك ممّا يتصل به» ثم فصل في ذكر هذه المواضيع. <meta info=" الفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٩١. " type="ref" >[٢]</meta > ٤. يقول ابن حجر الهيتمي (المتوفى ٩٧٤ هـ) في الفصل الثالث المختص ببيان أهل البيت فبعدما ذكر أسماء أئمه أهل البيت عليهم السلام وبلغ إلى ذكر الإمام الحسن العسكري قال: أبو القاسم محمد الحجة وعمره عند وفاه أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر قيل:

لأنّه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب. <meta info=" الصواعق: ٢٠٨. " type="ref" class="ref" >[٣]</meta > ٥. وقد خصّص الحافظ أبو عبد الله النوفلي القرشي الكنجي الشافعي (المتوفى ٦٥٨ هـ) باباً باسم «في الدلالة على جواز بقاء

[pagebreak](صفحة ٢٥٥)

ص: ٢٥٦

المهدي عليه السلام حياً باقياً منذ غيبته إلى الآن» وقال مستدلاً عليه: بأنّه لا امتناع في بقاءه بدليل بقاء عيسى والياس والخضر..

الخ. <meta info="meta info"> البيان في أخبار صاحب الزمان: ١٤٨. "٦" </meta> [١] </ref" class="ref">. وقال ابن خلكان: أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد المذكور قبله ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإماميه، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين، ولما توفي أبوه كان عمره خمس سنين، واسم أمه:

خمت، وقيل: نرجس، والشيعة يقولون: إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه، فلم يعد يخرج إليها، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين، وعمره يومئذ تسع سنين. <meta info="meta info"> وفيات الأعيان: ١٧٦/٤. "٢" </ref" class="ref"> [٢] </ref" class="ref"> ٧ </meta>. وقال القاضي الفضل بن روزبهان في كتابه حول أئمة أهل البيت عليهم السلام رداً على العلامة الحلبي قال: ما ذكر من فضائل فاطمه - صلوات الله على أبيها وعليها وعلى سائر آل محمد والسلام - أمر لا ينكر، فإن الإنكار على البحر برحمته، وعلى البر بسعته، وعلى الشمس بنورها، وعلى الأنوار بظهورها، وعلى السحاب بجوده، وعلى الملك بسجوده، إنكار لا يزيد المنكر إلا الاستهزاء به، ومن هو قادر على أن ينكر على جماعة هم أهل السداد، وخزان معدن النبوه، وحفاظ آداب الفتوه صلوات الله وسلامه عليهم، ونعم ما قلت فيهم منظوماً:

[pagebreak](صفحة ٢٥٦)

ص: ٢٥٧

سلام على المصطفى المجتبي سلام على السيد المرتضى

سلام على بنته فاطمهمن اختارها الله خير النساء

إلى أن قال:

سلام على القائم المنتظر أبي القاسم القرم نور الهدى

سيطلع كالشمس في غاسق ينجيه من سيفه المنتضى

تري يملأ الأرض من عدله كما ملئت جور أهل الهوى <meta info="meta info"> منتخب الأثر: ٣٧٨ / ٢ عن إبطال نهج الباطل. "

</ref" class="ref"> [١] </ref" class="ref">

٤. تقسيم أولياء الله إلى ظاهر مشهود، وغائب غير مشهود

إن أولياء الله - حسب نظر القرآن - على نوعين:

ولئى ظاهر يعرفه الناس.

ولئى غائب عن أنظار الناس لا يعرفه أحد منهم، وإن

كان يعيش بينهم، ويعرف هو أحوالهم وأخبارهم.

وقد ذكر في سورة الكهف كلا النوعين من الأولياء في مكانٍ واحدٍ أحدهما «موسى بن عمران» والآخر مصاحبه ورفيقه المؤقت، الذي صحبه في سفره البري والبحري، ويُعرف بالخضر.

[pagebreak](صفحة ٢٥٧)

ص: ٢٥٨

إن هذا الولي الإلهي كان بحيث لم يعرفه مصاحبه ومرافقه النبي موسى وإنما صاحبه ورافقه بتعليم وأمر من الله، واستفاد من علمه خلال مرافقته إياه كما يقول تعالى: «فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا» قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا» [١] <meta info="الكهف: ٦٥ - ٦٦. </meta

ثم إن القرآن الكريم يُقدِّم شرحاً مفصلاً عما فعله هذا الولي الإلهي من أعمال مفيدة، ذلك الذي لم يكن أحد حتى النبي موسى عليه السلام يعرفه، ولكن كانوا يستفيدون من آثار وجوده المبارك ومن أفعاله المفيدة <meta info="راجع سورة الكهف، الآيات ٧١-٨٢. </meta [٢] </meta

إن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف على غرار مرافق موسى عليه السلام، ولي غير معروف للناس مع أنه في نفس الوقت منشأ آثار طيبة للأمة. أي لا يعرفه أحد منهم مع أنهم يستفيدون من بركات وجوده الشريف. وبهذا لا تكون غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بمعنى الانفصال عن المجتمع، بل هو - كما جاء في روايات المعصومين عليهم السلام - كذلك مثل «الشمس خلف السحاب لا ترى عيها، ولكنها تبعث الدفء والنور إلى الأرض وساكنيها» <meta info="كمال الدين، للشيخ الصدوق: ٤٨٥، الباب ٤٥، الحديث ٤. </meta [٣] </meta

[pagebreak](صفحة ٢٥٨)

ص: ٢٥٩

هذا مضافاً إلى أن فريقاً من الأبرار والطيبين الأتقياء الذين كانوا يتمتعون باللياقة والأهلية للتشرف بلقاء الإمام المهدي قد رأوه والتقوا به واستفادوا

من إرشاداته، وعُلمه، واستفاد الآخرون من هذا الطريق، من آثاره المباركة وبركات وجوده الشريف.

٥. غيبه بعض الأنبياء عليهم السلام في الأمم السابقة

إنَّ علَّه غيبه الإمام المهدى عَجَل الله فرجه الشريف هي من الأسرار الإلهية التي لا نستطيع الوقوف على حقيقتها وكنهها، كما أنَّ لهذه الغيبة المؤقته نظائر في حياه أولياء الله السابقين والمام السابقه.

فقد غاب النبي موسى الكليم عليه السلام عن أمته أربعين يوماً، وقضى كل هذه المده في الميقات <meta info=" لاحظ الأعراف: ١٤٢. </meta " [١]</ref"> .

وغاب السيد المسيح عليه السلام بمشيئه الله عن أنظار أمته، فلم يقدر أعداؤه على قتله، والقضاء عليه <meta info=" لاحظ النساء: ١٥٨. </meta " [٢]</ref"> .

وغاب النبي يونس عليه السلام عن قومه مدّة من الزمان <meta info=" لاحظ الصافات: ١٤٠. </meta " type="ref" " [٣]</meta </class="ref"> .

إذن فليست غيبه الإمام المهدى عليه السلام عن أنظار الناس بدعاً من الأمر كما لا يصح أن تقع هذه الغيبة مهما طالت ذريعه لإنكار أصل وجود المهدى عليه السلام.

[pagebreak](صفحه ٢٥٩)

ص: ٢٦٠

وأساساً إنَّ كل ما يثبت عن طريق النقل المتواتر، ولكن لا يقدر الإنسان على التحقق منه، ومشاهدته لا يجوز له أن ينكره أو يتردد في القبول به مادام روى ونقل بالتواتر الموجب للاطمئنان، لأنَّ قسماً من الأحكام الإلهية التي هي من مسلمات الدين الإسلامي وضرورياته سيتعرض للترديد والإنكار إذا تجاهلنا هذه القاعدة العقلانية الصائبة، وهذا الأمر العرفي معقول جداً.

وغيبه الإمام المهدى عجل الله فرجه الشريف ليس بمستثنى من هذه القاعدة، وعدم الاطلاع على سترها أو أسرارها الحقيقيه لا يجوز التردد فيها، وإنكارها.

ومع ذلك فإننا يجب أن نقول: إنَّه من الممكن إدراك سر الغيبه هذه في حدود فكرنا البشري وهذا السر هو ما يلي:

حيث إنَّ آخر حُجَّه من حجج الله وآخر إمام من

أئمه أهل البيت قد أرادَ اللهُ تعالى أن يُحقِّقَ به الأُمْنِيَةَ الكُبْرَى (وهي بسط العدل والقسط ورفع رايه التوحيد على كل ربوع الأرض) وهذه الأُمْنِيَةُ الكُبْرَى وهذا الهدف العظيم لا- يمكن أن يتحقق إلَّا بعد مرور ربح من الزمان، وإلَّا بعد تكاملِ العقلِ البَشَرِيِّ وتَهْيِؤِهِ الرُوحِيِّ والنَفْسِيِّ لذلك، حتى يستقبلَ العالمُ - بشوقٍ ورغبَةٍ - موكبَ الإمامِ والمصلحِ العالمِيِّ، موكبَ العَدْلِ والحرِيَّةِ والسلامِ، لهذا فإنَّ مِنَ الطَبِيعِيِّ أَنَّ هذا الإمامَ لو ظَهَرَ بين النَّاسِ، وعاشَ بين ظهرائِهِم قَبْلَ نُضُوجِ الأَمْرِ، وحصولِ المقَدِّماتِ اللازِمَةِ، والأرضِيَةِ المناسبِ، كان مَصِيرُهُ ومآلُهُ، مَصِيرَ من سَبَقَهُ من آباءِهِ من الأئمَّةِ

[pagebreak](صفحة ٢٦٠)

ص: ٢٦١

الكرامِ البرِّه (أى الشهادة)، ولُقِّتْ عليه السلام قبل أن يتحقَّقَ ذلكَ الهدفُ العظيم، وتلك الأُمْنِيَةُ الكُبْرَى على يديه.

ولقد أُشيرَ إلى هذه الحكمة فى بعض الروايات الصادرِة عن أهل البيت عليهم السلام أيضاً.

فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِنَّ لِلْقَائِمِ غَيْبَةً قَبْلَ ظُهُورِهِ».

يقول الراوى: قلت: ولم؟

فقال الإمام الباقر: «يَخَافُ (أى القتل)» `<meta info=" كمال الدين للشيخ الصدوق: ٤٨١، الباب ٤٤، الحديث ٨. "` `</meta`

أى منعاً من أن يُقتلَ قبل تحقُّقِ الهدفِ المنتظرِ منه.

وَرُبَّمَا ذَكَرَ وَجْهَ آخِرِ لَغِيْبَتِهِ فى بعض الروايات وهى اختبارُ النَّاسِ وتمحيصُهُم، وامتحانهم، يعنى أَنَّ النَّاسَ يُخْتَبَرُونَ فى عَصْرِ الغَيْبَةِ، ويمرُّون بالامتحان الإلهيِّ، ويُعرَفُ مدى ثباتهم على طريق الإيمان، ومدى استقامتهم فى طريق الإيمان والعقيدة.

`<meta info=" راجع بحار الأنوار: ٥٢ / ١٠٢، ١١٣ - ١١٤، باب التمحيص والنهى عن التوقيت. "` `</meta`

٦. الإمام المهدي وطول العمر

لقد وُلِدَ الإمامُ المهديُّ عَجَلُ اللهُ فرجه الشَّريفَ عام ٢٥٥ هجرية، وعلى هذا الأساس يكونُ عُمرُهُ الآن (عام ١٤٢٦ هـ) قد تجاوزَ أحدَ عشرَ قرناً.

[pagebreak](صفحة ٢٦١)

ص: ٢٦٢

إِنَّ الإِذْعَانَ بِهَذَا العُمُرِ الطَّوِيلِ جَدًّا، مَعَ أَخْذِ القُدْرَةِ

الإلهية المطلقة بعين الاعتبار ليس أمراً مشكلاً.

وفى الحقيقه إنّ الذين يَعْتَبِرُونَ طَوْلَ عُمَرِ الإِمَامِ المَهْدِيِّ عليه السلام مشكله في طريق الإيمان بوجوده، ومانعاً من القول بولادته، يَعْفُلُونَ عن قدره الله اللامتناهيه فهم كمن قال عنهم سبحانه: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ» <meta info=" الأنعام: ٩١. " </meta type="ref" class="ref">[١]</meta .

هذا مضافاً إلى أنّ في الأمم السالفه معمرين كثيرين عاشوا طويلاً ذكرهم القرآن الكريم.

فقد ذكر أن نوحاً عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً. <meta info=" لاحظ العنكبوت: ١٤. " type="ref" </meta >[٢]</meta >class="ref"> كما أن العلم البشري الحديث يسعى في عصرنا إلى أن يُحَلَّ مشكله طول العُمُر، بالأساليب العلميه، والصّحيه.

وهذا يُفيد أنّ الإنسان يمكن - في نظر العلماء - أن يعيش طويلاً بعد رَفْعِ الموانع التي تحول دون العُمُر الطويل.

إنّ الله قادرٌ على إطاله عُمُر من يُريد إلى يوم القيامة إذا شاء، أليس هو القائل بأنّ يونس لو لم يكن من المسبّحين لَلَبِثَ في بطن الحوتِ إلى يَوْمِ الدِّينِ <meta info=" لاحظ سوره الصافات: ١٤٣ - ١٤٤. " type="ref" class="ref">[٣]</meta >class="ref"> </meta ><</meta > . ألا يستطيع هذا الإله الخالق القادر أن يُطِيلَ عُمُرَ حُجَّتِهِ البَالِغَةِ،

[pagebreak](صفحه ٢٤٢)

ص: ٢٤٣

وَحَلِيفَتِهِ الحَقِّ بِطُفْهِهِ وَعِنَايَتِهِ؟

الجوابُ هو: نعم.

٧. علائم ظهور الإمام المنتظر عليه السلام

لا يعرف أحدٌ بوقت ظهور الإمام المهدي قط، فهذه الحقيقه من الأسرار الإلهيه، مثل موعده يوم القيامة، الذي لا يعرف به أحدٌ إلّا الله وحده.

ولهذا يجب أن لا يُصدَّقَ زعم من يدّعي أنه يعلم بوقت ظهور الإمام المهدي، أو يعيّن وقتاً، ويضرب أجلاً معيناً لذلك، (كذب الوقائون) <meta info=" الاحتجاج للطبرسي، احتجاجات الإمام المهدي (ع). " type="ref" class="ref">[١]</meta >class="ref"> </meta ><</meta > .

ولو أننا تجاوزنا مسأله توقيت ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وَجَبَ أن نقول: إنّ الروايات ذكّرت علائم كُتِبَتْ لِظهور الإمام المهدي وهي تَنفَسِمُ إلى نوعين:

الْحَتْمِيهِ الْقَطْعِيهِ.

٢. العلائم غير الحتميه.

ويُطلب التفصيل ممّا كتب حول الإمام المهدي من الموسوعات.

وأخصّ بالذكر كتاب «منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر». <meta info="منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: ٢ / ٢٠ - ١٢٤.

<type="ref" class="ref">[٢]</meta "

[pagebreak](صفحة ٢٦٣)

ص: ٢٦٤

٨. الآثار البناء لوجود الإمام المنتظر عليه السلام

إنّ البراهين الكلاميّة ترى أنّ وجود الإمام المعصوم في المجتمع، وحضوره بين الناس لطف من أطف الله الكبرى لكونه سبباً لهداياه الناس.

ومن البديهي أنّ الناس إذا رَحَبُوا بهذا المظهر البارز من مظاهر اللطف الإلهي واستقبلوه، والتفوا حوله، انتفعوا بآثار وجوده المبارك.

وإلّا حُرِمُوا من الاستفادة الكامله والانتفاع التام من نعمه وجوده الشريف.

وفي هذه الحالة لا يكونُ السبب في هذا الحرمان إلّا الناس أنفسهم، لا الله ولا الإمام. <meta info="وقد أشار المحقق نصير الدين الطوسي إلى هذه الحقيقة في كتابه «تجريد الاعتقاد» (مبحث الإمامه) حيث قال: وجوده (أي الامام) لطف، وتصرفه لطف آخر، وغيبته منّا. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " ومع ذلك فإنّ لوجوده (صلوات الله عليه) آثاراً بناء نشير إلى بعض الجوانب:

أولاً: إنّ الغيبه لا تلازم عدم التصرف في الأمور، وعدم الاستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه، أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينه التي يمتلكها المستضعفون، ليصونها من غضب الملك، ولم يعلم أصحاب السفينه بتصرفه، وإلّا لصدّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغايه عمله؛ كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأى مانع، حينئذٍ من

[pagebreak](صفحة ٢٦٤)

ص: ٢٦٥

أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليه تصرفاً من هذا النمط من التصرفات.

و يؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم فى أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل - بنفسه الشريفه - قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

وثانياً: المسلّم

هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غيبته، وأما عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأُمّة، الذين يستدرّ بهم الغمام، لهم التشرف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأُمّة بواسطتهم.

وثالثاً: تثبت المحاسبات العقلية والتجارب الاجتماعية بوضوح أنّ الاعتقاد بوجود قائد حي له أثر عميق في حفظ النظام وبقاء الرساله، إن كان الوصول إلى هذا القائد سهلاً أو صعباً. على أيّ حال فإنّ للاعتقاد بوجود قائد له فوائد. ولكن لا جدال بالنسبه لوجود القائد في داخل المجتمع ويتحمّل عبء القيادة بصورة مباشرة، والمهم أن يكون القائد لأسباب بعيداً عن المجتمع، ولكن هذا المجتمع يعتقد ويؤمن بحياه القائد وعودته مره أخرى، في هذه الحاله فإن الاعتقاد بوجود مثل هذا القائد له أثر عظيم نشير فيما يلي إليه:

في التاريخ شعوب وأمم كانت لها انتفاضات وثورات، وهناك أمثله

[pagebreak](صفحه ٢٦٥)

ص: ٢٦٦

كثيره تدلّ على أنّ القائد عندما يكون على قيد الحياه حتى وإن لم يتسلم القيادة، ولكن التشكيلات والتنظيمات تبقى ظاهره، ولكن ما أن يودع الحياه حتى تتفرق التنظيمات وتتشتت وتصيبها الفوضى. وأفضل مثال على أنّ وجود القائد هو حافظ الرساله وسبب لتنظيم الأتباع، قصه معركة أحد، حيث ارتفع أثناء المعركه نداء، إمّا عن خطأ أو لغرض: (ألا قد قُتل محمد)، ارتفع هذا النداء في وقت كان المسلمون مشغولين بمواجهه عدوان المهاجمين، وعندما انتشر النبا بين المسلمين بأنّ القائد قد مات حتى تشتت النظام لدرجه بحيث فرّ كل واحد إلى جهه، تاركين المعركه، حتى أنّ البعض فكّر في الالتحاق بالأعداء.

وعندما كُذّب نبا مقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأيقن المسلمون بسلامه قائدهم، ورأى بعضهم النبي صلى الله

عليه وآله وسلم بأنفسهم، اجتمع أفراد الجيش المشتت مره أخرى خارجين من نقاط مختلفه من جبل أحد والتفوا حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبدأوا القتال والدفاع.

ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقه بهذه الصوره:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» [meta info=" آل عمران: ١٤٤. "]</meta> .

في ميادين القتال يتركز جهد مجموعه من الجنود المضحين على

[pagebreak](صفحه ٢٦٦)

ص: ٢٦٧

بقاء العلم خفاقاً أمام هجمات الأعداء، بينما يسعى جنود العدو دائماً إلى إسقاط علم الطرف الآخر، لأنّ بقاء العلم يبعث الأمل في قلوب الجنود ويحثهم على بذل مساعيهم.

وكذلك أنّ وجود قائد الجيش في مقر القيادة، حتى ولو كان ساكناً ساكناً، فإنّه يجعل الدم يجري في عروق الجنود ويدفعهم لبذل جهود أكثر بأنّ (قائدنا حي ورايتنا خفاقه)، ولكن عندما ينتشر نبأ مقتل القائد بين أفراد الجيش فإنّ هذا الجيش وإن كان عظيماً فإنّه يتلاشى مرةً واحده، وكأنّ الروح قد فارقت أجسادهم.

إنّ رئيس جمعيه أو بلد، ما دام على قيد الحياه، إن كان في سفرٍ أو طريق الفراش، فإنّه سببٌ للحياه والحركه والنظام والهدوء. ولكن سماع نبأ وفاته يبعث على اليأس والقنوط بالنسبه للجميع.

والشيعه، طبقاً لعقيدتهم بوجود الإمام (عج) حياً، رغم انهم لا يرونه بينهم، لا يرون أنفسهم وحيدين (تأملوا ذلك جيداً)، إنهم دائماً ينتظرون عوده هذا العزيز المسافر- الذي ترف له قوافل القلوب- إنّ انتظاره المؤثر والمفيد يُعطى كل يوم أملاً بظهوره.

إنّ الأثر النفسى لمثل فكره إحياء الأمل في القلوب ودفع الناس لإعداد أنفسهم لتلك الثوره الكبرى، مفهوم ويمكن إداركه.

ولكن إذا

لم يكن لهذا القائد وجود مطلقاً، وكان الناس ينتظرون ولادته في المستقبل، فإن الوضع - عند ذاك - يفرق كثيراً عن السابق.

[pagebreak](صفحة ٢٦٧)

ص: ٢٦٨

وإذا أضفنا إلى هذا الموضوع شيئاً آخر، فإنّ الجواب يتخذ له شكلاً جدياً آخر وهو: إنّ طبقاً لعقيدته عموم الشيعة - الوارده في الكثير من الروايات من المصادر الدينيه - ان الإمام عليه السلام بشكل دائم وأثناء مرحله الغيبه يراقب أوضاع أتباعه، وانه وفق إلهام إلهي يطلع على أوضاع جميعهم، أو بتعبير الروايات إنّهُ يطلع اسبوعياً على جدول أعمالهم وتصرفاتهم وأحاديثهم <meta info=" كما في تفسير البرهان في ذيل الآيه (١٠٥) من سوره التوبه: «... فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون»." </meta <type="ref" class="ref">[١].

إنّ هذه الفكره تؤدّي إلى أن يكون جميع أتباعها على استعداد تام ودائمي، ويتوجهون في أعمالهم إلى أنّ هناك (مشرف عالي). إنّ الأثر التربوي لمثل هذا النوع من التفكير لا يمكن إنكاره.

[pagebreak](صفحة ٢٦٨)

ص: ٢٦٩

وحكماً، بزياده أو نقيصه.

الثانى: أن تكون هناك إشاعه ودعوه.

الثالث: أن لا يكون هناك دليل فى الشرع يدلّ على كونها من الدين لا بصوره الخصوص ولا بصوره العموم.

والإمعان فى هذه القيود يوقفنا على حقيقه البدعه.

أما الأول: أعنى: التدخل بالدين بزياده شىء أو نقصه منه فهو افتراء على الله فى الدين.

[pagebreak](صفحه ٢٧٢)

ص: ٢٧٣

يقول سبحانه: «قُلْ ءَآلَهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» <meta info=" يونس: ٥٩. "[١]" type="ref" class="ref"> .

ويقول سبحانه: «وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ...» <meta info=" الحديد: ٢٧. " type="ref" class="ref"> .

وعلى هذا فلو أبدع إنسان شيئاً من غير مثال من دون أن يكون عمله تدخلاً فى الدين كالعادات والصناعات فهو بدعه لغه، لأنه إحداث أمر من غير مثال ولا يطلق عليه البدعه شرعاً، لأن المبدع لم يدع أنه من صميم الدين. فعلى هذا فالاحتفالات الرسميه لدى الدول المختلفه لغايه من الغايات دون نسبتها إلى الدين فهو ليس بدعه، لأنهم لا يحتفلون بها، لأن الشرع أمر بذلك. وأما كونها حلالاً أو حراماً فهو تابع للموازن التى قررها الشرع، فلو كان الاحتفال خالياً عن المحرمات فهو حلال، وأما إذا اقترن بها كاختلاط الرجال والنساء فهو حرام وإن لم يكن بدعه.

وأما الثانى: هو الإشاعه ودعوه الناس إليه، فلا تتحقق البدعه بقيام شخص بالتدخل بالدين وحده فى البيت كأن يزيد فى صلاته أو ينقص منها، وإن كان عمله محرم وصلاته باطله.

وإنما تتحقق إشاعه تلك الفكره والعمل الحديث فى المجتمع ودعوتهم إليه بعنوان أنه من الشرع.

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من ذلك

[pagebreak](صفحه ٢٧٣)

ص:

من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلاله كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا- ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». <meta info="مسلم، الصحيح: ٨ / ٤٢، كتاب العلم." [١]></meta " وأما الثالث: أعنى عدم وجود أصل له في الدين فهذا هو العنصر الثالث المقوم لمفهوم البدعه، ومعناه فقدان الدليل على كونه من الدين لا في الكتاب ولا في السنّه، إذ لو كان هناك دعم من الشارع للعمل لما كان أمراً جديداً في الدين ولا تدخلاً في الشرع، وقد صرح بذلك ابن رجب الحنبلي وابن حجر العسقلاني في تعريفهما المذكورين.

وقال المجلسي: البدعه في الشرع ما حدث بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولم يرد فيه نص على الخصوص، ولا يكون داخلاً في بعض العمومات وإن كان بدعه لغيره. <meta info="بحار الأنوار: ٧٤ / ٢٠٢." [٢]></meta

٢. الابتداع في تعريف البدعه

قد تعرفت على البدعه تعريفاً ومفهوماً وأنّ حقيقتها ترجع إلى التدخّل في الدين بما ليس في الكتاب والسنّه فقط.

ومن البدعه جعل سيره السلف معياراً للحق والباطل حيث نرى أنّ كثيراً ممّن ينتمون إلى السلفيه يصفون كثيراً من الأمور بالبدعه بحجّه أنّها لم تكن في عصر الصحابه والتابعين، فهذا ابن تيميه يصف الاحتفال بمولد النبي بأنّه بدعه بحجّه أنّه لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع

[!pagebreak](صفحه ٢٧٤)

ص: ٢٧٥

منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً، لكان السلف أحقّ منّا، فإنّهم كانوا أشدّ محبّه لرسول الله وتعظيماً له منّا، وهم على الخير أحرص. <meta info="اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٧٦." [١]></meta " ويقول في حقّ القيام للمصحف وتقبيله: لانعلم فيه شيئاً مأثوراً عن السلف. <meta info="الفتاوى الكبرى: ١ / ١٧٦." [٢]></meta " أقول: إنّ

المقياس في تمييز البدعه عن السنّه هو الرجوع إلى الثقلين، سواء أفسّر بالكتاب والعترة كما هو المتضافر، أم بالكتاب والسنّه كما رواه الإمام مالك بالموطأ بسند مرسل. <meta info="موطأ مالك: ٦٤٨ برقم ١٦١٩." type="ref" class="ref"> [٣] </meta> فإذا دلّ شىء من الكتاب والسنّه على كونه من الدين فهو ليس ببدعه، وأمّا إذا لم يدلّ عليه بالخصوص أو بالعموم على أنّه من الدين فإشاعته بين المسلمين بما أنّه جزء من الشريعة فهو بدعه.

وأمّا السلف فهم كالخلف أمروا باتّباع الثقلين: الكتاب والعترة أو الكتاب والسنّه، فليس موافقتهم أو مخالفتهم معياراً للحق والباطل. وليس كلّ سلف صالح، بل أنّ فيهم الصالح والطالح والعاقل والظالم، كما أنّه ليس كل خلف طالح ففيهم مثل ما فى السلف.

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى: إنّ السلف لم يتّخذوا من معنى هذه الكلمه بحدّ ذاتها مظهراً لأى شخصيه متميزه، أو أى وجود

[pagebreak](صفحه ٢٧٥)

ص: ٢٧٦

فكرى أو اجتماعى خاص بهم، يميّزهم عمّن سواهم من المسلمين، ولم يضعوا شيئاً من يقينهم الاعتقادى أو التزاماتهم السلوكيه والأخلاقية فى إطاعه جماعه إسلاميه ذات فلسفه وشخصيه فكرية مستقله، بل كان بينهم وبين من نسميهم اليوم بالخلف منتهى التفاعل وتبادل الفهم والأخذ والعطاء تحت سلطان ذلك المنهج الذى تمّ الاتفاق عليه، والاحتكام إليه، ولم يكن يخطر فى بال السابقين منهم ولا اللاحقين بهم أنّ حاجزاً سيخترق ليرتفع ما بينهما، بصنيع طائفه من المسلمين فيما بعد، وليقسم سلسله الأجيال الإسلاميه إلى فريقين، يصبغ كلّاً منهما بلون مستقل من الأفكار والتصوّرات والاتجاهات، بل كانت كلمتا السلف والخلف فى تصوّراتهم لا تعنى - من وراء الانضباط بالمنهج الذى ألمحنا إليه - أكثر من ترتيب زمانى كالذى تدلّ عليه كلمتا: (قبل وبعد). <meta info="السلفيه للدكتور

محمد سعيد البوطي: ١٣- ١٤. [\[١\]](#) "وبذلك يظهر أنّ الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو القيام للمصحف وتقبيله إذا قام بهذا العمل المسلم بما أنّه من صميم الدين، فذلك كله ليس بدعه، لأنّ هذا النوع من التكريم لنبي الله وكتابه وإن لم يرد في الشريعة الإسلامية، ولكن في ذلك الأصول العامه الداعيه إلى تكريم النبي وتعزيره، يقول سبحانه: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [\[٢\]](#) " الأعراف: ١٥٧. فالله سبحانه وتعالى يصف المؤمنين بأوصاف ثلاثه:

[pagebreak](صفحة ٢٧٦)

ص: ٢٧٧

١. الإيمان بالنبي.

٢. تعزيره.

٣. ونصرته.

والمراد من التعزير هو تكريمه وتعظيمه.

إنّ سبحانه تبارك وتعالى يقول مخاطباً النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ»، فيذكر رفع ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن المعلوم أنّ الاحتفال به ترفيع لذكره الذي أخبر به سبحانه عنه.

إنّ حب النبي والآل ممّا دعا إليه القرآن والسنة والاحتفال به إظهار للحب.

ومن ذلك يظهر حال القيام للقرآن وتقبيله، فإن الكتب السماويه:

«صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ... * بَأَيْدِي سَيِّفِهِ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ»، وتكريم كتاب الله سبحانه تكريم لأنبيائه ورسله وملائكته وأوامره، ولذلك ذكرت للقرآن الكريم أحكاماً خاصه في الكتب الفقيهيه تدعو المسلمين إلى حفظه وصيانته والاجتناب عن إهانته والإساءه إليه.

٣. أسباب نشوء البدعه

إنّ لنشوء البدعه وانتشارها في المجتمع أسباباً مختلفه أعظمها اتباع الهوى.

إنّ استعراض تاريخ المتبئين الذين ادّعوا النبوه عن كذب ودجل،

[pagebreak](صفحة ٢٧٧)

ص: ٢٧٨

يثبت بأنَّ الأهواء وحبَّ الظهور والصدارة كان له دور كبير في نشوء هذه الفكرة وظهورها على صعيد الحياة، والمبتدع وإن لم يكن متتبناً إلَّا أنَّ عمله شعبه من شعب التَّبؤ، وفي الروايات إشارات وتصريحات على

ذلك.

خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: «أيها الناس إنَّما بدءٌ وقوع الفتن أهواءٌ تُتَّبَعُ، وأحكامٌ تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولَّى فيها رجال رجالاً...» ["الكافي: ١/ ٥٤ ح ١، باب البدع." type="ref" class="ref">](#) [" type="ref" class="ref">](#) [١].

إنَّ لحبَّ الظهور دوراً كبيراً في الحياة الإنسانيه، فلو كانت هذه الغريزه جامحه لأذت بالإنسان إلى ادعاء مقامات ومناصب تختصُّ بالأنبياء، ولعلَّ بعض المذاهب الظاهره بين المسلمين في القرون الأولى كانت ناشئه عن تلك الغريزه.

روى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» أنَّ علياً مرَّ بقتلى الخوارج فقال: «بؤساً لكم لقد ضرَّكم من غرَّكم»، فقيل: ومن غرَّهم؟ فقال: «الشیطان المضلُّ، والنفس الأمَّارة بالسوء، غرَّهم بالأمانى وفسحت لهم في المعاصى، ووعدتهم الإظهار فافتحمت بهم النار». ["شرح نهج البلاغه: ١٩ / ٢٣٥. ٣. البدعه: ٦٠ - ٦٥." type="ref" class="ref">](#) [٢]. [" type="ref" class="ref">](#) نعم لحب الاستطلاع إلى ما هو دونه والتعصب الممقوت والتسليم لغير المعصوم أسباب ثلاثه لها دور في نشوء البدعه وإشاعه ما ليس من الدين في الدين، وقد فصلنا الكلام في هذه الأسباب في كتابنا «البدعه». (٣)

[pagebreak](صفحه ٢٧٨)

ص: ٢٧٩

٤. تقسيم البدعه إلى حسنه وسيئه

إذا كانت البدعه بمعنى التدخل في أمر الشرع بزياده أو نقيصه في مجالى العقيدته والشريعه من غير فرق بين العبادات والمعاملات والإيقاعات والسياسات، فليس لها إلأقسام واحد (وهو قسم السيئه) لا يُثَنَّى ولا يتكثَّر ولكن ربَّما يقسم البدعه إلى حسنه وسيئه.

لقد جاء هذا التقسيم في كلمات الإمام الشافعى وابن حزم والغزالي والدهلوى وابن أثير، والأصل في ذلك قول الخليفه عمر بن الخطاب وقد ظهر على لسانه في السنه الرابعه عشر من الهجره بعدما جمع الناس للصلاه بإمامه أبي بن كعب في شهر رمضان، وصف إقامه نوافل شهر رمضان جماعه بقوله: (نعم البدعه

هذه).

أقول: إن إقامه صلاه التراويح جماعه لا يخلو من صورتين:

الأولى: إذا كان لها أصل في الكتاب والسنة، فعندئذ يكون عمل الخليفة إحياء لسنة متروكه سواء أراد إقامتها جماعه أو جمعهم على قارئ واحد، فلا يصح قوله: «نعم البدعه هذه» إذ ليس عمله تدخلاً في الشريعة.

الثانيه: إذا لم يكن هناك أصل في المصدرين الرئيسيين، لا- لإقامتها جماعه أو لجمعهم على قارئ واحد، وإنما كره الخليفة تفرق الناس، ولأجل ذلك أمرهم بإقامتها جماعه، أو بقارئ واحد، وعندئذ تكون هذه بدعه قبيحه محرّمه.

[pagebreak](صفحه ٢٧٩)

ص: ٢٨٠

توضيح ذلك:

إن البدعه التي تحدّث عنها الكتاب والسنة هي التدخل في أمر الدين بزياده أو نقيصه والتصرف في التشريع الإسلامى، وهى بهذا المعنى لا يمكن أن تكون إلّأمرًا محرّمًا ومذمومًا، ولا يصحّ تقسيمها إلى حسنه وقبيحه، وهذا شىء واضح ولا يحتاج إلى استدلال.

نعم، البدعه بالمعنى اللغوى التي تعمّ الدين وغيره تنقسم إلى قسمين، فكلّ شىء محدث مفيد في حياه المجتمعات من العادات والرسوم، إذا أتى به من دون الاسناد إلى الدين، ولم يكن محرّمًا بالذات شرعًا، كان بدعه حسنه، أى أمرًا جديدًا مفيدًا للمجتمع، كما إذا احتفل الشعب بيوم استقلاله في كلّ عام، أو اجتمع للبراء من أعدائه أو أقام الأفراح لمولد بطل من أبطاله، وبالجملة ما هو حلال بالذات لا- مانع من أن تتفق عليه الأمة وتتخذة عادة ومتبعًا في المناسبات، ويكون بدعه لغويه. نعم، ما كان محرّمًا بالذات، فلو اتّخذ أمرًا مرسومًا ورائجًا مثل دخول النساء سافرات متبرّجات في مجالس الرجال في الاستقبالات والضيافات، فهذا أمر حرام بالذات أولًا، وليس بمحرّم من باب البدعه الشرعيه بمعنى التدخل في أمر الدين والتسنين فيه والتشريع على خلاف ما شرّعه الشارع، وإنما هو عمل

محرم اتخذ رائجاً لا باسم الدين ولا باسم الشريعة وأقصى ما يعتذر بأنه مقتضى الحضاره العصريه مع الاعتراف بكونه مخالفاً للشرع،

[pagebreak](صفحه ٢٨٠)

ص: ٢٨١

ولو قيل إنه بدعه قبيحه أو مذمومه، فإنما هو بحسب معناها اللغوى.

٥. هل الأمور التاليه من البدع؟

اشاره

إذا عرفت ما هو الملا-ك للبدعه المحرمه الّتى هي من أكبر الكبائر، فأعلم أنّ هناك أموراً عقائديه أو أحكاماً عمليه رميت بالبدعه مع أنّ لها أصلًا فى الكتاب والسنة بالخصوص أو بالعموم، ولأجل إيقاف القارئ على حقيقه الحال نذكر هذه الأمور على وجه الإيجاز مع البرهنه على جذورها فى الشريعة.

١- التقيه عند الخوف على النفس والنفس

التقيه عباره عن كتمان المسلم عقيدته إذا خاف التعرض على نفسه أو عرضه أو ماله، وهذا ممّا اتفق عليه المسلمون انطلاقاً من الكتاب والسنة.

إنّ أحدَ التعاليم القرآنيه هو أن يكتم الإنسان المسلم عقيدته إذا تعرّض فى نفسه، أو عرضه أو ماله لخطرٍ لو أظهرها، ويُسمى هذا العمل فى لسانِ الشرع والمصطلح الشرعى بالتقيه.

إنّ جوازَ «التقيه» لا يحظى بالدليل النقلى فحسب، بل إنّ العقل يحكم أيضاً بصحّته ولزومه، لأنّ حفظ النفس، والمال، والعرض، واجبٌ، ولازمٌ

[pagebreak](صفحه ٢٨١)

ص: ٢٨٢

من جهه، وإظهار العقيدته والعمل وفق تلك العقيدته وظيفه دينيه من جانب آخر، ولكن إذا جرّ إظهار العقيدته إلى الخطر على النفس والمال، والعرض، وتعارضت هاتان الوظيفتان عملياً، حكم العقل السليم بأن يُقدّم الإنسان الوظيفه الأهم على المهم.

والتقيه- فى الحقيقه- سلاح الضّعفاء فى مقابل الأقوياء القسا، ومن الجلىّ أنّه إذا لم يكن خطراً ولا تهديداً لم يكتم الإنسان عقيدته، كما لم يعمل على خلاف معتقده.

ينصُّ القرآنُ الكريمُ في شأنِ عَمَارِ بنِ ياسرٍ على عدمِ البأسِ عَمَّنْ يَقَعُ في أيدي الكفَّارِ، ويُظهرُ كلمه الكفرِ على لِسَانِهِ للخلاصِ والنجاهِ، وقلبه عامرٌ بالإيمانِ مشحونٌ بالاعتقادِ الصحيحِ:

«مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أُكْرَهٍ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» <meta info="النحل: ١٠٦" type="ref" > .

ويقولُ في آيةٍ أُخرى:

«لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ»

إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَيَحِذُّكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ» <meta info=" آل عمران: ٢٨. " type="ref" class="ref">[٢]</meta .

إِنَّ الْمَفْسِّرِينَ الْمُسْلِمِينَ يَتَّفِقُونَ - عِنْدَ ذِكْرِ وَتَفْسِيرِ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ - عَلَى أَنَّ أَوَّلَ «التَّقِيَّةِ» أَصْلٌ مَشْرُوعٌ.

[pagebreak](صفحة ٢٨٢)

ص: ٢٨٣

وَمَنْ طَالَعَ - وَلَوْ عَلَى عَجَلٍ - مَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ فِي هَذَا الْمَجَالِ عَرَفَ بِوَضُوحٍ أَنَّ أَوَّلَ «التَّقِيَّةِ» مِنَ الْأُصُولِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا يُمْكِنُ تَجَاهُلُ الْآيَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ أَعْلَاهُ، وَلَا عَمَلَ مُؤْمِنٍ آلِ فِرْعَوْنَ فِي كِتْمَانِ إِيْمَانِهِ <meta info=" لاحظ غافر: ٢٨. " type="ref" class="ref">[١]</meta ، وَإِنْكَارِ «التَّقِيَّةِ» بِالْمَرَّةِ.

وَالْحَيْدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ آيَاتِ «التَّقِيَّةِ» وَإِنْ وَرَدَتْ فِي مَجَالِ التَّقِيَّةِ مِنَ الْكَافِرِ إِلَّا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ (وَهُوَ حِفْظُ نَفْسِ الْمُسْلِمِ وَمَالِهِ وَعَرْضِهِ فِي الظُّرُوفِ الْحَسَّاسَةِ وَالْخَطِيرَةِ) لَا يَخْتَصُّ بِالْكَفَّارِ، فَلَوْ اسْتَوْجَبَ إِظْهَارُ الشَّخْصِ لِعَقِيدَتِهِ، أَوْ الْعَمَلُ وَفَقْهًا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، خَوْفَ ذَلِكَ الشَّخْصِ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ عَرْضِهِ أَىِ احْتِمَالِ بَقْوِهِ تَعَرُّضُهَا لِلْخَطَرِ مِنْ جَانِبِ الْمُسْلِمِينَ، جَرَى فِي الْمَقَامِ حُكْمُ «التَّقِيَّةِ»، أَىِ جَازَ لَهُ التَّقِيَّةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَمَا جَازَ لَهُ التَّقِيَّةُ مِنَ الْكَفَّارِ، وَذَلِكَ لَوْحِدِهِ الْعَلَّةُ وَالْمَلَائِكَةُ، وَتَحَقُّقِ الْأَمْرِ الْمَوْجِبِ لِلتَّقِيَّةِ.

وَهَذَا هُوَ مَا صَيَّرَ الْآخَرُونَ بِهِ أَيْضًا فَهَذَا هُوَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ يَقُولُ: إِنَّ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْحَالَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا شَاكَلَتْ الْحَالَةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرُوكِينَ حَلَّتْ التَّقِيَّةُ مُحَامَاةً عَلَى النَّفْسِ.

وقال: التقية جائزة لصون النفس، وهل هي جائزة لصون المال؟

يُحْتَمَلُ أَنْ يُحَكِّمَ فِيهَا بِالْجَوَازِ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ مَالِ الْمُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ»

[pagebreak](صفحة ٢٨٣)

ص: ٢٨٤

وَلِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» <meta info=" تفسير الرازي: ١٣ / ٨. " type="ref" class="ref">[١]</meta .

وقال أبو هريره: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَائِينَ،

أما أحدهما فَبَيَّنْتُهُ فِي النَّاسِ، وَأَمَّا الْآخَرَ فَلَوْ بَيَّنْتُهُ لَقُطِعَ هَذَا الْبَلْعُومُ. <meta info="محاسن التأويل: ٨٢ / ٤." type="ref" >[٢]</meta > إِنَّ تَارِيخَ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ وَالْعَبَّاسِيِّينَ زَاخِرٌ بِالظُّلْمِ وَالْعَسْفِ، وَالْحَيْفِ وَالْجَوْرِ.

فَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَمْ يَكُنِ الشَّيْعَةُ وَحَدَّاهُمْ هُمُ الْمَطْرُودُونَ، وَالْمَحْجُورُونَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ إِظْهَارِ عِقَائِدِهِمْ، بَلْ سَلَكَ أَغْلَبُ مُحَدِّثِي أَهْلِ الشُّنَّةِ فِي عَصْرِ الْمَأْمُونِ أَيْضاً مَسِيلَكَ التَّقِيَّةِ فِي مَحَنِهِ «خَلَقَ الْقُرْآنَ» وَلَمْ يَخَالَفِ الْمَأْمُونَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ وَحُدُوثِهِ بَعْدَ صُدُورِ الْمَرْسُومِ الْخَلِيفِيِّ الْعَامِّ، سِوَى شَخْصٍ وَاحِدٍ، وَقَصَّتُهُ مَعْرُوفَةٌ فِي التَّارِيخِ وَعَامَّةُ الْمُحَدِّثِينَ تَظَاهَرُوا بِالْوُفَاقِ تَقِيَّةً. <meta info="تاريخ الطبري: ١٩٥ / ٧ - ٢٠٦." type="ref" class="ref" >[٣]</meta >

[pagebreak](صفحة ٢٨٤)

ص: ٢٨٥

٢- الزواج المؤقت

إِنَّ الْفَقْهَ الشَّيْعِيَّ تَبَعاً لِلْكِتَابِ وَالشُّنَّةِ يُصَحِّحُ نَوْعَيْنِ مِنَ الزَّوْجِ:

«الزواج الدائم» وهو لا يحتاج إلى توضيح.

«والزواج المؤقت» أو المتعه وكيفية كالتالي:

يجوز للرجل والمرأة بأن يقيما علاقته زوجية بينهما لمدة معينة شريطة أن لا يكون هناك مانع شرعي (من نسب أو رضاع) في طريق زواجهما، وذلك بعد أن يُعَيَّنَا مبلغاً من المال، ثم إنهما بعد انقضاء المدة ينفصلان من دون إجراء صيغته الطلاق.

ولو نشأ من هذا الزواج (المؤقت) ولد كان ولدهما شرعاً وورثهما.

وعلى المرأة - بعد انقضاء المدة - أن تعتد عدة شرعية، ولو كانت حاملاً وجب الاعتداد إلى أن يولد الطفل، ولا تتزوج في حال كونها في حباله الرُّجُل، وكذا في حال عدتها، برجل آخر.

إِنَّ الزَّوْجَ الْمُؤَقَّتَ مِثْلَ الزَّوْجِ الدَّائِمِ مَا هِيَ وَحَقِيقَةٌ، وَأَكْثَرُ الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ لِلزَّوْجِ الدَّائِمِ، ثَابِتَةٌ كَذَلِكَ لِلنِّكَاحِ الْمُؤَقَّتِ، وَغَايَةُ مَا هُنَاكَ مِنْ تَفَاوُتٍ مَهْمٌ بَيْنَ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ هُوَ أَمْرَانِ:

١. تعيين المدة في النكاح المؤقت.

[pagebreak](صفحة ٢٨٥)

ص: ٢٨٦

٢. عدم وجوب النفقة في هذا النكاح.

ولو أنّنا تجاوزنا هذين المطلبين البارزين تكون الفوارق الأخرى فوارق جزئية لا توجب افتراقاً كبيراً بين النكاحين.

هذا وحيث إنّ

الإسلام دينٌ خاتم وشريعته جامعته فجوّز هذه الأطروحة لحلّ المشكله الجنسيه.

ولو أننا أخذنا وضع الشاب الذي يدرس أو يعمل خارج البلاد، ويفتقد القدره على الزواج الدائم فماذا يفعل في هذه الحاله؟ وما هي وظيفته في هذه الصوره؟ فإنّ الشاب لا يجد أمامه إلّا ثلاثه خيارات:

ألف: كبح الرغبه الجنسيه وأن يحرم النفس من التلذذ الجنسي.

ب: إيجاد العلاقه الجنسيه غير الشرعيه مع النساء الفاسدات أو المريضات.

ج: الاستفاده من الزواج المؤقت مع امرأهٍ طاهرهٍ ضمن شروطٍ خاصهٍ، من دون تحمّل مشكله النفقه والتي توجدُها رابطته الزوجيه الدائمه.

إنّ من الواضح أنّه ليس هناك طريقٌ رابعٌ يستفيد منه الشاب المذكور، على أنّه لا يعنى هذا أنّ الزواج المؤقت خاصٌ بمثل هذه الشروط ولكن في نفس الوقت تستطيع ملاحظه مثل هذه الموارد أن تكشف عن حكمه تشريع هذا النمط من الزواج.

ولابدّ من الالتفات - ضمناً - إلى أنّ فقهاء الإسلام قد أيّدوا نوعاً من الزواج الدائم الذي هو في حقيقته الزواج المؤقت وهو ان يتزوج رجلٌ

! [pagebreak] (صفحه ٢٨٦)

ص: ٢٨٧

وامرأه زواجاً دائماً ولكنهما أو أحدهما يعلمان بأنهما سينفصلان، بعد مده بالطلاق.

إنّ تجويز هذا النوع من الزواج يشبه تماماً تجويز الزواج المؤقت فهما متشابهان جوهراً وإن اختلفا اسماً.

إنّ الكتاب والسُّنّه النبويه حاكيان عن مشروعيه الزواج المؤقت (المتعّه) فالقرآن الكريم يقول:

«فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً» <meta info="النساء: ٢٤. ٢. شرح التجريد للقوشجي، مبحث الإمامه، ص ٤٦٤، وغيره. " [١] </meta> .

إنّ الأغلبيه الساحقه من المفسّرين يعتبرون هذه الآيه مرتبطه بالزواج المؤقت. وأساساً لا مجال للترديد في تشريع مثل هذا النكاح في الإسلام، إنّما الخلاف لو كان هو في نسخ هذا الزواج أو عدم نسخه، أي بقاءه على مشروعيته.

وروايات الفريقين حاكيه عن أنّ هذا الحكم لم يُنسخ.

إنما مُنِعَ عن العمل بهذا الحكم في عصر الخليفة الثاني، والجدير بالذكر أنّ هناك كلاماً للخليفة في هذا المجال يكشف أيضاً عن أنّ هذا النمط من النكاح كان جائزاً بل رائجاً في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. ويفيد أنّ هذا المنع لم يكن ناشئاً إلّا من رأى شخصي ليس إلّا، لأنه قال: «أيها الناس ثلاثٌ كنّ على عهد رسول الله أنا أنهي عنهن وأُحرمهن وأُعاقب عليهن، وهي: متعه النساء، ومتعه الحج، وحيّ على خير العمل» (٢).

[pagebreak](صفحة ٢٨٧)

ص: ٢٨٨

والعجيب أنّ نهى الخليفة عن الشق الأول والشق الأخير من هذه الشقوق بقى إلى الآن ولكن متعه الحج بقيت معمولاً بها عند جميع المسلمين خلافاً لرأى الخليفة الثاني (والمقصود من متعه الحج هو أنّ الحاج بعد أن انتهى من عمره الحج يخرج من حاله الإحرام، وتحلّ له محرّماته، وهذه نهى عنها عمر وأمر بعدم الخروج من الإحرام وبقاء محرّمات الإحرام حتى حلول موعد الحج).

والدليل الواضح على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمنع عن المتعه ما رواه البخارى عن عمران بن حصين أنّه قال: نزلت آية المتعه في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء (والمقصود هو تحريم الخليفة الثاني لنكاح المتعه). <meta info=" صحیح البخاری: ٣٧ / ٦، قسم التفسير عند تفسير الآيه ١٩٦ من سورة البقره. " [١] </meta <type="ref" class="ref">

[pagebreak](صفحة ٢٨٨)

ص: ٢٨٩

٣- البداء وتغيير المصير بالأعمال الصالحة والطالحة

إنّ لله تعالى في شأن الإنسان نوعين من التقدير:

١. تقدير محتوم وقطعي لا يقبل التغيير والتبديل مطلقاً.
٢. تقدير معلق ومشروط وهو يتغيّر ويتبدّل مع فقدان بعض الشرائط، ويحلّ محلّه تقدير آخر.

وبالنظر إلى هذا الأصل ندكر بأن الاعتقاد

بالبَدَاءِ هو أَحَدُ الْأَصُولِ الْعَقَائِدِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي انْفَقَتْ جَمِيعُ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الْإِعْتِقَادِ بِهَا إِجْمَالًا، وَإِنْ أَحْجَمَ الْبَعْضُ عَنِ اسْتِخْدَامِ لَفْظِهِ «الْبَدَاءِ» وَهَذَا الْاسْتِيْحَاشُ مِنْ اسْتِعْمَالِ لَفْظِهِ «الْبَدَاءِ» لَا يَضُرُّ بِالْقَضِيَّةِ أَيْضًا، إِذْ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ بَيَانُ مَحْتَوَى «الْبَدَاءِ» وَمَعْنَاهُ، لَا لَفْظُهُ وَاسْمُهُ.

إِنَّ حَقِيقَةَ «الْبَدَاءِ» تَقُومُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى أُصْلَيْنِ:

أَلْفٌ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى قُدْرَةً وَسُلْطَةً مُطْلَقَةً، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ أَيِّ تَقْدِيرٍ، وَإِحْلَالِ تَقْدِيرٍ آخَرَ مَحَلَّهُ مَتَى شَاءَ، فِي حِينٍ يَعْلَمُ سَلْفًا بِكُلِّ التَّقْدِيرِينَ، وَلَا سَبِيلَ لِأَيِّ تَغْيِيرٍ إِلَى عِلْمِهِ قَطُّ أَيْضًا، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ الْأَوَّلَ لَمْ يَكُنْ بِحَيْثُ يَحْدُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ أَوْ يَسْلُبُ مِنْهُ الْقُدْرَةَ، فَإِنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خِلَافِ مَا تَعْتَقِدُهُ الْيَهُودُ مِنْ كَوْنِهَا مَحْدُودَةً، لِقَوْلِهِمْ: «يَدُ اللَّهِ

[pagebreak](صفحة ٢٨٩)

ص: ٢٩٠

مَغْلُوبَةٌ»، قُدْرَةٌ مُطْلَقَةٌ، أَوْ كَمَا قَالَ الْقُرْآنُ:

«بَلْ يَدَاؤُهُ مَبْسُوطَتَانِ» <meta info="المائدة: ٦٤." [١]>

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: إِنَّ خُلَمَاقِيَةَ اللَّهِ وَإِعْمَالَ السُّلْطَةِ وَالْقُدْرَةَ مِنْ جَانِبِهِ تَعَالَى مُسْتَمِرٌّ، وَبِحَكْمِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ» <meta info="الرحمن: ٢٩." [٢]>، فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَفْرَغْ سَبْحَانَهُ عَنْ أَمْرِ الْخَلْقِ، بَلْ عَمَلِيَّةُ الْخَلْقِ لَا تَزَالُ مُتَوَاصِلَةً وَمُسْتَمِرَّةً.

رَوَى الصَّدُوقُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ» لَمْ يَعْنُوا أَنَّهُ هَكَذَا، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ فَلَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ (أَيُّ فِي الْعَمْرِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِهِمَا)، فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ تَكْذِيبًا لِقَوْلِهِمْ: «غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاؤُهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ». أَلَمْ تَسْمَعْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» <meta info="الرعد: ٣٩." [٣]> . التَّوْحِيدُ لِلصَّدُوقِ: ١٦٧، الْبَابُ ٢٥، ح

دليل المرشدين إلى الحق اليقين ؛ ؛ ص ٢٩٠

لعقيدته الإسلاميه تقوم على أساس الاعتراف بقدره الله المطلقه وسلطته التي لا تُحدُّ، وبدوام خلاقته واستمرارها، وبأنَّ الله تعالى قادر كلما شاء ومتى شاء أن يُغيّر المقدّرات المرتبطه بالإنسان في مجال العُمُر والرِزق وغيرهما، ويُحلّ محلّ ذلك مقدراتٍ أُخرى، وكلا التقديرين

[pagebreak](صفحه ٢٩٠)

ص: ٢٩١

موجودان في «أم الكتاب» وفي علم الله سبحانه.

ب: إنَّ إعمال القُدْره والسُّلْطه من جانبِ الله تعالى، وإقدامه على إحلال تقدير مكان تقديرٍ آخر لا- يتمُّ من دون حكمه ومصْلحِه، وان قسماً من هذا التغيير يرتبط في الحقيقه بعمل الإنسان وسلوكه، وانتخابه، واختياره، وبنمط حياته الصالح أو السيء، فهو بهذه الأمور يهتئ أرضيته التغيير في مصيره.

وَلِنَفْتَرِضَ أَنَّ إِنْسَانًا لَمْ يِرَاعَ - لا سمح الله - حقوقَ والدِيه، فإن من الطبيعي أن هذا العمل غير الصالح سيكون له تأثير غير مرغوب في مصيره.

فإذا غيّر من سُلوِكِه هذا في النصفِ الآخر من حياته، واهتمَّ برعايه حقوقِ والدِيه فإنه في هذه الحاله يكون قد هَيَّأ الأرضِيه لتغيير مصيره، وصار مشمولاً لقوله تعالى:

«يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ».

وينعكس هذا الذي ذكرناه إذا انعكس الأمر.

إنَّ الآياتِ والزوايات في هذا المجال كثيره نذكر بعضها هنا:

١. «إِنَّ اللَّهَ لَمَائِعِيزٌ مَّا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَّا بِأَنْفُسِهِمْ» <meta info="الرعد: ١١"> [١] type="ref" class="ref"> .

٢. «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ

[pagebreak](صفحه ٢٩١)

ص: ٢٩٢

والأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» <meta info="الأعراف: ٩٦." [١]> type="ref" class="ref"> .</meta>

٣. يروى السيوطي في تفسيره «الدر المنثور» أنّ الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله: «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

و سلم: «لأقرنَ عَيْنَكَ بِتفسيرِها ولأقرنَ عَيْنَ أُمَّتِي بِعدي بِتفسيرِها:

الصِّيْدَقَةُ عَلَى وَجْهَيْهَا، وَبُرِّ الْوَالِدَيْنِ وَاصْطِنَاعُ الْمَعْرُوفِ، يُحَوِّلُ الشَّقَاءَ سَعَادَةً، وَيَزِيدُ فِي الْعُمُرِ، وَيَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ». <meta info=" الدر المنثور: ٤ / ٦٦. " </meta> [٢] وقال الإمام الباقر عليه السلام: «صِلُهُ الْأَرْحَامَ تُزَكِّي الْأَعْمَالَ، وَتُنْمِي الْأَمْوَالَ، وَتَدْفَعُ الْبَلْوَى، وَتُسِّرُ الْحِسَابَ، وَتُسِّرِي فِي الْأَجَلِ». <meta info=" الكافي: ٢ / ٤٧٠، الحديث ١٣. " </meta> [٣] وبالنظر إلى هذين الأصلين يتضح أنّ الاعتقاد بالبداء عقيدة إسلامية قطعية، وأنّ جميع الفرق الإسلامية تعتقد به بغضّ النظر عن التعبير والتسميه، واستخدام لفظ «البداء».

وفي الختام نذكرُ بُنْطَيْنِ لنعرف لماذا أطلقت لفظه «البداء» على هذه المسألة في الروايات فجاء التعبير عن هذه العقيدة الإسلامية بقولهم:

«بدا لله».

ألف: إنّ استخدام هذه اللفظة في هذه المسألة جاء تبعاً للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى البخاري في صحيحه أنّ النبي قال في شأن ثلاثه

[pagebreak](صفحة ٢٩٢)

ص: ٢٩٣

أشخاص: أبرص وأقرع وأعمى: «بدا لله عزّ وجلّ أن يبتليهم...».

ثم ذكر بعد ذلك قصّة تهم بصوره مفضّله وبين كيف أن اثنين منهم سلبت منهما سلامتهما بسبب كفران النعمة، وأصابهما ما أصيب به أسلافهم من الأمراض <meta info=" صحيح البخاري: ٤ / ١٧٢. " </meta> [١] </meta> .

ب: إنّ هذا النوع من الاستعمال من باب المشاكلة، والتحدّث بلسان القوم حتى يفقهوا، ويفهموا الموضوع.

فقد تعرّف في العرف الاجتماعي أنّه إذا غيّر أحد قراراً قد اتخذه أن يقول: بدا لي.

وقد تحدّث أئمّة الدين بلسان القوم ليتمكنهم تفهيم مخاطبيهم، وقد استعملوا مثل هذه اللفظة في حق الله تعالى.

والجدير بالذكر أنّ القرآن الكريم استخدم في شأن الله تعالى ألفاظاً وصفات مثل المكر والكيد، والخداع والنسيان، في حين أنّنا نعلم أنّ الله تعالى منزّه عن مثل

هذه الأمور (بمعانيها ومفاهيمها الرائجة بين البشر) قطعاً وبقيناً، ومع ذلك كَرَّرَ القرآنُ الكريمُ هذه الصفات واستعمل الألفاظ في حق الله سبحانه.

1. «إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا* وَأَكِيدُ كَيْدًا» <meta info="الطارق: ١٥ - ١٦." [٢] </meta>

[pagebreak](صفحة ٢٩٣)

ص: ٢٩٤

2. «وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا» <meta info="النمل: ٥٠." [١] </meta>

3. «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ» <meta info="النساء: ١٤٣." [٢] </meta>

4. «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» <meta info="التوبة: ٦٧." [٣] </meta>

وعلى كل حال فإن لمحققى الشيعة حول استعمال لفظ البداء، بالنظر إلى امتناع حصول التغيير، والتبدل في علم الله تعالى دراساتٍ وتحقيقاتٍ قَوِيَّةٍ وشَيْقَّةٍ لأمجالٍ لذكرها هنا، ونحن نحيل من يحب الأطلاع عليها إلى الكتب والمؤلفات التي تتضمن هذه الأبحاث <meta info="كتاب التوحيد للصدوق: ٣٣١ - ٣٣٦؛ تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد: ٢٤؛ عده الأصول: ٢/ ٢٩؛ كتاب الغيبة: ٢٦٢ - ٢٦٤ طبعه النجف." [٤] </meta>

[pagebreak](صفحة ٢٩٤)

ص: ٢٩٥

٤- الخمس في الكتاب والسنة

إشاره

الأصل في ضربيه الخمس هو قوله سبحانه: «واعلموا أنما غنمتم من شىءٍ فأن لله خمسَهُ وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىءٍ قديرٌ».

<meta info="الأنفال: ٤١." [١] </meta>

لا- شك أن الآيه نزلت في مورد خاص، أعنى: يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان وهو غزوه «بدر» الكبرى، لكن الكلام في ماده «الغنيمه» في قوله سبحانه: «ما غنمتم» هل هو عام لكل ما يفوز به الإنسان في حياته، أو خاص بما يظفر به في الحرب من السلب والنهب؟

وعلى فرض كونه عائناً فهل المورد مخصص أو لا؟

فيقع الكلام في مقامين:

الأول: الغنيمه مطلق ما يفوز به الإنسان

فالظاهر من أئمه اللغة أنه في الأصل أعم ممّا يظفر به الإنسان في ساحات الحرب، بل هو لغة لكلّ ما يفوز به الإنسان، وإليك بعض كلماتهم:

[pagebreak](صفحة ٢٩٥)

ص: ٢٩٦

١. قال الخليل: الغنم: الفوز بالشىء في غير مشقه، والاعتنام: انتهاز الغنم. <meta info=" كتاب العين: ٤/٤٢٦، ماده غنم. "
- ٢ <meta info=" type="ref" class="ref">[١]</meta> قال الأنزهرى: قال الليث: الغنم: الفوز بالشىء، والاعتنام انتهاز الغنم.
- ٣ <meta info=" type="ref" class="ref">[٢]</meta> "تهذيب اللغة: ماده «غنم». " type="ref" class="ref">[٢]</meta> قال الراغب: الغنم معروف... والغنم: إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم، قال: «واعلموا أنّما غنمتم من شىء»، «فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً» والمغنم: ما يُغنم وجمعه مغانم، قال: «فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ». <meta info=" type="ref" class="ref">[٣]</meta> قال ابن فارس: «غنم» أصل صحيح واحد يدلّ على إفاده شىء لم يملك من قبل ثم يختص بما أخذ من المشركين. <meta info=" type="ref" class="ref">[٣]</meta> مقاييس اللغة: ماده»

غنم». " ٥ <meta ref="" class="ref">[٤]</meta>. قال ابن منظور: «الْغَنَمُ» الفوز بالشىء من غير مشقّه. <meta info="" class="ref">[٥]</meta>. " ٦ لسان العرب: ماده «غنم». " ٧ لمن رهنه، له غنمه وعليه غرمه، غنمه: زيادته ونماؤه وفاضل قيمته. <meta info="" class="ref">[٦]</meta>. قال الفيروز آبادي: «الغنم» الفوز بالشىء لا بمشقّه، وأغنمه كذا

[pagebreak](صفحة ٢٩٦)

ص: ٢٩٧

تغنيماً نفله إياه، واغتنمه وتغنّمه، عدّه غنيمه. <meta info="" class="ref">[١]</meta>. " ٨ وقال الزبيدي: الغنيمه والغنم بالضم، وفي الحديث: «الرهن لمن رهنه، له غنمه وعليه غرمه» غنمه أى زيادته ونماؤه وفاضل قيمته، والغنم الفوز بالشىء بلا مشقه. <meta info="" class="ref">[٢]</meta>. " ٩ وقال في «الرائد»: غنم: يغنم: أصاب غنيمه فى الحرب أو غيرها. <meta info="" class="ref">[٣]</meta>. " ١٠ الرائد: ٢: ماده «غنم». " ١١ انّ الغنم يستعمل مقابل الغرم وهو الضرر، فيكون معناه بمقتضى المقابله هو النفع، ومن القواعد الفقيهيه قاعده «الغنم بالغرم» ومعناه انّ من ينال نفع شىء يتحمّل ضرره.

ودليل هذه القاعده هو قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يعلق الرهن من صاحبه الذى رهنه، له غنمه وعليه غرمه»، قال الشافعى: غنمه زيادته، وغرمه هلاكه ونقصه. <meta info="" class="ref">[٤]</meta> وهذه النصوص تعرب عن أنّ المادّه لم توضع لما يفوز به الإنسان فى الحروب، بل معناها أوسع من ذلك وإن كان يغلب استعمالها فى العصور المتأخره عن نزول القرآن فى ما يظفر به فى ساحه الحرب.

[pagebreak](صفحة ٢٩٧)

ص: ٢٩٨

ولأجل ذلك نجد أنّ الماده استعملت فى مطلق ما يفوز به

الإنسان في الذكر الحكيم والسنة النبويّه.

لقد استعمل القرآن لفظه «المغنم» فيما يفوز به الإنسان وإن لم يكن عن طريق القتال، بل كان عن طريق العمل العادي الدنيوي أو الأخرى، إذ يقول سبحانه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ». [\[١\]](#) [\[١\]](#) النساء: ٩٤. والمراد بالمغانم الكثيره: هو أجر الآخرة، بدليل مقابله لعرض الحياه الدنيا، فيدل على أنّ لفظ المغنم لا يختصّ بالأُمور والأشياء التي يحصل عليها الإنسان في هذه الدنيا أو في ساحات الحرب فقط، بل هو عام لكلّ مكسب وفائده وإن كان أُخرويّاً.

كما وردت هذه اللفظه في الأحاديث وأريد منها مطلق الفائده الحاصله للمرء.

روى ابن ماجه في سننه: أنّه جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً». [\[٢\]](#) سنن ابن ماجه: كتاب الزكاه، باب ما يقال عند إخراج الزكاه، الحديث ١٧٩٧. [\[٢\]](#)

[pagebreak](صفحه ٢٩٨)

ص: ٢٩٩

وفي مسند أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «غنيمه مجالس الذكر الجنّه». [\[٣\]](#) مسند أحمد: ٢/٣٣٠ و ٣٧٤ و ٥٢٤. [\[١\]](#) وفي وصف شهر رمضان عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «غنم للمؤمن». [\[٢\]](#) المصدر نفسه: ص ١٧٧. [\[٢\]](#) وفي نهايه ابن الأثير: الصوم في الشتاء الغنيمه الباردة، سمّاه غنيمه لما فيه من الأجر والثواب. [\[٣\]](#) النهايه: ماده «غنم». [\[٣\]](#) فقد بان ممّا نقلناه من كلمات أئمّه اللغه وموارد استعمال تلك ماده في الكتاب والسنة، أنّ العرب تستعملها في كل مورد يفوز

به الإنسان، من جهة العدى وغيرهم، وإنما صار حقيقه متشرعه فى الأعصار المتأخره فى خصوص ما يفوز به الإنسان فى ساحه الحرب، ونزلت الآيه فى أول حرب خاضها المسلمون تحت لواء رسول الله، ولم يكن الاستعمال إلّا تطبيقاً للمعنى الكلى على مورد خاص.

الثانى: المورد غير مخصّص

إشاره

إذا كان مفهوم اللفظ عاماً يشمل كافه ما يفوز به الإنسان، فلا يكون وروده فى مورد خاص، مخصّصاً لمفهومه ومضيقاً لعمومه، فإذا وقفنا على أنّ التشريع الإسلامى فرض الخمس فى الركاز والكنز والسيوب أولّماً، وأرباح المكاسب ثانياً، فيكون ذلك التشريع مؤكداً لإطلاق الآيه، ولا يكون

[pagebreak](صفحه ٢٩٩)

ص: ٣٠٠

وروده فى الغنائم الحريه رافعاً له. وإليك ما ورد فى السنّه من الروايات فى الموردین:

١. وجوب الخمس فى الركاز من باب الغنيمه

اتفقت السنّه على أنّ فى الركاز الخمس وإنّما اختلفوا فى المعادن، فالواجب هو الخمس لدى الحنفیه والمالکیه، وربع العشر عند الشافعيه والحنابله.

وقد استدلت الحنفیه على وجوب الخمس فى المعادن بالكتاب والسنّه والقياس فقالوا:

أمّا الكتاب: فقوله تعالى: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ» ويعدّ المعدن غنيمه.

وأمّا السنّه: فقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «العجماء جبار- أى هدر لا شىء فيه- و البثر جبار والمعدن جبار، وفى الركاز الخمس» والركاز يشمل المعدن والكنز، لأنّه من الرکز أى المركزوز، سواء من الخالق أو المخلوق.

وأمّا القياس: فهو قياس المعدن على الكنز الجاهلى، بجامع ثبوت معنى الغنيمه فى كلّ منهما، فيجب الخمس فيهما. <meta info="الفقه الإسلامى وأدلّته: ٢ / ٧٧٦. <type="ref" class="ref">[١]</meta " ترى أنّ الحنفیه تستدلّ على

وجوب الخمس فى المعادن بآيه

[pagebreak](صفحه ٣٠٠)

الغنيمة ولا تصلح للاستدلال إلا أن يراد بها المعنى اللغوي لا المعنى الاصطلاحي.

هذا وقد تضافرت الروايات عن طريق أهل السنّة على وجوب الخمس في الأمور الأربعة:

أ. الركاز.

ب. الكنز.

ج. المعدن.

د. السيوب.

روى لفيف من الصحابة كابن عباس وأبي هريره وجابر وعباده بن الصامت وأنس بن مالك، وجوب الخمس في الركاز والكنز والسيوب، وإليك قسمًا مما روى في هذا المجال:

١. في مسند أحمد وسنن ابن ماجه واللفظ للأوّل: عن ابن عباس قال:

قضى رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الرِّكَازِ، الخُمسُ <meta info="مسند أحمد: ١/ ٣١٤؛ سنن ابن ماجه: ٢/ ٨٣٩، ط ١٣٧٣ هـ. " [١] </meta> .

٢. وفي صحيح مسلم والبخاري واللفظ للأول: عن أبي هريره قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «العجماء جرحها جبار، والمعدن جبار، وفي الرِّكَازِ الخُمسُ». <meta info="صحيح مسلم: ١٢٧/٥، باب جرح العجماء والمعدن والبئر جبار، من كتاب الحدود؛ صحيح البخاري: ١/ ١٨٢، باب في الرِّكَازِ الخُمسُ. " [٢] </meta> .

! [pagebreak](صفحه ٣٠١)

ص: ٣٠٢

قال أبو يوسف في كتاب «الخراج»: كان أهل الجاهلية إذا عطب الرجل في قليب جعلوا القليب عقله، وإذا قتله دابه جعلوها عقله، وإذا قتله معدن جعلوه عقله. فسأل سائل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك؟ فقال: «العجماء جبار، والمعدن جبار، والبئر جبار، وفي الرِّكَازِ الخُمسُ» فقيل له: ما الرِّكَازُ يا رسول الله؟ فقال: «الذهب والفضة الذي خلقه الله في الأرض يوم خلقت». <meta info="الخراج: ٢٢. " [٣] </meta> وفي مسند أحمد: عن الشعبي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «السائم جبار، والجُب جبار، والمعدن جبار، وفي الرِّكَازِ الخُمسُ». قال الشعبي: الرِّكَازُ: الكنز العادي. <meta info="مسند أحمد: ٣/ ٣٣٥. " [٢] </meta> ٤ </meta>. وفيه أيضاً: عن عبادة بن الصامت قال: من قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن المعدن جبار، والبئر جبار، والعجماء جرحها جبار. والعجماء: البهيمة من الأنعام وغيرها، والجبار هو الهدر الذي لا يُغرم، وقضى في الرِّكَازِ الخُمسُ. <meta info="مسند أحمد: ٥/ ٣٢٦. " [٣] </meta> ٥ </meta>. وفيه: عن

أنس بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى خيبر فدخل صاحب لنا إلى خربه يقضى حاجته فتناول ابنه ليستطيب بها فانهارت عليه تبراً، فأخذها فأتى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بذلك، قال: «زنها»

[pagebreak](صفحة ٣٠٢)

ص: ٣٠٣

فوزنها فإذا مائتا درهم فقال النبي: «هذا ركاز وفيه الخمس». `<meta info="المصدر نفسه: ١٢٨ / ٣" type="ref" >` ٦ `<ref">[١]</meta>` وفيه: أن رجلاً من مزينة سأل رسول الله مسأله جاء فيها: فالكتر نجده في الخرب وفي الآرام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فيه وفي الركاز الخمس». `<meta info="المصدر نفسه: ١٨٦ / ٢" type="ref" class="ref">[٢]</meta>` ٧ وفي نهايه اللغه ولسان العرب وتاج العروس في ماده «سيب» واللفظ للأول: وفي كتابه - أي كتاب رسول الله - لوائل بن حجر: «وفي السيوب الخمس» السيوب: الركاز.

قالوا:

«السيوب: عروق من الذهب والفضه تسبب في المعدن، أي تتكوّن فيه وتظهر» والسيوب: جمع سيب، يريد به - أي يريد النبي بالسيب - المال المدفون في الجاهليه، أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى وعطائه لمن أصابه». `<meta info="النهايه: ماده" type="ref" class="ref">[٣]</meta>` " سيب». `<ref" class="ref">` تفسير ألفاظ الأحاديث

العجماء: الدابه المنفلته من صاحبها، فما أصابت في انفلاتها فلا غرم على صاحبها، والمعدن جبار يعنى: إذا احتفر الرجل معدناً فوقع فيه انسان فلا غرم عليه، وكذلك البئر إذا احتفرها الرجل للسبيل فوقع فيها إنسان فلا

[pagebreak](صفحة ٣٠٣)

ص: ٣٠٤

غرم على صاحبها، وفي الركاز الخمس، والركاز: ما وجد من دفن أهل الجاهليه، فمن وجد ركازاً أدى منه الخمس إلى السلطان وما بقى له. `<meta info="سنن الترمذى: ١٤٥ / ٦، باب ما جاء في العجماء" type="ref" class="ref">[١]" <</meta>` والآرام: الأعلام وهي حجاره

تجمع وتنصب في المفازة يُهتدى بها، واحدها إرم كعنب. وكان من عادة الجاهليه أنهم إذا وجدوا شيئاً في طريقهم لا يمكنهم استصحابه، تركوا عليه حجاره يعرفونه بها حتى إذا عادوا أخذوه. <meta info="ref" type="ref"> " النهايه: ماده «ارم». </meta info> [٢] <class="ref"> إن هذه الروايات تعرب عن وجود ضريبه غير الزكاه، هي الخمس من باب الغنيمه.

٢. الخمس في أرباح المكاسب

هذا هو بيت القصيد في المقام، والهدف من عنوان المسأله هو إثبات ذلك، حيث يظهر من غير واحد من الروايات أن النبي الأكرم أمر بإخراج الخمس من مطلق ما يغنمه الإنسان من أرباح المكاسب وغيرها، وإليك بعض ما ورد في المقام:

١. قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إن بيننا وبينك المشركين وإننا لا نصل إليك إلا في أشهر حرم، فمُرنا بأمر فصل، إن عملنا به دخلنا الجنة وندعو إليه من وراءنا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع؛ أمركم بالإيمان بالله، وهل تدرون ما الإيمان؟ شهاده أن لا إله إلا الله،

[pagebreak](صفحه ٣٠٤)

ص: ٣٠٥

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاه، وتعطوا الخمس من المغنم». <meta info="ref" type="ref" class="ref"> [١] صحیح البخاری: ٢١٧/٨، باب «والله خلقكم وما تعملون» من كتاب التوحيد، ج ١/١٣ و ١٩، ج ٣/٥٣؛ صحیح مسلم: ٣٥-٣٦ باب الأمر بالإيمان؛ سنن النسائي: ١/٣٢٣؛ مسند أحمد: ١/٣١٨؛ الأموال: ١٢ وغيرها. </meta info> " ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يطلب من بني عبد القيس أن يدفعوا غنائم الحرب كيف وهم لا- يستطيعون الخروج من حيتهم في غير الأشهر الحرم، خوفاً من المشركين، فيكون قد قصد المغنم بمعناه الحقيقي في لغة العرب وهو ما

يفوزون به، فعليهم أن يعطوا خمس ما يربحون.

وهناك كتب ومواثيق، كتبها النبيّ وفرض فيها الخمس على أصحابها، وستبين بعد الفراغ من نقلها دلالتها على الخمس في الأرباح وإن لم تكن غنيمه حربيه، فانتظر.

٢. كتب لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن:

«بسم الله الرحمن الرحيم... هذا... عهد من النبي رسول الله لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، وأن يأخذ من المغانم خمس الله، وما كتب على المؤمنين من الصدقه من العقار عشر ما سقى البعل وسقت السماء، ونصف العُشر ممّا سقى الغرب». <meta info="فتوح البلدان: ١ / ٨١ باب اليمن؛ سيره ابن هشام: ٤ / ٢٦٥؛ تنوير الحوالك في شرح موطأ مالك: ١ / ١٥٧. <type="ref" class="ref">[٢]</meta "» والبعل ما سُقِيَ بعروقه، والغرب: الدلو العظيمه.

[pagebreak](صفحة ٣٠٥)

ص: ٣٠٦

٣. كتب إلى شرحبيل بن عبد كلال، و حارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال قيل ذى رعين، ومعافر وهمدان:

«أمّياً بعد، فقد رجع رسولكم وأعطيتم من المغانم خمس الله». <meta info="الوثائق السياسيّه: ٢٢٧ برقم ١١٠. (ط ٤ بيروت). " ٤ <type="ref" class="ref">[١]</meta > كتب إلى سعد هُذيم من قضاعه، وإلى جذام كتاباً واحداً يعلمهم فرائض الصدقه، ويأمرهم أن يدفعوا الصدقه والخمس إلى رسوليّه أبيّ وعنيسه أو من أرسلاه». <meta info="الطبقات الكبرى: ١ / ٢٧٠. " ٥ <type="ref" class="ref">[٢]</meta > كتب للفُجّيع ومن تبعه:

«من محمد النبيّ للفجّيع، ومن تبعه وأسلم وأقام الصلاة وآتى الزكاه وأطاع الله ورسوله وأعطى من المغانم خمس الله...». <meta info="المصدر نفسه: ٣٠٤ - ٣٠٥. " ٦ <type="ref" class="ref">[٣]</meta > كتب لجناده الأزدي وقومه ومن تبعه:

«ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاه وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغانم خمس الله وسهم النبي وفارقوا المشركين، فإنّ لهم

ذَمَّه اللهُ وذَمَّه محمد بن عبد الله». <meta info="المصدر نفسه: ٢٧٠. "[٤] type="ref" class="ref"> ٧ </meta>. كتب لجهينه بن زيد فيما كتب:

«إنَّ لكم بطون الأرض وسهولها وتلاع الأودية وظهورها، على أن

! [pagebreak] (صفحة ٣٠٦)

ص: ٣٠٧

ترعوا نباتها وتشربوا ماءها، على أن تؤدوا الخمس». <meta info="الوثائق السياسية: ٢٦٥ برقم ١٥٧. "[type="ref" class="ref"> ٨ </meta> [١] </meta>. كتب لملوك حمير فيما كتب:

«وآتيتم الزكاه، وأعطيتم من المغانم: خمس الله، وسهم النبي ووصفيته، وما كتب الله على المؤمنين من الصدقه». <meta info="فتوح البلدان: ٨٢ / ١؛ سيره ابن هشام: ٢٥٨ / ٤. "[type="ref" class="ref"> [٢] </meta> ٩ </meta>. كتب لبني ثعلبه بن عامر:

«من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاه وأعطى خمس المغنم وسهم النبي والصفى». <meta info="الإصابة: ١٨٩ / ٢؛ أسد الغابه: ٣٤ / ٣. "[type="ref" class="ref"> [٣] </meta> ١٠ </meta>. كتب إلى بعض أفخاذ جهينه:

«من أسلم منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاه وأطاع الله ورسوله وأعطى من الغنائم الخمس». <meta info="الطبقات الكبرى: ٢٧١ / ١. "[type="ref" class="ref"> [٤] </meta>

إيضاح الاستدلال بهذه المكاتب

يتبين - بجلاء - من هذه الرسائل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يطلب منهم أن يدفعوا خمس غنائم الحرب التي اشتركوا فيها، بل كان يطلب ما استحق في أموالهم من خمس وصدقه.

! [pagebreak] (صفحة ٣٠٧)

ص: ٣٠٨

ثم إنه كان يطلب منهم الخمس دون أن يشترط - في ذلك - خوض الحرب واكتساب الغنائم.

هذا مضافاً إلى أن الحاكم الإسلامي أو نائبه هما اللذان يليان بعد الفتح قبض جميع غنائم الحرب وتقسيمها بعد استخراج الخمس منها، ولا يملك أحد من الغزاه عدا سلب القتل شيئاً مما سلب وإلا كان سارقاً مغلاً.

فإذا كان إعلان الحرب وإخراج خمس الغنائم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شؤون النبي صلى الله عليه وآله وسلم

سلم فماذا يعنى طلبه الخمس من الناس وتأكيده فى كتاب بعد كتاب، وفى عهد بعد عهد؟

فيتبين أنّ ما كان يطلبه لم يكن مرتبطاً بغنائم الحرب. هذا مضافاً إلى أنّه لا يمكن أن يقال: إنّ المراد بالغنيمه فى هذه الرسائل هو ما كان يحصل الناس عليه فى الجاهليه عن طريق النهب، كيف وقد نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن النهب والنهبى بشدّه، ففى كتاب الفتن باب النهى عن النهب عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«من انتهب نهبه فليس منّا» <meta info="سنن ابن ماجه: ٢ / ١٢٩٨ برقم ٣٩٣٧، كتاب الفتن. " type="ref" class="ref">[١]</meta>، وقال: «إنّ النهبه لا تحلّ». <meta info="سنن ابن ماجه: ٢ / ١٢٩٨ برقم ٣٩٣٨، كتاب الفتن. " type="ref" class="ref">[٢]</meta> وفى صحيح البخارى ومسند أحمد عن عباده بن الصامت: بايعنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن لا نهب. <meta info="صحيح البخارى: ٢ / ٤٨، باب النهب بغير إذن صاحبه. " type="ref" class="ref">[٣]</meta> وفى سنن أبى داود، باب النهى عن النهبى، عن رجل من الأنصار

! [pagebreak](صفحه ٣٠٨)

ص: ٣٠٩

قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأصاب الناس حاجه شديده وجهدّ، وأصابوا غنماً فانتهبوها، فإنّ قدورنا لتغلى، إذ جاء رسول الله يمشى متكئاً على قوسه فأكفأ قدورنا بقوسه، ثم جعل يرمّل اللحم بالتراب، ثم قال: «إنّ النهبه ليست بأحلّ من الميتة». <meta info="سنن أبى داود: ٣ / ٦٦ برقم ٢٧٠٥. " type="ref" class="ref">[١]</meta> وعن عبد الله بن زيد: نهى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن النهبى والمثله. <meta info="رواه البخارى فى الصيد، راجع التاج: ٤ / ٣٣٤. " type="ref" class="ref">[٢]</meta> إلى غير ذلك

من الأحاديث التي وردت في كتاب الجهاد.

وقد كانت النهب والنهبى عند العرب تساوق الغنيمه والمغنم- فى مصطلح يومنا هذا- الذى يستعمل فى أخذ مال العدو.

فإذا لم يكن النهب مسموحاً به فى الدين، وإذا لم تكن الحروب التى تُخاض بغير إذن النبى صلى الله عليه وآله وسلم جائزه، لم تكن الغنيمه فى هذه الوثائق غير ما يفوز به الناس من غير طريق القتال بل من طريق الكسب وما شابهه، ولا محيص حينئذ من أن يقال: إن المراد بالخمسة الذى كان يطلبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو خمس أرباح الكسب والفوائد الحاصله للإنسان من غير طريق القتال أو النهب الممنوع فى الدين.

وفى الجملة: إن الغنائم المطلوب فى هذه الرسائل النبويه أداء خمسها إما أن يراد بها ما يُستولى عليه من طريق النهب والإغاره، أو ما

[pagebreak](صفحة ٣٠٩)

ص: ٣١٠

يستولى عليه من طريق محاربه بصوره الجهاد، أو ما يستولى عليه من طريق الكسب والكد.

والأول ممنوع، بنص الأحاديث السابقه فلا معنى أن يطلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم خمس النهبه.

والثانى يكون أمر الغنائم بيد النبى صلى الله عليه وآله وسلم مباشره، فهو الذى يأخذ كل الغنائم ويضرب لكل من الفارس والراجل ما له من الأسهم بعد أن يستخرج الخمس بنفسه من تلك الغنائم، فلا معنى لأن يطلبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من الغزاه، فيكون الثالث هو المتعين.

وورد عن أئمه أهل البيت عليهم السلام ما يدل على ذلك، فقد كتب أحد الشيعة إلى الإمام الجواد عليه السلام قائلاً: أخبرنى عن الخمس أعلى جميع ما يستفيد الرجل من قليل وكثير من جميع الضروب وعلى الصناعات وكيف ذلك؟ فكتب عليه

السلام بخطه: «الخمسة بعد المؤونه». <meta info="=">السائل: ج ٤، الباب ٨ من أبواب ما يجب فيه الخمسة، الحديث ١. " </meta [١] <type="ref" class="ref"> وفي هذه الإجابة القصيره يظهر تأييد الإمام عليه السلام لما ذهب إليه السائل، ويتضمن ذكر الكيفيه التي يجب أن تراعى في أداء الخمسة.

وعن سماعه قال: سألت أبا الحسن (الكاظم) عليه السلام عن الخمسة؟ فقال:

«في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير». <meta info="=">المصدر نفسه، الحديث ٤. " </meta [٢] <type="ref" class="ref"> وعن أبي علي ابن راشد (وهو من وكلاء الإمام الجواد والإمام الهادي

! [pagebreak] (صفحة ٣١٠)

ص: ٣١١

عليه السلام) قال: قلت له (أى الإمام الهادي عليه السلام): أمرتني بالقيام بأمرك، وأخذ حَقَّك، فأعلمت مواليك بذلك فقال لى بعضهم: وأى شىء حَقَّه؟ فلم أدر ما أُجيبه؟ فقال: «يجب عليهم الخمسة»، فقلت: وفي أى شىء؟ فقال: «فى أمتعتهم وصنائعهم»، قلت: والتاجر عليه، والصانع بيده؟ فقال: «إذا أمكنهم بعد مؤونتهم». <meta info="=">المصدر نفسه، الحديث ٣. " </meta [١] <type="ref" class="ref"> إلى غير ذلك من الأحاديث والأخبار المرويّه عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام التي تدلّ على شمول الخمسة لكلّ مكسب.

! [pagebreak] (صفحة ٣١١)

ص: ٣١٢

٥- الرجعه فى الكتاب العزيز

الرجعه فى مصطلح العلماء

إشارة

الرجعهُ ترادف العوده، و تطلق اصطلاحاً على عوده الحياه إلى مجموعه من الأموات بعد النهضه العالميه للإمام المهدي عليه السلام و هذه العوده تتم بالطبع قبل حلول يوم القيامه. و طبقاً لهذا المبدأ، فالحديث عن العوده، يُعدّ من أشراف القيامه.

و على ضوء ذلك، فظهور الإمام المهدي عليه السلام شىءٌ، و عوده الحياه الى مجموعه من الأموات شىء آخر، كما أنّ البعث يوم القيامه أمر ثالث، فيجب تمييزها و عدم الخلط بينها.

قال الشيخ المفيد: «إنّ الله تعالى

يحشر قوماً من أمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بعد موتهم، قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختص به آل محمد (صلوات الله عليه وعليهم)، والقرآن شاهد به». < meta info=" (1) > /- بحار الأنوار: ١٣٦ / ٥٣، نقلًا عن المسائل السرويه للشيخ المفيد. " < type="ref" class="ref">[١]< /meta " وقال المرتضى متحدّثاً عن الرجعه عند الشيعة: «اعلم أنّ الذي تذهب الشيعة الإماميه إليه، أنّ الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان،

[pagebreak](صفحة ٣١٢)

ص: ٣١٣

المهدي عليه السلام، قوماً ممّن كان قد تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته، و مشاهدته دولته؛ ويعيد أيضاً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق و علو كلمه أهله». < meta info=" (1) > /- المصدر السابق نفسه، نقلًا عن رساله كتبها السيد المرتضى جواباً عن أسئله أهل الرىّ. " < type="ref" class="ref">[١]< /meta " و قال العلامة المجلسى: «و الرجعه إنّما هي لممخّضى الإيمان من أهل المله، و ممخّضى النفاق منهم، دون من سلف من الأمم الخاليه». < meta info=" (2) > /- المصدر السابق نفسه، و قد نقل أقوال علماء الشيعة ونصوصهم فى هذا الجزء من بحاره، فمن أراد زياده الاطلاع فليرجع إليه ص ٢٢ - ١٤٤. " < type="ref" class="ref">[٢]< /meta " فالاعتقاد بالرجعه من الأمور القطعيه المسلّم بها، و الروايات الكثيره الوارده عن الأئمه المعصومين لا تُبقى أى مجال للشك فى وقوعها.

يقول العلامة المجلسى: «كيف يشك مؤمن بحقيقه الأئمه الأطهار فيما تواتر عنهم فيما يقرب من مائتى حديث صريح، رواها نيف و ثلاثون من الثقات العظام، فى أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كتفه الإسلام الكلىنى و الصدوق و...». < meta info=" (3) > /- المصدر السابق. " < type="ref" class="ref">[٣]< /meta " و قد وصف الشيخ الحرّ

العاملی الروایات المتعلّقه بالرجعه بأنّها أكثر من أن تعدّ و تحصى و أنّها متواتره معنی. <meta info="=meta info"> الإيقاظ من الهجعه، الباب الثانی، الدلیل الثالث. <type="ref" class="ref">[٤]</meta " هذه بعض كلمات كبار علماء الشيعة ومحدّثيهم حول الرجعه، ويقع الكلام في أمور:

[pagebreak](صفحه ٣١٣)

ص: ٣١٤

١. إمكان الرجعه

يكفي في إمكان الرجعه، إمكان بعث الحياه من جديد يوم القيامة، فإنّ الرجعه و المعاد، ظاهران متماثلتان و من نوع واحدٍ مع فارق أنّ الرجعه محدوده كيفاً و كمّاً، و تحدث قبل يوم القيامة، بينما يبعث جميع الناس يوم القيامة ليبدأوا حياتهم الخالده.

و على ضوء ذلك، فالاعتراف بإمكان بعث الحياه من جديد يوم القيامة، ملازم للاعتراف بإمكان الرجعه في حياتنا الدنيويه. و حيث إنّ حديثنا مع المسلمين الذين يعتبرون الإيمان بالمعاد من أصول شريعتهم، فلا بد لهؤلاء إذن من الاعتراف بإمكانيه الرجعه.

٢. الرجعه في الأمم السالفه

قد وقعت الرجعه في الأمم السالفه كثيراً، نظير:

١- إحياء جماعه من بني إسرائيل <meta info="=meta info"> البقره: ٥٥-٥٦. <type="ref" class="ref">[١]</meta "

٢- إحياء قتيل بني إسرائيل <meta info="=meta info"> البقره: ٧٢-٧٣. <type="ref" class="ref">[٢]</meta "

٣- موت ألوف من الناس و بعثهم من جديد <meta info="=meta info"> البقره: ٢٤٣. <type="ref" class="ref">[٣]" <</meta .

[pagebreak](صفحه ٣١٤)

ص: ٣١٥

٤- بعث عزير بعد مائه عام من موته <meta info="=meta info"> البقره: ٢٥٩. <type="ref" class="ref">[١]</meta "

٥- إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام. <meta info="=meta info"> آل عمران: ٤٩. <type="ref" class="ref">[٢]" <</meta و بعد وقوع الرجعه في الأمم السالفه، هل يبقى مجال للشك في إمكانها؟

و تصوّر أنّ الرجعه من قبيل التناسخ المحال عقلاً، تصوّر باطلٌ، لأنّ التناسخ عباره عن رجوع الفعلية إلى القوه، و رجوع الإنسان إلى الدنيا عن طريق النطفه، و المرور بمراحل التكوّن البشرى من جديد، ليصير إنساناً مره أخرى، سواء أَدْخَلَتْ رُوْحُه في جسم إنسان أم حيوان، و أين هذا من الرجعه و عود الروح إلى البدن المتكامل من جميع الجهات، من دون أن يكون هناك رجوع إلى القوه بعد الفعلية.

*** الرجعه في الأُمه الإسلاميه

يدل على وقوع الرجعه في هذه الأُمه قوله تعالى: «وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَمَّا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ» [\[3\]](#) <meta info="النمل: ٨٢-٨٣." >

[pagebreak](صفحه ٣١٥)

ص: ٣١٦

لا يوجد بين المفسّرين من يشك بأنّ الآية الأولى تتعلّق بالحوادث التي تقع قبل يوم القيامة، ويدلّ عليه ما روى عن النبي الأكرم من أنّ خروج دابه الأرض من علامات يوم القيامة، إلّا أنّ هناك خلافاً بين المفسرين حول المقصود من دابه الأرض، و كيفيه خروجها، و

كيف تتحدث؟ و غير ذلك ممّا لا نرى حاجه لطره.

روى مُسلم أنّ رسول الله قال: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرَ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالشَّمْرِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَالدَّخَانُ، وَالدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدْنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ» [\[1\]](#) <meta info=" صحیح مسلم: ۱۷۹ / ۸، کتاب الفتن، و أشرط الساعه، باب فی الآيات التي تكون قبل الساعه. </meta " type="ref" class="ref"> .

إنّما الكلام في الآيه الثانيه، و الحق أنّها ظاهره في حوادث قبل يوم القيامه، و ذلك لأنّ الآيه تركز على حشر فوج من كل جماعه بمعنى عدم حشر الناس جميعاً، و من المعلوم أنّ الحشر ليوم القيامه يتعلق بالجميع، لا بالبعض، يقول سبحانه: «وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَيَازَةً وَحَشْرًا غَاشِيَةً فَلَمَّ نَغَادِرُ مِنْهُمْ أَحَدًا» [\[2\]](#) <meta info=" الكهف: ۴۷. " type="ref" class="ref"> .

أفبعد هذا التصريح، يمكن تفسير ظرف الآيه بيوم البعث و القيامه؟

و هناك قرينتان أخريان، تحقّقان ظرفها لنا إن كُنّا شاكين، و هما:

[pagebreak](صفحه ۳۱۶)

ص: ۳۱۷

أولاً: إنّ الآيه المتقدّمه عليها تذكر للناس علامه من علامات القيامه، و هي خروج دابه الأرض، و من الطبيعي، بعد ذلك أنّ حشر جماعه من الناس يرتبط بهذا الشأن.

ثانياً: ورد الحديث في تلك السوره عن القيامه في الآيه السابعه و الثمانين، أي بعد ثلاث آيات، قال سبحانه: «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ» [\[1\]](#) <meta info=" النمل: ۸۷. " type="ref" class="ref"> .

و هذا يعرب عن أنّ ظرف ما تقدّم عليها من الحوادث يتعلّق بما قبل هذا اليوم، و يحقّق أنّ حشر فوج من الذين يكذبون بآيات الله

يحدث حتماً قبل يوم القيامة، وهو من أشراف هذا اليوم، وسيقع في الوقت الذي تخرج فيها دابه من الأرض تكلم الناس.

و من العجب قول الرازي بأن حشر فوج من كل أمه سيقع بعد قيام الساعة <meta info="مفاتيح الغيب: ٢١٨ / ٤." >[٢] </meta >. فإن هذا الكلام خاوا لا يستند إلى أي أساس. و ترتيب الآيات وارتباطها ببعضها، ينفيه، و يؤكد ما ذهب إليه الشيعة من أن الآية تشير إلى حدث سيقع قبل يوم القيامة.

أضف إلى ذلك أن تخصيص الحشر ببعض، لا يجتمع مع حشر جميع الناس يوم القيامة.

[pagebreak](صفحة ٣١٧)

ص: ٣١٨

نعم، الآية قد تحدت عن حشر المكذبين، و أما رجعه جماعه أخرى من الصالحين فهو على عاتق الروايات الواردة في الرجعه.

و أما كيفية وقوع الرجعه و خصوصياتها فلم يتحدت عنها القرآن، كما هو الحال في تحدته عن البرزخ و الحياه البرزخيه.

و يؤيد وقوع الرجعه في هذه الأمه وقوعها في الأمم السالفه كما عرفت، وقد روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَيِّئَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَ ذِرَاعًا بِذِرَاعٍ. حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُ». قلنا يا رسول الله: اليهود و النصارى؟ قال:

فمن؟ <meta info="صحيح البخارى: ١١٢ / ٩، كتاب الاعتصام بقول النبى." >[١] </meta >. <</meta >.

و روى أبوهريره أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تُؤخذ أمتى بأخذ القرون قبلها، شبراً بشبر، و ذراعاً بذراع» فقيل: يا رسول الله: كفارس و الروم؟ قال: «ومن الناس إلا أولئك؟» <meta info="صحيح البخارى: ١٠٢ / ٩؛ وكنز العمال: ١٣٣ / ١١." >[٢] </meta >.

و روى الشيخ الصدوق رحمه الله

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل ما كان في الأمم السابقة فإنه يكون في هذه الأمة مثله، حذو النعل بالنعل، و القذّه بالقذّه» <meta info=" كمال الدين: ٥٧٦. </meta " class="ref" ref=" [٣] .

و بما أن الرجعه من الحوادث المهمه في الأمم السالفه، فيجب أن

[pagebreak](صفحه ٣١٨)

ص: ٣١٩

يقع نظيرها في هذه الأمة أخذاً بالمماثله، و التنزيل.

و قد سأل المأمون العباسي، الإمام الرضا عليه السلام عن الرجعه؟

فأجابه، بقوله: «إنها حق، قد كانت في الأمم السالفه، و نطق بها القرآن، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفه حذو النعل بالنعل، و القذّه بالقذّه». <meta info=" بحار الأنوار: ٥٣ / ٥٩، الحديث ٤٥. </meta " class="ref" ref=" [١] > هذه هي حقيقه الرجعه و دلائلها، و لا يدعى المعتقدون بها أكثر من هذا، و حاصله عوده الحياه إلى طائفتين من الصالحين و الطالحين، بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، و قبل وقوع القيامة. و لا ينكرها إلا من لم يمعن النظر في أدلتها <meta info=" بقى هنا بحثان:

١- من هم الراجعون.

٢- ما هو الهدف من إحيائهم؟

وإجمال الجواب عن الأول أن الراجعين لفيق من المؤمنين و لفيق من الظالمين.

وإجمال الجواب عن الثاني ما جاء في كلام السيد المرتضى المنقول آنفاً، حيث قال: «إن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي عليه السلام، قوماً ممن كان تقدّم موته من شيعته ليفوزوا بثواب نصرته و معونته، و مشاهدته دولته، و يعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم...» إلى آخر كلامه.

لاحظ تفصيل جميع ذلك في: البحار: ج ٥٣، والإيقاظ من الهجعه بالبرهان على الرجعه، للشيخ الحر العاملي. "

ص: ٣٢٠

أسئله و أجوبتها

السؤال الأول: كيف يجتمع إعادة الظالمين مع قوله سبحانه: «وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَوْمِهِ أَهْلُكُنَا هَٰؤُلَاءِ لَمَّا يَرْجِعُونَ» <meta info=" الأنبياء: ٩٥. <type="ref" class="ref">[١]</meta "، فإن هذه الآية تنفي رجوعهم بتاتاً، و حشر لفييف من الظالمين يخالفها؟

و الجواب: إن هذه الآية مختصه بالظالمين الذين أهلكوا في هذه الدنيا و رأوا جزاء عملهم فيها، فهذه الطائفة لا ترجع؛ وأما الظالمون الذين رحلوا عن الدنيا بلا مؤاخذه، فيرجع لفييف منهم ليروا جزاء عملهم فيها، ثم يُردون إلى أشد العذاب في الآخرة أيضاً. فالآية لا تمت إلى مسأله الرجعه بصله.

السؤال الثاني: إن الظاهر من قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» <meta info=" المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠. type="ref" " <class="ref">[٢]</meta ، نفى الرجوع إلى الدنيا بعد مجىء الموت.

و الجواب: إن الآية تحكى عن قانون كلى قابل للتخصيص فى مورد دون مورد، و الدليل على ذلك ما عرفت من إحياء الموتى فى الأمم

ص: ٣٢١

السالفه، فلو كان عدم الرجوع إلى هذه الدنيا سنه كليه لا تتبعض و لا تتخصص، لكان عودها إلى الدنيا مناقضاً لعموم الآية.

و هذه الآية، كسائر السنن الإلهيه الوارده فى حق الإنسان، فهى تفيد أن الموت بطبعه ليس بعده رجوع، و هذا لا ينافى الرجوع فى مورد أو موارد لمصالح عُليا.

السؤال الثالث: إن الاستدلال على الرجعه مبنى على جعل قوله سبحانه: «و يَوْمَ نَحْشُرُ مَنْ كُلُّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّنْ يُّكذِّبُ بآياتنا فهم يوزعون»، حاكيًا عن حادثه تقع قبل القيامه، و لكن من الممكن جعلها حاكيه عن الحادثه التى تقع عند القيامه، غير أنها تقدمت على قوله سبحانه:

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»، و كان طبع القضييه تأخيرها عنه، و المراد من الفوج من كلِّ أمه هو الملاء من الظالمين و رؤسائهم؟

و الجواب: أولاً: إنّ تقديم قوله: «و يَوْمَ نَحْشُرُهُ...»، على فرض كونه حاكياً عن ظاهره تقع يوم القيامة، على قوله: «و يَوْمَ يُنْفَخُ»، ليس إلّا إخلالاً في الكلام، بلا مسوغ.

و ثانياً: إنّ ظاهر الآيات أنّ هناك يومين، يوم حشر فوج من كلِّ أمه، و يوم نفخ في الصور، و جعل الأوّل من متمّات القيامة، يستلزم وحده اليومين، و هو على خلاف الظاهر. <meta info=" " و إذا أحطتُ خبيراً بما ذكرناه، يتبين لك سقوط كثير ممّا ذكره الآلوسى في تفسيره عند البحث عن الآية. لاحظ تفسيره: ٢٠ / ٢٦. <type="ref" class="ref">[١]</meta " "

[pagebreak](صفحة ٣٢١)!

ص: ٣٢٢

[pagebreak](صفحة ٣٢٢)!

ص: ٣٢٣

أمّا الأوّل فلا- شكّ أنّ الإنسان الواقع في إطار التربيّه إذا كان إنساناً يافعاً أو في عنفوان الشباب يكون قلبه وروحه كالأرض الخاليه تنبت ما أُلقي فيها، فربما تُكوّن الصحبه شخصيه كامله تعدّ مثلاً للفضل والفضيله، وهذا بخلاف ما إذا كان طاعناً في السن، واكتملت شخصيته الروحيه والفكريه، فإنّ النفوذ في النفوس المكتمله الشخصيه والتأثير عليها والثوره على أفكارها وروحياتها واتجاهاتها، أمر صعب، فيكون تأثير الصحبه أقل بمراتب من الطائفه الأولى.

وأمّا الثاني- أعني: الاختلاف في الاستعداد- فهو أمر لا يحتاج إلى البيان، فكما أنّ البشر يختلفون في تقبل العلم، فهكذا هم يختلفون في مقدار قبول الهدايه الإلهيه، ولهذا نرى أنّ من تخرّجوا عن مدرسه الرسول يختلفون إيماناً وإيثاراً وأخلاقاً و سلوكاً.

وأما الثالث- أي مقدار الصحبه- فقد كانوا مختلفين فيه، فبعضهم صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بدء البعثه إلى لحظه الرحله، وبعضهم أسلم بعد البعثه وقبل الهجره، وكثير منهم أسلموا بعد الهجره وربما أدركوا من الصحبه سنه أو شهراً أو أياماً أو ساعه، فهل يصحّ أن نقول: إنّ صحبه ما، قلعت ما في نفوسهم جميعاً، من جذور غير صالحه وملكات رديه، وكوّنت منهم شخصيات ممتازه أعلى وأجل من أن يقعوا في إطار التعديل والجرح؟!

وهذه العوامل تدلّ على أنّ تأثير صحبه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن على نحو يجعل الجميع على حدّ سواء من الإيمان والفضل والتقوى والإيثار

[pagebreak](صفحه ٣٢٨)

ص: ٣٢٩

والزهد والخير، ومادامت هذه الاختلافات سائده عليهم فمن البعيد أن نجعلهم على غرار واحد ونزن الكل بصاع معين، ونحكم على الكل بصفاء النفس، والتجافي عن زخارف الدنيا.

إنّ صحبه الصحابه لم تكن أشدّ ولا أقوى ولا أطول من صحبه امرأه

نوح وامرأه لوط، فقد صحبتا زوجيهما الكريمين، ولبتتا معهما ليلاً ونهاراً ولكن هذه الصحبه - للأسف - ما أغنت عنهما من الله شيئاً، قال سبحانه:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ». <meta info="التحریم: ۱۰. [۱]>

إنَّ التَّشَرَّفَ بِصَحْبِهِ النَّبِيُّ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ امْتِيَازًا وَتَأْثِيرًا مِنَ التَّشَرَّفِ بِزَوْجِيهِ النَّبِيِّ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِهَا: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا». <meta info="الأحزاب: ۳۰. [۲]>

وَأنت ترى الكتاب العزيز يندد بنساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأجل كشف سره ويعاتبهن في ذلك.

يقول سبحانه: «وَإِذِ اسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَّتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضِ فَلَما تَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ

[pagebreak](صفحة ۳۲۹)

ص: ۳۳۰

أَنْبِأكَ هَذَا قَالَ نَبِيَّانِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ* إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ* عسى رَبُّهُ إِذْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا». <meta info="التحریم: ۳-۵. [۱]>

فَأى عتاب أشد من قوله سبحانه: «ان تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا» أى مالت قلوبكما عن الحق، كما أن قوله: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» يعرب عن وجود أرضيه فيهن للتظاهر ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلافه، وهو سبحانه أخير عن إخفاق أمنيتهن، لأنَّ الله ناصر النبي وجبرئيل وصالح المؤمنين والملائكة.

كل ذلك ينبى عن أن الصحبه ليست عله تامه لتحويل المصاحب

إلى إنسان عادل صالح خائف من الله، ناءٍ عن اقتراف السيئات، حقيقه كانت أو كبيره، بل هي مقتضيه لصالح الإنسان إذا كان فيه قابليه للاستضاءه، وعزم للاستفاضه.

ومعنى هذا أنّ للصعبه تأثيراً متفاوتاً وليست على وتيره واحده.

[pagebreak](صفحه ٣٣٠)

ص: ٣٣١

٣- العدالة ملكه تدريجيه الحصول

إنّ العدالة ملكه كسائر الملكات والتي منها ملكه الاجتهاد وسائر الشؤون العلميه تتحقّق في الإنسان غب ممارسات ومجاهدات تستغرق زمناً حتّى يبلغ الإنسان مستوى ربيعاً يستقر في النفس طول عمره ولا يزول بسهولة.

فالعالم النحوى إذا مارس المسائل النحويه مده مديده تحصل له ملكه الإجابيه عن كلّ ما يطرح من الأسئلة والأمثله ويقوم بتحليلها على ضوء ملكته.

ونظير ذلك العدالة فهي ملكه نفسانيه أو خشيه إلهيه مستقره في النفس تصده عن ارتكاب المعاصي ومخالفه السنن والقوانين الإلهيه، حتّى ولو غلبت عليه القوى الحيوانيه مره فأنّه يرجع نادماً مستغفراً ولا يعود إلى ذلك في فتره قريبه، وبذلك فهو يفترق عن المعصوم حيث إنّه لا تغلبه القوى الحيوانيه ولا تتغلب عليه طيله عمره مع بقاء قدرته على الخلاف والمعصيه.

فإذا كان هذا هو واقع الملكه فكيف يمكن التصديق بنظريه عداله الصحابه بمجرد رؤيه أحدهم للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم مره واحده أو يوماً أو شهراً أو أكثر.

وهذا يبعثنا إلى القول بأنّ الصحابه كسائر الناس، أو كالتابعين فيهم عادل وغير عادل، صالح وغير صالح.

[pagebreak](صفحه ٣٣١)

ص: ٣٣٢

٤- أصناف الصحابه في الكتاب

أنّ القرآن الكريم يصنّف صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصناف مختلفه من غير فرق بين البدرى وغيره، ومن غير فرق بين من آمن قبل الحديدية أو بعده، التحق بالمسلمين قبل الفتح أو بعده، وإليك رؤوس هذه الطوائف مع الإشاره إلى مواضعها في القرآن الكريم، وهم:

١. المنافقون المعروفون. (المنافقون: ١)

٢. المنافقون المندسّون. (التوبه: ١٠١)

٣. مرضى القلوب. (الأحزاب: ١٢).

٤. السّماعون. (التوبه: ٤٥-٤٧).

٥. مخالطو العمل الصالح بغيره. (التوبه: ١٠٢).

٦. المشرفون على الارتداد. (آل عمران: ١٥٤).

٧. الفاسق. (الحجرات: ٦).

٨. المسلمون غير المؤمنين (الحجرات: ١٤).

٩. المؤلّفه قلوبهم (التوبه: ٦٠).

١٠. المولّون

أمام الكفار. (الأنفال: ١٥-١٦).

[pagebreak](صفحة ٣٣٢)

ص: ٣٣٣

فهذه الأصناف العشره من صحابه النبي لا يمكن وصفها بالعداله والتقوى كما لا يمكن القول بشمول الآيات المادحه لهؤلاء، وإلا يلزم التناقض في مدلول الآيات.

أن القرآن الكريم يتبأ بارتداد لفيث من الصحابه بعد رحيل الرسول كما في قوله: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ». <meta info=" " class="ref" type="ref">[١]

والآيه وإن كانت قضيه شرطيه، والقضيه الشرطيه لا تدلّ على وقوع طرفيها، ولكنها تدلّ بمضمونها على أنّ صحابه الرسول في عصر نزول الآيه- أعنى: السنه الثالثه (غزوه أحد) - من كانت سيرته وأعماله تدلّ على إمكان ارتداده بعد رحيل الرسول، وعند ذلك كيف يمكن أن نكيل جميع الصحابه بمكيال واحد حتّى الأحدين؟ فكيف بمن آمن بعدهم ويعدّ دونهم؟!

فهذه الآيات إذا انضمت إلى الآيات المادحه يخرج المفسر بنتيجه واحده، وهى أنّ من صحب النبي كان بين صالح وطالح، و بين من يُستدر به الغمام ومن لا يساوى إيمانه شيئاً.

[pagebreak](صفحة ٣٣٣)

ص: ٣٣٤

٥- الصحابه أعرف بحالهم من غيرهم

<meta info=" " class="ref" type="ref">[١] كما يقال: أهل مكه أعرف بشعابها من غيرهم. من سبر تاريخ الصحابه بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يجد فيه صفحات مليئه بألوان الصراع والنزاع بينهم، حافله بتبادل التّهم والشتائم، بل تجاوز الأمر بهم إلى التقاتل وسفك الدماء، فكم من بدرى وأحدى انتهكت حرمة، وصبّ عليه العذاب صبّاً، أو أريق دمه بيد صحابى آخر.

وهذا ممّا لا يختلف فيه اثنان، بيد أنّ الذى ينبغى التنبيه عليه، هو أنّ كلّاً من المتصارعين، كان يعتقد أنّ خصمه متنكبّ عن جاده

الصواب، وأنه مستحق للعقاب أو القتل، وهذا الاعتقاد حتى وإن كان نابغاً عن اجتهاد، فإنه يكشف عن أن كلاً من الفئتين المختلفتين لم تكن تعتقد بعدالة الفئة الأخرى.

فإذا كان الصحابي يعتقد أن خصمه عادل عن الحق ومجانب لشريعة الله ورسوله، وهو على أساس ذلك يبيح سلّ السيف عليه وقتله، فكيف يجوز لنا نحن أن نحكم بعدالتهم ونزاهتهم جميعاً، وأن نضفي عليهم ثوب القدسيّة على حدّ سواء؟! وتبرّأهم من كل زيغ وانحراف؟

أو ليس الإنسان أعرف بحاله وأبصر بروحيّاته؟

أو ليس الصحابه أعرف منا بنوازع أنفسهم، وبنفسيات أبناء جيلهم؟

[pagebreak](صفحة ٣٣٤)

ص: ٣٣٥

ووراء هذا ما دار بينهم من كلمات تكشف عن اعتقاد بعضهم في حق بعض، فالإتهام بالكذب والنفاق والشتيم والسب كان من أيسر الأمور المتداوله بينهم، فهذا هو سعد بن عباده سيّد الخزرج، يخاطب سعد بن معاذ، وهو سيد الأوس وينسبه إلى الكذب كما حكاه البخارى في صحيحه عن عائشه أنها قالت: فقام سعد بن عباده وهو سيد الخزرج فقال لسعد [بن معاذ]: كذبت لعمر الله... فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد [بن معاذ] فقال لسعد بن عباده: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتشاور الحيّان حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله يخفّضهم حتى سكتوا وسكت. <meta info=" صحيح البخارى: ٢٤٥ / ٣، كتاب التفسير، رقم الحديث ٤٧٥٠. "[١]" type="ref" class="ref"> ليكون كنموذج لما لم أذكر، وسيوافيك في البحوث التاليه نماذج من أفعالهم وأقوالهم التي يكشف عن اعتقادهم في حق مخالفيهم.

أو ليس من العجب العجاب، أن الصحابي يصف صحابياً آخر- في محضر

النبي - بالكذب، والآخر يصف خصمه بالنفاق، وكلا الرجلين من جبهه الأنصار وسنامهم؟! ولكن الذين جاءوا بعدهم يصفونهم بالعدل والتقوى، والزهد والتجافي عن الدنيا، وهل سمعت ظئراً أرحم بالطفل من أمه. <meta info=" " مثل يضرب. ">[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ٣٣٥)

ص: ٣٣٦

٦- القرآن الكريم وعداله الصحابه

اشاره

إن القرآن الكريم فى مختلف سوره وآياته ينقد أقوال الصحابه وأفعالهم بوضوح كما أنه فى بعض آياته يثنى على طائفه منهم، فمن الخطأ أن نركز على طائفه دون طائفه، فها نحن ندرس فى هذا الفصل بعض الآيات التى تنقد أفعالهم وآراءهم.

أ. تنبؤ القرآن بارتداد نيف من الصحابه

القرآن يتنبأ بإمكان ارتداد بعض الصحابه بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وذلك لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل منهم. يقول ابن كثير: نادى الشيطان على أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل. فوق ذلك فى قلوب كثير من الناس واعتقدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل وجوزوا عليه ذلك، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال، روى ابن نجيب عن أبيه إن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط فى دمه، فقال له: يا فلان أشعرت أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قتل؟ فقال الأنصارى: إن كان محمداً قد قتل فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم. فأنزل الله سبحانه قوله: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ

[pagebreak](صفحة ٣٣٦)

ص: ٣٣٧

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ». <meta info=" " تفسير ابن كثير: ١/ ٤٠٩، والآيه ١٤٤ من سوره آل عمران. ">[١]</meta

قال ابن قيم الجوزيه: كانت وقعه أحد مقدّمه وإرهاصاً بين يدي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وتبأهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله أو قتل. <meta info=" " زاد المعاد: ٢٥٣. ">[٢] <</meta والظاهر من الارتداد هو الأعم من الارتداد عن الدين الذى

جاهر به بعض المنافقين والارتداد عن العمل كالجهاد ومكافحه الأعداء وتأييد الحق وإنساء ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

وهذه الآيه تخبر عن إمكانية الانقلاب على الأعقاب بعد رحيل الرسول، فهل يمكن أن يوصف بالعدالة التامة التي هي أخت العصمة من كان يُحتمل فيه تلك الإمكانية؟ ولذلك ترى أنهم لا يرضون بنقد آراء الصحابه وأقوالهم.

ب. ترك الرسول قائماً وهو يخطب

بيننا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يخطب الجمعة قدمت غير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «والذى نفسى بيده، لو تابعتهم حتى لا يبقى منكم أحد سال لكم الوادى ناراً» فنزلت هذه الآيه: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا

[pagebreak](صفحة ٣٣٧)

ص: ٣٣٨

وَتَرَكَوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ».

قال ابن كثير: يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع، من الانصراف عن الخطبه يوم الجمعة إلى التجاره التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى:

«وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوكَ قَائِمًا»، أى على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالیه والحسن وزيد بن أسلم وقتاده، وزعم ابن حبان أن التجاره كانت لدحيه بن خليفه قبل أن يسلم وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قائماً على المنبر إلا القليل منهم، وقد صحَّ بذلك الخبر، فقال الإمام أحمد: حدَّثنا ابن إدريس، عن حصين بن سالم بن أبى الجعد، عن جابر، قال: قدمت غير مرّة المدينة ورسول الله صلى الله عليه و آله

و سلم يخطب فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلاً فنزلت «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا» أخرجاه في الصحيحين. <meta info=" تفسير ابن كثير: ٣٧٨ / ٤؛ صحيح البخاري: ٣١٦ / ١، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة؛ صحيح مسلم: ٢ / ٥٩٠ كتاب الجمعة، باب في قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً...». </meta >[١] " أفمن يقدم اللهو والتجارة على ذكر الله ويستخف بالنبى، يكون ذا ملكة نفسانية تحجزه عن اقتراف المعاصى واجتراح الكبائر، ما لكم كيف تحكمون!؟

[pagebreak](صفحة ٣٣٨)

ص: ٣٣٩

ج. الخيانة بالنكاح سرّاً

شرع الله سبحانه صوم شهر رمضان وحرم على الصائم إذا نام ليلاً مجامعه النساء، فكان جماعه من المسلمين ينكحون سرّاً وهو محرّم عليهم.

قال ابن كثير: كان الأمر في ابتداء الإسلام، هو إذا أفطر أحدهم إنّما يحلّ له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو نام قبل ذلك فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القادمة، ثم إن أناساً من المسلمين أصابوا من النساء والطعام في شهر رمضان بعد العشاء، منهم عمر بن الخطاب، فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فأنزل الله قوله:

«أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ...». <meta info=" تفسير ابن كثير: ٢١٩ / ١؛ صحيح البخاري: ١٦٣٩ / ٤، كتاب التفسير، وغيرهما، والآية ١٨٧ من سورة البقرة. </meta >[١] " كتاب التفسير، وغيرهما، والآية ١٨٧ من سورة البقرة.

فهل يصح لنا أن نصف من خانوا أنفسهم بارتكاب الحرام بأنهم عدول ذوى ملكة رادعه عن اقتراف الكبائر والإصرار على الصغائر!؟ أو أنّ أكثرهم لم يكونوا حائزين تلك الملكة، وإنّما

كانوا على درجة متوسطة من الإيمان والتقوى وقد يغلب عليهم حب الدنيا ولذاتها.

[pagebreak](صفحة ٣٣٩)

ص: ٣٤٠

د. خيانه بعض البدرين

يقول سبحانه: «وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ».
<meta info="آل عمران: ١٦١." [١] ref="ref" type="ref" />

قال ابن كثير: نزلت في قطيفه حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله أخذها فأكثرها في ذلك، فأنزل الله: «وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغْلَ وَمَنْ يُغْلَلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وهذا تنزيه له - صلوات الله وسلامه عليه - من جميع وجوه الخيانه في أداء الأمانة وقسم الغنيمه، ثم تبين أنه قد غلّ بعض أصحابه. <meta info="تفسير ابن كثير: ١/ ٤٢١؛ تفسير الطبري: ١٥٥/٤ في تفسير الآيه، إلى غير ذلك من المصادر." [٢] ref="ref" type="ref" /> والآيه تعرب عن مدى حسن ظنهم واعتقادهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اتهموه بالخيانه في الأمانة وتقسيم الأموال، ثم تبين أنه قد غلّه بعض أصحابه، فهؤلاء الجاهلون بمكانه النبي، أو من مارس الخيانه في أموال المسلمين لا يوصفون بالعداله.

وهذا حال البدرين، لا الأعراب ولا الطلاق ولا أبنائهم ولا المنافقين، فكيف حال من أتى بعدهم؟ ولعمري أن من يقرأ هذه الآيات البينات وما ورد حولها من الأحاديث والكلمات ثم يصرّ على عداله الصحابه جميعاً دون تحقيق فقد ظلم نفسه وظلم أمته.

[pagebreak](صفحة ٣٤٠)

ص: ٣٤١

ه. فاسق يغرّ النبي وأصحابه

يقول سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُكُمْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ». <meta info="الحجرات: ٦." [١] ref="ref" type="ref" />

أمر الله سبحانه بالثبث في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذباً أو مخطئاً، قال ابن كثير: قد ذكر كثير من المفسرين أن الآيه نزلت في الوليد بن عقبه

بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات بني المصطلق إلى حارث بن ضرار وهو رئيسهم ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاه، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق- أى خاف- فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاه وأراد قتلى، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا: هذا الحارث. فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث إليك الوليد بن عقبه فزعم أنك منعه الزكاه وأردت قتله، قال رضى الله عنه عنه: لا والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق ما رأيت بهتة ولا أتانى، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: منعت الزكاه وأردت قتل رسولى؟ قال: لا، والذي بعثك بالحق ما رأيت بهتة ولا أتانى، وما أقبلت إلّا حين احتبس على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خشيت أن تكون سخطه من الله تعالى ورسوله، قال:

[pagebreak](صفحة ٣٤١)

ص: ٣٤٢

فنزلت الحجرات: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ» إلى قوله:

«حكيم». <meta info=" تفسير ابن كثير: ٢٠٩ / ٤. "[1] <ref="ref" class="ref" >

و. تنازعهم فى الغنائم إلى حدّ التخاصم

إن صحابه النبى بعد انتصارهم على المشركين فى غزوه بدر، استولوا على أموالهم وتنازعوا فيها إلى حدّ التخاصم، قال الذين جمعوا الغنائم:

نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها

نصيب.

وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحقّ بها منّا ونحن منعنا عنه العدو وهزمناهم.

وقال الذين أحدقوا برسول الله: لستم بأحقّ بها منّا نحن أحدقنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخفنا أن يصيب العدو منه غزوه واشتغلنا به فنزل:

«يسألونك عن الأنفالِ قل الأنفالُ لله والرسولِ فاتَّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين». <meta info="الأنفال: ١." [٢]>

قال ابن كثير: سأل أبو أمامه عبادته عن الأنفال؟ قال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى رسول الله، فقسّمه رسول الله بين المسلمين عن سواء. <meta info=" تفسير ابن كثير: ٢/٢٨٣." [٣]>

[pagebreak](صفحة ٣٤٢)

ص: ٣٤٣

وفي الآيه إلماعات إلى سوء أخلاقهم حيث يعظ سبحانه هؤلاء السائلين ويأمرهم بأمر ثلاثه بقوله:

١. «واتقوا الله» في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا، فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير ممّا تختصمون بسببه.

٢. «وأصلحوا ذات بينكم»: أى لا تسبوا.

٣. «وأطيعوا الله ورسوله»: أى لا تخالفوه ولا تشاجروا. <meta info=" تفسير ابن كثير: ٢/٢٨٥." type="ref" [١]> فالإمعان في الآيات النازله حول هؤلاء المتنازعين والروايات الوارده في تفسير الآيه، لا تدع مجالاً للشكّ في أنّ لفيماً من الحاضرين في غزوه بدر لم يبلغوا مرحله عاليه تميزهم عن غيرهم، بل كانوا كسائر الناس الذين يتنازعون على حطام الدنيا وزبرجها دون أن يستشيروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أمرها، ويسألونه عن حكمها، أفهؤلاء الذين كانوا يتنازعون على حطام الدنيا، يصبحون مُثلاً للفضيله وكرامه النفس والطهاره؟!>

ز. استحقاقهم مسّ عذاب عظيم

كانت السنّه الجاريه في الأنبياء الماضين أنّهم إذا

حاربوا أعداءهم وظفروا بهم يَنكَلون بهم بالقتل ليعتبر به من وراءهم حتّى يكفّوا عن عدائهم لله ورسوله، وكانوا لا- يأخذون أسرى حتّى يشنوا فى الأرض

[pagebreak](صفحة ٣٤٣)

ص: ٣٤٤

ويستقر دينهم بين الناس، فعند ذلك لم يكن مانع من الأسر، ثم يعقبه المنّ أو الفداء.

يقول سبحانه فى آيه أخرى: «فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثَخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ»
<meta info=" محمد: ٤. >[١] </meta " > فأجاز أخذ الأسرى، لكن بعد الإثخان فى الأرض واستتباب الأمر.

غير أنّ لفيماً من الصحابه كانوا يصرون على النبى بالعفو عنهم وقبول الفداء منهم قبل الإثخان فى الأرض، وأخذوا الأسرى، فنزلت الآيه فى ذم هؤلاء وعزّفهم بأنهم استحقوا مسّ عذاب عظيم لولا ما سبق كتاب من الله، يقول سبحانه: «ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتّى يُشخّن فى الأرض تُريدون عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ* لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ». <meta info=" الأنفال: ٦٧-٦٨. >[٢] </meta " >

والمستفاد من الآيتين أمران:

الأول: أنّ الحافز لأكثرهم أو لفته منهم هو الاستيلاء على عرض الدنيا دون الآخرة كما يشير إليه سبحانه بقوله: «تُرِيدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ». <meta info=" الأنفال: ٦٧. >[٣] </meta " >

الثانى: لقد بلغ عملهم من الشناعه درجه، بحيث استحقّوا مسّ

[pagebreak](صفحة ٣٤٤)

ص: ٣٤٥

عذاب عظيم، غير أنّه سبحانه دفع عنهم العذاب لما سبق منه فى الكتاب، قال سبحانه: «لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ» أخذ الأسرى «عذاب عظيم».

فقوله: «عذاب عظيم» يعرب عن عظم المعصيه التى اقترفوها حتّى استحقوا بها العذاب العظيم.

أفيمكن وصف من أراد عرض الدنيا مكان الآخرة واستحقّ مسّ عذاب عظيم بأنّه ذو ملكه نفسانيه تصده عن اقراراف

الكبائر والإصرار على الصغائر؟ كلا، ولا.

ج. الفرار من الزحف

لقد دارت الدوائر على المسلمين يوم أحد، لأنهم عصوا أمر الرسول وتركوا مواقعهم على الجبل طمعاً في الغنائم فأصابهم ما أصابهم من الهزيمة التي ذكرتها كتب السير والتاريخ على وجه مبسوط. وبالتالي تركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ساحه الحرب وليس معه إلا عدد قليل من الصحابة، ولم تنفع معهم دعواته صلى الله عليه وآله وسلم بالعودة إلى ساحه القتال ونصرته، فقد خذلوه في تلك الساعات الرهيبة، وأخذوا يلتجئون إلى الجبال حذراً من العدو، ويتحدث سبحانه تبارك وتعالى عن تلك الهزيمة النكراء بقوله: «إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا

[pagebreak](صفحة ٣٤٥)

ص: ٣٤٦

بِعَمِّ لِكَيْلَا- تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ». <meta info=" آل عمران: ١٥٣. " type="ref" >[١]</meta <class="ref" >

فالخطاب موجّه للذين انهزموا يوم أحد، وهو يصف خوفهم من المشركين وفرارهم يوم الزحف، غير ملتفتين إلى أحد، ولا مستجيبين لدعوه الرسول، حين كان يناديهم من ورائهم ويقول: «هلم إليّ عباد الله أنا رسول الله...» ومع ذلك لم يُجبه أحد من المولّين.

والآية تصف تفرقهم وتوليّهم على طوائف أولاهم بعيده عنه، وأخراهم قريبه، والرسول يدعوهم ولا- يجيبه أحد لا- أولهم ولا آخرهم، فتركوا النبي بين جموع المشركين غير مكترئين بما يصيبه من القتل أو الأسر أو من الجراح.

نعم كان هذا وصف طوائف منهم و كانت هناك طائفة أخرى، التفت حول النبي ودفعت عنه شرّ الأعداء، وهم الذين أُشير إليهم بقوله سبحانه:

«وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ». <meta info=" آل عمران: ١٤٤. " type="ref" class="ref" >[٢]</meta >

ثم إنّه سبحانه يصرح بتوليّهم وفرارهم عن الجهاد وينسب زلّتهم إلى الشيطان ويقول: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ

التقى الجمعيان إنما استترلَّهُم الشيطان ببغض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفورٌ رحيم». <meta info=" آل عمران: ١٥٥." [٣] </meta >

[pagebreak](صفحة ٣٤٦)

ص: ٣٤٧

وليس هؤلاء من أصحاب النفاق (لأن النفاق لا يُعفى له ولا يعفى عنه) بل من الصحابة العدول!

ط. نسبة الغرور إلى الله ورسوله

إن غزوه الأحزاب من المغازي المعروفة في الإسلام، حيث اتحد المشركون واليهود للانقضاض على الإسلام، فحاصروا المدينة وهم عشرة آلاف مدججين بالسلح، وحفر المسلمون خندقاً حول المدينة لمنع العدو من اقتحامها وقد طال الحصار نحو شهر. وفي هذه الغزوة امتحن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزلزلوا زلزالاً عظيماً، وتبين الثابت من المستزل، وانقسم أصحابه إلى قسمين:

١. المؤمنون وشعارهم «هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلماً إيماناً وتسليماً». <meta info=" الأحزاب: ٢٢." [١] </meta >

٢. المنافقون والذين في قلوبهم مرض وشعارهم: «ما وعدنا الله ورسوله إلماً غروراً». <meta info=" الأحزاب: ١٢." [٢] </meta >

فضعفاء الإيمان من المؤمنين كانوا يظنون بالله أنه وعدهم وعداً غروراً، فهل يصح وصف هؤلاء بالعدالة والتركيه؟! وهم - طبعاً - غير المنافقين الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ويدل على ذلك، عطف

[pagebreak](صفحة ٣٤٧)

ص: ٣٤٨

«والذين في قلوبهم مرض» على المنافقين، قال سبحانه: «وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ».

ومن يمعن النظر في الآيات الواردة حول غزوه الأحزاب يعرف مدى صمود كثير من الصحابة أمام ذلك السيل الجارف، فإن كثيراً منهم كانوا يستأذنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجوع إلى المدينة بحجة أن بيوتهم عوره ويقول سبحانه: «وما هي بعوره ان يريدون إلماً فراراً ولقد عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولاً». <meta info=" الأحزاب: ١٣." [١] </meta >

ي. المنافقون المندسّون بين الصحابه

لقد شاع النفاق بين الصحابه منذ نزول النبي، بالمدينه، وقد ركز القرآن على عصبه المنافقين وصفاتهم، وفضح نواياهم، وندد بهم فى السور التاليه: البقره، آل عمران، المائده، التوبه، العنكبوت، الأحزاب، محمد، الفتح، الحديد، المجادله، الحشر، والمنافقون.

وهذا إن دلّ على شىء فإِنما يدلّ على أنّ المنافقين

كانوا جماعه هائله فى المجتمع الإسلامى، بين معروف عرف بسمه النفاق ووصمه الكذب، وغير معروف بذلك، ولأنه مقنع بقناع الإيمان والحب للنبي، فلو كان المنافقون جماعه قليله غير مؤثره لما رأيت هذه العنايه البالغه فى القرآن الكريم.

[pagebreak](صفحه ٣٤٨)

ص: ٣٤٩

وهناك ثله من المحققين ألفوا كتباً ورسائل حول النفاق والمنافقين، وقد قام بعضهم بإحصاء ما يرجع إليهم فبلغ مقداراً يقرب من عشر القرآن الكريم.

ومع ذلك فهل يمكن عد جميع من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدولاً؟!!

نعم المنافقون ليسوا من الصحابه ولكنهم كانوا مندسين فيهم، وعند ذلك فكثيراً ما يشبهه الصحابي الصادق بالمنافق، ولا يتميز المنافق عن المؤمن، حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربما كان لا يعرفهم، يقول سبحانه: «وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ». <meta info=" التوبه: ١٠١ . [١]>

فهذا يجر الباحث- الذى يريد الإفتاء على ضوء ما قاله الصحابه- للتفتيش عن حال الصحابي حتى يعرف المنافق عن غيره، فلو اشتبه الحال فلا يكون قوله ولا روايته حجّه.

هذا بعض قضاء القرآن فى حق الصحابه، ولسنا بصدد الاستقصاء، فإن أصناف الصحابه المجانين للعداله، أكثر <meta info=" منهم: السماعون (التوبه: ٤٥-٤٧)، خالطو العمل الصالح بغيره (التوبه: ١٠٢)، المسلمون غير المؤمنين (الحجرات: ١٤)، المؤلفه قلوبهم (التوبه: ٦٠). >

[pagebreak](صفحه ٣٤٩)

ص: ٣٥٠

٧- السنه النبويه وعداله الصحابه

اشاره

درسنا عداله الصحابه فى ضوء القرآن الكريم وخرجنا بالنتيجه التاليه: انّ حال الصحابه كحال التابعين، ففيهم العادل والفاسق، والصالح والظالم، منهم من يُستدرّ به الغمام ومنهم من دون ذلك.

ومن حسن الحظ انّ السنه النبويه تدعم ذلك الموقف، فلنذكر منها نزرأ قليلاً حسب ما يقتضيه المقام.

أ. زعيم الفئه الباغيه

روى مسلم عن أبي سعيد قال: أخبرني من هو خير مني - أبو قتاده - أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: «بؤس ابن سمية تقتلك فئه باغيه». <meta info="جامع الأصول: ٩ / ٤٢ برقم ٦٥٨٠." type="ref" class="ref">[١]</meta> وروى البخاري عن أبي سعيد أنه قال: كتبنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينفض التراب عنه ويقول:

«ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».

قال الحميدى: فى هذا الحديث زياده مشهوره لم يذكرها البخارى

! [pagebreak](صفحه ٣٥٠)

ص: ٣٥١

أصلاً من طريق هذا الحديث، ولعلها لم تقع إليه فيها، أو وقعت فحذفها لغرض قصده فى ذلك، وأخرجها أبو بكر البرقانى، وأبو بكر الإسماعيلى قبله، وفى هذا الحديث عندهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ويح عمار، تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار». <meta info="جامع الأصول: ٩ / ٤٤ برقم ٦٥٨٣." type="ref" class="ref">[١]</meta> وقد كشف الحميدى عن نوايا البخارى أنه ربما يتلاعب بالحديث فيحذف بعض أجزائه لغرض معين، وهو إنما حذف هذه الجملة المشهوره، أعنى: «تقتله الفئة الباغية» بقصد تبرئه معاويه، وتبرير أعماله.

ونحن نسأل القائلين بعداله الصحابه: من هي الفئة الباغية التى قتلت عماراً؟! وهل كان فيها من صحابه

النبي من يؤيد موقف الفئة الباغيه؟! لا- شك ان معاويه كان يترأس الفئة الباغيه وكان عمرو بن العاص وزيره في الحرب، وكان انتصار معاويه في حرب صفين رهن مكيدة عمرو بن العاص، وكان بين الفئة الباغيه من الصحابه النعمان بن بشير الأنصاري، وعقبة بن عامر الجهني، وأبو الغاديه يسار بن سيع الجهني وغيرهم.

ب. عصيان أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإحضار القلم والدواه

قد روى أصحاب الصحاح ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بإحضار القلم والدواه ليكتب كتاباً لا يضلوا بعده أبداً، وقد حال بعض الحاضرين بينه وبين ما يروم إليه، وقد أخرجه البخاري في غير مورد من صحيحه.

[pagebreak](صفحة ٣٥١)

ص: ٣٥٢

ففي كتاب العلم أخرج عن ابن عباس أنه قال: لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعه، قال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده»، قال عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط، قال: «قوموا عني ولا ينبغي عندى التنازع» فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابه. <meta info=" صحيح البخاري: ١ / ٣٨، برقم ١١٤. "[1]" type="ref" class="ref"> </meta > وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى حتى خضب دمه الحصباء، فقال:

اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس، فقال: «ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا:

هجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: «دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه». <meta

"=info" صحيح البخارى: ٢ / ٢٨٧، برقم ٣٠٥٣. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " " وهنا نكته لا بد من إلفات القارئ إليها وهى: ان فعل النبي (طلب الكتاب)، نسب في الصورة الأولى إلى غلبه الوجد وعند ذاك سمي القائل به وهو عمر، وفي الصورة الثانية نسب إلى الهجر والهديان، ولم يذكر اسم القائل، وجاء مكان «عمر» لفظه: «قالوا».

ولما كانت الصورة الأولى أخف وطأه من الثانية، جاء فيها ذكر القائل دون الثانية.

! [pagebreak] (صفحة ٣٥٢)

ص: ٣٥٣

والقائل في الجميع واحد.

ويذكره أيضاً بشكل آخر في موضع ثالث، يقول:

اشتد برسول الله وجعه فقال: «ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ماله أهدر؟ استفهموه، فقال: «ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه». <meta info=" " صحيح البخارى: ٢ / ٣٢١، برقم ٣١٦٨. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " وفي صورته رابعه قال بعضهم: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلبه الوجد وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلمّا أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قوموا. <meta info=" " صحيح البخارى: ٣ / ١٣٢ برقم ٤٤٣٢، ولاحظ أيضاً: ٤ / ١٠ برقم ٥٦٦٩ ورقم ٧٣٦٦. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta " أنشدك بالله ان من يخالف أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى تدلّ القرائن على كونه إلزامياً، ثم يصف أمره بأنّه نتيجة غلبه الوجد أو الهجر والهديان هل يوصف هذا بأنّه صاحب ملكه رادعه عن اقتراف المحرمات؟!</p></div>

وما أبعد ما بين وصف هؤلاء وبين وصفه سبحانه لنبيه الكريم بقوله:

«وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ

عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ.

كيف يقول ذلك الصحابي حسبنا كتاب الله؟! فلو كان هذا صحيحاً فلماذا أُلّف المسلمون الصحاح والسنن والمسانيد؟!

[pagebreak](صفحة ٣٥٣)

ص: ٣٥٤

ج. الانقلاب على الأعتاب بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١. أخرج البخارى وعن أبي حازم قال: سمعت سهل بن سعد يقول:

سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً، ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم.

قال أبو حازم: فَسَمِعَنِ النُّعْمَانَ بْنَ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أَحَدُهُمْ هَذَا، فَقَالَ:

هكذا سمعت سهلاً؟ فقلت: نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدرى لسمعته يزيد فيه قال: إنهم منى، فيقال: إنك لا تدرى ما بدّلوا بعدك، فأقول:

سُحِقًا سَحِقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" ">

٢ <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [١] </meta> أخرج البخارى عن المغيرة، قال سمعت: أبا وائل، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجنّ دونى، فأقول: يا رب أصحابى، فقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta>

٣ <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta> ما أحدثوا بعدك. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta>

٣ <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta> ما أحدثوا بعدك. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta>

٣ <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta> ما أحدثوا بعدك. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta>

٣ <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta> ما أحدثوا بعدك. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta>

٣ <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta> ما أحدثوا بعدك. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٢] </meta>

برقم ٦٥٨٢. <meta info=" صحيح البخارى: ٣٥٥ / ٤، برقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١. type="ref" "> [٣] </meta>

[pagebreak](صفحة ٣٥٤)

ص: ٣٥٥

٤. أخرج البخارى عن سهل بن سعد قال، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إننى فرطكم على الحوض من مرّ على شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردّ على أقوام

أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم. <meta info=" صحیح البخاری: ۲۲۸ / ۴، برقم ۶۵۸۳. ۲. صحیح البخاری: ۴ / ۲۲۸، برقم ۶۵۸۵. " ۵ </meta> [۱] <ref=" type="ref" class="ref">. أخرج البخاری عن أبي هريره أنه كان يحدث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم قال: يرد على يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلّون عن الحوض، فأقول:

يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري. (۲)

۶. أخرج البخاری عن أبي المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وآله و سلم أنّ النبي صلى الله عليه وآله و سلم قال: يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلّون عنه، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري. <meta info=" صحیح البخاری: ۲۲۸ / ۴، برقم ۶۵۸۶. " type="ref" class="ref"> ۷ </meta> [۲] <ref=" class="ref">. أخرج البخاری عن ابن عباس في حديث:... ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال، فأقول: أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح عيسى ابن مريم: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ - إلى قوله: - العَزِيزُ الْحَكِيمُ» <meta info=" المائدة: ۱۱۷ - ۱۱۸. " </meta> [۳] <ref=" type="ref" class="ref">. صحیح البخاری: ۲ / ۴۰۲، كتاب أحاديث الأنبياء برقم ۳۴۴۷. <ref=" type="ref" class="ref"> [۴] </meta> "

! [pagebreak] (صفحة ۳۵۵)

ص: ۳۵۶

۸. أخرج البخاری عن العلاء بن المسيب قال: لقيت البراء بن عازب فقلت: طوبى لك صحبت النبي صلى الله عليه وآله و سلم وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا بن أخي إنك لا تدري ما

أحدثنا بعده. <meta info=" صحيح البخارى: ٣ / ٦٤، كتاب المغازى برقم ٤١٧٠. "[١]" type="ref" class="ref"> ٩ </meta>. أخرج ابن أبى شيبه عن أبى بكره أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ليردّنّ على الحوض رجال ممّن صحبني ورآني حتّى إذا رفعوا إليّ اختلجوا دوني فلاقولنّ: ربّي أصحابي! فليقالنّ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. <meta info=" مصنف ابن أبى شيبه: كتاب الفضائل برقم ٣٥؛ مسند أحمد: ٥ / ٤٨. "[٢]" type="ref" class="ref"> ١٠ </meta>. أخرج مسلم عن أسماء بنت أبى بكر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إننى على الحوض حتّى أنظر من يرد عليّ منكم، وسيؤخذ أناس دوني، فأقول:

يا ربّ منّى ومن أمتي، فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا بعدك يرجعون أعقابهم.

قال: فكان ابن أبى مليكه يقول: اللهم إنّنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا وأن نفتن عن ديننا. <meta info=" شرح صحيح مسلم للنووى: ١٥ / ٦١ برقم ٢٢٩٣. "[٣]" type="ref" class="ref"> شخصيات نظراء: سهل بن سعد، أبى وائل عن عبد الله، أنس بن مالك، أبى هريره، ابن المسيب، البراء بن عازب، أبى بكره، وأسماء بنت أبى بكر واقتصرنا غالباً بما رواه البخارى وقد نقله مسلم وغيره أيضاً، وما ظنك بحديث يرويه الإمام البخارى وقد

! [pagebreak] (صفحة ٣٥٦)

ص: ٣٥٧

نقل شيئاً منه فى الفتن، وقسماً أكثر فى باب الحوض.

ولابدّ من الكلام فى مقامين:

الأول: من هم الذين أخبر النبى عن ارتدادهم بعد رحيله؟

الثانى: ما هو المراد من ارتدادهم؟

أمّا الأول: فالقرائن القطعيه تدلّ على أنّ المراد، بعض أصحابه الذين عاشوا معه وكان يعرفهم وهم يعرفونه واجتمعوا معه فى فتره زمنيه، وليس هؤلاء إلّاليفياً من أصحابه، والدليل على

ذلك ما جاء في متونها من الكلمات التاليه:

١. ليردّن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى كما فى رقم ١.

٢. أنا فرطكم على الحوض وليرفعن رجال منكم (رقم ٢).

٣. حتّى إذا عرفتهم اختلجوا دونى (رقم ٣).

٤. فأقول: يا ربّ أصحابى (رقم ٣، ٥، ٦).

٥. تشبيه هؤلاء بأصحاب عيسى ابن مريم والاستشهاد بقوله سبحانه: «وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ» فهو صريح فى أنّ المراد من عاصر النبى. (رقم ٧).

٦. شهادة البراء بن عازب بأنّ الصحابه أحدثوا بعد رحيل النبى (رقم ٨).

٧. أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم يصفهم بقوله: ممّن صحبني ورآنى. (رقم ٩).

[pagebreak](صفحه ٣٥٧)

ص: ٣٥٨

٨. استعاذه ابن أبى مليكه من أن يرجع على أعقابهِ الدالّ على أنّ الصحابه هم المقصودون. (رقم ١٠).

إذا كان من علائم هؤلاء:

إنّ الرسول يعرفهم وهم يعرفونه، وأنهم من رجال عصر الرسول (رجال منكم) لا من الأجيال المستقبله، فهؤلاء أصحابه الذين عاشوا معه فى عصر الرساله، حتّى استحقوا بأن يصفهم النبى عند الاستغاثة بقوله: «يا رب أصحابى».

فلا- أظن من يدرس هذه الروايات الوارده فى الصحيحين وغيرهما بتجرّد وموضوعيه أن يدور فى خلدّه، أنّ المراد من الذين ارتدوا على أدبارهم، أمته الذين أتوا بعده وعاشوا فى أحقاب بعده عن عصر الرسول، ولم يكن فيها من وجود الرسول عين ولا أثر، إذ لو كان هذا هو المراد، فمتى عاش معهم النبى، حتّى عرفهم وعرفوه؟ ومتى كانوا معه حتّى صحّ وصفهم بقوله: «رجال منكم» ومتى صحبوه (فتره قصيره أو طويله) وصاروا أصحابه؟

ومن التجنّى على الحقيقه القول: «بأنّ جميع الأمه أصحاب النبى، كما أنّ جميع من يقلّدون الشافعى مثلاً أصحابه» فإنّ هذا التفسير فى المقيس عليه ممنوع فكيف المقيس؟ فأصحاب الشافعى هم الذين تربّوا على

يديه والتفوا حوله وانتفعوا بعلمه، وأمّا الذين جاءوا بعده ولم يشاهدوه فهم

[pagebreak](صفحة ٣٥٨)

ص: ٣٥٩

أتباعه، لا أصحابه، فلو صح إطلاق الأصحاب عليهم، فإنّما هو إطلاق مجازى لا حقيقى.

وأما المقيس فالحال فيه واضحه.

فالأصحابه، فى الروايات والآثار، هم الذين أقاموا مع رسول الله فتره من الزمن، أو رأوا رسول الله و أدركوه وأسلموا، إلى غير ذلك من التعاريف التى ذكرها الجزرى فى «أسد الغابه». <meta info="أسد الغابه: ١١ / ١ - ١٢. type="ref" >[١]</meta >class="ref"> وليس هذا المورد إلّا كسائر الموارد التى وردت فيها كلمه الصحابه، مثلًا رووا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تسبوا أصحابى»، كما رووا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: مثل أصحابى كالنجوم، إلى غير ذلك من الموارد، فالمراد من الجميع هو المعنى المصطلح.

وقد أُلّف غير واحد من الرجالين كتباً فى حياه الصحابه، كالاستيعاب لابن عبد البرّ، و «الإصابه فى تمييز الصحابه» لابن حجر، و إلى غير ذلك من الموارد التى أُطلقت فيها كلمه الصحابه وأُرِيد بها، مَنْ كانوا وعاشوا معه.

إنّ المتبادر من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، أو «إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك» أو «إنّهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى»، هو أنّهم كانوا معك ولكن اقترفوا هذه الجريمة بعد رحيل الرسول، دون فاصل زمانى طويل، وقد كان المترقب من هؤلاء الذين رأوا شمس الرساله

[pagebreak](صفحة ٣٥٩)

ص: ٣٦٠

واستضاءوا بها، أن يتبعوا دينه وشريعته ولا يعدلوا عنه قيد شعره، ولكنهم - للأسف - ارتدوا على أديبارهم القهقرى.

هذا كلّه حول الأمر الأوّل، أعنى: رفع الستر عن هؤلاء الذين ارتدوا وبدلوا.

وأما الأمر الثانى، فهل المراد من الارتداد هو الخروج عن الدين، أو المراد من

الارتداد هو الأعم من الرجوع عن العقيدة، أو السلوك على غير ما أوصى به النبي في غير واحد من الأمور؟ ولعل المراد هو الثاني حيث إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوصى بالثقلين وأهل بيته، فخالفوا وصيه الرسول، كما أنهم خالفوا في كثير من الأحكام، المذكورة في محلها، فقدّموا الاجتهاد على النص، والمصلحة المزعومة على أمره، وبذلك أحدثوا في دينه بدعاً، ليس لها في الكتاب والسنة أصل.

[pagebreak](صفحة ٣٦٠)

ص: ٣٦١

٨- موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن لم تحسن صحبتهم

إشاره

ما مرّ من الروايات لا تهدف شخصاً معيّناً بالذكر، وهناك روايات تخصّ بعض الصحابه بالذكر من الذين لم تحسن صحبتهم ويخبر عن سوء مصيرهم ويندد بسوء عملهم، وهي كثيرة، ونذكر منها النزر اليسير:

أ. كلهم مغفور له إلّا

أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من يصعد الثنية، ثبته المُرار فإنه يحطّ عنه، ما حطّ عن بني إسرائيل قال: فكان أول من صعدها، خيلنا خيل بني الخزرج ثم تتامّ الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وكلكم مغفور له إلّا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناها فقلنا له:

تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحبّ إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم، وكان رجل ينشد ضالّه له. <meta info=" صحیح مسلم: ١٢٣/٨، صفات المنافقين وأحكامهم. " type="ref" >[١]</meta > إن مسلماً وان ذكره في كتاب صفات المنافقين، لكنّه لا دليل على أنّه كان منهم، بل كان من ضعفاء الإيمان، أو مرضى القلوب، أو السّماعين، إلى غير ذلك من الأصناف المتوفّره في صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد ذكر الشراح أنّه كان الجدّ بن قيس الأنصاري. دليل المرشدين إلى الحق اليقين ؛ ؛ ص ٣٦١

[pagebreak](صفحة ٣٦١)

ص: ٣٦٢

وروى مسلم بعد هذا الحديث عن أنس بن مالك قال: كان منّا رجل من بني النّجار قد قرأ البقره وآل عمران، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانطلق هارباً حتّى لحق بأهل الكتاب قال فرفعوه، قالوا: هذا كان يكتب لمحمد، فأعجبوا به....

ب. اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد

أخرج البخارى عن سالم، عن أبيه قال: بعث النبي خالد بن الوليد إلى بنى جذيمه، فدعاهم إلى الإسلام فلم يُحسِنُوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صباُنا صباُنا، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر، ودفع إلى كلِّ رجلٍ منّا أسيره، حتّى إذا كان يوم، أمر خالد أن يقتل كلَّ رجلٍ

منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيرى، ولا يقتل رجل من أصحابى أسيره حتى قدمنا على النبي فذكرناه، فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده فقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» مرتين. <meta info="صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب بعث النبي خالد بن الوليد إلى بني جذيمه، الحديث ٤٣٣٩." [١]> هذا هو سيف الإسلام، وبطله يقتل الأبرياء واحداً بعد الآخر، ويتبرأ النبي الأعظم من جريمته، ولكنه يُصيح بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً بارزاً و سيفاً مسلواً سلّه رسول الله ولا يُغمد، وإن زنى بزوجه مالك بن نويرة وقتله، فما حال غيره!

[pagebreak](صفحة ٣٦٢)

ص: ٣٦٣

ج. تنبؤه بمصير ذي الخويصرة

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل». فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟

فقال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقن أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمي». <meta info="صحیح البخاری: ١٧٩ / ٤، باب علامات النبوه في الإسلام؛ بحار الأنوار: ٣٣ / ٣٣٥، الحديث ٥٧٩." [١]>

د. ان فيك شعبه من الكفر

قد سب أبو هريره رجلاً بأم له في الجاهليه فاستعدى رسول الله على أبي هريره، فقال له رسول الله: «إن فيك شعبه من الكفر» فحلف أبو هريره أن لا يسب بعده مسلماً. <meta info="مجمع الزوائد: ٨ / ٨٦، كتاب الأدب، باب في من يُعير بالنسب أو غيره." [٢]>

ه. امتناع الرسول من الصلاه على أحد أصحابه

أخرج الحاكم في مستدرکه عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ان رجلاً من أصحاب رسول الله توفي يوم حنين أو خيبر، فامتنع رضي الله عنه من الصلاه

[pagebreak](صفحة ٣٦٣)

ص: ٣٦٤

عليه، لأنه غلّ في سبيل الله ففتشوا متاعه فوجدوا خرزاً من خرز اليهود لا يساوي درهمين. <meta info="مستدرک الحاكم: ٢ / ١٢٧، كتاب الجهاد؛ مسند أحمد: ٤ / ١١٤." [١]>

و. تَبَيُّؤُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْمَصِيرِ الْأَسْوَدِ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ شَهِدْنَا خَيْبَرَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مَمَّنْ مَعَهُ يَدْعَى الْإِسْلَامَ: «هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ». فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ الْقِتَالَ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحُ، فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يِرْتَابُ، فَوَجَدَ الرَّجُلَ أَلَمَ الْجِرَاحِ، فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْهَمًا فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ، فَاشْتَدَّ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فَلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَقَالَ: «قُمْ يَا فَلَانُ، فَأَذْنُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ، إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ».

<meta info=" صحیح البخاری: ۷۳ / ۳، برقم ۴۲۰۳. [۲] <ref" class="ref" type="ref">

ز. صحابي يخلو بامرأه

رَوَى ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ» قَالَ: رَوَى الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي الْيَسْرِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ امْرَأَةً تَبْتَاعُ مِنِّي بِدَرَاهِمٍ تَمْرًا، فَقُلْتُ: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمْرًا أَجُودَ مِنْ هَذَا، فَدَخَلْتُ فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلْتُهَا، فَأَتَيْتُ عَمْرَ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَاسْتِرْ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تَخْبِرَنَّ أَحَدًا، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَاسْتِرْ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تَخْبِرَنَّ أَحَدًا، قَالَ: فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى أَتَيْتُ

[pagebreak](صفحة ۳۶۴)

ص: ۳۶۵

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتَهُ فَقَالَ: «أَخْلَفْتَ رَجُلًا غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا؟» حَتَّى ظَنَنْتُ أَنِّي مِنْ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ سَاعَتُنْذِ، فَأَطْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ سَاعَهُ فَنَزَلَ جَبْرِيلُ، فَقَالَ أَبُو الْيَسْرِ: فَجِئْتُ فَقَرَأَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ» فَقَالَ إِنْسَانٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَهُ خَاصَةٌ أَمَّ لِلنَّاسِ عَامَةٌ؟ قَالَ: «لِلنَّاسِ عَامَةٌ». <meta info=" تفسير ابن كثير: ۴۶۳ / ۲

والآيه ١١٣ من سوره هود. " </meta>[١]</ref" class="ref">

ج. صحابي يجلس بين رجلي امرأه

أخرج عبد الرزاق عن يحيى بن جعد أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر امرأه وهو جالس مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنه لحاجه، فأذن له، فذهب يطلبها فلم يجدها، فأقبل الرجل يريد أن يبشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمرأه فوجد المرأه جالسه على غدير فدفع في صدرها وجلس بين رجليها فصار ذكره مثل الهدبه، فقام نادماً حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما صنع فقال له: «استغفر ربك وصل أربع ركعات» قال: وتلا عليه: «وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَاً مِنَ اللَّيْلِ» الآيه. </meta info="=meta info"> تفسير ابن كثير: ٢ / ٤٦٣. " </ref" class="ref">[٢]

<</meta

ط. صحابي يقتص منه

وهذا حارث بن سويد بن الصامت شهد بدرًا لكنه قتل المجذر بن

!</pagebreak>[صفحه ٣٦٥]

ص: ٣٦٦

زيد يوم أحد لثأر جاهلي فقتل بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. يقول ابن الأثير: لا خلاف بين أهل الأثر أن هذا قتله النبي بالمجذر بن زيد، لأنه قتل المجذر يوم أحد غيله. </meta info="=meta info"> أسد الغابه: ١ / ٣٣٢. " </ref" class="ref">[١]</meta

ي. دعاء النبي على محلم بن جثامه

خرج هو ومعه نفر من المسلمين فيهم أبو قتاده حتى إذا كانوا ببطن «اضم» مر بهم عامر بن الاضبط الأشجعي على بعير له، وسلم عليهم بتحيه الإسلام، وحمل عليه محلم بن جثامه فقتله لشيء كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتاعه، فلما قدموا على رسول الله وأخبروه الخبر، فنزل فيهم قوله سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا» الآيه. </meta info="=meta info"> أسد الغابه: ٤ / ٣٠٩، والآيه ٩٤ من سوره النساء. " </ref" class="ref">[٢]

</meta وفي تفسير ابن كثير قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا غفر الله لك. </meta info="=meta info"> تفسير ابن كثير: ١ / ٥٣٩. " </ref" class="ref">[٣]</meta " هذه نماذج من أصحاب النبي الذين اقترفوا المعاصي في حياه النبي وتتبأ النبي بسوء مصيرهم، أو ندد بعملهم، وإلما فالمجروحون من أصحابه كثير. وكفى في نقض الموجه الكليه (الصحابه كلهم عدول) القضيئه الجزئيه.

!</pagebreak>[صفحه ٣٦٦]

٩- الصحابه في مرآه التاريخ

إنَّ التاريخ سجِّل أسماء جماعه من صحابه النبي لم يحسنوا الصحبه، ونحن نأتى بأسماء لفيف منهم، وهم ليسوا من المنافقين قطعاً إلا واحد منهم ومع ذلك ساءت سيرتهم ولا يمكن غض النظر عن هذا التاريخ:

١. الجند بن قيس الأنصاري، الذي قال النبي في حقّه: كلکم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر. <meta info=" صحیح مسلم: ١٢٣/٨، طبعه محمد علي صبيح وأولاده. " ٢ </meta> [١] type="ref" class="ref">. عبد الله بن أبي بن سلّول، كان من المبايعين تحت الشجره في بيعه الرضوان (وإن كان منافقاً).

٣. الحرقوص بن زهير السعدي، شهد بيعه الرضوان وصار رأس الخوارج، وهو الذي قال للنبي: إعدل يا محمد!!

٤. حارث بن سويد بن الصامت، شهد بدرًا لكنّه قتل

المجذر بن زياد يوم أحد لثأر جاهلي، فأمر النبي بقتل الحارث بالمجذر.

٥. العريون، الذين قتلهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم جزاءً على فعلهم بقتل بعض الرعاه وسرقه الإبل، كانوا قد صحبوا قبل الحديبيه.

[pagebreak](صفحة ٣٦٧)

ص: ٣٦٨

٦. محلم بن جثامه، قال فيه النبي: «اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامه» لأنه قتل صحابياً متعمداً.

٧. مقيس بن صبابه، قتل نفساً مؤمنة فأهدر النبي دمه، فقتل في فتح مكة.

٨. عبد الله بن خطل، كان صحابياً ثم ارتد ولحق بمكة وقتل يوم فتحها.

٩. المغيرة بن شعبه، ساءت سيرته بعد النبي كما هو واضح.

١٠. مدعم، مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي غلّ من غنائم خيبر.

١١. كركره، مولى النبي غلّ من غنائم خيبر.

١٢. سمره بن جندب، أساء السير به بعد النبي فكان يبيع الخمر ويقتل البشر ويُرضى معاويه.

١٣. عبيد الله بن جحش الأسدي، كان من السابقين إلى الإسلام ومن مهاجرة الحبشه لكنه تنصّر بالحبشه.

١٤. الحارث بن ربيعه بن الأسود القرشي، افتتن وارتد بمكة.

١٥. أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، افتتن بمكة.

١٦. علي بن أميه بن خلف افتتن بمكة.

[pagebreak](صفحة ٣٦٨)

ص: ٣٦٩

١٧. العاص بن منبه بن الحجاج، افتتن بمكة وقتل ببدر مع المشركين. <meta info=" وقد عقد الكاتب المعاصر حسن فرحان المالكي فصلاً تحت عنوان «أناس لم يحسنوا الصحبه» وجاء فيه بأسماء ٧١ صحابياً اتّسموا بعدم حسن الصحبه، وقد أخذنا هذه الأسماء من تلك القائمه [لاحظ كتاب الصحبه والصحابه: ١٨٠ - ١٨٤]. " [١] type="ref" class="ref">

<</meta >> أضف إلى ذلك: أنه كيف يمكن للذكر الحكيم أن يُثنى على الأفراد التاليه أسماؤهم:

١. معاوية بن أبي سفيان، ٢. الوليد بن عقبه (الفاسق بنص القرآن)، ٣.

بُسر بن أبي أرطأه، ٤. أبو الأعور السلمى وغيرهم.

فهؤلاء حاربوا علياً وعماراً

وعشرات البدریین ومئات الرضوانیین الذین كانوا مع علی فی خلافته، وشتموهم، فهؤلاء وأمثالهم خارجون عن الآیات المادحه علی فرض شمولها لهم.

[pagebreak](صفحه ٣٦٩)

ص: ٣٧٠

١٠- ما هی الغایه من دراسه عداله الصحابه؟

الغایه من دراسه عداله الصحابه، نفس الغایه من دراسه عداله التابعین ومن تلاهم من رواه القرون المتأخره، والهدف فی الجمیع هی التعرف علی الصالحین والطالبین، حتّی یتسنى للدارس أخذ الدین عن الصلحاء، والاجتناب عن الطالبین، فلو قام الرجل بدراسه أحوالهم لهذه الغایه، لما كان علیه لوم.

وبذلك یعلم ضعف ما رواه الخطیب بسنده عن أبی زرعه الرازی قال:

إذا رأیت الرجل ینتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق، وذلك أنّ الرسول حقّ، والقرآن حقّ، وما جاء به حقّ، وإنّما أدّى إلینا ذلك كلّ الصحابه، وهؤلاء یریدون أن یجرحوا شهودنا لیطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقه. `<meta info="الإصابة: ١٧/١. [١]>` أقول: وقد صدر الرازی عن سوء الظن بإخیه المسلم «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ».

ولو قال مكان هذا القول: «إذا رأیت الرجل یتفحص عن أحد من

[pagebreak](صفحه ٣٧٠)

ص: ٣٧١

أصحاب الرسول لغایه العلم بصدقه أو كذبه، أو خیره أو شره، حتّی يأخذ دینہ عن الخیره الصادقین، ویحترز عن الآخرین، فاعلم أنّه من جملة المحققین فی الدین والمتحرین للحقیقه»، لكان أحسن وأولى بل هو الحسن والمتعین.

ومن غیر الصحيح أن یتهم العالم أحداً، یرید التثبت فی أمور الدین، والتحقیق فی مطالب الشریعه، بالزندقه وأنّه یرید جرح شهود المسلمین لإبطال الكتاب والسنة، وما شهود المسلمین إلا الآلاف المؤلّفه من أصحابه صلی الله علیه و آله و سلم فلا یضر بالكتاب والسنة جرح لقیف منهم وتعديل قسم منهم، وليس الدین القیم قائماً بهذا الصنف من المجروحین. ما هكذا تورد یا سعد الإبل!!

[pagebreak](صفحه ٣٧١)

ص: ٣٧٢

١١- هل قول الصحابي من مصادر التشريع؟

يعدُّ الأئمَّة الثلاثة غير أبي حنيفة قولَ الصحابي من مصادر التشريع، وربّما ينقل عنه أيضاً خلافه، لكن المعروف أنّه لا يعترف بحجّيه قول الصحابي. والمهم في

المقام هو تحرير محل النزاع وتعيين موضوعه، فإنه غير منقح في كلامهم.

إن ظاهر العنوان- مذهب الصحابي من مصادر التشريع- هو أنّ مذهبه من مصادره، في عرض الكتاب والسنة والإجماع والعقل وغيرها وربما يعبر عن مذهب الصحابي، بسنته، الظاهره في أنّ له سنته، عرض سنته النبي، فلو أُريد هذا فهو محجوج بما ذكره الغزالي حيث قال:

إنّ من يُجوّز عليه الغلط والسهو، ولم تثبت عصمته عنه فلا حجّه في قوله، فكيف يحتج بقولهم مع جواز الخطأ؟ وكيف تدعى عصمتهم من غير حجّه متواتره؟ وكيف يتصوّر قوم يجوز عليهم الاختلاف؟ وكيف يختلف المعصومان؟ كيف وقد اتّفتت الصحابه على جواز مخالفه الصحابه؟ فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد، بل أوجبوا في مسائل الاجتهاد على كلّ مجتهد أن يتبع اجتهاد نفسه. <meta info=" المستصفي: ١ / ١٣٥. "[1]" type="ref" class="ref"></meta

! [pagebreak](صفحه ٣٧٢)

ص: ٣٧٣

وعلى ظاهر العنوان (مصادر التشريع) اعترض الشوكاني وقال:

والحقّ أنّه ليس بحجّه، فإنّ الله سبحانه لم يبعث إلى هذه الأُمّة إلّا نبينا محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، وليس لنا إلّا رسول واحد وكتاب واحد، وجميع الأُمّة مأموره باتّباع كتابه وسنته نبيه ولا فرق بين الصحابه ومن بعدهم في ذلك، فكُلّهم مكلفون بالتكاليف الشرعيه، وبتّباع الكتاب والسنة، فمن قال: إنّ تقوم الحجّه في دين الله عزّ وجلّ بعد كتاب الله تعالى وسنته رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وما يرجع إليهما، فقد قال في دين الله بما لا- يثبت. <meta info=" إرشاد الفحول: ٢١٤. "[1]" type="ref" class="ref"></meta
المسلمون، أو ما دلّ عليه العقل الحصيف، وأما قول الصحابي غير المستند إلى الرسول، فليس بحجّه قطعاً،

وأما رأيه المستنبط من المصادر الشرعية فهو حجه له ولمقلديه، وليس حجه على الآخرين، أعني:

المجتهدين وغير المقلدين.

نعم هنا حقيقة مرّه، وهى أنّ التأكيد على حجه قول الصحابي لأجل أنّ حذفه من الفقه السنّي يوجب انهيار صرح البناء الفقهي الذي أشادوه، وتغيّر القسم الأعظم من فتاواهم، وحلول فتاوى آخر محلّها ربما استتبع فقهاً جديداً لا أنس لهم به.

[pagebreak](صفحة ٣٧٣)

ص: ٣٧٤

١٢- هل رؤيا الصحابي من مصادر التشريع؟

قد تقدّم في الفصل الثاني أنّ من مراتب التوحيد، هو التوحيد في التشريع وإنّه لا تشريع سوى تشريعه سبحانه، وإنّ النبي الأعظم هو المبيّن، وعلى ضوء ذلك فليس قول الصحابي ولا سنّته ولا رأيه من مصادر التشريع ما لم يكن مستنداً إلى قول الرسول وفعله وتقريره. وأسوأ من ذلك أن تكون رؤيا الصحابي مصدراً للتشريع، ومع الأسف أنّ في الصحاح والسنن روايات تحكى عن كون رؤيا الصحابي من مصادره نذكر مورداً واحداً على سبيل المثال.

اهتم النبي للصلاه كيف يجمع الناس لها؟ ف قيل له: انصب رايه عند حضور الصلاه، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القبع - يعنى الشبور - قال زياد: شبور اليهود، فلم يُعجبه ذلك، وقال: هو من أمر اليهود.

قال: فذكر له الناقوس، فقال: هو من أمر النصارى.

فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربّه وهو مهتم لهمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأرى الأذان في منامه، قال: فغدا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره، فقال له: يا رسول الله، إني لبين نائم ويقظان، إذ أتاني آت فأراني الأذان.

قال: وكان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك، فكتمه عشرين يوماً، ثمّ

[pagebreak](صفحة ٣٧٤)

ص: ٣٧٥

أخبر النبي به، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما منعك أن تخبرني؟ فقال:

سبقنى عبد الله بن زيد، فاستحييت.

فقال رسول الله: يا بلال قم فانظر ما يأمرك به عبد الله بن زيد فافعله، قال: فأذن بلال، قال أبو بشر: فأخبرنى أبو عمير أنّ الأنصار تزعم أنّ عبد الله بن زيد لولا أنّه كان يومئذٍ مريضاً لجعله رسول الله مؤذناً. **"=meta info"** سنن أبي داود: ١/١٣٤-١٣٥ برقم ٤٩٨-٤٩٩، تحقيق محمد محيي الدين. لاحظ سنن ابن ماجه: ١/٢٣٢-٢٣٣، باب بدء الأذان برقم ٧٠٦-٧٠٧؛ سنن الترمذى: ١/٣٥٨ باب ما جاء فى بدء الأذان برقم ١٨٩. **"[١]"** **<type="ref" class="ref">** إنّ هذه الروايه وما شاكلها لا تتفق مع مقام النبوه، لأنّه سبحانه بعث رسوله لإقامه الصلاه مع المؤمنين فى أوقات مختلفه، وطبيعه الحال تستدعى أن يعلمه سبحانه كيفيه تحقّق هذه الأُمنيه، فلا- معنى لتخيّر النبى أياماً طويله، وهو لا يدري كيف يحقّق المسؤوليّه الملقاه على عاتقه!!

إنّ الصلاه والصيام من الأمور العباديه وليست من الأمور الطبيعيه العاديه حتى يشاور النبى فيها أصحابه، أوليس من الوهن فى أمر الدين أن تكون رؤيا وأحلام أشخاص عاديين مصدرًا لأمر عبادى فى غايه الأهميه كالأذان والإقامه؟!

إنّ هذا يدفعا إلى القول بأنّ الرؤيا كانت مصدرًا للأذان أمر مكذوب ومجعول على الشريعه، وإنّ الكذابين المنتمين إلى بيت عبد الله بن زيد هم الذين أشاعوا هذه الأُكذوبه طلباً لعلو المنزله والجاه.

![[pagebreak]](صفحه ٣٧٥)

ص: ٣٧٦

![[pagebreak]](صفحه ٣٧٦)

ص: ٣٧٧

استعمال لفظه «إلى» هو تحديد المقدار اللازم لهما.

فاذا كان هذا هو المفهوم في المثالين المذكورين فليكن الأمر كذلك في آيه الوضوء حول غسل الأيدي، فإن الغايه من استعمال لفظه «إلى» هو بيان حد المغسول لا كيفية الغسل، لأنها متروكه إلى ما هو المتَّبِع والمتداول في العرف، وهو- بلا ريب- يتبع الأسهل فالأسهل، وهو الابتداء من فوق إلى تحت.

نعم، إن أساس الاختلاف في الابتداء بالمرفقين إلى أصول الأصابع أو بالعكس عندهم إنما هو في تعيين متعلِّق «إلى» في الآية الكريمه، فهل هو قيد «للأيدي» أي المغسول، أو قيد للفعل أعنى: «واغسلوا»؟

فعلى الأوّل تكون الآية بمنزله قولنا: «الأيدي إلى المرافق» يجب

[pagebreak](صفحة ٣٨٠)

ص: ٣٨١

غسلها، وإتّما جاء بالقيّد لأنّ اليد مشترك تطلق على أصول الأصابع والزند والمرفق إلى المنكب، ولما كان المغسول محددًا إلى المرافق قُيّدت اليد بقوله: «إلى المرافق»، ليفهم أنّ المغسول هو هذا المقدار المحدد من اليد ولولا اشتراك اليد بين المراتب المختلفه وأنّ المغسول بعض المراتب لما جىء بلفظه «إلى» فالإتيان بها لأجل تحديد المقدار المغسول من اليد.

وعلى الثاني، أى إذا قلنا بكونه قيداً للأمر بالاغتسال، فربّما يوحى إلى ضروره الابتداء من أصول الأصابع إلى المرفقين، فكأنّه سبحانه قال:

«الأيدي» اغسلوها إلى المرافق.

ولكن لا- يخفى ما فى هذا الإيحاء من غموض، لما عرفت من أنّ المتَّبِع فى نظائر هذه الأمثله ما هو المتعارف وهو الابتداء من الأعلى إلى الأسفل.

أضف إلى ذلك: أنّه لو سلمنا أنّ حرف الجر قيد للفعل، لا نسلم أنّه بمعنى «إلى» الذى هو لانتهاه الغايه، بل يحتمل أن يكون بمعنى «مع» أى الأيدي اغسلوها مع المرافق، وليس هذا بعزيز فى القرآن والأدب العربى.

يقول سبحانه: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ». <meta info="النساء: ٢. " >

<type="ref" class="ref">[١]</meta

وقال سبحانه- حاكياً عن المسيح-: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» <meta info="=meta info"> آل عمران: ٥٢.
" <type="ref" class="ref">[٢]</meta "، أى مع الله.

!<pagebreak>[صفحة ٣٨١)

ص: ٣٨٢

وقوله سبحانه: «وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ» <meta info="=meta info"> هود: ٥٢. " <type="ref" class="ref">[١]</meta "،
أى مع قوتكم.

ويقال فى العرف: ولى فلان الكوفه إلى البصره، أى مع البصره، وليس فى هذه الموارد من الغايه أثر.

وقال النابغه الذيبانى:

ولا تتركنى بالوعيد كأننى إلى الناس مطلى به القار أجرب

أراد مع الناس أو عند الناس.

وقال ذو الرمه:

بها كلّ خوار إلى كل صولهورفعى المدا عار الترائب

وقال امرؤ القيس:

له كفل كالدعص لئده الندى إلى حارك مثل الغيظ المذأب

أراد مع حارك. <meta info="=meta info"> رسائل الشريف المرتضى: الرساله الموصليه الثالثه: ٢١٣ - ٢١٤. " type="ref" "

<class="ref">[٢]</meta <class="ref">[٢]</meta وعلى ضوء ذلك فليست «إلى» لبيان الغايه، بل لبيان الجزء الواجب من المغسول سواء أكان
الغسل من الأعلى أو من الأسفل.

هذا والدليل القاطع على لزوم الابتداء من الأعلى إلى الأسفل هو لزوم اتباع ما هو المؤلف فى أمثال المورد كما سلف.

!<pagebreak>[صفحة ٣٨٢)

ص: ٣٨٣

وقد نقل أئمّه أهل البيت عليهم السلام وضوء رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم بالنحو التالي:

أخرج الشيخ الطوسي بسنده عن بكير و زراره بن أعين، أنهما سألا أبا جعفر عن وضوء رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بطست أو بتور ["التور: إناء صغير." \[1\]](#) كفيه، ثم غمس كفه اليمنى فى التور فغسل وجهه بها، واستعان بيده اليسرى بكفه على غسل وجهه، ثم غمس كفه اليسرى فى الماء فاغترف بها من الماء فغسل يده اليمنى من المرفق إلى الأصابع لا يردّ الماء إلى المرفقين، ثم غمس كفه اليمنى فى

الماء فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق إلى الكف لا يرد الماء إلى المرفق كما صنع باليمنى، ثم مسح رأسه وقدميه إلى الكعبين بفضل كفيه ولم يجدد ماء. <meta info="تهذيب الأحكام: ١/ ٥٩ برقم ١٥٨." type="ref" >[٢]</meta

الوضوء ومسح الأرجل أو غسلها

قد تقدم أن آيه الوضوء جديره بالبحث من جانبين: أحدهما: كيفية غسل الأيدي، والآخر حكم الأرجل من حيث المسح والغسل. وقد تقدم البحث عن الجانب الأول، وإليك البحث عن الجانب الثاني فنقول:

قال سبحانه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فاطَّهَرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

[pagebreak](صفحة ٣٨٣)

ص: ٣٨٤

طَيِّبًا فَاَمْسِئُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ». <meta info="المائدة: ٦." type="ref" class="ref" >[١]</meta > الآيه تشكّل إحدى آيات الأحكام التي تُستنبط منها الأحكام الشرعية العملية الراجعة إلى تنظيم أفعال المكلفين فيما يرتبط بشؤون حياتهم الدينية والدينية.

وهذا القسم من الآيات يتمتع بوضوح التعبير، ونصوع الدلالة، فإن المخاطب فيها هو الجماهير المؤمنة التي ترغب في تطبيق سلوكها العملي عليها، وبذلك تفترق عن الآيات المتعلقة بدقائق التوحيد ورفائق المعارف العقلية التي تُشد إليها أنظار المفكرين المتضلّعين، خاصة فيما يرتبط بمسائل المبدأ والمعاد.

والإنسان إذا تأمّل في هذه الآيات ونظائرهما من الآيات التي تتكفّل بيان وظيفه المسلم، كالقيام إلى الصلاة في أوقات خمس، يجدها محكمة التعبير، ناصحة البيان، واضحة الدلالة، تخاطب المؤمنين كافة لُتُرسَم لهم وظيفتهم عند القيام إلى الصلاة.

والخطاب- كما عرفت- يجب أن يكون بعيداً عن الغموض والتعقيد، وعن

التقديم والتأخير، وعن تقدير جملة أو كلمه حتى يقف على مضمونها عامه المسلمين على اختلاف مستوياتهم من غير فرق بين عالم بدقائق القواعد العربيه وغير عالم بها.

[pagebreak](صفحة ٣٨٤)

ص: ٣٨٥

فمن حاول تفسير الآيه على غير هذا النمط فقد غفل عن مكانه الآيه ومنزلتها، كما أن من حاول تفسيرها على ضوء الفتاوى الفقيهيه لأئمة الفقه فقد دخل من غير بابها.

نزل الروح الأمين بهذه الآيه على قلب سيد المرسلين، فتلاها على المؤمنين وفهموا واجبهما تجاهها بوضوح، دون تردد، ودون أن يشوبها أى إبهام أو غموض، وإنما دب الغموض فيها فى عصر تضارب الآراء وظهور الاجتهادات.

فمن قرأ الآيه المباركه يامعان يقول فى قلبه ولسانه:

سبحانك اللهم ما أبلغ كلامك وأفصح بيانك، قد أوضحت الفريضة وبينت الوظيفة فيما يجب على المسلم فعله قبل الصلاه، فقلت:

«يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاه».

ثم قلت مبيناً لكيفيه الوظيفه وأنها أمران:

أ. «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ».

ب. «وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ».

سبحانك ما أبقيت إجمالاً فى كلامك، ولا إبهاماً فى بيانك، فأوصدت باب الخلاف، وسددت باب الاعتساف بتوضيح الفريضة وبيانها.

سبحانك اللهم إن كان كتابك العزيز هو المهيمن على الكتب السماويه كما قلت: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

[pagebreak](صفحة ٣٨٥)

ص: ٣٨٦

الكتاب وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ» <meta info=" المائده: ٤٨ " class="ref">[١] </meta> فهو مهيمن - بالقطع واليقين - على المأثورات المرويّه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم وهى بين أمره بغسل الأرجل و أمره بمسحها.

فماذا نفعل مع هذه المأثورات المتناقضة المرويه عمّن لا ينطق إلّا عن الوحي، ولا يناقض نفسه في كلامه؟

سبحانك لا محيص لنا إلّا الأخذ بما نادى به كتابك العزيز وقرآنك المجيد وقد بينه في جملتين تعربان عن واقع الفريضة وأنها تتألف من غسلتين: «فَاغْسِلُوا

وَجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ».

كما تتألف من مسحتين: «فَامْسُحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ».

«أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا». <meta info=" الأنعام: ١١٤. " type="ref" >[٢]</meta

سبب الاختلاف

إشاره

فإذا كانت بدايه الاختلاف في عهد الخليفه الثالث، فهناك سؤال يطرح نفسه: ما هو سبب الاختلاف في أمر الوضوء بعد ما مضت قرابه عشرين سنه من رحيل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم؟ فنقول: هناك وجوه واحتمالات:

١. اختلاف القراءه

ربما يتصور أنّ مصدر الخلاف في ذلك العصر هو اختلاف القراءه

[pagebreak](صفحه ٣٨٦)

ص: ٣٨٧

حيث إنّ القراءه اختلفوا في إعراب «وأرجلكم» في قوله سبحانه:

«فَامْسُحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ»، فمنهم من قرأ بالجرّ عطفاً على الرؤوس الذي يستلزم وجوب المسح على الأرجل، ومنهم من قرأ بالفتح عطفاً على «وجوهكم» في قوله: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» الذي يستلزم الغسل.

إنّ هذا الوجه باطل جداً، فإنّ العربى الصميم إذا قرأ الآية مجرداً عن أى رأى مسبق لا يرضى بغير عطف الأرجل على الرؤوس، سواء أقرأ بالنصب أم بالجر، وأما عطفه على وجوهكم فلا يخطر بباله حتّى يكون مصدراً للخلاف.

فعلى من يبتغى تفسير الآية وفهم مدلولها، أن يجعل نفسه كأنه الحاضر فى عصر نزول الآية ويسمع كلام الله من فم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أو أصحابه، فما يفهمه عند ذاك حجه بينه و بين ربه، وليس له عند ذاك، الركون إلى الاحتمالات والوجوه المختلفه التى ظهرت بعد ذلك الوقت.

فلو عرضنا الآية على عربى بعيد عن الأجياء الفقهيّه، وعن اختلاف المسلمين فى كيفيه الوضوء وطلبنا منه تبين ما فهمه لقال بوضوح:

إنّ الوضوء غسلتان و مسحتان دون أن يفكر فى أنّ الأرجل هل هى معطوفه على الرؤوس أو معطوفه على وجوهكم؟ فهو

يدرك بأنّها تتضمّن جملتين صُرحَ فيهما بحكمين:

بدئ في الجملة الأولى: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق»

[pagebreak](صفحة ٣٨٧)

ص: ٣٨٨

بَغَسَلَ الوجوه ثمَّ عطفت الأيدي عليها، فوجب لها من الحكم مثل حكم الوجوه لأجل العطف.

ثمَّ بدئ في الجملة

الثانية: «وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» بمسح الرؤوس ثمَّ عطفت الأرجل عليها، فوجب أن يكون لها من الحكم مثل حكم الرؤوس لأجل العطف، والواو تدلُّ على مشاركته ما بعدها لما قبلها في الحكم.

والتفكيك بين حكم الرؤوس وحكم الأرجل لا يحتمله عربى صميم، بل يراه مخالفاً لظهور الآيه.

٢. التمسك بروايات الغسل المنسوخه

يظهر من غير واحد من الروايات أنّ غسل الرجلين كان سنّه أمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فتره من عمره، ولمّا نزلت سوره المائده وفيها آيه الوضوء والأمر بمسح الأرجل مكان الغسل، أخذ- بعد فتره من الزمن - من لا- يعرف الناسخ والمنسوخ بالسنّه المنسوخه، وأثار الخلاف غافلاً عن أنّ الواجب عليه الأخذ بالقرآن الناسخ للسنّه وفيه سوره المائده التي هي آخر سوره نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

أخرج ابن جرير عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح، والسنّه بالغسل. <meta info=" الدر المثلثون: ١ / ٣ . " type="ref" >[١]</meta

[pagebreak](صفحه ٣٨٨)

ص: ٣٨٩

ويريد من السنّه عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول القرآن، ومن المعلوم أنّ القرآن حاكم وناسخ.

وقال ابن عباس: أبي الناس إلّا الغسل، ولا- أجد في كتاب الله إلّا المسح. <meta info=" الدر المثلثون: ٣ / ٤ . " type="ref" class="ref" >[١]</meta وبهذا يمكن الجمع بين ما حكى من عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغسل وبين ظهور الآيه في المسح، وإنّ الغسل كان قبل نزول الآيه.

ونرى نظير ذلك في المسح على الخفّين، فقد روى حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن عليّ أنّه قال: «سبق الكتابُ الخفّين». <meta info=" مصنف ابن أبي شيبه: ١ / ٢١٣، باب من كان لا يرى المسح، الباب ٢١٧ . " type="ref" >

<class="ref">[٢]</meta
صلى الله عليه وآله وسلم في فتره من عمره، المسح على الخفين، فقد جاء الكتاب على خلافه ناسخاً له حيث قال: «وأمسحوا
برؤوسكم وأرجلكم» أى امسحوا على البشرة لا- على النعل ولا على الخف ولا الجورب. <meta info="=meta info"> مصنف ابن أبي
شيبه: ٢١٣/١، باب من كان لا يرى المسح، الباب ٢١٧. <type="ref" class="ref">[٣]</meta "

٣. إشاعه الغسل من قبل السلطه

كان الحكام مصرّين على غسل الأرجل مكان المسح ويُلزمون

[pagebreak](صفحة ٣٨٩)

ص: ٣٩٠

الناس على ذلك بدل المسح لخبث باطن القدمين، وبما أنّ قسماً كثيراً منهم كانوا حفاة، فراق في أنفسهم تبديل المسح بالغسل،
ويدلّ على ذلك بعض ما ورد في النصوص.

١. روى ابن جرير عن حميد، قال: قال موسى بن أنس ونحن عنده:

يا أبا حمزه إنّ الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه وذكر الطهور، فقال:

اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وأنّه ليس شىء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاغسلوا
بطونهما وظهورهما وعراقيبهما.

فقال أنس: صدق الله وكذب الحجاج قال الله تعالى: «وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم» قال: وكان أنس إذا مسح قدميه بلهما.

<meta info="=meta info"> تفسير القرآن لابن كثير: ٢٥/٢؛ تفسير القرآن للطبري: ٨٢/٦. <type="ref" class="ref">[١]"

٢ </meta>. ومما يعرب عن أنّ الدعاية الرسميه كانت تؤيد الغسل، وتؤاخذ من يقول بالمسح، حتّى أنّ القائلين به كانوا

على حذر من إظهار عقيدتهم فلا يصرّحون بها إلّاخفيه، ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن أبي مالك الأشعري أنّه قال لقومه:

اجتمعوا أصلّى بكم صلاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما اجتمعوا، قال: هل فيكم أحد غيركم؟ قالوا: لا، إلّا ابن أخت

لنا، قال: ابن أخت القوم منهم، فدعا بجفنه فيها ماء، فتوضأ ومضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم صلى. "مسند أحمد: ٥ / ٣٤٢؛ المعجم الكبير: ٣ / ٢٨٠ برقم ٣٤١٢. " type="ref" <class="ref">[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ٣٩٠)

ص: ٣٩١

هذه وجوه ثلاثه يمكن أن يُبرر بها الغسل مكان المسح مع دلاله الكتاب العزيز على المسح، والأقرب هو الثاني ثم الثالث.

ما هو العامل في قوله: «وأرجلكم»؟

إن آيه الوضوء هي الدليل المبرم على وجوب الوضوء وكيفيته، وهي آيه واضحه نزلت لتبيين ما هو تكليف المصلى قبل الصلاه، وطبيعته الحال تقتضى أن تكون آيه واضحه المعالم، محكمه الدلاله، دون أن يكتنفها إجمال أو إبهام، قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ. «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ». «وَأَمْسِيحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ».

وتعيين أحد القولين من مسح الرجلين أو غسلهما رهن تشخيص العامل في لفظه «وأرجلكم».

توضيحه: إن في الآيه المباركه عاملين وفعلين كل يصلح في بدء النظر لأن يكون عاملاً في قوله: «وأرجلكم» إنما الكلام في تعيين ما هو العامل حسب ما يستسيغه الذوق العربى؟

والعاملان هما:

فاغسلوا.

وامسحوا.

[pagebreak](صفحة ٣٩١)

ص: ٣٩٢

فلو قلنا: إن العامل هو الأول يجب غسلهما، ولو قلنا بأن العامل هو الثانى يجب مسحهما، فملاك إيجاب واحد منهما رهن تعيين العامل في «أرجلكم».

لا- شكّ أنّ الإمعان فى الآيه، مع قطع النظر عن كلّ رأى مسبق وفعل رائج بين المسلمين، يُثبت أنّ الثانى، أى «وامسحوا» هو العامل دون الأول البعيد.

وإن شئت قلت: إنه معطوف على القريب، أي الرؤوس لا على البعيد، أعنى: الوجوه، ونوضح ذلك بالمثال التالي:

لو سمعنا قائلاً يقول: أحب زيداً وعمراً ومررت بخالد وبكر من دون أن يُعرب «بكر» بالنصب أو الجزّ، نحكم بأنّ «بكر» معطوف على «خالد» و العامل فيه هو

الفعل الثاني وليس معطوفاً على «عمرو» حتى يكون العامل فيه هو الفعل الأول.

وقد ذكر علماء العربية أنّ العطف من حقّه أن يكون على الأقرب دون الأبعد، وهذا هو الأصل والعدول عنه يحتاج إلى قرينه موجوده في الكلام، وإلّا ربما يوجب اللبس واشتباه المراد بغيره.

فلنفرض أنّ رئيساً قال لخادمه: أكرم زيدا وعمراً واضرب بكرّاً وخالداً، فهو يميز بين الجملتين ويرى أنّ «عمراً» عطف على «زيداً»، وأمّا «خالداً» فهو عطف على «بكرّاً»، ولا يدور بخلده خلاف ذلك.

قال الرازي: يجوز أن يكون عامل النصب في قوله «أرجلكم» هو

[pagebreak](صفحة ٣٩٢)

ص: ٣٩٣

قوله: «وامسحوا» ويجوز أن يكون هو قوله «فاغسلوا» لكن العاملين إذا اجتمعا على معمول واحد كان إعمال الأقرب أولى، فوجب أن يكون عامل النصب في قوله: «أرجلكم» هو قوله: «وامسحوا».

ثبت أنّ قوله: «وأرجلكم» بنصب اللام توجب المسح. <meta info="التفسير الكبير: ١١ / ١٦١. type="ref" >[١]</meta > فإذا كانت الحال كذلك ولا يجوز الخروج عن القواعد في الأمثلة العرفية، فأولى أن يكون كلام ربّ العزه كذلك.

وليس المثال منحصراً بما ذكرنا، بل بإمكانك الإدلاء بأمثله مختلفه شريطه أن تكون مشابهه لما في الآيه.

فلو إنك عرضت الآيه على أيّ عربيّ صميم يجرد نفسه عن المذهب الذي يعتنقه، وسأته عن دلالة الآيه يجيبك:

إنّ هناك أعضاء يجب غسلها، وهي الوجوه والأيدي.

وأعضاء يجب مسحها وهي الرؤوس والأرجل.

ولو ألفت نظره إلى القواعد العربية تجده أنّه لا يتردد أنّ العامل في الرؤوس والأرجل شيء واحد وهو قوله: «وامسحوا» ولا يدور بخلده التفكيك بين الرؤوس والأرجل بأن يكون العامل في الرؤوس قوله:

«وامسحوا» والعامل في قوله: «وأرجلكم» هو قوله: «فاغسلوا».

فإذا اتّضحت دلالة الآيه على واحد من المسح والغسل فلا نحتاج

[pagebreak](صفحة ٣٩٣)

إلى شىء آخر، فالموافق منه يؤكّد مضمون الآية،

والمخالف يعالج بنحو من الطرق أفضلها أنها منسوخه بالكتاب.

القراءتان والمسح على الأرجل

إنَّ اختلاف القراء في لفظه: «وأرجلكم» بالفتح والجر لا يؤثر في دلالة الآية على وجوب المسح، فالقراءتان تنطبقان على ذلك القول بلا أى إشكال.

توضيح ذلك:

إنَّه قرأ نافع وابن عامر وعاصم في روايه حفص عنه قوله:

«وأرجلكم» بالنصب، وهذه هي القراءه المعروفه التي عليها المصحف الراجحه في كل عصر وجيل.

وقرأ ابن كثير وحمزه وأبو عمرو وعاصم في روايه أبي بكر عنه بالجر.

ونحن نقول: إنَّ القراءتين تنطبقان على القول بالمسح بلا تريث وتردد.

أمَّا الثانى أى قراءه الجر، فهو أقوى شاهد على أنه معطوف على قوله:

«برءوسكم» إذ ليس لقراءه الجر وجه سوى كونه معطوفاً على ما قبله.

وعندئذ تكون الأرجل محكومه بالمسح بلا شك.

وأمَّا قراءه النصب فالوجه فيه أنه عطف على محل «برءوسكم» لأنه

[pagebreak](صفحة ٣٩٤)

ص: ٣٩٥

منصوب محلاً مفعول لقوله: «وامسحوا» وعندئذ تكون الأرجل أيضاً محكومه بالمسح فقط، والعطف على المحل أمر شائع في اللغة العربيه، وقد ورد أيضاً في القرآن الكريم.

أَمْ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: «إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» <meta info="التوبه: ٣." type="ref" "> [١] </meta class="ref"> فقراءه: «ورسوله» بالضم هي القراءه المعروفه الراجحه و لا- وجه لرفعه إلما كونه معطوفاً على محل اسم إن، أعنى: لفظ الجلاله في «إنَّ الله» لكونه مبتدأ.

وقد ملئت مسأله العطف على المحل كتب الأعراب، فقد عقد ابن هشام باباً خاصاً للعطف على المحل وذكر شروطه. <meta info="مغنى اللسيب: الباب ٤، مبحث العطف. قال: الثانى: العطف على المحل ثم ذكر شروطه." type="ref" ">

<class="ref">[٢]</meta> وأما في الأدب العربي فحدّث عنه ولا حرج، قال القائل:

معاوى أنّا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديداء

فقول: «ولا الحديداء» بالنصب عطف على محل «بالجبال»، لأنّها خبر ليس في قوله «فلسنا».

فخرجنا بالنتيجة

التاليه:

إنَّ اختلاف القراءتين لا يؤثر في تعيين القول بالمسح، وسوف يوافيك دراسه القراءتين على القول بالغسل.

[pagebreak](صفحه ٣٩٥)

ص: ٣٩٦

ثمَّ إنَّ لفيماً من أعلام السِّنه صرحوا بدلاله الآيه على المسح قائلين بأنَّ قوله «وأرجلكم» معطوف على الأقرب لا الأبعد، وأنَّ العامل فيه هو «وامسحوا»، ونذكر بعض تلك الكلمات:

١. قال ابن حزم: وأما قولنا في الرجلين، فإنَّ القرآن نزل بالمسح، قال تعالى: «وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم»، وسواء قرئ بخفض اللام أو فتحها، فهي على كلِّ حال عطف على الرؤوس إمياً على اللفظ وإمياً على الموضع، ولا يجوز غير ذلك. <meta info="المحلى: ٥٦ / ٢"> [١] </meta> وقال الرازي: أمَّا القراءه بالجر فهي تقتضى كون الأرجل معطوفه على الرؤوس، فكما وجب المسح في الرأس فكذلك في الأرجل.

وأما القراءه بالنصب، فقالوا- أيضاً- أنها توجب المسح، وذلك لأنَّ قوله «وامسحوا برؤوسكم» في محل النصب، ولكنها مجروره بالباء، فإذا عطف الأرجل على الرؤوس جاز في الأرجل النصب عطفاً على محل الرؤوس، والجر عطفاً على الظاهر، وهذا مذهب مشهور النحاه. <meta info="التفسير الكبير: ١١ / ١٦١"> [٢] </meta> وقال الشيخ السندي الحنفي- بعد ان جزم ان ظاهر القرآن هو المسح- ما هذا لفظه: وإنما كان المسح هو ظاهر القرآن، لأنَّ قراءه الجر ظاهره فيه، وقراءه النصب محمول على جعل العطف على المحل. <meta info="شرح سنن ابن ماجه: ١ / ٨٨"> [٣] </meta> التعليقه.

[pagebreak](صفحه ٣٩٦)

ص: ٣٩٧

ولعلَّ هذا المقدار من النقول يكفي في تبين انَّ كلتا القراءتين تدعمان المسح فقط وتنطبقان عليه بلا إشكال.

القراءتان وغسل الأرجل

قد عرفت أنَّ اختلاف القراءه في قوله: «وأرجلكم» لا يؤثر في القول بـمسح الرجلين، سواء أقرأنا قوله: «وأرجلكم» بالنصب أم قرأناه بالجر، فكلتا القراءتين تدعمان المسح وبالتالي

العامل في قوله: «أرْجلكم» هو قوله: «وامسحوا» و لفظه «وأرجلكم» معطوفه على «برءوسكم» إمّا لفظاً أو محلاً.

إمّا الكلام في إمكانيه تطبيق القول بالغسل على القراءتين المعروفتين ومقدار انسجامه معهما والقواعد العربيه. وسيتضح من خلاله أنّ فرض الغسل على الآيه خرق واضح للقواعد العربيه، وإليك البيان:

الفصل وقراءه النص

فلو قلنا بدلاله الآيه على غسل الأرجل، فلا محيص من أن يكون العامل هو قوله في الجملة المتقدمه «فاغسلوا» وأن يكون معطوفاً على قوله: «وجوهكم» وهذا يستلزم الفصل بين المعطوف «وأرجلكم» و المعطوف عليه «وجوهكم» بجملة أجنبيه وهى «وامسحوا برءوسكم» مع أنّه لا يفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بمفرد فضلاً عن جملة أجنبيه، ولم يُسمع فى كلام العرب الفصيح قائل يقول: «ضربت زيداً» و «مررت ببيكر وعمراً» بعطف «عمراً» على «زيداً».

[pagebreak](صفحه ٣٩٧)

ص: ٣٩٨

١. قال ابن حزم: لا- يجوز عطف أرجلكم على وجوهكم، لأنّه لا يجوز أن يحال بين المعطوف والمعطوف عليه بقضيه مبتدئه. `<meta info="المحلى: ٥٦ / ٢." ٢ ></meta>` [١] `<ref" class="ref" type="ref">`. وقال أبو حيان: ومن ذهب إلى أنّ قراءه النص في «وأرجلكم» عطف على قوله: «فاغسلوا وجوهكم وأيديكم» وفصل بينهما بهذه الجملة التى هى قوله: «وامسحوا برءوسكم» فهو بعيد، لأنّ فيه الفصل بين المتعاطفين بجملة إنشائية. `<meta info="تفسير النهر الماد: ١ / ٥٥٨." >` ٣ `<ref" class="ref" type="ref">` [٢] وقال الشيخ الحلبي فى تفسير الآيه: نصب «وأرجلكم» على المحل وجرها على اللفظ، ولا يجوز أن يكون النص للعطف على وجوهكم، لامتناع العطف على وجوهكم للفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة أجنبيه هى «وامسحوا برءوسكم» والأصل أن لا- يفصل بينهما بمفرد فضلاً عن الجملة، ولم يسمع فى الفصيح نحو ضربت زيداً ومررت ببيكر وعمراً بعطف عمراً على زيد. `<meta info="غنيه المتملى فى`

شرح منيه المصلى المعروف بالحلبى الكبير: ١٦. "٤" type="ref" class="ref">[٣]</meta> وقال الشيخ السندى: وحمل قراءه النصب بالعطف على المحل أقرب لا-طراد العطف على المحل، وأيضاً فيه خلوص عن الفصل بالأ-جنبى بين المعطوف والمعطوف عليه، فصار ظاهر القرآن هو المسح. <meta info=" شرح سنن ابن ماجه: ٨٨ / ١ " type="ref" >[٤]</meta> إلى غير ذلك من الكلمات التى تصرح بأن قراءه النصب واستفاده

[pagebreak](صفحه ٣٩٨)

ص: ٣٩٩

الغسل يتوقف على خرق قاعده نحويه، وهى الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه بجمله أجنبيه.

الغسل وقراءه الجر

إنّ القائلين بغسل الأرجل بزّروا قراءه النصب بوجه قد عرفت ضعفه وعدم انسجامه مع القواعد العربيه، ولكنهم لما وقفوا على قراءه الجرّ وأنها تدلّ على المسح دون الغسل حاروا فى تبريرها وتوجيهها مع القول بالغسل، فإنّ قراءه الجر صريحه فى أنّ لفظه «وأرجلكم» معطوفه على «برءوسكم» فيكون حكمها حكم الرؤوس، وعند ذلك مالوا يميناً ويساراً حتّى يجدوا لقراءه الخفض مع القول بالغسل مبرّراً، وليس هو إلّا القول بالجرّ بالجوار.

وحاصله: أنّ قوله «وأرجلكم» محكوم حسب القواعد بالنصب لكونها معطوفه على قوله: «وجوهكم»، ولكنّه اكتسب اعراب الجرّ من قوله: «برءوسكم» لأجل وقوعه فى جنب لفظ مجرور، وهذا ما يقال له:

«الجرّ بالجوار» وهو ترك اللفظ إعرابه الطبيعى واكتساب إعراب اللفظ المجاور معه، وقد مثلوا له بقولهم: «جرّ ضبّ حرب»، فإنّ قوله: «حرب» خبر لقوله: «جرّ» ولكنّه قرأ بالجرّ لوقوعه فى جنب كلمه «ضبّ» حيث إنّه مجرور باعتبار كونه مضافاً إليه.

وبما أنّ الجرّ بالجوار إمّا غير واقع فى فصيح اللغه، وعلى فرض وقوعه فله شروط مفقوده فى المقام، نعقد لبيان الموضوع البحث التالى.

[pagebreak](صفحه ٣٩٩)

ص: ٤٠٠

الجرّ بالجوار صحه وشرطاً

لما كان القائلون بغسل الأرجل يفسّرون قراءه الجرّ بالجوار، نذكر كلمات أعلام الأدباء فى المقام ليُعلم مدى صحه الجرّ بالجوار، وعلى فرض صحته ما هى شروطه؟

١. قال الزجاج: ربما يقال: «وأرجلكم» مجرور لأجل الجوار، أى لوقوعه فى جنب الرؤوس المجروره، نظير قول القائل: جُحر

ضب خرب، فإن «خرب» خبر «لجحر» فيجب أن يكون مرفوعاً، لكنّه صار مجروراً لأجل الجوار.

هذا، ثم ردّ عليه بقوله: وهو غير صحيح، لاتّفاق أهل العربية على أنّ الإعراب بالمجاوره شاذ نادر، وما هذا سبيله لا يجوز حمل القرآن عليه من غير ضروره يُلجأ إليها. <meta info="معانى القرآن وإعرابه: ٢/١٥٣.

٢ <[١]>[ref="ref"] type="ref" class="ref". قال علاء الدين البغدادي في تفسيره المسمى بالخازن: وأما من جعل كسر اللام في «الأرجل» على مجاوره اللفظ دون الحكم. واستدل بقولهم: «جحر ضب خرب» وقال: الخرب نعت للجحر لا الضب، وإنما أخذ إعراب الضب للمجاوره فليس بجيد لوجهين:

أ. لأنّ الكسر على المجاوره إنّما يحمل لأجل الضروره في الشعر، أو يصار إليه حيث يحصل الأمن من الالتباس، لأنّ الخرب لا يكون نعتاً للضب بل للجحر.

! [pagebreak](صفحه ٤٠٠)

ص: ٤٠١

ب. ولأنّ الكسر بالجوار إنّما يكون بدون واو العطف، أمّا مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب. <meta info=" " type="ref" class="ref">[١]</meta> "٣. الخازن: ١٦/٢. أنكر السيرافي وابن جنّي الخفض على الجوار وتأوّلوا قولهم «خرب» بالجر على أنّه صفه للضب، و من أراد التفصيل فليرجع إلى المغنى. <meta info=" " type="ref" class="ref">[٢]</meta> "٤. الثامن، القاعده الثانيه، ٣٥٩. قال ابن هشام: ولا يكون الجر بالجوار في النسق، لأنّ العاطف يمنع التجاور. <meta info=" " type="ref" class="ref">[٣]</meta> "٣. الثامن، القاعده الثانيه، ٣٥٩. وبتلخيص من هذه الكلمات التي نقلناها بالإيجاز الأمور التاليه:

أولاً: أنّ الخفض بالجوار لم يثبت في الكلام الفصيح.

ثانياً: أنّ الخفض بالجوار على فرض ثبوته إمّا لضروره الشعر أو لأجل استحسان الطبع المماثله بين اللفظين المتجاورين، وكلّ من الوجهين متفيان في المورد، فليس هنا ضروره شعريه ولا استحسان الطبع في إخلاء لفظ «وأرجلكم» من إعرابه الواقعي واكتسابه إعراب جاره.

ثالثاً: أنّ العطف بالجوار إنّما يجوز فيما إذا يؤمن عن الاشتباه كما في المثل المعروف، فإنّ «خرب» وصف للجحر لا للضب وان جرّ، بخلاف المقام فإنّ قراءه الجرّ تورث الاشتباه، فلو كان الأرجل في الواقع محكومته

! [pagebreak](صفحه ٤٠١)

ص: ٤٠٢

بالغسل، فالجرّ بالجوار يوهم كون الأرجل

محكومته بالمسح وأنها معطوفة على الرؤوس من دون أن يلتفت المخاطبُ إلى أنّ الجِرَّ للجوار فلا داعي لارتكاب هذا النوع من الخفض الذي يضاد بظاهره مراد القائل.

ورابعاً: لم يثبت الجبر بالجوار إلّا في الوصف والبدل وأمثالهما لا في المعطوف كما في الآية.

وظهر من هذا البحث الضافي أنّ القول بالمسح ينطبق على كلتا القراءتين بلا أدنى تأويل وخرج، وهذا بخلاف القول بالغسل فإنّه لا ينسجم لا مع قراءه النصب ولا مع قراءه الجرّ.

المسح على الأرجل في الأحاديث النبويه

قد تعرّفت - من دلالة الآية - على أنّ الفرض في مورد الأرجل هو المسح، وبما أنّ الآية نزلت في أخريات حياة النبي ولم تنسخ بعد فهي بنفسها كافية في الدلالة على المقصود.

غير أنّنا تعزيراً للمطلب نذكر ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من لزوم المسح على الأرجل، ونقتصر في ذلك بالمتون مع تجريد الأسانيد، لأنّ الكتاب لا يسع لذكرها.

ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حول مسح الأرجل

١. عن بسر بن سعيد قال: أتى عثمان المقاعد فدعا بوضوء فتمضمض واستنشق ثمّ غسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ثلاثاً ومسح برأسه

[pagebreak](صفحة ٤٠٢)

ص: ٤٠٣

ورجليه ثلاثاً ثلاثاً، ثمّ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هكذا توضّأ، يا هؤلاء أكذلك؟ قالوا: نعم، لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده. <meta info="مسند أحمد: ١/ ١٠٩، الحديث ٤٨٩." type="ref" >

٢ <meta info="عن حمran قال: دعا عثمان بماء فتوضّأ ثمّ ضحك، ثمّ قال: ألا تسألوني ممّ أضحك؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما أضحكك؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توضّأ كما توضّأت، فتمضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً ويديه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه." type="ref" >

٣ <meta info="وفي مسند عبد الله بن زيد المازني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم توضّأ فغسل وجهه ثلاثاً ويديه مرتين ومسح رأسه ورجليه مرتين." type="ref" >

٤ <meta info="عن أبي مطر قال: بينما نحن جلوس مع علي في المسجد، جاء رجل إلى علي وقال: أرني وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فدعا قنبر، فقال: ائتني بكوز من ماء فغسل يديه ووجهه ثلاثاً، فأدخل بعض أصابعه في فيه واستنشق ثلاثاً، وغسل ذراعيه ثلاثاً ومسح رأسه واحده ورجليه إلى الكعبين ولحيته تهطل على صدره ثم حسا حسوه بعد الوضوء ثم قال: أين السائل عن وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. <meta info=" " type="ref" class="ref">[٤]</meta> ٥ " برقم ٢٦٩٠٨. عن عباد بن تميم، عن أبيه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

[pagebreak](صفحة ٤٠٣)

ص: ٤٠٤

توضاً ومسح بالماء على لحيته ورجليه. <meta info=" " type="ref" " " type="ref" class="ref">[١]</meta> ٦ عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: كنت أرى أنّ باطن القدمين أحقّ بالمسح من ظاهرهما حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح ظاهرهما. <meta info=" " type="ref" class="ref">[٢]</meta> ٧ " برقم ١٨٣. ٩١. عن رفاعه بن رافع أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إنّه لا يجوز صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله عزّ وجلّ، ثمّ يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح رأسه ورجليه إلى الكعبين». <meta info=" " type="ref" class="ref">[٣]</meta> ٨ " ما روى عن عبد الله بن عمرو، قال: تخلف عنّا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره سافرها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «ويل للأعقاب من النار» مرتين أو ثلاثاً.

<meta info=" صحیح البخاری: ۲۳/۱، باب من رفع صوته بالعلم من كتاب العلم، الحديث ۱. type="ref" " ۹ >[۴]</meta> .class="ref"> عن أبي مالك الأشعري أنه قال لقومه: اجتمعوا أصلي بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما اجتمعوا قال: هل فيكم أحد غيركم؟ قالوا: لا، إلا ابن أخت لنا، قال: ابن أخت القوم منهم، فدعا بجفنه فيها ماء، فتوضأ ومضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم صلى بهم فكبر بهم اثنتين وعشرين تكبيره. <meta info=" مسند أحمد: ۵/ ۳۴۲. >[۵]</meta " class="ref" type="ref">

[pagebreak](صفحة ۴۰۴)

ص: ۴۰۵

۱۰. عن عباد بن تميم المازني، عن أبيه أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتوضأ ويمسح الماء على رجليه. <meta info=" سنن ابن ماجه: ۱، الحديث ۴۶۰. " ۱۱ >[۱]</meta> .type="ref" class="ref"> عن أوس بن أبي أوس الثقفي أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى كظامه قوم بالطائف، فتوضأ ومسح على قدميه. <meta info=" تفسير الطبري: ۶/ ۸۶؛ المعجم الكبير: ۱/ ۲۲۱ برقم ۶۰۳. " ۱۲ >[۲]</meta> .type="ref" class="ref"> عن رفاعه بن رافع قال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاءه رجل فدخل المسجد، فصلّى فلما قضى الصلاة جاء فسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ارجع فصلّ فانك لم تصل» وجعل الرجل يصلّي، وجعلنا نرمق صلاته لا ندرى ما يعيب منها، فلما جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وعلى القوم قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم

و سلم: «وعليك ارجع فصلً فانك لم تصل».

قال همام: فلا ندري أمره بذلك مرتين أو ثلاثاً، فقال له الرجل: ما أدري ما عبت من صلاتي؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله، فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ثم يكبر الله تعالى ويثنى عليه، ثم يقرأ أم القرآن وما أذن له فيه ويسر، ثم يكبر فيركع فيضع كفيه على ركبته حتى تطمئن مفاصله، ويسترخى ثم يقول:

[pagebreak](صفحة ٤٠٥)

ص: ٤٠٦

سمع الله لمن حمده، ويستوى قائماً حتى يقيم صلبه ويأخذ كل عظم مأخذه، ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه. قال همام: وربما قال جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله ويسترخى، ثم يكبر فيستوى قاعداً على مقعده ويقيم صلبه، فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ، ثم قال: لا- يتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك. **<meta info="المستدرك للحاكم: ١ / ٢٤١. "**
١٣ **<ref" class="ref">[١]** type="ref" class="ref". عن ابن عباس أنه قال: ذكر المسح على القدمين عند عمر وسعد وعبد الله بن عمر فقال عمر بن الخطاب: سعد أفقه منك، فقال عمر: يا سعد أنا لا ننكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسح- أى على القدمين- ولكن هل مسح منذ أنزلت سورة المائدة فإنها أحكمت كل شىء وكانت آخر سورة من القرآن إلا براءة. **<meta info="الدر المنثور: ٣ / ٢٩. "** **<ref" class="ref">[٢]** type="ref" class="ref". عن عروه بن الزبير أن جبرئيل عليه السلام لما نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول البعثة فتح بالإعجاز عيناً من ماء فتوضأ ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم ينظر

إليه فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ومسح برأسه ورجليه إلى الكعبين، ففعل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كما رأى جبرئيل يفعل. ["=meta info"> الخصائص الكبرى: ٩٤ / ١. ١٥"](#) [\[٣\]](#) </meta>.type="ref" class="ref">. روى عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه أن أبا جبير قدم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع ابنته التي تزوجها رسول الله، فدعا رسول الله بوضوء

[pagebreak](صفحة ٤٠٦)

ص: ٤٠٧

فغسل يديه فأنقاهما، ثم مضمض فاه واستنشق بماء، ثم غسل وجهه ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح رأسه ورجليه. ["=meta info"> أسد الغابة: ١٥٦ / ٥. ١٥"](#) [\[١\]](#) </meta>.type="ref" class="ref"> إلى هنا تم ما عثرنا عليه من الروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على وجه عابر، وهي تدل على أن قول النبي وفعله كان على المسح لا الغسل.

ما حكى عن الصحابه والتابعين حول مسح الأرجل

١٦. حدث سفيان قال: رأيت علياً عليه السلام توضأ فمسح ظهورهما. ["=meta info"> مسند أحمد: ٢٠٠ / ١، الحديث ١٠١٨. ١٧"](#) [\[٢\]](#) </meta>.type="ref" class="ref"> عن حمران أنه قال: رأيت عثمان دعا بماء غسل، فغسل كفيه ثلاثاً ومضمض واستنشق وغسل وجهه ثلاثاً وذراعيه ثلاثاً ومسح برأسه وظهر قدميه. ["=meta info"> كثر العمال: ١٠٦ / ٥. ١٨"](#) [\[٣\]](#) </meta>.type="ref" class="ref"> عن عاصم الأحول، عن أنس قال: نزل القرآن بالمسح والسنة بالغسل. وهذا اسناد صحيح. ["=meta info"> الأحاديث ١٨ - ٢٦، كلها منقولة من تفسير الطبري: ٨٢ / ٦. ١٩"](#) [\[٤\]](#) </meta>.class="ref"> عن بكرمه، عن ابن عباس قال: الوضوء غسلتان ومسحتان.

٢٠. عن عبد الله العتكي، عن بكرمه قال: ليس على الرجلين غسل إنما نزل فيهما المسح.

[pagebreak](صفحة ٤٠٧)

ص: ٤٠٨

٢١. عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: امسح على رأسك وقدميك.

٢٢. عن ابن عليه

بن داود، عن عامر الشعبي أنه قال: إنما هو المسح على الرجلين ألا ترى أن ما كان عليه الغسل جُعِلَ عليه المسح وما كان عليه المسح أهمل (في التيمم).

٢٣. عن عامر الشعبي، قال: أمر أن يمسخ في التيمم ما أمر أن يغسل في الوضوء، وأبطل ما أمر أن يمسخ في الوضوء: الرأس والرجلان.

٢٤. عن عامر الشعبي قال: أمر أن يمسخ بالصعيد في التيمم، ما أمر أن يغسل بالماء، وأهمل ما أمر أن يمسخ بالماء.

٢٥. عن يونس قال: حدثني من صحب عكرمه إلى واسط قال: فما رأيت غسل رجله، إنما يمسخ عليهما حتى خرج منها.

٢٦. عن قتاده في تفسير قوله سبحانه: «فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ» افترض الله غسلتين ومسحتين.

٢٧. قال موسى بن أنس لأبي حمزة: إن الحجاج خطبنا بالأهواز ونحن معه، فذكر الطهور فقال: اغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم، وأنه ليس شيء من ابن آدم أقرب من خبثه من قدميه، فاعسلوا بطونهما وظهورهما وعراقيبهما، فقال أنس: صدق الله وكذب الحجاج، قال الله تعالى:

«وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ».

[pagebreak](صفحة ٤٠٨)

ص: ٤٠٩

قال: وكان أنس إذا مسح قدميه بلها.

قال ابن كثير: اسناده صحيح إليه. <meta info=" " class="ref" type="ref">[١] </meta> جامع البيان: ٦ / ٨٢؛ محاسن التأويل: ٦ / ١١١؛ تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٧.

٢٨ <meta info=" " class="ref" type="ref">[١] </meta> عن الشعبي قال: نزل جبرئيل بالمسح، ثم قال الشعبي: ألا ترى أن التيمم أن يمسخ ما كان غسل ويلغى ما كان مسحاً. <meta info=" " class="ref" type="ref">[٢] </meta> تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٧.

٢٩ <meta info=" " class="ref" type="ref">[٢] </meta> عن إسماعيل قلت لعامر الشعبي: إن أناساً يقولون إن جبرئيل نزل بغسل الرجلين؟ فقال: نزل جبرئيل بالمسح. <meta info=" " class="ref" type="ref">[٣] </meta> تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٥.

٣٠. عن

النزال بن سبره أنّ علياً دعا بماء فتوضأ ثم مسح على نعليه وقدميه، ثم دخل المسجد فخلع نعليه ثم صَلَّى. <meta info="كنز العمال: ٩/ ٤٣٥ برقم ٢٦٨٥٦. ٣١">[٤]</meta> عن أبي ظبيان قال: رأيت علياً وعليه إزار أصفر وخميصه وفي يده عنزه أتى حائط السجن، ثم تنحى فتوضأ ومسح على نعليه وقدميه ثم دخل المسجد، فخلع نعليه ثم صَلَّى. <meta info="كنز العمال: ٥/ ١٢٦. ١٢٦">[٥]</meta> هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، فمن تفحص المسانيد والصحاح ومجامع الآثار يقف على أكثر مما وقفنا عليه على وجه عابر.

«أولئك الذين هدى الله فيبهداهم اقتده». <meta info="الأنعام: ٩٠. ٩٠">[٦]</meta>

[pagebreak](صفحه ٤٠٩)

ص: ٤١٠

٢- الأذان والإقامة

إشاره

الأذان لغه الإعلام، وشرعاً الإعلام بأوقات الصلاة بألفاظ خاصه، وقد شرع في السنه الأولى من الهجره النبويه في المدينه المنوره. وتختلف الشيعة الإماميه مع أهل السنه في مسأله الأذان والإقامه في الأمور التاليه:

١. كيفيه تشريع الأذان.

٢. فصول الأذان والإقامه عدداً.

٣. جزئيه حتى على خير العمل للأذان.

٤. حكم التثويب في الأذان.

وإليك دراسه الجميع واحداً بعد الآخر بشكل موجز.

الأول: كيفيه تشريع الأذان

اتفقت الشيعة الإماميه- تبعاً للنصوص المتضافره من أئمه أهل البيت- على أنّ الأذان- ومثله الإقامة- من صميم الدين ومن شعائره، أنزله الله سبحانه على قلب سيد المرسلين، وأنّ الله الذي فرض الصلاة، هو الذي

[pagebreak](صفحه ٤١٠)

ص: ٤١١

فرض الأذان، وأنّ منشئ الجميع واحد، ولم يشارك في تشريعه أيّ ابن أنثى، لا في اليقظه ولا في المنام. ففي جميع فصوله من التكبير إلى التهليل مسحه إلهيه، وعذوبه وإخلاص، وسموّ المعنى وفخامته، تثير شعور الإنسان إلى مفاهيم أرقى، وأعلى وأنبل ممّا في عقول الناس. ولو حاولت يد التشريع الانساني أن تضيف فصلاً إلى فصوله أو تقحم جمله في جمله لأصبح المضاف كالحصى بين الدرر والدرارى.

والفصل الأول من فصوله يشهد على أنّه سبحانه أكبر من كل شىء وبالآلى: أقدر وأعظم، وأنّ غيره من الموجودات وإن بلغ من العظمه ما بلغ، ضئيل وصغير عنده خاضع لمشيئته.

والفصل الثانى يشهد على أنّه سبحانه هو الإله فى صفحه الوجود وأنّ ما سواه سراب ما أنزل الله به من سلطان.

وثالث الفصول، يشهد على أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم رسوله، الذى بعثه لإبلاغ رسالاته وإنجاز دعوته.

ففى نهايه ذلك الفصل يتبدّل إعلانه من الشهاده، إلى الدعوه إلى الصلاه التى فرضها والتى بها يتّصل الإنسان بعالم الغيب، وفيها يمتزج خشوعه، بعظمه الخالق، ثمّ الدعوه إلى الفلاح والنجاح، وخير

العمل <meta info="سيأتي أنه من فصول الأذان أسقط منها لغايه خاصه." [١]> type="ref" class="ref"></meta><< التي تنطوي عليها الصلاه.

وفي نهايه الدعوه إلى الفلاح وخير العمل، يعود ويذكر الحقيقه

! [pagebreak] (صفحه ٤١١)

ص: ٤١٢

الأبديه التي صرّح بها في أوليات فصوله ويقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله.

هذه هي حقيقه الأذان وصورته، والجميع سيبيكه واحده أفرغتها يد التشريع السماوي في قالب جملٍ، تحكى عن حقائق أبديه، تصدّ الإنسان عن الانكباب في شواغل الدنيا وملادّها.

فإذا كانت هذه حقيقه الأذان فهو في الحقيقه عرض لأصول العقائد، فيتعيّن أن يكون مصدره هو الوحي الإلهي، ولذلك اتفق أئمّه أهل البيت عليهم السلام على أنّ الله سبحانه هو المشرّع للأذان، وأنّه هبط به جبرئيل وعلمه رسول الله وهو علمه بلائاً، ولم يشارك في تشريعه أحد. وهذا عندهم من الامور المسلّمه، ونذكر بعض ما أثر عنهم:

١- روى ثقة الإسلام الكليني بسند صحيح عن زراره و الفضيل، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاءِ فَبَلَغَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةَ، فَأَذَّنَ جِبْرِئِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَقَامَ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَصَفَّتِ الْمَلَائِكَةُ وَالنَّبِيُّونَ خَلْفَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢- روى أيضاً بسند صحيح عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «لَمَّا هَبَطَ جِبْرِئِيلُ بِالْأَذَانِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ رَأْسُهُ فِي حَجَرٍ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَذَّنَ جِبْرِئِيلُ وَأَقَامَ» <meta info="لا- منافاه بين الروايتين وكم نزل أمين الوحي بآيه واحده مرّتين، والغايه من التأذين في الأوّل غيرها في الثاني كما هو واضح لمن تدبّر." type="ref" class="ref"> </meta>< [١]>

فلما انتبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: على سمعت؟ قال:

[pagebreak](صفحة ٤١٢)

ص: ٤١٣

نعم <meta info=" " كان على عليه السلام محدثاً وهو يسمع كلام الملك. لاحظ صحيح البخارى وشرحه: إرشاد السارى: ٩٩ / ٦ وغيره باب رجال يُكلمون من غير أن يكونوا أنبياء... روى عن النبى أنه قال: لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل... " <type="ref" class="ref">[١]</meta

٣- روى أيضاً بسند صحيح أو حسن عن عمر بن أذينة عن الصادق عليه السلام قال: «تروى هؤلاء؟» فقلت: جعلت فداك فى ماذا؟ فقال: «فى أذانهم»... فقلت: إنهم يقولون إن أبى بن كعب رآه فى النوم. فقال: «كذبوا فإن دين الله أعز من أن يرى فى النوم». قال: فقال له سدير الصيرفى:

جعلت فداك فأحدث لنا من ذلك ذكراً. فقال أبو عبد الله (الصادق): «إن الله تعالى لما عرج بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلى سماواته السبع» إلى آخره <meta info=" " الكافى: ٣ / ٣٠٢، باب بدء الأذان، الحديث ١ - ٢؛ وباب النوادر ص ٤٨٢، الحديث ١. وسيأتى أنه ادعى رؤيه الأذان فى النوم ما يقرب من أربعة عشر رجلاً. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta .

٤- وروى محمد بن مكى الشهيد فى «الذكرى» عن فقيه الشيعة فى أوائل القرن الرابع - أعنى: ابن أبى عقيل العمانى - أنه روى عن الإمام الصادق: أنه لعن قوماً زعموا أنّ النبى أخذ الأذان من عبد الله بن زيد <meta info=" " سيوافيك نقله عن السنن. " <type="ref" class="ref">[٣]</meta فقال: «ينزل الوحي على نبيكم فتزعمون أنه أخذ الأذان من عبد الله بن زيد» <meta info=" " وسائل الشيعة: ٤ / ٦١٢، الباب

الأول من أبواب الأذان والإقامة، الحديث ٣. <type="ref" class="ref">[٤]</meta " .

[pagebreak](صفحة ٤١٣)

ص: ٤١٤

وليست الشيعة متفرده في هذا النقل عن أئمة أهل البيت، فقد روى الحاكم وغيره نفس النقل عنهم، وإليك بعض ما أثر في ذلك المجال عن طريق أهل السنّه.

٥- روى الحاكم عن سفيان بن الليل قال: لَمَّا كان من الحسن بن علي ما كان، قدمت عليه المدينه قال: فقد ذكروا عنده الأذان فقال بعضنا:

إنما كان بدء الأذان برؤيا عبد الله بن زيد، فقال له الحسن بن علي: «إنَّ شأن الأذان أعظم من ذلك، أذنَّ جبرئيل في السماء مثني، وعلمه رسول الله وأقام مره مره <meta info="المروى عنهم عليهم السلام أنَّ الإقامة مثني مثني إلَّا الفصل الأخير وهو مره. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " فعلّمه رسول الله» <meta info="مستدرك الحاكم: ١٧١ / ٣، كتاب معرفه الصحابه. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta " .

٦- روى المتقى الهندي عن هارون بن سعد عن الشهيد زيد بن الإمام علي بن الحسين عن آبائه عن علي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّم الأذان ليله أسرى به وفرضت عليه الصلاه <meta info="كنز العمال: ٦ / ٢٧٧ برقم ٣٩٧. " <type="ref" class="ref">[٣]</meta .

٧- روى الحلبي عن أبي العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنّا لتحدّث أنّ بدء الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، قال:

ففرع لذلك محمد بن الحنفية فرعاً شديداً وقال: عمدتم إلى ما هو الأصل في شرائع الإسلام، ومعالم دينكم، فزعمتم أنه كان من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، يحتمل الصدق والكذب وقد تكون أضغاث أحلام، قال:

[pagebreak](صفحة ٤١٤)

ص: ٤١٥

فقلت له: هذا الحديث قد استفاض في الناس. قال: هذا والله الباطل... <meta info="السيره الحلبيه: ٢ / ٢٩٧. "

<type="ref" class="ref">[١]</meta "

٨- روى المتقى الهندي عن مسند رافع بن خديج: لَمَّا أُسْرِيَ برسول الله إلى السماء أوحى إليه بالأذان فنزل به فعلمه جبرئيل. (الطبراني في الأوسط عن ابن عمر) <meta info=" " type="ref" " " كنز العمال: ٨ / ٣٢٩ برقم ٢٣١٣٨، فصل في الأذان. " type="ref" " " <class="ref">[٢]</meta .

٩- ويظهر ممّا رواه عبد الرزاق عن ابن جريج: قال عطاء: إنَّ الأذان كان بوحي من الله سبحانه <meta info=" " type="ref" " " المصنف: ٨ / ٤٥٦ برقم ١٧٧٥. " type="ref" class="ref">[٣]</meta .

١٠- قال الحلبي: ووردت أحاديث تدل على أنّ الأذان شرّع بمكة قبل الهجرة، فمن تلك الأحاديث ما في الطبراني عن ابن عمر... ونقل الرواية الثامنة <meta info=" " type="ref" " " السيره الحلبيه: ٢ / ٢٩٦، باب بدء الأذان ومشروعيته. " type="ref" " " <class="ref">[٤]</meta .

هذا هو تاريخ الأذان وطريق تشريعه أخذته الشيعة من عين صافيه من أناسٍ هم بطانه سنّه الرسول يروى صادق عن صادق حتى ينتهي إلى الرسول.

هذا ما لدى الإماميه وأما غيرهم فيزعمون أنّ عبد الله بن زيد رأى في منامه من علمه الأذان فعرض رؤياه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقرها. وقد رووا في ذلك روايات في السنن، لا يصلح الاحتجاج بها من وجهين:

[pagebreak](صفحة ٤١٥)

ص: ٤١٦

أ. صيغه وإسناداً.

ب. أنّها متعارضه جوهرًا.

ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتابنا الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف. <meta info=" " type="ref" " " الإنصاف: ١ / ١٢٥ - ١٥٠. " type="ref" class="ref">[١]</meta

الثاني: فصول الأذان والاقامه عددًا

اشاره

فصول الأذان على المذاهب الخمسه كالتالي:

«الله أكبر» ٤ مرات عند الإماميه وسائر المذاهب.

«أشهد ألأإله إلألله» مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب.

«أشهد أن محمداً رسول الله» مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب.

«حى على الصلاه» مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب.

«حى على الفلاح» مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب.

«حى على خير العمل» مرتان عند الإماميه فقط.

«الله أكبر»

مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب.

«لا إله إلا الله» مرتان عند الإماميه ومره واحده عند المذاهب الأربعة.

[pagebreak](صفحه ٤١٦)

ص: ٤١٧

فصول الإقامه

«الله أكبر» مرتان عند الإماميه والحنفيه وأربع مرات عند سائر المذاهب.

«أشهد ألا الله إلا الله» مرتان عند الإماميه والحنفيه ومره واحده عند الشافعيه والمالكيه والحنابله.

«أشهد أن محمداً رسول الله» مرتان عند الإماميه والحنفيه ومره واحده عند الشافعيه والمالكيه والحنابله.

«حي على الصلاه» مرتان عند الإماميه والحنفيه ومره واحده عند الشافعيه والمالكيه والحنابله.

«حي على الفلاح» مرتان عند الإماميه والحنفيه ومره واحده عند الشافعيه والمالكيه والحنابله.

«حي على خير العمل» مرتان عند الإماميه فقط.

«قد قامت الصلاه» مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب إلا المالكيه فقد جعلوها مره واحده.

«الله أكبر» مرتان عند الإماميه وسائر المذاهب.

«لا إله إلا الله» مره واحده عند الإماميه وسائر المذاهب.

ودراسه أدله كل مذهب موكوله إلى محلها، والهدف إيقاف القارئ على آراء المذاهب في عدد الفصول.

[pagebreak](صفحه ٤١٧)

ص: ٤١٨

الثالث: جزئيه «حي على خير العمل» للأذان

اتفقت الإماميه تبعاً لنصوص أئمتهم على أن «حي على خير العمل» جزء من الأذان، وأن بلائاً كان يؤذن بها في الفجر، بل كان جمع غفير من الصحابه يؤذنون بها.

قال السيد المرتضى فى «الانتصار»: وقد روت العامه أنّ ذلك (حى على خير العمل) ممّا كان يقال بعض أيام النبى، وأنّما ادّعى أنّ ذلك نسخ ورفع وعلى من ادّعى النسخ، الدلالة له، وما يجدها <meta info=" الانتصار: ١٣٧، باب وجوب قول حى على خير العمل فى الصلاة. </meta [١]>".

وقال ابن عربى فى «الفتوحات المكيه»:... وأمّا من زاد فى الأذان «حى على خير العمل» فإن كان فعل فى زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما روى أنّ ذلك دعى به فى غزوه الخندق، إذ كان الناس يحفرون فجاء وقت الصلاة وهى خير موضوع كما ورد فى الحديث فنادى المنادى أهل الخندق «حى على خير العمل» - فما أخطأ من جعلها فى الأذان

بل اقتدى إن صحَّ الخير أو سنَّ سنَّه حسنه. <meta info="=meta info"> الفتوحات المكيه: ١ / ٤٠٠. </meta info"> [٢] </meta info"> وجاء في «الروض النضير» نقلًا عن كتاب السنام ما هذا لفظه:

الصحيح أنَّ الأذان شُرع بحى على خير العمل، لأنه اتَّفَق على الأذان به يوم الخندق، ولأنَّه دعاء إلى الصلاه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: خير أعمالكم الصلاه، كما

[pagebreak](صفحه ٤١٨)

ص: ٤١٩

وردت أنَّ مؤدَّنى رسول الله وغيرهم من الصحابه استمروا على التأذين بها حتَّى ماتوا. <meta info="=meta info"> الروض النضير: ١ / ٥٤٢. </meta info"> [١] </meta info"> إلى غير ذلك من النصوص التي تعرب عن جزئيه «حى على خير العمل» من الأذان فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قام الباحث السيد على الشهرستانى بجمع هذه النصوص فى كتابه: «الأذان بين الأصاله والتحرير» شكر الله مساعيه.

فإذا أُضيف إلى هذا ما أطبق عليه أئمه أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الشيعة عبر القرون من استمرارهم على ذكر هذا الفصل فى الأذان تصبح المسأله واضحه غير قابله للشك.

ولما استتب الأمر لعمر بن الخطاب أمر بحذف هذا الفصل من الأذان، وهذا ممَّا لا ينكره محققو السنه: وقد أقرَّ به سعد التفتازانى فى حاشيته على شرح العضدى وقال:

خطب عمر بن الخطاب وقال: أيها الناس ثلاث كنَّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنا أنهى عنهن وأُحرمنهن وأُعاقب عليهن، وهى: متعه النساء، ومتعه الحج، وحى على خير العمل. <meta info="=meta info"> لاحظ شرح التجريد للقوشجى: ٤٨٤؛ وكنز العرفان: ١٥٨ / ٢؛ والصرط المستقيم: ٢٧١ / ٣؛ المسترشد للمحب الطبرى: ٥١٦. </meta info"> [٢] </meta info"> وأما ما هو السبب لحذفه عن الأذان فقد روى عن أبى جعفر

[pagebreak](صفحه ٤١٩)

ص: ٤٢٠

الباقر عليه السلام أنَّه قال:

«كان الأذان بحَيِّ على خير العمل على عهد رسول الله، وبه أمروا أيام أبي بكر وصدراً من أيام عمر، ثم أمر عمر بقطعه وحذفه من الأذان والإقامة، فقبل له في ذلك فقال: إذا سمع الناس أن الصلاة خير العمل تهاونوا بالجهاد وتخلفوا عنه»، وروينا مثل ذلك عن جعفر بن محمد، والعامه تروى مثل هذا. <meta info="دعائم الإسلام: ١ / ١٤٢؛ بحار الأنوار: ١٥٦ / ٨١." >[١]</meta <type="ref" class="ref"> ولو صحّت الروايه فما تخيّل الرجل من خوف التهاون بالجهاد، غير صحيح، وقد غزا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم سبعاً وعشرين غزوه وأرسل قرابه ٥٥ سرّيه، ولم يكن التأذين به في عصره، سبباً للتهاون بالجهاد، والتخلف عن القتال.

وقد دلّت النصوص التاريخيه على أن شيعة آل البيت عليهم السلام: لما استولوا على المدينه، وصعد عبد الله بن الحسن الأفضس المناره التي عن رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: أذن ب «حي على خير العمل...». <meta info="مقاتل الطالبين: ٢٩٧ (في مقتل الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليه السلام)." >[٢]</meta <type="ref" class="ref"> قال الحلبي: ونقل عن ابن عمر وعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّهما كانا يقولان في آذانيهما بعد «حيّ على الفلاح»: «حيّ على خير العمل». <meta info="السيره الحلبيه: ٣٠٥ / ٢." >[٣]</meta

[pagebreak](صفحه ٤٢٠)

ص: ٤٢١

الرابع: التثويب في أذان صلاه الفجر

اشاره

التثويب من ثاب يثوب إذا رجع فهو بمعنى الرجوع إلى الأمر بالمبادره إلى الصلاه، فإن المؤذن إذا قال: «حيّ على الصلاه» فقد دعاهم إليها، فإذا قال: «الصلاه خير من النوم» فقد رجع إلى كلام معناه المبادره إليها.

وفسره صاحب القاموس: بمعان منها: الدعاء إلى الصلاه، وتثنيه الدعاء،

وأن يقول في آذان الفجر: «الصلاه خير من النوم- مرتين».

وقال في المغرب: التثويب: القديم هو قول المؤذن في أذان الصبح «الصلاه خير من النوم- مرتين» والمحدث «الصلاه الصلاه» أو «قامت قامت». <meta info=" " الحدائق: ٧/ ٤١٩؛ ولاحظ النهايه في غريب الحديث: ١/ ٢٢٦؛ لسان العرب: ماده « ثوب»؛ و القاموس ماده « ثوب». " <type="ref" class="ref">[١]</meta " والظاهر أنه غلب استعماله بين أئمه الحديث في القول المذكور أثناء الأذان، ربّما يطلق على مطلق الدعوه بعد الدعوه، فيعمّ ما إذا نادى المؤذن بعد تمام الأذان بالقول المذكور أيضاً أو بغيره ممّا يفيد الدعوه إليها بأيّ لفظ شاء.

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: التثويب هو العود إلى

! [pagebreak] (صفحه ٤٢١)

ص: ٤٢٢

الإعلام بعد الإعلام، وقول المؤذن «الصلاه خير من النوم» لا يخلو عن ذلك، فسَمّي تثويباً. <meta info=" " السنن: ١٤/٢، قسم التعليقه. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " فالمقصود في المقام تبين حكم قول المؤذن أثناء الأذان لصلاه الفجر: «الصلاه خير من النوم» فهل هو مشروع، أو بدعه حدثت بعد النبي لما استحسنته بعض الناس من إقراره في الأذان، سواء أكان هو التثويب فقط أو عمّ مطلق الدعوه إلى الصلاه ولو بعد تمام الأذان بهذا اللفظ أو بغيره؟

وحصيله الكلام: أنّ الروايات الواردة في هذا الموضوع متعارضه جداً لا يمكن إرجاعها إلى معنى واحد، وإليك أقسامها.

١. ما دلّ على أنّ عبد الله بن زيد رآه في رؤياه وأنه كان جزءاً من الأذان من أوّل الأمر، وعلى ذلك فتكون الرؤيا مصدراً لتشريعها كما هي مصدر لتشريع سائر فصول الأذان. وقد تقدّم أنّ التشريع الإلهي أرفع من أن يكون تابع لرؤيا صحابي. ٢. ما دلّ على أنّ بلالاً زاده فيه وقرره النبي صلى الله عليه وآله و

سلم أن يجعله بلال جزءاً من الأذان، كما رواه الدارمي. <meta info="سنن الدارمي: ١ / ٢٧٠. type="ref" " class="ref">[٢]</meta> ٣ ما يدل على أن عمر بن الخطاب أمر المؤذن أن يجعلها في نداء الصبح، كما رواه الإمام مالك ففي «الموطأ» أن المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً، فقال: «الصلاة خير من

[pagebreak](صفحة ٤٢٢)

ص: ٤٢٣

النوم»، فأمر عمر أن يجعلها في نداء الصبح. <meta info="الموطأ: ٧٨ برقم ٨. type="ref" class="ref">[١]" class="ref">[٢]</meta> ٤ ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمها أبا محذوره، كما رواه البيهقي في سننه. روى البيهقي عن عبد الملك بن أبي محذوره عن أبيه عن جده قال:

قلت يا رسول الله: علمنى سنّه الأذان، وذكر الحديث، وقال فيه: حى على الفلاح، حى على الفلاح، فإن كان صلاة الصبح قل: الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم. <meta info="سنن البيهقي: ١ / ٤٢١ - ٤٢٢، باب التشويب فى أذان الصبح. type="ref" class="ref">[٢]</meta> ٥ ما يظهر أن بلالاً كان ينادى بالصبح فيقول: «حى على خير العمل»، فأمره النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعل مكانها: «الصلاة خير من النوم» وترك «حى على خير العمل» كما رواه المتقى الهندي فى كتبه <meta info="كتر العمال: ٨ / ٣٤٥ برقم ٢٣١٨٨. type="ref" class="ref">[٣]</meta> .

ومع هذا التعارض الواضح، لا يمكن الركون إليها، وبما أن أمرها دائر بين السنّه والبدعه، فتركها متعين لعدم العقاب على تركها، بخلاف ما لو كانت بدعه.

كلمات الأعلام فى التشويب

إن بين الصحابه والتابعين من يراه بدعه وأنه لم يأمر به النبى

[pagebreak](صفحة ٤٢٣)

ص: ٤٢٤

الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإنما حدث بعده صلى الله عليه و

آله و سلم، وإليك نصوصهم:

١. قال ابن جريج: أخبرني عمرو بن حفص أنّ سعداً (المؤذن) أوّل من قال: الصلاه خير من النوم، في خلافه عمر، فقال عمر: بدعه، ثم تركه، وأنّ بلائاً لم يؤذّن لعمر.

٢. وعنه أيضاً: أخبرني حسن بن مسلم أنّ رجلاً سأل طاووساً: متى قيل الصلاه خير من النوم؟ فقال: أما إنّها لم تقل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنّ بلائاً سمعها في زمان أبي بكر بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولها رجل غير مؤذن، فأخذها منه. فأذن بها فلم يمكث أبو بكر إلّ قليلاً حتى إذا كان عمر قال: لو نهينا بلائاً عن هذا الذي أحدث، وكأّنه نسيه وأذن بها الناس حتى اليوم. <meta info=" كثر العمال: ٣٥٧ / ٨ برقم ٢٣٢٥١ و ٢٣٢٥٢؛ ورواه عبد الرزاق في المصنف: ١ / ٤٧٤ برقم ١٨٢٧ و ١٨٢٨ و ١٨٢٩. " ٣ </meta> [١] <type="ref" class="ref">. روى عبد الرزاق الصنعاني عن ابن عيينه عن ليث عن مجاهد قال: كنت مع ابن عمر فسمع رجلاً يثوب في المسجد، فقال: اخرج بنا من (عند) هذا المبتدع. <meta info=" المصنف: ١ / ٤٧٥ برقم ١٨٣٢، ورواه أيضاً المتقى الهندي في كثر العمال: ٨ / ٣٥٧ برقم ٢٣٢٥٠. " </meta> [٢] <type="ref" class="ref"> نعم يظهر ممّا رواه أبو داود في سننه أنّ الرجل يثوب في الظهر والعصر لا في صلاه الفجر. <meta info=" سنن أبي داود: ١ / ١٤٨ برقم ٥٣٨. " </meta> [٣] <type="ref" class="ref">

[pagebreak](صفحه ٤٢٤)

ص: ٤٢٥

٤. ما روى عن أبي حنيفه كما في «جامع المسانيد» عنه، عن حماد، عن إبراهيم قال: سألته عن التثويب؟ فقال: هو ممّا أحدثه الناس، وهو حسن، ممّا أحدثوه. وذكر أنّ تثويبهم كان

حين يفرغ المؤذن من أذانه: إنَّ الصلاة خير من النوم- مرتين-. قال: أخرجه الإمام محمد بن الحسن (الشييباني) في الآثار فرواه عن أبي حنيفة ثم قال محمد: وهو قول أبي حنيفة وبه تأخذ. <meta info="ref" type="ref" class="ref">[١]</meta> وهذه الرواية تدلّ على أنّ التثويب في عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو في عصر الخلفاء كان بعد الفراغ عن الأذان ولم يكن جزءاً منه، وإنما كان يذكره المؤذن من عند نفسه إيقاظاً للناس من النوم، ثم إنه أُدرج في نفس الأذان.

٥. قال الشوكاني نقلًا عن «البحر الزخار»: أحدثه عمر فقال ابنه: هذه بدعه. وعن علي عليه السلام حين سمعه: لا تزيدوا في الأذان ما ليس منه. ثم قال:

قلنا لو كان لما أنكره علي وابن عمر وطاووس سلمنا فأمرنا به إشعاراً في حال، لا شرعاً جمعاً بين الآثار. <meta info="ref" type="ref" class="ref">[٢]</meta> " ٦ الأوطار: ٣٨ / ٢. وقال الأمير اليمنى الصنعاني (المتوفى عام ١٨٢ هـ): قلت: وعلى هذا ليس «الصلاة خير من النوم» من ألفاظ الأذان المشروع للدعاء إلى الصلاة والإخبار بدخول وقتها، بل هو من الألفاظ التي شرعت لإيقاظ

! [pagebreak] (صفحة ٤٢٥)

ص: ٤٢٦

النائم، فهو كألفاظ التسييح الأخير الذي اعتاده الناس في هذه الأعصار المتأخره عوضاً عن الأذان الأول. ثم قال: وإذا عرفت هذا، هان عليك ما اعتاده الفقهاء من الجدل في التثويب هل هو من ألفاظ الأذان أو لا، وهل هو بدعه أو لا؟ <meta info="ref" type="ref" class="ref">[١]</meta> " ٧ سبل السلام في شرح بلوغ المرام: ١ / ١٢٠. نقل ابن قدامه عن إسحاق أنه <meta info="ref" type="ref" class="ref">[١]</meta> " مرّ أنّ البيهقي نقل في سننه، ان النبي هو الذي علمه لأبي محذوره. "

<meta type="ref" class="ref">[٢] قال: هذا شيء أحدثه الناس، وقال أبو عيسى: هذا التثويب الذي كرهه أهل العلم وهو الذي خرج منه ابن عمر من المسجد لما سمعه. <meta info="=meta info" المغنى: ١ / ٤٢٠. > ٨ <meta class="ref">[٣] ما استفاض من أئمة أهل البيت من كونها بدعه: روى الشيخ الطوسي بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التثويب الذي يكون بين الأذان والإقامة؟ فقال: «ما نعرفه». <meta info="=info" الوسائل: ٤ / ٦٥٠، الباب ٢٢ من أبواب الأذان والإقامة، الحديث ١، ولاحظ أحاديث الباب. <meta type="ref" > ٩ <meta class="ref">[٤] والذي تبين لي من دراسته ما ورد حول الأذان: أنّ عائلتين استغلّتا ما روى عن جدّهم عبد الله بن زيد وأبي محذوره فعمدتا بنشر ما نسب إلى جدّهما لما فيه من فضيله للعائلة، ولولا ذلك لم يكن لهذين الأمرين (تشريع الأذان بالرؤيا والتثويب في أذان صلاة الفجر) انتشار بهذا النحو الواسع، ولأجل ذلك ربّما يرتاب الإنسان فيما نقل عن جدّهما، وقد عرفت وجود رواه في أسانيد الروايات يُنسبون إلى هاتين العائلتين.

[pagebreak](صفحة ٤٢٦)

ص: ٤٢٧

٣- قبض اليد اليسرى باليمنى بين البدعه والسنة

إشارة

إن قبض اليد اليسرى باليمنى ممّا اشتهر ندبه بين فقهاء أهل السنة.

فقال الحنفية: إنّ التكتّف مسنون وليس بواجب، والأفضل للرجل أن يضع باطن كفّه اليمنى على ظاهر كفّه اليسرى تحت سرّته، وللمرأة أن تضع يديها على صدرها.

وقالت الشافعية: يسنُّ للرجل والمرأة، والأفضل وضع باطن يمينه على ظهر يسراه تحت الصدر وفوق السرّه ممّا يلي الجانب الأيسر.

وقالت الحنابلة: إنّه سنّه، والأفضل أن يضع باطن يمينه على ظاهر يسراه، ويجعلها تحت السرّه.

وشدّد عنهم المالكية فقالوا: يُندب إسدال اليدين في الصلاة الفرض، وقالت جماعه أيضاً قبلهم، منهم: عبد الله بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وسعيد

سیرین، وجماعه من الفقهاء. وهو مذهب الليث بن سعد إلا أنه قال: إلا أن يطيل القيام فيعيا أي يتعب فله القبض.

والمقول عن الإمام الأوزاعي التخيير بين القبض والسدل. <meta info=" محمد جواد مغنيه: الفقه على المذاهب الخمسه: ١١٠. <type="ref" class="ref">[١]</meta " " وذهب محمد عابد مفتي المالكيه بالديار الحجازيه إلى أن السدل والقبض سنتان من رسول الله وأن المؤمن إذا طال عليه القيام وهو مسدل، قبض، وقال بأن السدل أصل والقبض فرع. <meta info=" لاحظ رساله مختصره في السدل للدكتور عبد الحميد بن مبارك: ٥. <type="ref" class="ref">[٢]" " </meta <</meta " " وأما الشيعة الإماميه، فالمشهور أنه حرام ومبطل، وشد منهم من قال بأنه مكروه، كالحلبى فى «الكافى». <meta info=" جواهر الكلام: ١١ / ١٥ - ١٦. <type="ref" class="ref">[٣]</meta " " ومع أن غير المالكيه من المذاهب الأربعة قد تصوبوا وتصعدوا فى المسأله، لكن ليس لهم دليل مقنع على جوازه فى الصلاه، فضلاً عن كونه مندوباً، بل يمكن أن يقال: إن الدليل على خلافهم، والروايات البيانيه عن الفريقين التى تبين صلاه الرسول خاليه عن القبض، ولا يمكن للنبي الأكرم أن يترك المندوب طيله حياته أو أكثرها، وإليك نموذجين من هذه الروايات: أحدهما عن طريق أهل السنّه، والآخر عن طريق الشيعة الإماميه، وكلاهما يثبتان كيفيه صلاه النبي وليست فيهما أيّه إشاره إلى القبض فضلاً عن كيفيته.

١. القبض بدعه محدثه

إشاره

إنّ القبض بدعه محدثه ظهرت بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وعمادنا فى هذا السبيل حديثان صحيحان:

أحدهما مروى عن طرق أهل السنّه، والآخر من طرق الإماميه، والحديثان دليلان قاطعان على أنّ سيره النبي وأهل بيته عليهم السلام جرت على السدل فى الصلاه، وأنّ القبض ابتدع

بعد رحيله صلى الله عليه وآله وسلم.

ألف: حديث أبي حميد الساعدي

روى حديث أبي حميد الساعدي غير واحد من المحدّثين، ونحن نذكره بنص البيهقي، قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ:

فقال أبو حميد الساعدي: أنا أعلمكم بصلاته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قالوا:

لِمَ، ما كنت أكثرنا له تبعاً، ولا أقدمنا له صحبه؟! قال: بلى، قالوا: فأعرض علينا، فقال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يكبر حتّى يقرّ كلّ عضو منه في موضعه معتدلاً، ثم يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه، ثم يعتدل ولا ينصب رأسه ولا يقنع، ثم يرفع رأسه، فيقول:

سمع الله لمن حمده، ثم يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه حتى يعود كل عظم منه إلى موضعه معتدلاً، ثم يقول: الله أكبر، ثم يهوى إلى الأرض فيجافي يديه عن جنبه، ثم يرفع رأسه فيثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتح أصابع رجله إذا سجد، ثم يعود، ثم يرفع فيقول: الله أكبر، ثم يثنى

[pagebreak](صفحة ٤٢٩)

ص: ٤٣٠

برجله فيقعد عليها معتدلاً حتى يرجع أو يقرّ كل عظم موضعه معتدلاً، ثم يصنع في الركعة الأخرى مثل ذلك، ثم إذا قام من الركعتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما فعل أو كبر عند افتتاح صلاته، ثم يصنع مثل ذلك في بقيه صلاته، حتى إذا كان في السجده التي فيها التسليم أخر رجله اليسرى وقعد متورّكاً على شقّه الأيسر، فقالوا جميعاً: صدق هكذا كان يصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. <meta info=" سنن البيهقي: ٧٢ / ٢، ٧٣، ١٠١، ١٠٢؛ سنن أبي

داود: ١٩٤/١، باب افتتاح الصلاة، الحديث ٧٣٠-٧٣٦؛ سنن الترمذى: ٩٨/٢، باب صفه الصلاة؛ مسند أحمد: ٤٢٤/٥، وابن خزيمة فى صحيحه، باب الاعتدال فى الركوع، برقم ٥٨٧. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " و الذى يوضح صحه الاحتجاج به الأمور التاليه:

١. تصديق أكابر الصحابه <meta info=" منهم: أبو هريره، وسهل الساعدي، وأبو أسيد الساعدي، وأبو قتاده الحارث بن ربي، ومحمد بن مسلمه. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta " لأبى حميد يدلّ على قوه الحديث، وترجيحه على غيره من الأدله.

٢. أنه وصف الفرائض والسنن والمندوبات ولم يذكر القبض، ولم ينكروا عليه، أو يذكروا خلافه، وكانوا حريصين على ذلك، لأنهم لم يسلّموا له أول الأمر أنه أعلمهم بصلاه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، بل قالوا جميعاً:

صدقت هكذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يصلّى، ومن البعيد جداً نسيانهم وهم كثره، وفى مجال المذاكره.

[pagebreak](صفحه ٤٣٠)

ص: ٤٣١

٣. الأصل فى وضع اليدين هو الإرسال، لأنه الطبيعى فدلّ الحديث عليه.

٤. هذا الحديث لا- يقال عنه إنه مطلق والأحاديث تقييده، لأنه وصّف وعدّد جميع الفرائض والسنن والمندوبات وكامل هيئه الصلاة، وهو فى معرض التعليم والبيان، والحذف فيه خيانه، وهذا بعيد عنه وعنهم.

٥. بعض من حضر من الصحابه ممن روى عنه أحاديث القبض، فلم يعترض، فدلّ على أنّ القبض منسوخ، أو على أقل أحواله بأنه جائز للاعتماد لمن طول فى صلاته، وليس من سنن الصلاة، ولا من مندوباتها، كما هو مذهب الليث بن سعد، والأوزاعى، ومالك. <meta info=" رساله مختصره فى السدل: ١١. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " قال ابن

رشد: والسبب فى اختلافهم أنه قد جاءت آثار ثابتة، نقلت فيها صفه صلاته- عليه الصلاة والسلام- و لم ينقل أنه كان يضع

يده اليمنى على اليسرى. <meta info=" " >بدايه المجتهد: ١ / ٩٩. </meta >[٢] <ref=" " class="ref" type="ref" >بقي هنا سؤال وهو أنه قد اشتهر أنّ المالكيه لا- تقول بالقبض وأنّ إمامهم مالكا كرهه، وقال في «المدونه»: كره مالك وضع اليد اليمنى على اليسرى في الفريضة وقال: لا- أعرفه في الفريضة، مع أنه روى في «الموطأ» حديث القبض حيث روى عن سهل بن سعد، كما روى مرسل عبد الكريم ابن أبي المخارق البصرى أنه قال: من كلام النبوه: إذا لم تستح فافعل ما

[pagebreak](صفحه ٤٣١)

ص: ٤٣٢

شئت، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة يضع اليمنى على اليسرى، وتعجيل الفطر، والاستيناء بالسحور. <meta info=" " >الموطأ: ١ / ١٥٨، باب وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة، الحديث ٤٦، ٤٧. </meta >[١] <ref=" " class="ref" type="ref" >قلت: إنّ كتاب «الموطأ»، كتاب روايه، والإمام ربما ينقل ولا يفتى على وفقه، فلذلك ترى في «المدونه» فتاوى تخالف ما رواه في «الموطأ» ومن كان ملتمياً بفقهاءه، يرى أنّ بين ما دُوّن من فتاواه وما رواه في «الموطأ»، اختلافاً في موارد كثيره. وقد أشار الدكتور عبد الحميد في رساله السدل إلى مواردها. <meta info=" " >رساله مختصره في السدل: ٦-٧. </meta >[٢] <ref=" " class="ref" type="ref" >وعلى كلّ تقدير: فقوله: «لا أعرفه في الفريضة» دليل صريح في أنّ عمل أهل المدينه على خلافه، إذ قوله: «لا أعرفه»، معناه لا أعرفه من عمل الأئمه الذين هم التابعون الذين تلقوا العلم عن الصحابه.

هذا هو الحديث الذى قام ببيان كيفية صلاه النبى وقد روى عن طريق أهل السنّه، وقد عرفت وجه الدلاله، وإليك ما رواه الشيعة الإماميه.

ب: حديث حمّاد بن عيسى

روى حمّاد بن عيسى، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما أقبح بالرجل أن يأتي عليه ستون سنه أو سبعون

سنه فما يقيم صلاه واحده بحدودها تامه» قال حمّاد: فأصابني في نفسي الذل، فقلت: جعلت فداك فعلمني الصلاه، فقام أبو عبد الله مستقبل القبلة منتصباً فأرسل يديه جميعاً

[pagebreak](صفحه ٤٣٢)

ص: ٤٣٣

على فخذيه قد ضمّ أصابعه وقرب بين قدميه حتى كان بينهما ثلاثه أصابع مفرجات، واستقبل بأصابع رجله (جميعاً) لم يُحرفهما عن القبلة بخشوع واستكانه، فقال: الله أكبر، ثم قرأ الحمد بترتيل، وقل هو الله أحد، ثم صبر هنيهة بقدر ما تنفس وهو قائم، ثم قال: الله أكبر، وهو قائم ثم رقع وملأ كفيه من ركبتيه مفرجات، وردّ ركبتيه إلى خلفه حتى استوى ظهره، حتى لو صبت عليه قطره ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره وتردّد ركبتيه إلى خلفه، ونصب عنقه، وغمض عينيه ثم سبح ثلاثاً بترتيل وقال: سبحان ربّي العظيم وبحمده، ثم استوى قائماً، فلما استمكن من القيام قال: سمع الله لمن حمده، ثم كبر وهو قائم، ورفع يديه حيال وجهه، وسجد، ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه وقال: سبحان ربّي الأعلى وبحمده، ثلاث مرات، ولم يضع شيئاً من بدنه على شى منه، وسجد على ثمانيه أعظم: الجبهه، والكفين، وعيني الركبتين، وأنامل إبهامى الرجلين، والأنف، فهذه السبعه فرض، ووضع الأنف على الأرض سنّه، وهو الإرغام، ثم رفع رأسه من السجود فلياً استوى جالساً قال: الله أكبر، ثم قعد على جانبه الأيسر، ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى، وقال: أستغفر الله ربّي وأتوب إليه، ثم كبر وهو جالس وسجد الثانيه، وقال كما قال في الأولى ولم يستعن بشىء من بدنه على شىء منه في ركوع ولا سجود، وكان مجنّحاً، ولم يضع ذراعيه على الأرض، فصلّى ركعتين على هذا.

ثم قال: «يا حمّاد هكذا صل،

ولا تلتفت، ولا تعبت يديك وأصابعك،

[pagebreak](صفحة ٤٣٣)

ص: ٤٣٤

ولا- تبرق عن يمينك ولا- (عن) يسارك ولا بين يديك». <meta info=" الوائل: ٤، الباب ١ من أبواب أفعال الصلاة، الحديث ١. ولاحظ الباب ١٧ منه، الحديث ١ و ٢. <type="ref" class="ref">[١]</meta " ترى أنّ الروائتين بصدد بيان كيفية الصلاة المفروضة على الناس وليست فيهما أيّة إشارة إلى القبض بأقسامه المختلفة فلو كان سنّه لما تركه الإمام في بيانه، وهو بعمله يجسّد لنا صلاة الرسول، لأنّه أخذه عن أبيه الإمام الباقر، وهو عن آباءه، عن أمير المؤمنين، عن الرسول الأعظم - صلوات الله عليهم أجمعين - فيكون القبض بدعه، لأنّه إدخال شىء في الشريعة وهو ليس منها.

ثمّ إنّ هنا أحاديث أخرى - وراء حديث أبي حميد الساعدي - نشير إليها.

٢. حديث المسيء في صلاته

روى المحدثون أنّ رجلاً كان يصلّي والنبي ينظر إليه، فلما فرغ من صلاته جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ارجع، فصلّ فإنّك لم تصلّ، فرجع وعمل في صلاته الثانية كما عمل في صلاته الأولى، ثمّ جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: ارجع فصلّ، فإنّك لم تصل ثلاث مرّات، فأقسم الرجل أنّه لا يُحسّن من الصلاة إلّا ما فعل، فعندما اشتاق إلى العلم وتهيأ لقبوله علّمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يصلّي كما رواه أبو هريره حيث

[pagebreak](صفحة ٤٣٤)

ص: ٤٣٥

قال:

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثمّ استقبل القبلة فكبر به ثمّ اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثمّ أركع حتّى تطمئن راکعاً، ثمّ ارفع حتّى تعتدل قائماً، ثمّ اسجد حتّى تطمئن ساجداً، ثمّ أرفع حتّى

تطمئن جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها».

دليل المرشدين إلى الحق اليقين ؛ ص ٤٣٥

رجه السبعة، واللفظ للبخارى ولا بن ماجه باسناد مسلم «حتى تطمئن قائماً» <meta info=" بلوغ المرام: ٩٢ برقم ٢ / ٢٥٠. ط الرياض، وسبل السلام: ١ / ١٥٩. </meta " [١]</ref" class="ref" > .

فلو كان القبض سنّه مؤكده أو أمراً مندوباً لأشار إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. وصف عائشه صلاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

أخرج مسلم عن عائشه قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستفتح الصلاه بالتكبير والقراءه بالحمد لله رب العالمين. وكان إذا ركع لم يشخص رأسه ولم يصوبه ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع من الركوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجده لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في كلّ ركعتين التحيه، وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى، وكان ينهى عُقبه الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختم الصلاه بالتسليم. <meta info=" بلوغ المرام: ٩٩ برقم ٨ / ٢٥٧. </meta " [٢]</ref" class="ref" > ولو اقتصر في روايه مسيء الصلاه على ذكر الواجبات، فقد جاء في

[pagebreak](صفحه ٤٣٥)

ص: ٤٣٦

هذه الروايه بعض المسنونات والمكروهات مثل قوله: وكان يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى. وكان ينهى عقبه الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع»، فلو كان القبض سنّه مؤكده أو مندوبه لذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ ليس استحبابه في نظر القائلين به بأقل من افتراش الرجل اليسرى ونصب اليمنى.

وهذه الروايات البيانيه التي اقتصرنا على الميسور أفضل دليل على عدم كون القبض سنّه مؤكده.

٤. روايه القاضي أبو حنيفه النعمان المصري

روى القاضي أبو حنيفه النعمان التميمي المصري المغربي عن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كنت قائماً في الصلاه فلا تضع يدك اليمنى على اليسرى ولا اليسرى على اليمنى، فإن ذلك تكفير أهل الكتاب ولكن أرسلهما إرسالاً فإنه أحرى أن لا تشغل نفسك عن الصلاه». <meta info=" دعائم الإسلام: ١ / ١٦١، برقم ٤٧٢، ط القاهره. </meta " [١]</ref" class="ref" >

٥. صفه صلاه النبي في روايه معاذ بن جبل

أخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان في صلاته رفع يديه قبالة أذنيه، فإذا كبر أرسلهما ثم سكت، وربما رأيته يضع يمينه على يساره. <meta info="المعجم الكبير: ٧٤/٢٠." >[٢]</meta

[pagebreak](صفحة ٤٣٦)

ص: ٤٣٧

ذيل الحديث وإن كان يدلّ على أنه صلى الله عليه وآله وسلم ربما يضع يمينه على يساره ولكنّه كان نادراً بشهادته لفظه «ربما» وكانت سيرته على الإرسال، مع احتمال أن يكون وضع يمينه على يساره لغايه خاصه غير كونه مستحباً في الصلاة.

٦. ما روى عن أئمة أهل البيت عليهم السلام

إشاره

قد تضافر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على أنّ السدل والإرسال هو الواجب وأنّ القبض والتكفير هو البدعه، تقتصر في المقام ببعض ما روى عنهم عليهم السلام:

١. روى محمد بن مسلم، عن الصادق أو الباقر عليه السلام قال: قلت له:

الرجل يضع يده في الصلاة - وحكى - اليمنى على اليسرى؟ فقال: «ذلك التكفير، لا يُفعل». <meta info="الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ١." >[١]</meta> " ٢. وروى زراره، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «وعليك بالإقبال على صلاتك، ولا تكفّر، فإنّما يصنع ذلك المجوس» <meta info="الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ٢." >[٢]</meta> .

٣. روى الصدوق بإسناده عن علي عليه السلام أنّه قال: «وعليك بالإقبال على صلاتك، ولا تكفّر، فإنّما يصنع ذلك المجوس». <meta info="الوسائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ٣." >[٣]</meta> .

[pagebreak](صفحة ٤٣٧)

ص: ٤٣٨

٤. روى الصدوق بإسناده عن علي عليه السلام أنّه قال: «لا يجمع المسلم يديه في صلاته وهو قائم بين يدي الله عزّ وجلّ

يتشبه بأهل الكفر- يعنى المجوس-». <meta info=" الوائل: ٤، الباب ١٥ من أبواب قواطع الصلاة، الحديث ٧. " </meta [١] <ref="ref" class="ref"> وفي الختام نلفت نظر القارئ إلى كلمة صدرت من الدكتور على السالوس، فهو بعد ما نقل آراء فقهاء الفريقين، وصف القائلين بالتحريم والإبطال بقوله: «وأولئك الذين ذهبوا إلى التحريم والإبطال، أو التحريم فقط، يمثلون التعصب المذهبي وحبّ الخلاف، تفريقاً بين المسلمين». <meta info=" فقه الشيعة الإماميه ومواقع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة: ١٨٣. " </meta [٢] <ref="ref" class="ref"> ما ذنب الشيعة إذا هدام الاجتهاد والفحص في الكتاب والسنة إلى أنّ القبض أمر حدث بعد النبي الأكرم، وكان الناس يؤمرون بذلك أيام الخلفاء، فمن زعم أنّه جزء من الصلاة فرضاً أو استحباباً، فقد أحدث في الدين ما ليس منه، أفهل جزاء من اجتهد، أن يُرمى بالتعصب المذهبي وحب الخلاف؟!>

ولو صحّ ذلك، فهل يمكن توصيف الإمام مالك به؟ لأنه كان يكره القبض مطلقاً، أو في الفرض أفهل يصحّ رمي إمام دار الهجرة بأنه كان يحب الخلاف؟!>

أجل لماذا لا يكون عدم الإرسال والقبض ممثلاً للتعصب المذهبي وحبّ الخلاف بين المسلمين، يا ترى؟!>

[pagebreak](صفحة ٤٣٨)>

ص: ٤٣٩>

هذه بعض ما يمكن أن يستدلّ به على السدل، فإذا دار أمر القبض بين الندب والبدعه كما هو مقتضى الاختلاف فالأولى تركه إذ ليس في ترك المندوب سوى الحرمان من الثواب بخلاف ارتكاب ما يحتمل البدعه ففيه احتمال العقاب وبطلان الصلاة لامتناع التقرب بما هو مبعوض للمولى.>

دليل القول بكون القبض سنّه>

استدلّ للقول بأنّ القبض سنّه بروايه سهل بن سعد التي رواها البخاري، وإليك دراستها:>

روى البخاري عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل اليد اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة، قال أبو حازم: لا أعلمه.>

إِلْمَايْنِمَى ذَلِكْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. <meta info="فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٢/٢٢٤، باب وضع اليمنى على اليسرى؛ صحيح مسلم: ٢/١٣، باب وضع يده اليمنى على اليسرى؛ ورواه البيهقي في السنن الكبرى: ٢/٢٨، الحديث ٣، باب وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " <meta info="المراد: إسماعيل بن أبي أوس شيخ البخاري كما جزم به الحميدى. لاحظ فتح الباري: ٥/٣٢٥. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta </meta

وقد اختلف في هذا الحديث، فقيل: موقوف، وقيل: مرفوع. ولكن قال الجمهور من المحدثين والفقهاء والأصوليين إن لم يُضفهِ إلى

! [pagebreak] (صفحة ٤٣٩)

ص: ٤٤٠

زمن النبي فليس بمرفوع وإن أضافه، فقال: كُنَّا نَفْعَلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ، أَوْ فِي زَمَنِهِ، أَوْ فِيْنَا، أَوْ بَيْنَ أَظْهَارِنَا وَنَحْوِ ذَلِكَ فَهُوَ مَرْفُوعٌ. هذا هو المذهب الصحيح.

قال النووي في شرح مسلم: وعلى هذا القول فلا يكون مرفوعاً ولو جزم به أبو حازم، فكيف إذا لم يجزم، فلذا نصّ الحافظ أبو عمرو ابن عبد البر في التقيص على أن هذا الأثر موقوف على سهل ليس إلأ.

وأخرجه مالك في موطئه وعنه أخذه البخاري. <meta info="الموطأ: ١٣٥، كتاب الصلاة، الحديث ٢٢٦. " <type="ref" class="ref">[١]</meta

والرواية متكفله لبيان كيفية القبض إلأ أن الكلام في دلالة بعد تسليم سنده. ولا يدل عليه بوجهين:

أولاً: لو كان النبي الأكرم هو الأمر بالقبض فما معنى قوله: «كان الناس يؤمرون»؟ أو ما كان الصحيح عندئذ أن يقول: كان النبي يأمر؟ أو ليس هذا دليلاً على أن الحكم نجم بعد ارتحال النبي الأكرم حيث إن الخلفاء وأمرأهم كانوا يأمرون الناس بالقبض بتخييل أنه أقرب للخشوع؟ ولأجله عقد البخاري بعده باباً باسم باب الخشوع.

قال ابن حجر: الحكمه فى هذه الهيئه أنه صفة السائل الدليل، وهو أمتع عن العبث وأقرب إلى الخشوع، كان البخارى قد لاحظ ذلك وعقبه بباب الخشوع.

وبعبارة أخرى: إنَّ أمر الحكّام والأُمراء بالقبض دليل على أنَّ الناس

[pagebreak](صفحه ٤٤٠)

ص: ٤٤١

كانوا يصلّون على وجه السدّل فى عصر النّبى وشيئاً بعد عصره، ثمّ حدثت الفكرة فأمرّوا الناس به.

وقد وقف على ذلك بعض شراح الحديث، فقال الشيخ ملا على القارى فى تفسير الحديث: يأمرهم الخلفاء الأربعة أو الأُمراء أو النّبى صلى الله عليه وآله وسلم.

والحقّ أنّه لو كان الأمر هو النّبى صلى الله عليه وآله وسلم لذكر اسمه تبرّكاً ولا يترك اسمه، وهذا يدلّ على أنّ الأمر كان غيره من الحكّام الذين يتبعون أهواءهم قبال السنّه، وبما أنّ سيره على وأهل بيته كانت على الإرسال والتّديد بالقبض، كان الأُمراء على طرف النقيض من سيرتهم، فيأمرّون بالقبض مكان السدّل.

وثانياً: أنّ فى ذيل السند ما يؤيد أنّ الراوى - أبا حازم - عن «سهل» كان فى الشكّ والترديد فى صحّحه المضمون حيث قال: قال أبو حازم لا أعلمه إلّا يئى ذلك إلى النّبى صلى الله عليه وآله وسلم.

قال إسماعيل: «لا أعلمه إلّا يئى ذلك إلى النّبى» بناءً على قراءه الفعل بصيغه المجهول.

ومعناه أنّه لا يعلم كونه أمراً مسنوناً فى الصلاه غير أنّه يُعزى وينسب إلى النّبى، فيكون ما يرويه سهل به سعد مرفوعاً.

قال ابن حجر: ومن اصطلاح أهل الحديث إذا قال الراوى: ينميه، فمراده: يرفع ذلك إلى النّبى. <meta info=" المصدر

نفسه: هامش رقم ١. </meta " [١] <type="ref" class="ref">

[pagebreak](صفحه ٤٤١)

ص: ٤٤٢

هذا كلّه إذا قرأناه بصيغه المجهول، وأمّا إذا قرأناه بصيغه المعلوم، فمعناه أنّ سهلاً ينسب ذلك إلى النّبى، فعلى فرض صحّحه القراءه وخروجه بذلك

من الإرسال والرفع، يكون قوله: «لا أعلمه إلّا...» معرباً عن ضعف العزو والنسبه، وأنه سمعه عن رجل آخر ولم يسم.

قال ابن حجر في «فتح الباري»: هذا حديث تكلم في رفعه، فقال الداني: هذا معلول لأنه ظن من أبي حازم، وقيل بأنه لو كان مرفوعاً لما احتاج إلى قوله: «لا أعلمه». <meta info="فتح الباري: ١٢٦ / ٤." [١]" type="ref" class="ref"></meta>

[pagebreak](صفحة ٤٤٢)

ص: ٤٤٣

٤- جزئيه البسملة والجهر بها

إشاره

البسملة في اللغة والاصطلاح: قول بسم الله الرحمن الرحيم، يقال:

بَسَمَلٌ بِسْمَلُهُ: إذا قال أو كتب «بسم الله»، يقال: أكثر من البسملة، أي أكثر من قول بسم الله. <meta info="لسان العرب والمصباح المنير: ماله بسملة." [١]" type="ref" class="ref"></meta> البسملة هي سمه المسلمين حيث لا يستفتحون بشيء إلا بعد ذكر بسم الله الرحمن الرحيم، وهي آية التوحيد وسبب نفر المشركين، يقول سبحانه: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا». <meta info="الفرقان: ٦٠." type="ref" class="ref"></meta> [٢]

وقد كان شعار المشركين في عصر الجاهلية قولهم: «باسمك اللهم» وكانوا يستفتحون بذلك كلامهم. وقد آل الأمر في صلح الحديبيه إلى كتابه وثيقه صلح بين الطرفين، أمر النبي علياً عليه السلام أن يكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، فكتب على وفق ما أمر، فقال سهيل مندوب قريش: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. <meta info="سيره ابن هشام: ٣١٧ / ٢." type="ref" class="ref"></meta> [٣]

[pagebreak](صفحة ٤٤٣)

ص: ٤٤٤

فالبسملة هي الحد الفاصل بين الإسلام والشرك، وبها يميز المؤمن عن الكافر، ولا ينفك المسلم منها في حله وراحاله.

١. البسملة جزء من الفاتحه

إن البسملة جزء من الفاتحه، ويدل عليه أمور نذكرها تباعاً:

الأول: ما رواه الشافعي باسناده أن معاوية قدم المدينة فصلى بها، ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يكبر عند الخفض إلى

الركوع والسجود، فلما سلّم ناداه المهاجرون والأنصار: يا معاوية، سرقتَ من الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم؟! وأين التكبير عند الركوع والسجود؟! ثمّ إنّه أعاد الصلاة مع التسميه والتكبير.

قال الشافعي: إنّ معاوية كان سلطاناً عظيماً القوه، شديد الشوكه، فلولا أنّ الجهر بالتسميه كان كالأمر المتقرر عند كلّ الصحابه من المهاجرين والأنصار، وإلّما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسميه. <meta>

type="ref" " info="مسند الشافعى: ١٣؛ ونقله الرازى بتمامه فى تفسيره الكبير: ٢٠٤/١؛ والمستدرک للحاکم: ٢٣٣/١. <class="ref">[١]</meta ونحن نقول: ولولا ان التسميه جزء من الفاتحه لما اعترض المهاجرون والأنصار على تركها، مضافاً إلى ترك الجهر بها. وهذا الأثر كما يدل على جزئيه التسميه، يدل على لزوم الجهر بها، فيستدل به فى كلا الموردین.

[pagebreak](صفحه ٤٤٤)

ص: ٤٤٥

الثانى: روى الشافعى عن مسلم، عن ابن جريج، عن ابن أبى مليكه، عن أم سلمه أنها قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتحه الكتاب فعبد بسم الله الرحمن الرحيم آيه، الحمد لله رب العالمين آيه، الرحمن الرحيم آيه، مالك يوم الدين آيه، إياك نعبد وإياك نستعين آيه، اهدنا الصراط المستقيم آيه، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آيه. <meta info="المستدرک: ٢٣٢/١. <type="ref" class="ref">[١]</meta " وهذا نص صريح على الجزئيه.

الثالث: أخرج الحاكم عن أم سلمه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ فى الصلاه بسم الله الرحمن الرحيم فعدها آيه، الحمد لله رب العالمين آيتين، الرحمن الرحيم ثلاث آيات، مالك يوم الدين أربع آيات، وقال: هكذا إياك نعبد وإياك نستعين، وجمع خمس أصابعه. <meta info="المستدرک للحاکم: ٢٣٢/١. <type="ref" class="ref">[٢]</meta <</meta الرابع: أخرج الحاكم عن أم سلمه، قالت: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين يقطعها حرفاً حرفاً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وأقره على صحته الذهبى فى تلخيصه. <meta info="المستدرک: ٢٣٢/١. <type="ref" class="ref">[٣]</meta <</meta الخامس: أخرج الحاكم عن نعيم المجرم، قال: كنت وراء أبى هريره، فقرأ بسم الله الرحمن

الرَّحِيمِ قَرَأَ بِأَمِّ الْقُرْآنِ حَتَّى بَلَغَ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ:

[pagebreak](صفحة ٤٤٥)

ص: ٤٤٦

آمين. وقال الناس: آمين، ويقول كلما سجّد: الله أكبر، ويقول إذا سلم: والذي نفسى بيده أنى لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقرره الذهبى فى تلخيصه. <meta info="المستدرک: ١ / ٢٣٢. [١] </meta " class="ref" type="ref"> السادس: أخرج الحاكم عن قتاده قال: سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة رسول الله؟ قال: كانت مدّاً، ثمّ قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ويمد الرحيم. <meta info="المستدرک: ٢ / ٢٣٣. [٢] </meta " class="ref" type="ref"> وقرره على ذلك الذهبى فى تلخيصه.

السابع: أخرج الحاكم عن ابن جريج، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فى قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» قال: فاتحه الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم* الحمد لله رب العالمين»، وقرأ السوره. وقال ابن جريج: فقلت لأبى لقد أخبرك سعيد عن ابن عباس أنه قال: بسم الله الرحمن الرحيم، آيه، قال: نعم.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه وتام هذا الباب فى كتاب الصلاة. <meta info="المستدرک: ١ / ٥٥١، تفسير سوره الفاتحه. [٣] </meta " class="ref" type="ref"> الثامن: أخرج الثعلبى باسناده إلى أبى هريره قال: كنت مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم

[pagebreak](صفحة ٤٤٦)

ص: ٤٤٧

فى المسجد إذ دخل رجل يصلّى، فافتتح الصلاة، وتعوّذ ثمّ قال: «الحمد لله رب العالمين» فسمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا رجل قطعت على نفسك الصلاة، أما علمت أنّ «بسم الله الرحمن الرحيم» من الحمد؟ فمن تركها فقد ترك آيه، ومن ترك آيه فقد أفسد عليه صلاته. <meta info="الدر المنثور: ١ / ٢١. [١] </meta " class="ref" type="ref"> التاسع: أخرج الثعلبى

عن علي أنه كان إذا افتتح السوره فى الصلاه يقرأ «بسم الله الرحمن الرحيم» وكان يقول: من ترك قراءتها فقد نقص، وكان يقول: هى تمام السبع المثانى. <meta info="كنز العمال: ٢٩٧ / ٢ رقم ٤٠٤٩. "[٢]" type="ref" class="ref"> </meta> العاشر: أخرج الثعلبى عن طلحه بن عبيد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من ترك «بسم الله الرحمن الرحيم» فقد ترك آيه من كتاب الله، وقد نزل على فيما عدّ من أم الكتاب «بسم الله الرحمن الرحيم». <meta info="كنز العمال: ١ / ٥٥٦ برقم ٢٤٩٤. "[٣]" type="ref" class="ref"> </meta> الحادى عشر: أخرج الدارقطنى - وصححه - والبيهقى فى السنن عن أبى هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قرأت «الحمد» فقرأوا «بسم الله الرحمن الرحيم» إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثانى، و «بسم الله الرحمن الرحيم» إحدى آياتها. <meta info="الدرالمنثور: ١ / ١١؛ السنن الكبرى: ٢ / ٤٥. "[٤]" type="ref" class="ref"> </meta> الثانى عشر: أخرج الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى والبيهقى عن

[pagebreak](صفحه ٤٤٧)

ص: ٤٤٨

نافع، أن ابن عمر كان إذا افتتح الصلاه يقرأ ب «بسم الله الرحمن الرحيم» فى أم القرآن وفى السوره التى تليها، ويذكر أنه سمع ذلك من رسول الله. <meta info="المعجم الأوسط: ١ / ٢٥٧؛ السنن الكبرى: ٢ / ٤٨؛ مجمع الزوائد: ٢ / ١٠٩. "[١]" type="ref" class="ref"> </meta> الثالث عشر: أخرج أبو داود والترمذى والدارقطنى والبيهقى عن ابن عباس قال: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يفتتح صلاته ب «بسم الله الرحمن الرحيم». <meta info="سنن الترمذى: ١ / ١٥٥، ح ٢٤٥؛ سنن الدارقطنى: ١ / ٣٠٣؛ السنن الكبرى: ٢ / ٤٧. "[٢]" type="ref" class="ref"> </meta> الرابع عشر: أخرج الدارقطنى والبيهقى عن أبى

هريره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قرأ - وهو يؤم الناس - افتتح ب «بسم الله الرحمن الرحيم» قال أبو هريره: هي آية من كتاب الله، اقرأوا إن شئتم فاتحه القرآن، فإنها الآية السابعة. <meta info="سنن الكبرى: ٢/ ٤٧؛ سنن الدارقطني: ١/ ٣٠٥. [٣] <type="ref" class="ref"> أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر أنه كان يقرأ في الصلاة «بسم الله الرحمن الرحيم» فإذا ختم السوره قرأها يقول: ما كتبت في المصحف إلّالقرأ. <meta info="شعب الإيمان: ٢/ ٤٣٩ - ٤٤٠، ح ٢٣٣٦. [٤] <type="ref" class="ref">

٢. السبع المثاني هي فاتحه الكتاب

قد تضافرت الآثار عن علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابه وكثير من التابعين على أن المراد من السبع المثاني في قوله سبحانه: «وَلَقَدْ

[pagebreak](صفحة ٤٤٨)

ص: ٤٤٩

آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» <meta info="الحجر: ٨٧. [١] <type="ref" class="ref"> هو فاتحه الكتاب، هذا من جانب، ومن جانب آخر، أن آياتها لا تبلغ سبعا إلّا إذا عُدَّ البسملة آية منها، فإليك الكلام في المقامين.

أمّا ما دلّ على المراد من السبع المثاني هو سورة الفاتحه، فهو على قسمين:

ما يفسر السبع المثاني بفاتحه الكتاب من دون تصريح بأنّ البسملة جزء من فاتحه الكتاب.

ما يفسر السبع المثاني بفاتحه الكتاب مع التصريح بأنّ البسملة من آياتها.

أمّا القسم الأوّل فإليك بعض ما وقفنا عليه لا كلّه، لأنّه يوجب الإطناب في الكلام.

١. أخرج الطبري عن عبد خير، عن علي عليه السلام قال: «السبع المثاني فاتحه الكتاب». <meta info="تفسير الطبري: ١٤/ ٣٧. ٢ [٢] <type="ref" class="ref">

أخرج الطبري عن ابن سيرين قال: سئل ابن مسعود عن سبع من المثاني؟ قال: فاتحه الكتاب. <meta info="تفسير الطبري: ١٤/ ٣٧. [٣] <type="ref" class="ref">

٣. أخرج

ص: ٤٥٠

من المثنى» قال: هى فاتحه الكتاب.

وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: فاتحه الكتاب.

٤. أخرج الطبرى عن أبى فاخته فى هذه الآيه «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» قال: هى أم الكتاب. <meta info=" تفسير الطبرى: ٣٨ / ١٤. " ٥ [١]> type="ref" class="ref"> أخرج الطبرى عن أبى العالىه فى قول الله: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» قال: فاتحه الكتاب سبع آيات، قلت لربيع: إنهم يقولون السبع الطوال فقال: لقد أنزلت هذه وما أنزل من الطوال شىء.

٦. أخرج الطبرى عن أبى العالىه قال: فاتحه الكتاب، قال: وإنما سميت المثنى، لأنه يثنى بها كلما قرأ القرآن قرأها، فقيل لأبى العالىه: إن الضحاك بن مزاحم يقول: هى السبع الطوال، فقال: لقد نزلت هذه السوره سبعاً من المثنى وما نزل شىء من الطوال.

٧. أخرج الطبرى عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: السبع من المثنى هى فاتحه الكتاب.

٨. أخرج الطبرى عن ابن جريج عن ابن مليكه قال: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» قال: فاتحه الكتاب، وذكر فاتحه الكتاب لنبىكم صلى الله عليه وآله وسلم لم تذكر لنبى قبله.

٩. أخرج الطبرى عن أبى هريره، عن أبى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ص: ٤٥١

ألا أعلمك سوره ما أنزل فى التوراه ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى القرآن مثلها، قلت: بلى.

قال: إنى لأرجو أن لا تخرج من ذلك الباب حتى تعلمها، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقمت معه فجعل يحدثنى ويده فى يدي، فجعلت أتباطأ كراهيه أن يخرج قبل أن يخبرنى بها، فلما قرب

من الباب قلت: يا رسول الله السوره التي وعدتني، قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاه؟ قال: فقرأ فاتحه الكتاب، قال: هي هي، وهي السبع المثاني التي قال الله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» الذي أعطيت. <meta info=" تفسير الطبري: ١٤ / ٤٠. <type="ref" class="ref">[١]</meta " >

وأخرجه الحاكم في «المستدرک» وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. <meta info=" المستدرک: ٢ / ٢٥٨. " ١٠ >[٢]</meta > type="ref" class="ref"> أخرج الطبري عن أبي هريره، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: هي أم القرآن وهي فاتحه الكتاب وهي السبع المثاني. <meta info=" تفسير الطبري: ١٤ / ٤١. " ١١ >[٣]</meta > type="ref" class="ref"> أخرج الطبري عن أبي هريره، عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في فاتحه الكتاب، قال: هي فاتحه الكتاب وهي السبع المثاني والقرآن العظيم. <meta info=" تفسير الطبري: ١٤ / ٤١. " >[٤]</meta > type="ref" class="ref"> وأما القسم الثاني و هو ما يفسر السبع المثاني بفاتحه الكتاب ويجعل البسملة أول آيه منها.

[pagebreak](صفحة ٤٥١)

ص: ٤٥٢

١٢. أخرج ابن جرير وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والحاكم - وصححه - والبيهقي في سننه عن ابن عباس أنه سئل عن السبع المثاني، قال: فاتحه الكتاب استثناها الله لأمه محمد، فرفعها في أم الكتاب، فدخرها لهم حتى أخرجها ولم يعطها أحداً قبله، قيل: فأين الآيه السابعة؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم. <meta info=" الدر المنثور: ٥ / ٩٤. " > type="ref" class="ref"> ١٣ >[١]. أخرج الطبري عن سعيد بن جبیر في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» قال: فاتحه الكتاب، فقرأها على ست، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم، الآيه السابعة.

قال سعيد: وقرأها ابن عباس عليّ كما قرأها عليك، ثم قال: الآيه السابعة، بسم

اللَّهُ الرحمن الرحيم. <meta info="تفسير الطبري: ١٤ / ٣٨. ١٤"> [٢] </meta> " type="ref" class="ref"> أخرج الطبري عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس:

فاستفتح ثم قرأ فاتحه الكتاب ثم قال: تدرى ما هذا «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي».

ولا شهاده في قوله: «فاستفتح ثم قرأ فاتحه الكتاب» على خروج البسملة من جوهرها، وذلك لأنَّ البسملة لما كانت موجوده في صدر عامه السور فأشار إلى البسملة بقوله: «فاستفتح» ثم أشار إلى سائر آياتها التي تتميز عن سائر السور بقوله: «ثم قرأ فاتحه الكتاب».

! [pagebreak] (صفحة ٤٥٢)

ص: ٤٥٣

وبما ذكرنا يفسر الحديث التالي:

١٥. أخرج الطبري عن أبي سعيد بن المعلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعاه وهو يصلي فصلّى ثمّ أتاه فقال: ما منعك أن تجيئني، قال: إني كنت أصلي، قال:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» <meta info="الأنفال: ٢٤. " type="ref" class="ref"> [١] </meta>، قال: ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأعلمنك أعظم سوره في القرآن، فكانه بينها أو نسي، فقلت: يا رسول الله الذي قلت.

قال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. <meta info="تفسير الطبري: ١٤ / ٤١. " type="ref" class="ref"> [٢] </meta> ١٦. أخرج الدارقطني والبيهقي عن أبي هريره «انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا قرأ - وهو يؤم الناس - افتتح «بسم الله الرحمن الرحيم» قال أبو هريره: آيه من كتاب الله، اقرأوا إن شئتم فاتحه الكتاب، فإنها الآيه السابعه. <meta info="السنن الكبرى: ٢ / ٤٧؛ سنن الدارقطني: ١ / ٣٠٥. " type="ref" class="ref"> [٣] </meta> ١٧. أخرج الدارقطني والبيهقي في السنن بسند صحيح عن عبد خير، قال: سئل على رضى

الله عنه عن السبع المثاني، فقال: «الحمد لله رب العالمين» ف قيل له: إنما هي ست آيات! فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» آيه.
<meta info="سنن الدارقطني: ١ / ٣١١؛ السنن الكبرى: ٢ / ٤٥. [٤]">

[pagebreak](صفحة ٤٥٣)

ص: ٤٥٤

١٨. أخرج ابن الأنباري في المصاحف عن أم سلمة قالت: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» وقال: هي سبع يا أم سلمة. <meta info="الدر المنثور: ١ / ١٢.">
<meta info="١]">

٣. فاتحه الكتاب سبع آيات مع البسملة

إن فاتحه الكتاب آيات سبع إذا قلنا بكون التسميه جزءاً منها، ولذلك ترى أن المصاحف المعروفة تعد البسملة آيه من سوره
الفاتحه وإن كان يترك عدّها آيه من سائر السور، وعلى ذلك يكون عدد الآيات سبعاً كالشكل التالي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ* اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ». فترى أن كل آيه جمله تامه، وأمّا من لم
يجعل التسميه من السبع فقد جعل «صراط الذين أنعمت عليهم» آيه، «غير المغضوب عليهم ولا الضالين» آيه أخرى، ومعنى ذلك
جعل المبدل منه آيه والبديل آيه أخرى،

[pagebreak](صفحة ٤٥٤)

ص: ٤٥٥

وهذا ما لا يستسيغه الذوق السليم.

كما أن من حاول أن يجعل «إيّاك نعبد» آيه، «وإيّاك نستعين» آيه أخرى فقد سلك مسلكاً وعرأ، فإنّ الجملتين كسبيكه واحده
تنص على التوحيد في العباده والاستعانه فما معنى الفصل بينهما.

هذا بعض ما وقفنا عليه من روايات أهل السنّه الداله على أنّ البسملة جزء من الفاتحه، ويدلّ عليه أيضاً أمران

١. ما سيمرّ عليك من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه كانوا يجهرون بالبسملة.

٢. ما يدلّ على أنّ البسملة جزء من كلّ سورة.

٤. التسميه ولزوم الجهر بها

اشاره

قد أثبت البحث السالف الذكر أنّ التسميه جزء من فاتحه الكتاب ومن صميمها، فلا تتمّ السوره إلّا بقراءتها، وأمّا الجهر بها فحكمه كحكم سائر أجزاء السوره، فلو كانت الصلاه من الصلوات الجهرية يجب الجهر بها ما لم يدلّ دليل على جواز المخافته، مضافاً إلى أنّه قد تضافرت الروايات على لزوم الجهر بها، ويستفاد ذلك من الروايات التاليه:

١. أخرج الحاكم عن أبي هريره قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم. <meta info="المستدرک: ١ / ٢٣٢">[١]</meta>

[pagebreak](صفحه ٤٥٥)

ص: ٤٥٦

٢. أخرج الحاكم عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جهر بيسم الله الرحمن الرحيم. وقال: رواه هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأقرّه على ذلك الذهبي في تلخيصه. <meta info="المستدرک: ١ / ٢٣٢">[١]</meta> ٣. أخرج الحاكم في مستدرکه عن محمد بن أبي السرى العسقلاني، قال: صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصى صلاه الصبح والمغرب فكان يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحه الكتاب وبعدها، وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن اقتدى بصلاه أبي، وقال أبي: ما آلو أن اقتدى بصلاه أنس بن مالك، وقال أنس بن مالك: ما آلو أن اقتدى بصلاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

رواه هذا الحديث عن آخرهم ثقات، وأقرّه على ذلك الذهبي في تلخيصه. <meta info="المستدرک: ١ / ٢٣٢">[٢]</meta> ٤. أخرج الحاكم عن حميد الطويل، عن أنس، قال: صليت

خلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخلف أبي بكر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف علي كلهم كانوا يجهرون بقراءة بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال:

وقد بقي في الباب عن أمير المؤمنين عثمان و علي، وطلحة بن عبيد الله، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمر، والحكم بن عمير الثمالي، والنعمان بن بشير، وسمره بن جندب، وبريدة الأسلمي، وعائشه بنت الصديق كلها مخرجه عندي في الباب، تركتها إثارةً للتخفيف واختصرت

! [pagebreak] (صفحة ٤٥٦)

ص: ٤٥٧

منها ما يليق بهذا الباب، وكذلك ذكرت في الباب من جهر بسم الله الرحمن الرحيم من الصحابة والتابعين وأتباعهم. <meta info="المستدرک: ١ / ٢٣٢." [١] </meta > وبما أنّ الكلام الأخير الذي يدعى إطباق الأئمة على الجهر بالتسميه في الصلوات يخالف مذهب إمام الذهبي، فغاض غيظه وادّعى أنّ نسبه الجهر إلى هؤلاء كذب محض، ثم حلف على صدق مدّعاه مع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «البيّنه على المدّعى واليمين على المنكر» فمن يدّعى الكذب فعليه البيّنه لا الحلف، وإلّا ففي وسع كلّ من يرى الحديث مخالفاً لهواه وللمذهب الذي نشأ عليه، أن يحلف على كذبه.

٥. ما رواه الإمام الشافعي في مسنده أنّ معاوية قدم المدينة فصلى بها ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فاعترض عليه المهاجرون والأنصار بقولهم: يا معاوية سرقت منّا الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم؟!

وعلق عليه الشافعي بقوله: فلولا أنّ الجهر بالتسميه كان كالأمر المتقرر عند كلّ الصحابه من المهاجرين والأنصار، وإلّا لما قدروا على إظهار الإنكار عليه بسبب ترك التسميه.

٦. وأخرجه الحاكم بنحو آخر وقال: إنّ أنس بن مالك قال: صلى معاوية بالمدينة صلاة فجهر فيها بالقراءة فقرأ فيها بسم الله الرحمن الرحيم

لأَمَّ القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعدها حتى قضى تلك القراءة، فلمَّا سلّم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين

[pagebreak](صفحة ٤٥٧)

ص: ٤٥٨

والأنصار من كل مكان: أسرقت الصلاة أم نسيت؟! فلمَّا صلَّى بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أم القرآن وكبر حين يهوى ساجداً.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم فقد احتج بعبد المجيد بن عبد العزيز وسائر الرواه متفق على عدالتهم، وأقره على ذلك الذهبي في تلخيصه.

٧. قال الرازي في تفسيره: إنَّ البيهقي روى الجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في سننه عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وابن الزبير، ثم قال الرازي ما هذا لفظه: وأما أنَّ علي بن أبي طالب كان يجهر بالتسميه فقد ثبت بالتواتر و من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى، قال: والدليل عليه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم أدر الحقَّ مع علي حيث دار. [\[١\]](#) "التفسير الكبير: ١ / ٢٠٤. " أخرج البزار و الدارقطني والبيهقي في «شعب الإيمان» من طريق أبي الطفيل قال سمعت علي بن أبي طالب وعماراً يقولان: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر في المكتوبات ب «بسم الله الرحمن الرحيم» في فاتحه الكتاب. [\[١\]](#) سنن الدارقطني: ١ / ٣٠٢؛ شعب الإيمان: ٢ / ٤٣٦، الحديث ٢٣٢٢، باب تعظيم القرآن؛ الدر المنثور: ١ / ٢١ ، ٢٢. " [\[٢\]](#)

[pagebreak](صفحة ٤٥٨)

ص: ٤٥٩

٩. أخرج الدارقطني عن عائشه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يجهر ب «بسم الله الرحمن الرحيم». [\[١\]](#) " الدر المنثور: ١ / ٢٣. " [\[١\]](#) " أخرج

الدارقطنى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله:

«أمتى جبرئيل عليه السلام عند الكعبة فجهر ب «بسم الله الرحمن الرحيم». <meta info="سنن الدارقطنى: ٣٠٩ / ١؛ الدر المنثور: ٢٢ / ١. " ١١ >[٢]</meta>. أخرج الدارقطنى عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يجهر ب «بسم الله الرحمن الرحيم» فى السورتين جميعاً. <meta info="سنن الدارقطنى: ٣٠٢ / ١؛ الدر المنثور: ٢٢ / ١. " ١٢ >[٣]</meta>. أخرج الدارقطنى والحاكم والبيهقى عن أبى هريره، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجهر ب «بسم الله الرحمن الرحيم» فى الصلاه. وزاد البيهقى:

«فترك الناس ذلك». <meta info="سنن الدارقطنى: ٣٠٦ / ١؛ مستدرک الحاكم: ٢٠٨ / ١؛ السنن الكبرى: ٤٧ / ٢. " ١٣ >[٤]</meta>. أخرج الدارقطنى عن عبد الله بن عمر قال: «صليت خلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر فكانوا يجهرون ب «بسم الله الرحمن الرحيم». <meta info="سنن الدارقطنى: ٣٠٥ / ١؛ الدر المنثور: ٢٢ / ١. " ١٤ >[٥]</meta>. أخرج الثعلبى عن على بن زيد بن جدعان أنّ العبادله كانوا يستفتحون القراءه ب «بسم الله الرحمن الرحيم» يجهرون بها: عبد الله بن

! [pagebreak](صفحه ٤٥٩)

ص: ٤٦٠

عباس و عبد الله بن عمر، و عبد الله بن الزبير. <meta info="الدر المنثور: ٢١ / ١. " ١٥ >[١]</meta>. أخرج البيهقى عن الزهرى قال: من سنّه الصلاه أن تقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، وإنّ أول من أسرّ «بسم الله الرحمن الرحيم» عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينه وكان رجلاً حيتياً. <meta info="الدر المنثور: ٢١ / ١. " ١٦ >[٢]</meta>. أخرج الدارقطنى عن أبى هريره قال: قال رسول

اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنِي جِبْرِئِيلُ الصَّلَاةَ، فَقَامَ فَكَبَّرَ لَنَا ثُمَّ قَرَأَ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» فِيمَا يَجْهَرُ، فِي كُلِّ رُكْعَةٍ. [\[٣\]](#) " =meta info> سنن الدارقطني: ٣٠٥ / ١؛ الدر المنثور: ٢٠ / ١، ٢١. " [\[٣\]](#)</meta>

١٧. أخرج الدارقطني عن الحكم بن عمير - وكان بدرياً - قال: صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَجْهَرًا فِي الصَّلَاةِ بِ «بِسْمِ اللَّهِ» وَصَلَاةِ اللَّيْلِ، وَصَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ. " =meta info> سنن الدارقطني: ٣٠٨ / ١؛ الدر المنثور: ٢٢ / ١، ٢٣. " [\[٤\]](#)</meta>

وقد احتج الرازي على لزوم الجهر بالتسميه في الصلوات الجهرية بما أوعزنا إليه في صدر البحث من أن حكم جزء السورة كحكم كلها ولا يصح التبعض بين الكل والجزء لإبدال قاطع، وقد ذكره الرازي باللفظ التالي:

[pagebreak](صفحة ٤٦٠)

ص: ٤٦١

قد دللنا على أن التسميه آيه من الفاتحة، وإذا ثبت هذا فنقول:

الاستقراء دل على أن السورة الواحدة إما أن تكون بتمامها سرية أو جهريه، فأما أن يكون بعضها سرياً وبعضها جهرياً فهذا مفقود في جميع السور، وإذا ثبت هذا كان الجهر بالتسميه مشروعاً في القراءة الجهرية. " =meta info> التفسير الكبير: ١ / ٢٠٤. " [\[١\]](#)</meta>

أئمه أهل البيت عليهم السلام والجهر بالبسملة

تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام على الجهر بالبسملة، وكانت سيره الإمام علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام بعده على الجهر بها، نقتطف شيئاً مما أثر عنهم:

١٨. أخرج الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره باسناده إلى الرضا، عن أبيه، عن الصادق عليهم السلام قال: «اجتمع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الجهر بسم الله الرحمن الرحيم». " =meta info> روض الجنان: ١ / ٥٠؛ مستدرک الوسائل: ١٨٩ / ٤ رقم ٤٤٥٦. " [\[٢\]](#)</meta>

أخرج على بن إبراهيم في تفسيره باسناده عن ابن أذينة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم» أحق ما جهر به، وهي الآيه التي قال الله عز وجل: «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحِيدَهُ وَاذْكُرْهُ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» <meta info="الإسراء: ٤٦". <meta info="type="ref" class="ref">[٣]</meta> . <meta info="type="ref" class="ref">[٤]</meta

[pagebreak](صفحة ٤٦١)

ص: ٤٦٢

٢٠. أخرج الصدوق باسناده عن الأعمش، عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: «والإجهار ببسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة واجب». <meta info="الخصال: ٢/ ٦٠٤، أبواب المائة فما فوقه، رقم ٩." <meta info="type="ref" class="ref">[١]</meta> ٢١. أخرج الصدوق باسناده عن الفضل بن شاذان فيما كتبه الرضا للمأمون في بيان محض الإسلام جاء فيه: «والإجهار ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات سنّه». <meta info="عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٢٢، الباب ٣٥." <meta info="type="ref" class="ref">[٢]</meta> ٢٢. وعن الرضا عليه السلام أنه كان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع صلواته بالليل والنهار. <meta info="عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٨١، الباب ٤٤ رقم ٥." <meta info="type="ref" class="ref">[٣]</meta> ٢٣. أخرج الكليني عن صفوان الجمال قال: صليت خلف أبي عبد الله عليه السلام أياماً، فكان إذا كانت صلاه لا يجهر فيها، جهر ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان يجهر في السورتين. <meta info="الكافي: ٣/ ٣١٥، الحديث ٢٠." <meta info="type="ref" class="ref">[٤]</meta> ٢٤. أخرج العياشي عن خالد المختار قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: «ما لهم عمدوا إلى أعظم آيه في كتاب الله فزعموا أنّها بدعه إذا أظهروها، وهي بسم الله الرحمن الرحيم». <meta info="تفسير العياشي: ١/ ٢١، الحديث ١٦." <meta info="type="ref" class="ref">[٥]</meta> ٢٥. أخرج الكليني عن يحيى بن أبي عمران الهمداني

قال: كتبت إلى

[pagebreak](صفحة ٤٦٢)

ص: ٤٦٣

أبي جعفر [الجواد] عليه السلام: جعلت فداك ما تقول في رجل ابتداءً بسم الله الرحمن الرحيم في صلاته وحده في أم الكتاب فلما صار إلى غير أم الكتاب من السورة تركها، فقال العباسي: ليس بذلك بأس؟

فكتب بخطه: «يعيدها - مرتين - على رغم أنفه - يعني العباسي -». `<meta info="الكافي: ٣ / ٣١٣، الحديث ٢. ٢." [١] <type="ref" class="ref"></meta` ولعلّ فيما ذكر من الروايات غنى وكفايه، لطالب الحقّ ورائد الحقيقة.

[pagebreak](صفحة ٤٦٣)

ص: ٤٦٤

٥- التأمين بعد الفاتحة

انفردت الإمامية على لزوم ترك لفظه (آمين) بعد قراءه الفاتحة خلافاً لسائر المذاهب حيث ذهبوا إلى أنّها سنّه. `<meta info="الانتصار: ١٤٤." [١] <type="ref" class="ref"></meta` قال الشيخ الطوسي في «الخلافة»: قول أمين يقطع الصلاة سواء كان ذلك سرّاً أو جهراً في آخر الحمد أو قبلها للإمام والمأموم على كل حال.

وقال أبو حامد الإسفرائيني: إن سبق الإمام المأمومين بقراءه الحمد لم يجز لهم أن يقولوا آمين، فإن قالوا ذلك استأنفوا قراءه الحمد. وبه قال بعض أصحاب الشافعي. `<meta info="الخلافة: ١ / ٣٣٣." [٢] <type="ref" class="ref"></meta` والدليل على أنه ليس جزءاً من الصلاة ولا - أمراً مستحباً، هو الروايات البيانية التي تقدمت في مسأله القبض فإننا نلاحظ أنّ الروايات التي تبين كيفية صلاه النبي بأسرها خاليه عن هذه اللفظه.

فقد جاء في روايه أبي حميد الساعدي: إذا قام إلى الصلاة رفع يديه حتى يحاذي منكبيه ثم يكبر حتى يقرّ كلّ عضو منه في موضعه معتدلاً، ثم

[pagebreak](صفحة ٤٦٤)

ص: ٤٦٥

يقرأ، ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه، ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه. `<meta info="السنن للبيهقي: ٢ / ٧٢، ٧٣، ١٠١، ١٠٢؛ سنن أبي داود: ١ / ١٩٤، باب افتتاح الصلاة، الحديث ٧٣٠-٧٣٦." [١] <type="ref" class="ref"></meta` ترى أنّه ليس في هذه الروايه

أى إشاره إلى التأمين والذي هو غير داخل في القراءة، ولفظه القراءة لا تحكى عنه.

وقد ورد أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا قمت إلى الصلاة... ثم استقبل القبلة وكبر به ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن. <meta info="بلوغ المرام: ٩٢ برقم ٢ / ٢٥٠. " type="ref" class="ref">[٢]</meta " type="ref" class="ref"> وليس فيه أى اشاره إلى التأمين وليس داخلاً فى قوله: «ما تيسر معك من القرآن».

وفى حديث عائشه عندما وصفت صلاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: كان رسول الله يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وكان إذا ركع يشخص رأسه. <meta info="بلوغ المرام: ٩٩ برقم ٨ / ٢٥٧. " type="ref" class="ref">[٣]</meta class="ref"> وهكذا سائر الروايات البيانية حيث لا تجد أيه إشاره إلى التأمين، ثم إنَّ القائل بجواز التأمين يستدلُّ بأنه تأمين على دعاء سابق، وهو قوله جل ثناؤه: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

يلاحظ عليه: أوَّلاً: أنّ الدعاء أمر قصدى، ومن يقرأ الفاتحه فإنَّما يقصد تلاوه القرآن ولا يقصد الدعاء، وقد أمر الناس بقراءتها حيث ورد لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب.

[pagebreak](صفحة ٤٦٥)

ص: ٤٦٦

وثانياً: سلمنا أنّه تأمين على دعاء سابق لكن كثيراً من المصلين خصوصاً غير العرب لا يتبادر إلى أذهانهم وجود الدعاء فى آيات الفاتحه حتّى يأمنوا لها.

ثالثاً: سلمنا أنّه تأمين للدعاء السابق لكنه يجب التفصيل الذى ذهب إليه أبو حامد الإسفرائينى حيث لم يجوز التأمين إذا سبق الإمام المأمومين بقراءة الحمد كما إذا حصل المأموم فى الصلاة والإمام تجاوز عن قوله: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

وهذا مبنى على أنّ قول «آمين» ليس من كلام الآدميين وإلّا فيكون مبطلًا، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها

شيء من كلام الأدميين أو من كلام الناس». <meta info=" صحيح مسلم: ١ / ٣٨١ برقم ٥٣٧. " type="ref" >[١] </meta > هذا كله دراسته على ضوء القواعد ولكن أئمه أهل البيت عليهم السلام أحد الثقلين الذين لا يفارقون الكتاب قالوا بحرمه التأمين وإبطاله الصلاة.

روى محمد الحلبي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: أقول إذا فرغت من فاتحه الكتاب، آمين؟ قال: «لا». <meta info=" الوسائل: ٤، الباب ١٧ من أبواب القراءه فى الصلاة، الحديث ٣. " type="ref" class="ref" >[٢] </meta >

[pagebreak](صفحة ٤٦٦)

ص: ٤٦٧

٦- القنوت فى الركعه الثانيه

ذهب فقهاء الإماميه إلى أنّ القنوت فى كلّ صلاه والدعاء فيه بما أحبّ الداعى مستحب وهو قول الشافعى فى كتاب «الاختلاف» حيث قال:

إنّ له أن يقنت فى الصلاه كلّها عند حاجه المسلمين إلى الدعاء. <meta info=" الانتصار: ١٥٢؛ لاحظ كتاب الأم: ١ / ١٣٠ و ٢٣٨؛ بدايه المجتهد: ١ / ١٣٤. " type="ref" class="ref" >[١] </meta > قال الشيخ الطوسى: القنوت مستحب فى كلّ ركعتين فى جميع الصلوات بعد القراءه فرائضها وسننها قبل الركوع، فإن كانت الفريضه رباعيه كان فيها قنوت واحد فى الثانيه من الأولتين، وإن كانت جمعه كان فيها قنوتان على الإمام فى الأولى قبل الركوع، وفى الثانيه بعد الركوع وهو مسنون فى ركعه الوتر فى جميع السنه.

وقال الشافعى: القنوت مستحب فى صلاه الصبح خاصه بعد الركوع، فإن نسيه كان عليه سجداً سهواً، وقال: يجرى ذلك مجرى التشهد الأول فى كونه سنّه، وقال فى سائر الصلاه: إذا نزلت نازله قولاً واحداً يجوز، وإذا لم تنزل كان على قولين، ذكر فى «الأم»: إنّ له ذلك، وقال فى «الإملاء»: إن شاء قنت، وإن شاء ترك.

وقال الطحاوى: القنوت فى سائر الصلاه لم يقل به غير الشافعى،

[pagebreak](صفحة ٤٦٧)

ص: ٤٦٨

وذكر الشافعى أنّ بمذهبه قال فى الصحابه

الأئمة الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام، وبه قال أنس بن مالك، وإليه ذهب الحسن البصري، وبه قال مالك والأوزاعي، وابن أبي ليلى قال: وهكذا القنوت في الوتر في النصف الأخير من شهر رمضان لا غير. <meta info="الخلاف": ١ / ٣٧٩ - ٣٨٠. <type="ref" class="ref">[١]</meta " إن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهم أحد الثقلين أفتوا باستجابته في كلّ صلاه.

روى الصدوق باسناده عن زراره عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «القنوت في كلّ الصلوات». <meta info="الوسائل": ٤، الباب ١ من أبواب القنوت، الحديث ١، ولاحظ سائر روايات الباب. <type="ref" class="ref">[٢]</meta "

[pagebreak!](صفحة ٤٦٨)

ص: ٤٦٩

٧- السجود على الأرض

إشاره

لعلّ من أوضح مظاهر العبودية والانقياد والتذلل من قبل المخلوق لخالقه هو السجود، وبه يؤكّد المؤمن عبوديته لله تعالى. والبارئ عزّ اسمه يقدر لعبده هذا التصاغّر وهذه الطاعة فيُضفي على الساجد فيضاً لطفه وعظيم إحسانه، لذا روى في بعض المأثورات: «أقرب ما يكون العبد إلى ربه حال سجوده».

ولمّا كانت الصلاه من بين العبادات معراجاً يميّز بها المؤمن عن الكافر، وكان السجود ركناً من أركانها، لم يكن هناك في إعلان التذلل لله تعالى أوضح من السجود على التراب والرمل والحجر والحصى، لما فيه من تذلل أوضح وأبين من السجود على الحصر والبوارى، فضلاً عن السجود على الألبسه الفاخره والفرش الوثيره والذهب والفضّه، وإن كان الكلّ سجوداً، إلّا أنّ العبوديه تتجلّى في الأوّل بما لا تتجلّى في غيره.

والإماميه ملتزمه بالسجده على الأرض في حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلّا إلى ما أنبت منها بشرط أن لا يؤكل ولا يلبس، ولا يرون السجود على غير الأرض وما أنبت منها صحيحاً في حال الصلاه أخذاً بالسنة المتواتره عن النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم وأهل

بيته وصحبه. وسيظهر- في ثنايا البحث- أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت، كانت هي السنّه

[pagebreak](صفحة ٤٦٩)

ص: ٤٧٠

بين الصحابه، وأنّ العدول عنها حدث في الأزمنة المتأخّره. وتظهر حقيقه الحال ضمن بيان أمور:

١. اختلاف الفقهاء في شرائط المسجود عليه

اتّفق المسلمون على وجوب السجود في الصلاه في كلّ ركعه مرّتين، ولم يختلفوا في المسجود له، فإنّه هو الله سبحانه الذي له يسجد من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً `<meta info="إشاره إلى قوله سبحانه: « وَلَلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظَلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ»- الرعد: ١٥.` `<type="ref" class="ref">[١]</meta` " وشعار كلّ مسلم قوله سبحانه:

`<meta info="فصلت: ٣٧." >type="ref" class="ref">` " `<meta info="«لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ»` `<meta info="وإنّما اختلفوا في شروط المسجود عليه- أعنى: ما يضع الساجد جبهته عليه- فالشيعة الإماميه تشترط كون المسجود عليه أرضاً أو ما ينبت منها غير مأكول ولا ملبوس كالحصر والبوارى، وما أشبه ذلك. وخالفهم في ذلك غيرهم من المذاهب، وإليك نقل الآراء:`

قال الشيخ الطوسى `<meta info="من أعلام الشيعة في القرن الخامس صاحب التصانيف والمؤلفات ولد عام ٣٨٥ هـ وتوفى عام ٤٦٠ هـ، من تلاميذ الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ)، والسيد الشريف المرتضى (٣٥٥-٤٣٦ هـ) - رضى الله عنهم." >type="ref" class="ref">[٣]</meta` - وهو يبيّن آراء الفقهاء:- لا- يجوز السجود إلّا على الأرض، أو ما أنبتته الأرض ممّا لا يؤكل ولا يلبس من قطن أو كتان مع الاختيار. وخالف فقهاء السنّه في ذلك حيث أجازوا السجود على

[pagebreak](صفحة ٤٧٠)

ص: ٤٧١

القطن والكتان والشعر والصوف وغير ذلك- إلى أن قال:- لا- يجوز السجود على شىء هو حامل له ككور العمامه، وطرف الرداء، وكُمّ القميص، وبه قال الشافعى، وروى ذلك عن على عليه السلام وابن عمر،

وعبادہ بن الصامت، ومالك، وأحمد بن حنبل.

وقال أبو حنيفة وأصحابه: إذا سجد على ما هو حامل له كالثياب التي عليه، أجزأه.

وإن سجد على ما لا ينفصل منه مثل أن يفتersh يده ويسجد عليها أجزأه لكنّه مكروه، وروى ذلك عن الحسن البصرى.
<meta info="> الخلايف: ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨، المسأله ١١٢ - ١١٣، كتاب الصلاه. "[١]> type="ref" class="ref">
<</meta وقال العلامه الحلى <meta info="> الحسن بن يوسف بن المطهر الحلى (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) وهو زعيم الشيعة فى
القرن السابع والثامن، لا يسمح الدهر بمثله إلفى فترات خاصه. "[٢]> type="ref" class="ref"> - وهو
يبين آراء الفقهاء فيما يسجد عليه-: لا يجوز السجود على ما ليس بأرض ولا من نباتها كالجلود والصوف عند علمائنا أجمع،...
<meta info="> التذكرة: ٢ / ٤٣٤، المسأله ١٠٠. "[٣]> type="ref" class="ref"> وأطبق الجمهور على الجواز.
<</meta وقد اقتفت الشيعة فى ذلك أثر أئمتهم الذين هم أعدال الكتاب وقرناؤه فى حديث الثقلين، ونحن نكتفى هنا
بإيراد شىء مما روى عنهم فى هذا الجانب:

روى الصدوق باسناده عن هشام بن الحكم أنه قال لأبى عبد

! [pagebreak] (صفحه ٤٧١)

ص: ٤٧٢

الله عليه السلام: أخبرنى عمّا يجوز السجود عليه، وعمّا لا يجوز؟ قال: «السجود لا يجوز إلا على الأرض، أو على ما أنبتت الأرض
إلا ما أكل أو لبس». فقال له:

جعلت فداك ما العله فى ذلك؟

قال: «لأنّ السجود خضوع لله عزّ وجلّ فلا ينبغى أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأنّ أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون،
والساجد فى سجوده، فى عباده الله عزّ وجلّ، فلا ينبغى أن يضع جبهته فى سجوده على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا بغورها». <meta info="> الوسائل: ج ٣، الباب ١ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١، وهناك روايات بمضمونه. والكلّ

يتضمّن أنّ الغايه من السجود التي هي التذلل لا تحصل بالسجود على غير الأرض و ما ينبت غير المأكول والملبوس فلاحظ. " [\[١\]](#) <type="ref" class="ref"> وقال الصادق عليه السلام: «وكلّ شىء يكون غذاء الإنسان في مطعمه أو مشربه، أو ملبسه، فلا تجوز الصلاه عليه، ولا السجود إلّما كان من نبات الأرض من غير ثمر، قبل أن يصير مغزولاً، فإذا صار غزلاً فلا تجوز الصلاه عليه إلّافي حال ضروره». <meta info=" الوائل: ٣، الباب ١ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١١. " [\[٢\]](#) <type="ref" class="ref"> فلا- عتب على الشيعة إذا التزموا بالسجود على الأرض أو ما أنبتته إذا لم يكن مأكولاً ولا ملبوساً اقتداءً بأئمتهم.

على أنّ ما رواه أهل السنّه في المقام، يدعم نظريّه الشيعة، وسيظهر لك فيما سيأتي من سرد الأحاديث من طرقهم، ويتّضح أنّ السنّه كانت هي

! [pagebreak](صفحة ٤٧٢)

ص: ٤٧٣

السجود على الأرض، ثم جاءت الرخصه في الحصر والبوارى فقط، ولم يثبت الترخيص الثالث، بل ثبت المنع عنه كما سيوافيك. روى المحدث النورى في «المستدرک» عن «دعائم الإسلام»: عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليهم السلام، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنّ الأرض بكم برّه، تتيمّمون منها، وتصلّون عليها في الحياه (الدنيا) وهي لكم كفاه في الممات، وذلك من نعمه الله، له الحمد، فأفضل ما يسجد عليه المصلّى الأرض النقيّه». <meta info=" مستدرک الوائل: ٤، الباب ١٠ من أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١. " [\[١\]](#) <type="ref" class="ref"> وروى أيضاً عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنّه قال:

«ينبغي للمصلّى أن يباشر بجبهته الأرض، ويعفّر وجهه في التراب، لأنّه من التذلل لله». <meta info=" مستدرک الوائل: ٤، الباب ١٠ من أبواب

ما يسجد عليه، الحديث ٢. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta " (من أعيان القرن العاشر) - ما هذا نصّه:- المقصود إظهار الخضوع بالرأس حتى يمسّ الأرض بوجهه الذى هو أشرف أعضائه، سواء كان ذلك بالجبهة أو الأنف، بل ربّما كان الأنف عند بعضهم أولى بالوضع من حيث إنّه مأخوذ من الأنفه والكبرياء، فإذا وضعه على الأرض، فكأنّه خرج عن الكبرياء التى عنده بين يدي الله تعالى، إذ الحضرة الإلهيه محزّم دخولها على من فيه أدنى ذره من كبر فإنّها هى الجنة الكبرى حقيقه،

[pagebreak](صفحة ٤٧٣)

ص: ٤٧٤

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذره من كبر». <meta info=" اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر: ١ / ١٦٤. الطبعه الأولى. " <type="ref" class="ref">[١]</meta " نقل الإمام المغربى المالكى الرودانى (المتوفى ١٠٤٩ هـ): عن ابن عباس رفعه: من لم يلزق أنفه مع جبهته بالأرض إذا سجد لم تجز صلاته. <meta info=" جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد: ١ / ٢١٤ برقم ١٥١٥. " <type="ref" class="ref">[٢]</meta <</meta << كما أنّ أصل العمل العبادى أمر توقيفى فكذلك شرائطه وأحكامه هى الأخرى التى يجب أن تُوضّح وتبيّن من جانب مبين الشريعة ومبلّغها، ونعنى به: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّه صلى الله عليه وآله وسلم هو الأسوه بنصّ القرآن الكريم والمبين للكتاب العزيز، وعلى المسلمين جميعاً أن يتعلّموا منه أحكام دينهم وتفاصيل شريعتهم، وقد قال سبحانه:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا». <meta info=" الأحزاب: ٢١. " <type="ref" class="ref">[٣]</meta

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا». <meta info=" الحشر:

٢. الفرق بين المسجود له والمسجود عليه

كثيراً ما يتصوّر أنّ الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبتت منها بدعه وتُتخيل التربه المسجود عليها وثناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين

[pagebreak](صفحة ٤٧٤)

ص: ٤٧٥

المسجود له والمسجود عليه، ويزعمون أنّ الحجر أو التربه الموضوعه أمام المصلّي وثن يعبد المصلّي بوضع الجبهه عليه. ولكن لا- عتب على الشيعة إذا قصر فهم المخالف، ولم يفرّق بين الأمرين، وزعم المسجود عليه مسجوداً له، وقاس أمر الموحّد بأمر المشرك بحجّه المشاركه فى الظاهر، فأخذ بالصور والظواهر، مع أنّ الملاك هو الأخذ بالباطن والضمائر، فالوثن عند الوثني معبود ومسجود له، يضعه أمامه ويركع ويسجد له، ولكن الموحّد الذى يريد إظهار العبوديه إلى نهايه مراتبها، يخضع لله سبحانه ويسجد له، ويضع جبهته ووجهه على التراب والحجر والرمال والحصى، مظهراً بذلك مساواته معها عند التقييم قائلاً: أين التراب وربّ الأرباب؟

نعم: الساجد على التربه غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهم عكس ذلك فهو من البلاهه بمكان، وسيؤدى إلى إرباك كلّ المصلين والحكم بشركهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لا بدّ أن يكون عابداً لها على هذا المنوال فى للعجب العجاب!!

روى الآمدى عن على أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «السجود الجسمانى: وضع عتائق الوجوه على التراب». <meta info="غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٧/١ برقم ٢٢٣٤." [١]></meta " <type="ref" class="ref">

٣. السنّه فى السجود فى عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبعده

إشارة

إنّ النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض

[pagebreak](صفحة ٤٧٥)

ص: ٤٧٦

مدّه لا- يستهان بها، متحمّلين شدّه الرمضاء، وغبار التراب، ورطوبه الطين، طيله أعوام. ولم يسجد أحد يوم ذاك على الثوب وكور العمامه بل ولا على الحصر والبوارى والخمر، وأقصى ما كان عندهم لرفع الأذى عن الجبهه، هو تبريد الحصى بأكفهم ثم

وقد شكوا بعضهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شدّة الحرّ، فلم يجبه، إذ لم يكن له أن يبدل الأمر الإلهي من تلقاء نفسه، إلى أن وردت الرخصة بالسجود على الخمر والحصر، فوسع الأمر للمسلمين لكن في إطار محدود، وعلى ضوء هذا فقد مرّت في ذلك الوقت على المسلمين مرحلتان لا غير:

١- ما كان الواجب فيها على المسلمين السجود على الأرض بأنواعها المختلفة من التراب والرمل والحصر والطين، ولم تكن هناك أيّة رخصة لغيرها.

٢- المرحلة التي ورد فيها الرخصة بالسجود على نبات الأرض من الحصر والبوارى والخمر، تسهياً للأمر، ورفعاً للحرَج والمشقّة، ولم تكن هناك أيّة مرحلة أخرى توسع الأمر للمسلمين أكثر من ذلك كما يدّعيه البعض، وإليك البيان:

المرحلة الأولى: السجود على الأرض:

إشارة

١- روى الفريقان عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «وجُعِلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» <meta info=" صحيح البخارى: ٩١ / ١، كتاب التيمّم، الحديث ٢؛ وسنن البيهقى: ٢ / ٤٣٣، باب: أينما أدركتكَ الصلاة فصل فهو مسجد، ورواه غيرهما من أصحاب الصحاح والسنن. "</meta " [١]> <type="ref" class="ref">.

[pagebreak](صفحة ٤٧٦)

ص: ٤٧٧

والمتبادر من الحديث أنّ كلّ جزء من الأرض مسجد وطهور يُسجد عليه ويُقصد للتيمّم، وعلى ذلك فالأرض تقصد للجهتين: للسجود تارةً، وللتيمّم أخرى.

وأما تفسير الرواية بأنّ العبادة والسجود لله سبحانه لا يختص بمكان دون مكان، بل الأرض كلّها مسجد للمسلمين بخلاف غيرهم حيث خصّوا العبادة بالبيع والكنائس، فهذا المعنى ليس مغايراً لما ذكرناه، فإنّه إذا كانت الأرض على وجه الإطلاق مسجداً للمصلّي فيكون لازمه كون الأرض كلّها صالحه للعبادة، فما ذكر معنى التزامى لما ذكرناه، ويعرب عن كونه المراد ذكر «طهوراً» بعد «مسجداً» وجعلهما مفعولين ل «جُعِلت» والنتيجة هو توصيف الأرض

بوصفين: كونه مسجداً وكونه طهوراً، وهذا هو الذى فهمه الجصاص وقال: إنَّ ما جعله من الأرض مسجداً هو الذى جعله طهوراً
<meta info="أحكام القرآن للجصاص: ٣٨٩ / ٢، نشر بيروت. " [١] </meta> .

والمراد من «الطهور» ما يتّم به حيث إنَّ التراب أحد الطهورين.

ومثله غيره من شراح الحديث.

تبريد الحصى للسجود عليها:

٢- عن جابر بن عبد الله الأنصارى، قال: كنت أصلى مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم الظهر، فأخذ قبضه من الحصى،
فأجعلها فى كفى ثمَّ أحولها إلى الكف الأخرى حتى تبرد ثمَّ أضعها لجيبي، حتى أسجد عليها من شدّه الحرّ <meta
info="مسند أحمد: ٣٢٧ / ٣ من حديث جابر؛ سنن البيهقى: ١ / ٤٣٩، باب ما روى فى التعجيل بها فى شدّه الحرّ. "
</meta> [٢] </meta> .

[pagebreak](صفحة ٤٧٧)

ص: ٤٧٨

وعلق عليه البيهقى بقوله: قال الشيخ: ولو جاز السجود على ثوب متّصل به لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى بالكف ووضعها
للسجود <meta info="سنن البيهقى: ١٠٥ / ٢. " [١] </meta> .

ونقول: ولو كان السجود على مطلق الثياب سواء كان متصلاً أم منفصلاً جائزاً لكان أسهل من تبريد الحصى، ولأمكن حمل
منديل أو ما شابهه للسجود عليه.

٣- روى أنس قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى شدّه الحرّ فأخذ أحدنا الحصباء فى يده فإذا برد وضعه
وسجد عليه <meta info="السنن الكبرى: ١٠٦ / ٢. " [٢] </meta> .

٤- عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شدّه الرمضاء فى جباهنا وأكفنا فلم يشكنا
<meta info="سنن البيهقى: ١٠٥ / ٢، باب الكشف عن الجبهه. " [٣] </meta> .

قال ابن الأثير فى معنى الحديث: إنهم

لَمَّا شَكُوا إِلَيْهِ مَا يَجِدُونَ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَفْسَحْ لَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا عَلَى طَرَفِ ثِيَابِهِمْ <meta info="نهاية: ٢ / ٤٩٧، ماده «شكا».</meta " [٤]> . هذه المآثورات تعرب عن أنّ السنّه في الصلاه كانت جاريه على السجود على الأرض فقط، حتّى أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يفسح للمسلمين العدول عنها إلى الثياب المتّصله أو المنفصله، وهو صلى الله عليه وآله وسلم مع كونه بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً أوجب عليهم مسّ جباههم الأرض، وإن آذتهم شدّه الحرّ.

[pagebreak](صفحه ٤٧٨)

ص: ٤٧٩

والذى يعرب عن الترام المسلمين بالسجود على الأرض، وعن إصرار النبي الأ-كرم بوضع الجبهه عليها لا على الثياب المتّصله ككور العمامه أو المنفصله كالمناديل والسجاجيد، ما روى من حديث الأمر بالترتيب فى غير واحد من الروايات.

الأمر بترتيب الجبهه

٥- عن خالد الجهنى: قال: رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم صهيياً يسجد كأنه يتقى التراب فقال له: «ترب وجهك يا صهييب» <meta info="كنز العمال: ٧ / ٤٦٥ برقم ١٩٨١٠.</meta " [١]> .

والظاهر أنّ صهيياً كان يتقى عن التريب، بالسجود على الثوب المتّصل والمنفصل، ولا- أقل بالسجود على الحصر والبوارى والأحجار الصافيه، وعلى كلّ تقدير، فالحديث شاهد على أفضليته السجود على التراب فى مقابل السجود على الحصى لما مرّ من جواز السجده على الحصى فى مقابل السجود على غير الأرض.

٦- روت أم سلمه- رضى الله عنها-: رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم غلاماً لنا يقال له أفلح ينفخ إذا سجد، فقال: «يا أفلح ترب» <meta info="كنز العمال: ٧ / ٤٥٩ برقم ١٩٧٧٦.</meta " [٢]> .

٧- وفى روايه: «يا رباح ترب وجهك» <meta info="كنز العمال: ٧ / ٤٥٩ برقم

. <type="ref" class="ref">[٣]</meta " ١٩٧٧.

٨- روى أبو صالح قال: دخلت على أم سلمة، فدخل عليها ابن أخ

! [pagebreak](صفحة ٤٧٩)

ص: ٤٨٠

لها فصلى فى بيتها ركعتين، فلما سجد نفخ التراب، فقالت أم سلمة: ابن أخى لا تنفخ، فإننى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول لغلام له يقال له يسار- ونفخ-: «ترب وجهك لله» <meta info=" كنز العمال: ٧ / ٤٦٥، برقم ١٩٨١٠؛ مسند أحمد: ٦ / ٣٠١. <type="ref" class="ref">[١]</meta "

الأمر بحسر العمامه عن الجبهه

٩- روى: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان إذا سجد رفع العمامه عن جبهته <meta info=" الطبقات الكبرى: ١ / ١٥١ كما فى السجود على الأرض: ٤١. <type="ref" class="ref">[٢]</meta "

١٠- روى عن على أمير المؤمنين أنه قال: «إذا كان أحدكم يصلّى فليحسر العمامه عن وجهه»، يعنى حتى لا يسجد على كور العمامه <meta info=" منتخب كنز العمال المطبوع فى هامش المسند: ٣ / ١٩٤. <type="ref" class="ref">[٣]" </meta .

١١- روى صالح بن حيوان السبائى: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عن جبهته <meta info=" السنن الكبرى: ٢ / ١٠٥. <type="ref" " <class="ref">[٤]</meta .

١٢- عن عياض بن عبد الله القرشى: رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجلاً يسجد على كور عمامته فأوماً بيده: «ارفع عمامتك» وأوماً إلى جبهته <meta info=" المصدر نفسه. <type="ref" class="ref">[٥]</meta "

هذه الروايات تكشف عن أنه لم يكن للمسلمين يوم ذاك تكليف إلا السجود على الأرض، ولم يكن هناك أى رخصه سوى تبريد الحصى، ولو كان هناك ترخيص لما فعلوا ذلك، ولما أمر النبي صلى

الله عليه وآله وسلم بالترتيب، وحسر العمامه عن الجبهه.

[pagebreak](صفحه ٤٨٠)

ص: ٤٨١

المرحلة الثانية: الترخيص في السجود على الخمر والحصر

إشارة

هذه الأحاديث والمأثورات الموثوقة في الصحاح والمسانيد وسائر كتب الحديث تعرب عن التزام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه بالسجود على الأرض بأنواعها، وأنهم كانوا لا يعدلون عنه، وإن صعب الأمر واشتد الحرّ، لكن هناك نصوصاً تعرب عن ترخيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم - بإيحاء من الله سبحانه إليه - السجود على ما أنبت الأرض، فسهل لهم بذلك أمر السجود، ورفع عنهم الإصر والمشقة في الحرّ والبرد، وفيما إذا كانت الأرض مبتلة، وإليك تلك النصوص:

١- عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على الخمره `<meta info="أخبار اصبهان: ٢ / ١٤١." [١]>`

٢- عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على الخمره، وفي لفظ: وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على الخمره `<meta info="مسند أحمد: ١ / ٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩ و ٣٥٨." [٢]>`

٣- عن عائشه: كان النبي يصلي على الخمره `<meta info="المصدر نفسه: ٦ / ١٧٩، وفيه أيضاً قال للجاريه وهو في المسجد: ناوليني الخمره." [٣]>`

٤- عن أم سلمه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على الخمره `<meta info="المصدر نفسه: ٣٠٢." [٤]>`

[pagebreak](صفحه ٤٨١)

ص: ٤٨٢

٥- عن ميمونه: ورسول الله يصلي على الخمره فيسجد `<meta info="مسند أحمد: ٦ / ٣٣١ و ٣٣٥." [١]>`

٦- عن أم سليم قالت: كان [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] يصلي على الخمره `<meta info="`

المصدر نفسه: ٣٧٧. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " .

٧- عن عبد الله بن عمر: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّى على الخمر <meta info="المصدر نفسه: ٢ / ٩٢-٩٨. <type="ref" class="ref">[٣]</meta " .

والصلاة على الخمره يلزم السجود عليها، لأنّ حراره الجوّ كانت تلزمهم بأخذ الخمره فُرشاً.

السجود على الثياب لعذر:

قد عرفت المرحلتين الماضيتين، ولو كانت هناك مرحله ثالثه فإنّما هي مرحله جواز السجود على غير الأرض وما ينبت منها لعذر وضروره.

ويبدو أنّ هذا الترخيص جاء متأخراً عن المرحلتين لما عرفت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يُجب شكوى الأصحاب من شدّه الحرّ والرمضاء، وراح هو وأصحابه يسجدون على الأرض متحمّلين الحرّ والأذى، ولكنّ البارى عزّ اسمه رخص لرفع الحرج السجود على الثياب لعذر وضروره، وإليك ما ورد في هذا المقام:

١- عن أنس بن مالك: كنّا إذا صلّينا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، طرح ثوبه ثم سجد عليه.

٢- وفي صحيح البخارى: كنّا نصلّى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضع أحدنا

[pagebreak](صفحه ٤٨٢)

ص: ٤٨٣

طرف الثوب من شدّه الحرّ. فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكن جبهته من الأرض، بسط ثوبه.

٣- وفي لفظ ثالث: كنّا إذا صلّينا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضع أحدنا طرف الثوب من شدّه الحرّ مكان السجود <meta info="صحيح البخارى: ١ / ١٠١؛ صحيح مسلم: ٢ / ١٠٩؛ مسند أحمد: ١ / ١٠٠؛ السنن الكبرى: ٢ / ١٠٦. " <type="ref" class="ref">[١]</meta .

وهذه الروايه التى نقلها أصحاب الصحاح والمسانيد تكشف حقيقه بعض ما روى فى ذلك المجال الظاهر فى جواز السجود على الثياب فى حاله الاختيار أيضاً.

وذلك لأنّ روايه أنس نصّ في أنّهم كانوا يفعلون ذلك حاله الضروره، فتكون قرينه على المراد من هذه المطلقات، وإليك بعض ما روى في هذا المجال:

١- عبد الله بن محرز عن أبي هريره: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلّي على كور عمامته `<meta info="كنز العمال: ٨ / ١٣٠ برقم ٢٢٢٣٨. ٣. سنن البيهقي: ٢ / ١٠٦. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " .`

إنّ هذه الروايه مع أنّها معارضه لما مرّ من نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم عن السجود عليه، محموله على العذر والضروره، وقد صرّح بذلك الشيخ البيهقي في سننه، حيث قال: قال الشيخ: «وأما ما روى في ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم من السجود على كور العمامه فلا يثبت شيء من ذلك، وأصحّ ما روى في ذلك قول الحسن البصري حكاية عن أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم (٣).

! [pagebreak] (صفحه ٤٨٣)

ص: ٤٨٤

وقد روى عن ابن راشد قال: رأيت مكحولاً يسجد على عمامته فقلت: لِمَ تسجد عليها؟ قال: أتقى البرد على أسناني `<meta info="المصنف لعبد الرزاق: ١ / ٤٠٠، كما في سيرتنا وسنّتنا، فصل السجده على التربه: ٩٣. <type="ref" class="ref">[١]</meta .`

٢- ما روى عن أنس: كُنّا نصلّي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيسجد أحدنا على ثوبه `<meta info="السنن الكبرى: ٢ / ١٠٦، باب من بسط ثوباً فسجد عليه. <type="ref" class="ref">[٢]</meta .`

والروايه محموله على صورته العذر بقرينه ما رويناها عنه، وبما رواه عنه البخاري: كُنّا نصلّي مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في شدّه الحرّ، فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن وجهه من الأرض بسط

ثوبه فسجد عليه <meta info=" صحیح البخاری: ٢ / ٦٤، كتاب الصلاة، باب بسط الثوب في الصلاة للسجود. " </meta >[٣] <ref" class="ref" type="ref" .

ويؤيده ما رواه النسائي أيضاً: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالظُّهَائِرِ سَجَدْنَا عَلَى ثِيَابِنَا اتِّقَاءَ الْحَرِّ <meta info=" جامع الأصول: ٥ / ٤٦٨ برقم ٣٦٦٠. " </meta >[٤] <ref" class="ref" type="ref" .

وهناك روايات قاصره الدلالة حيث لا تدلُّ إلَّا على أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَلَّى عَلَى الْفُرُوجِ، وَأَمَّا أَنَّهُ سَجَدَ عَلَيْهِ فَلَا دَلَالَةَ لَهَا عَلَيْهِ.

٣- عن المغيرة بن شعبه: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي على الحصى والفرو المدبوغه <meta info=" سنن أبي داود: باب ما جاء في الصلاة على الخمره برقم ٣٣١. " </meta >[٥] <ref" class="ref" type="ref" . والروايه مع كونها ضعيفه بيونس بن الحرث، لا تقاوم هي وما في معناها ما سردناه من الروايات في المرحلتين الماضيتين.

! [pagebreak] (صفحة ٤٨٤)

ص: ٤٨٥

حصيلة البحث:

إنَّ المتأمل في الروايات يجد وبدون لبس أنَّ قضيه السجود في الصلاة مرت بمرحلتين أو ثلاث مراحل، ففي المرحلة الأولى كان الفرض السجود على الأرض ولم يرخص للمسلمين السجود على غيرها، وفي الثانية جاء الترخيص فيما تنبت الأرض، وليست وراء هاتين المرحلتين مرحلة أخرى إلَّا جواز السجود على الثياب لعذر وضروره، فما يظهر من بعض الروايات من جواز السجود على الفرو وأمثاله مطلقاً فمحموله على الضروره، أو لا دلالة لها على السجود عليها، بل غايتها الصلاة عليها.

ومن هنا يظهر بوضوح أنَّ ما التزمت به الشيعة هو عين ما جاءت به السنه النبويه، ولم تنحرف عنه قيد أنمله، ولعلَّ الفقهاء أدرى بذلك من غيرهم، لأنهم الامناء على الرساله والأدلاء في طريق الشريعة، ونحن ندعو إلى

قليل من التأمل لإحقاق الحقّ وتجاوز البدع.

ما هو السرّ في اتّخاذ تربه طاهره؟

بقي هنا سؤال يطرحه كثيراً إخواننا أهل السنّه حول سبب اتّخاذ الشيعة تربه طاهره في السفر والحضر والسجود عليها دون غيرها. وربّما يتخيّل البسطاء - كما ذكرنا سابقاً - أنّ الشيعة يسجدون لها لا عليها، ويعبدون الحجر والتربه، وذلك لأنّ هؤلاء المساكين لا يفرّقون بين السجود على التربه، والسجود لها.

[pagebreak](صفحة ٤٨٥)

ص: ٤٨٦

وعلى أيّ تقدير فالإجابة عنها واضحة، فإنّ المستحسن عند الشيعة هو اتّخاذ تربه طاهره طيبه ليتيقن من طهارتها، من أيّ أرض أخذت، ومن أيّ صقع من أرجاء العالم كانت، وهي كلّها في ذلك سواء.

وليس هذا الالتزام إلّامثل التزام المصلّي بطهاره جسده وملبسه ومصلاه، وأمّا سرّ الالتزام في اتّخاذ التربه هو أنّ الثقة بطهاره كلّ أرض يحلّ بها، ويتّخذها مسجداً، لا تتأتّى له في كلّ موضع من المواضع التي يرتادها المسلم في حلّه وترحاله، بل وأنّي له ذلك وهذه الأماكن ترتادها أصناف مختلفه من البشر، مسلمين كانوا أم غيرهم، ملتزمين بأصول الطهاره أم غير ذلك، وفي ذلك محنه كبيره تواجه المسلم في صلاته لا يجد مناصاً من أن يتخذ لنفسه تربه طاهره يطمئنّ بها وبطهارتها، يسجد عليها لدى صلاته حذراً من السجده على الرجاسه والنجاسه، والأوساخ التي لا- يتقرّب بها إلى الله قط ولا- تجوّز السنّه السجود عليها ولا يقبله العقل السليم، خصوصاً بعد ورود التأكيد التام البالغ في طهاره أعضاء المصلّي ولباسه والنهي عن الصلاه في مواطن منها:

المزبله، والمجزره، وقارعه الطريق، والحمام، ومواطن الإبل، بل والأمر بتطهير المساجد وتطيبها <meta info=" سیرتنا وستنا: ١٥٨ - ١٥٩ . <ref" class="ref">[١]</meta " .

وهذه القاعده كانت ثابتة عند السلف الصالح وإن غفل التاريخ عن نقلها، فقد روى: أنّ التابعي الفقيه مسروق بن الأجدع (المتوفّى عام

[pagebreak](صفحة ٤٨٦)

ص: ٤٨٧

كان يصحب في أسفاره لبنه من المدينة يسجد عليها. كما أخرجه بن أبي شيبه في كتابه «المصنّف»، باب من كان حمل في السفينه شيئاً يسجد عليه.

فأخرج بإسنادين أنّ مسروقاً كان إذا سافر حمل معه في السفينه لبنه يسجد بها <meta info=" " = meta info> المصنّف: ١٧٢ / ٢، دار الفكر - ١٤٠٩ هـ. <ref" class="ref">[١]</meta " .

إلى هنا تبين أنّ التزام الشيعة باتّخاذ التربة مسجداً ليس إلّالتسهيل الأمر للمصلّي في سفره وحضره خوفاً من أن لا يجد أرضاً طاهرةً أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربه طاهره لغايه التيمّم عليها.

وأما السرّ في التزام الشيعة استحباباً بالسجود على التربة الحسينيه فإنّ من الأغراض العاليه والمقاصد الساميه منها، أن يتذكّر المصلّي حين يضع جبهته على تلك التربة، تضحيه ذلك الإمام بنفسه وأهل بيته والصفوه من أصحابه في سبيل العقيده والمبدأ ومقارعه الجور والفساد.

ولمّا كان السجود أعظم أركان الصلاه، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد إلى ربّه حال سجوده» فيناسب أن يتذكّر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكيه، أولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحقّ، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنيا الزائفه، وزخارفها الزائله، ولعلّ هذا هو المقصود من أنّ السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر، فيكون حينئذ في

[pagebreak](صفحة ٤٨٧)

ص: ٤٨٨

السجود سر الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب <meta info=" " = meta info> الأرض والتربة الحسينيه: ٢٤. " type="ref" " . <ref" class="ref">[١]</meta

وقال العلامة الأميني: نحن نتخذ من تربه كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنه من تربه المدينة المنوره يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلفه الراشده، فقيه المدينة، ومعلم السنّه بها، وحاشاه من البدعه.

فليس في

ذلك أى حزازه وتعسف أو شىء يضاد نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّه الله وسنّه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

وليس اتّخاذ تربته كربلاء مسجداً لدى الشيعة من الفرض المحتّم، ولا من واجب الشرع والدين، ولا ممّا ألزمه المذهب، ولا يفرق أى أحد منهم منذ أوّل يومها بينها وبين غيرها من تراب جميع الأرض فى جواز السجود عليها خلاف ما يزعمه الجاهل بهم وبآرائهم، وإن هو عندهم إلّا استحسان عقلى ليس إلّا، واختيار لما هو الأولى بالسجود لدى العقل والمنطق والاعتبار فحسب كما سمعت، وكثير من رجال المذهب يتخذون معهم فى أسفارهم غير تربته كربلاء ممّا يصحّ السجود عليه كحصير طاهر نظيف يوثق بطهارته أو خمره مثله ويسجدون عليه فى صلواتهم <meta info="سیرتنا وسنّتنا: ١٦٦ - ١٦٧، طبعه النجف الأشرف." </meta >[٢] <ref="ref" type="ref" >.

هذا إمام إجمالى بهذه المسأله الفقهيّه والتفصيل موكول إلى محلّه، وقد أغنانا عن ذلك ما سطره أعلام العصر وأكابره، وأخص بالذکر منهم:

! [pagebreak] (صفحه ٤٨٨)

ص: ٤٨٩

١- المصلح الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٥-١٣٧٣ هـ) فى كتابه «الأرض والتربة الحسينيه».

٢- العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الأمينى مؤلف الغدير (١٣٢٠-١٣٩٠ هـ) فقد دوّن رساله فى هذا الموضوع طبعت فى آخر كتابه «سیرتنا وسنّتنا».

٣- «السجود على الأرض» للعلامة الشيخ على الأحمدي رحمه الله (١٣٤٥-١٤٢١ هـ) - فقد أجاد فى التتبع والتحقيق.

فما ذكرنا فى هذه المسأله اقتباس من أنوار علومهم. رحم الله الماضين من علمائنا وحفظ الله الباقيين منهم.

هذا ما وقفنا عليه من الأبحاث والتي أوردناها فى هذا المختصر.

! [pagebreak] (صفحه ٤٨٩)

ص: ٤٩٠

٨- الجلوس بعد رفع الرأس من السجده الثانيه

ذهب فقهاء الإماميه والشافعي على وجوب الجلوس على من رفع رأسه من السجده الثانيه قبل نهوضه إلى

الركعة التاليه، وذهب باقى الفقهاء كأبى حنيفه ومالك ومن عداهما إلى عدم الوجوب.

ولكن المروى فى صحيح البخارى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يجلس هذه الجلسة. <meta info=" " type="ref" class="ref">[١] </meta " البخارى: ٢٠٨ / ١ - ٢٠٩؛ سنن النسائى: ٢ / ٢٣٤.

٩- كيفية التشهد والتسليم

ومما اختلف فيه الفريقان هو صيغته التشهد فى الصلاه قال الشيخ:

والتشهد فريضه فى الصلاه، فمن تركه متعمداً فلا صلاه له- إلى أن قال: - وأقل ما يجزى الإنسان فى التشهد الشهادتان والصلاه على النبى محمد وآله الطيبين، فإن زاد على ذلك كان أفضل. <meta info=" " type="ref" class="ref">[٢] </meta

[pagebreak](صفحه ٤٩٠)

ص: ٤٩١

وصوره التشهد الكامله عند فقهاء الإماميه هى: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد.

وأما صورته التسليم فهى: السلام عليك أيها النبى ورحمه الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

هذا ما لدى الشيعه وأما صورته التشهد عند أهل السنّه فهى عند أبى حنيفه تخالف ما عند مالك وكلاهما يخالف ما عند الشافعى.

قال أبو حنيفه: أفضل التشهد ما رواه عبد الله بن مسعود قال: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فَلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، وَلَكِنْ إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ الطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. <meta info=" " type="ref" class="ref">[١] ٢٦٨. ولاحظ صحيح

مسلم: ٣٠١ / ١؛ وسنن الترمذی: ٨١ / ٢؛ وسنن النسائی: ٢٤٠ / ٢؛ والهدایه: ٥١ / ١؛ والمبسوط: ٢٧ / ١؛ والمجموع: ٣ / ٤٥٦؛
والمحلی: ٣ / ٢٧٠. <type="ref" class="ref">[١]</meta " " <type="ref" class="ref"> وقال مالک: الأفضل ما روى عن عمر بن الخطاب أنه
علم الناس على المنبر التشهد فقال: قولوا: التحيات لله، الزاکیات لله، الصلوات لله، الطیبات لله، السلام علیک أيها النبی ورحمه
الله وبركاته، السلام علينا وعلى

[pagebreak](صفحة ٤٩١)

ص: ٤٩٢

عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. <meta info="=meta info" > الخلاف: ١ / ٢٦٨. ولاحظ موطأ
مالک: ١ / ٩ الحديث ٥٣؛ ونصب الرايه: ١ / ٤٢٢؛ والمحلی: ٣ / ٢٧٠. <type="ref" class="ref">[١]</meta " " <type="ref" class="ref"> وقال
الشافعي: أفضل التشهد ما رواه ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن، وكان
يقول: التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمه الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الخلاق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. <meta info="=meta info" > الخلاف: ١ / ٢٦٩. ولاحظ سنن ابن
ماجه: ١ / ٢٩١ حديث ٩٠٠؛ وسنن الترمذی: ٨٣ / ٢؛ وصحيح مسلم: ١ / ٣٠٢؛ والأم: ١ / ١١٧؛ والمجموع: ٣ / ٤٥٥؛ ومغنى
المحتاج: ١ / ١٧٤؛ والمحلی: ٣ / ٢٧٠؛ والمبسوط: ١ / ٢٧. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " " <type="ref" class="ref">

[pagebreak](صفحة ٤٩٢)

ص: ٤٩٣

١٠- الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً

إشاره

١. اتفقت كلمه الفقهاء على رجحان الجمع بين الصلاتين في عرفه والمزدلفه جمعاً حقيقياً، لا صورياً، قال القرطبي: أجمعوا على
أن الجمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر بعرفه وبين المغرب والعشاء بالمزدلفه أيضاً في وقت العشاء سنّه أيضاً، وإنما اختلفوا
في الجمع في غير هذين المكانين. <meta info="=meta info" > بدايه المجتهد: ١ / ١٧٠، تحت عنوان الفصل الثاني في الجمع. "
<type="ref" class="ref">[١]</meta " " <type="ref" class="ref"> ٢. ذهب

معظم فقهاء السنّه غير الحسن والنخعي وأبي حنيفه وصاحبيه إلى جواز الجمع بين الصلاتين في السفر، فيجوز عند الجمهور غير هؤلاء، الجمع بين الظهر والعصر تقديماً في وقت الأولى وتأخيراً في وقت الثانية، وبين المغرب والعشاء تقديماً وتأخيراً أيضاً، فالصلوات التي تجمع هي: الظهر والعصر، المغرب والعشاء في وقت إحداهما، ويسمى الجمع في وقت الصلاة الأولى جمع التقديم، والجمع في وقت الصلاة الثانية جمع التأخير.

٣. المشهور بين فقهاء السنّه جواز الجمع بين الصلاتين في الحضر

[pagebreak](صفحه ٤٩٣)

ص: ٤٩٤

لأجل الأعذار، كالمطر على اختلاف في مصاديق العذر، فبعضهم خصّه بالمطر، وبعض آخر عممه إلى الريح والمرض والظلمه. <meta info=" " بدايه المجتهد: ١ / ١٧٣. <type="ref" class="ref">[١]</meta " ونظيره الاختلاف في الصلوات التي تجمع، فبعضهم خصّ الجواز بالمغرب والعشاء والبعض الآخر عمّمه إلى الظهرين <meta info=" " المجموع: ٢٤ / ٢٦٠. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " .

والمهم في المقام هو الجمع في مقام رابع وهو الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً.

اتفقت الإماميه على أنه يجوز الجمع بين الصلاتين في الحضر اختياراً وإن كان التفريق أفضل.

يقول الشيخ الطوسي: يجوز الجمع بين الصلاتين، بين الظهر والعصر وبين المغرب وعشاء الآخرة، في السفر والحضر وعلى كلّ حال، ولا فرق بين أن يجمع بينهما في وقت الأوله منهما أو وقت الثانية، لأنّ الوقت مشترك بعد الزوال وبعد المغرب على ما بيناه. <meta info=" " الخلاف: ١ / ٥٨٨، المسأله ٣٥١. وسيوافيك ما بينه في أوقات الصلوات. <type="ref" " <class="ref">[٣]</meta إنّ الجمع بين الصلاتين على مذهب الإماميه ليس بمعنى إتيان الصلاة في غير وقتها الشرعي، بل المراد الإتيان في غير وقت الفضيله، وإليك تفصيل المذهب.

قالت الإماميه - تبعاً للنصوص الواردة عن أئمّه أهل البيت عليهم السلام - إنه

[pagebreak](صفحه ٤٩٤)

ص: ٤٩٥

إذا زالت الشمس دخل الوقتان - أي

وقت الظهر والعصر- إلماً أنّ صلاة الظهر يُؤتى بها قبل العصر، وعلى ذلك فالوقت بين الظهر والغروب وقت مشترك بين الصلاتين، غير أنّه يختص بمقدار أربع ركعات من الزوال بالظهر ومقدار أربع ركعات من الآخر للعصر وما بينهما وقت مشترك، فلو صلّى الظهر والعصر في أى جزء من بين الزوال والغروب فقد أتى بهما في وقتها، وذلك لأنّ الوقت مشترك بينهما، غير أنّه يختص بالظهر مقدار أربع ركعات من أوّل الوقت ولا يصحّ فيه العصر ويختص بالعصر بمقدار أربع ركعات من آخر الوقت ولا يصحّ إتيان الظهر فيه.

هذا هو واقع المذهب، ولأجل ذلك فالجامع بين الصلاتين في غير الوقت المختص به آت بالفريضة في وقتها فصلاته أداء لا قضاءً.

ومع ذلك فلكلّ من الصلاتين- وراء وقت الاجزاء- وقت فضيله.

فوقت فضيله الظهر من الزوال إلى بلوغ ظل الشاخص الحادث بعد الانعدام أو بعد الانتهاء مثله، ووقت فضيله العصر من المثل إلى المثليين عند المشهور.

وبذلك يعلم وقت المغرب والعشاء، فإذا غربت الشمس دخل الوقتان إلى نصف الليل، ويختص المغرب بأوله بمقدار أدائه والعشاء بآخره كذلك وما بينهما وقت مشترك، ومع ذلك أنّ لكلّ من الصلاتين وقت فضيله، فوقت فضيله صلاة المغرب من المغرب إلى ذهاب الشفق

[pagebreak](صفحه ٤٩٥)

ص: ٤٩٦

وهي الحمرة المغربيه، ووقت فضيله العشاء من ذهاب الشفق إلى ثلث الليل. <meta info="> لاحظ العروه الوثقى: ١٧١، فصل في أوقات اليوميه. " </meta> [١] <type="ref" class="ref"> وأكثر من يستغرب جمع الشيعة الإماميه بين الصلاتين لأجل أنّه يتصور أنّ الجامع يصلّى إحدى الصلاتين في غير وقتها، ولكنّه غرب عن باله أنّه يأتي بالصلاه في غير وقت الفضيله ولكنّه يأتي بها في وقت الاجزاء، ولا غرو أن يكون للصلاه أوقاتاً ثلاثه.

أ. وقت الاختصاص كما في أربع

ركعات من أول الوقت وآخره، أو ثلاث ركعات بعد المغرب وأربع ركعات قبل نصف الليل.

ب. وقت الفضيله، وقد عرفت تفصيله في الظهرين والعشائين.

ج. وقت الإجزاء، وهو مطلق ما بين الحدّين إلّا ما يختصّ بإحدى الصلاتين، فيكون وقت الإجزاء أعمّ من وقت الفضيله وخارجه.

وقد تضافرت الروايات عن أئمة أهل البيت أنّه إذا زالت الشمس دخل الوقتان إلّا أنّ هذه قبل هذه.

وروى الصدوق بإسناده عن زراره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إذا زالت الشمس دخل الوقتان: الظهر والعصر، وإذا غابت الشمس دخل الوقتان:

المغرب والعشاء الآخرة». [\[meta info\]](#) = "الفقيه: ١ / ١٤٠، وأورده أيضاً في الحديث ١ من الباب ١٧ من هذه الأبواب. " [\[٢\]](#) <type="ref" class="ref"> وروى الشيخ الطوسي بإسناده عن عبيد بن زراره قال: سألت أبا عبد

[pagebreak](صفحة ٤٩٦)

ص: ٤٩٧

اللّه عليه السلام عن وقت الظهر والعصر؟ فقال: «إذا زالت الشمس دخل وقت الظهر والعصر، إلّا أنّ هذه قبل هذه ثم أنت في وقت [\[١\]](#) <type="ref" class="ref"> منها جميعاً حتى تغيب الشمس». [\[meta info\]](#) = "التهديب: ٢ / ٢٦. [\[١\]](#) <type="ref" class="ref"> والروايات بهذا المضمون متوافره اقتصرنا على هذا المقدار.

فإذا كانت الصلوات تتمتع بأوقات ثلاثه كما بيّناه يتبين أنّ الجمع ليس بأمر مشكل وإنّما يفوت به فضيله الوقت لا أصل الوقت، ولأجل ذلك ورد عن أئمة أهل البيت أنّ التفريق أفضل من الجمع، فنذكر في المقام بعض ما يصرح بجواز الجمع تيمناً وتبرّكاً، وإلّا فالمسألة من ضروريات الفقه الإمامي.

١. روى الصدوق بإسناده عن عبد الله بن سنان، عن الصادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علّة بأذان واحد وإقامتين». [\[meta info\]](#) = "الفقيه: ١ / ١٨٦ برقم ٨٨٦."

٢ <meta class="ref" type="ref">[٢] وروى أيضاً بإسناده عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير عله ولا سبب، فقال له عمر- وكان أجراً القوم عليه-: أحدث في الصلاة شيء؟»

قال: لا- ولكن أردت أن أوسع على أمتي». <meta info="عَلل الشرائع: ٣٢١، الباب ١١. type="ref" >[٣] </meta

! [pagebreak] (صفحة ٤٩٧)

ص: ٤٩٨

٣. أخرج الكليني بإسناده عن زراره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «صلى رسول الله بالناس الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعه من غير عله، وصلى بهم المغرب والعشاء الآخرة قبل سقوط الشفق من غير عله في جماعه، وإنما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليتسع الوقت على أمته». <meta info="الكافي: ٣ / ٢٨٦، الحديث ١. type="ref" >[١] </meta إلى غير ذلك من الروايات المتوفرة التي جمعها الشيخ الحر العاملي في وسائل الشيعة. <meta info="الوسائل: ٤ / ٢٢٠ - ٢٢٣، الباب ٣٢ من أبواب المواقيت. type="ref" class="ref">[٢] </meta << إلى هنا تبين نظريه الشيعة في الجمع بين الصلاتين.

*** التنوع في الوقت في فقه السنه

وربما يتصور من لا- خبره له أن هذا التنوع في الوقت من خصائص الفقه الإمامي، فإن تنوع الوقت إلى أوقات ثلاثه يوجد في كلا الفقهاء وإن كان بينهما اختلاف في الكمية.

قال النووي في شرح المهذب: فرع: للظهر ثلاثه أوقات: وقت فضيله، ووقت اختيار، ووقت عذر؛ فوقت الفضيله أوله، ووقت الاختيار ما بعد وقت الفضيله، إلى آخر الوقت، ووقت العذر وقت العصر في حق من يجمع بسفر أو مطر.

! [pagebreak] (صفحة ٤٩٨)

ص: ٤٩٩

ثم قال: وقال القاضي حسين: لها أربعة أوقات: وقت فضيله، ووقت اختيار، ووقت جواز، ووقت عذر؛ فوقت الفضيله

إذا صار ظل الشىء مثل ربه، والاختيار إذا صار مثل نصفه، والجواز إذا صار ظله مثله وهو آخر الوقت، والعذر وقت العصر لمن جمع بسفر أو مطر. <meta info="المجموع: ٢٧ / ٣." [١]>

من يوافق الإماميه بعض الموافقه

كما أنّ هناك من يقول ببعض ما ذهب إليه الإماميه، نقله النووى وقال: قال عطاء وطاووس: إذا صار ظل الشىء مثله دخل وقت العصر وما بعده وقت للظهر والعصر على سبيل الاشتراك حتى تغرب الشمس.

فهذا القول يخص صيروره ظل الشىء مثله للظهر، ثم يجعل الباقي مشتركاً بينهما حتى تغرب الشمس، وهو قريب ممّا ذهب إليه الإماميه.

وقال مالك: إذا صار ظله فهو آخر وقت الظهر وأول وقت العصر بالاشتراك، فإذا زاد على المثل زياده بيّنه خرج وقت الظهر. <meta info="المجموع: ٢٤ / ٣." [٢]> وهذا القول يجعل قسماً من الوقت - أعنى: بعد صيروره الظل مثله - إلى زياده الظل عنه زياده بيّنه وقتاً مشتركاً بين الظهر والعصر.

ثمّ نقل عنه أيضاً أنّ وقت الظهر يمتد إلى غروب الشمس. <meta info="المجموع: ٢٧ / ٣." type="ref" [٣]> إلى غير ذلك من الأقوال التي فيها نوع موافقه للفقّه الإمامي.

[pagebreak](صفحه ٤٩٩)

ص: ٥٠٠

من يوافق الإماميه تمام الموافقه من السنّه

والجمع بين الصلاتين اختياراً وإن كان من ضروريات الفقّه الإمامي، وليست الإماميه متفرده فيه بل وافقهم لفيق من فقهاء السنّه.

قال ابن رشد: وأما الجمع في الحضر لغير عذر فإن مالكا وأكثر الفقهاء لا يجيزونه، وأجاز ذلك جماعه من أهل الظاهر، وأشهب من أصحاب مالك.

وسبب اختلافهم، اختلافهم في مفهوم حديث ابن عباس، فمنهم من تأوله على أنه كان من سفر.

ومنهم من أخذ بعمومه مطلقاً، وقد خرج مسلم زياده في حديثه وهو قوله: من غير خوف ولا سفر ولا مطر، وبهذا تمسك أهل الظاهر. <meta info="بدايه المجتهد: ٣٧٤ / ٢، الطبعه المحققه." [١]> قال

النووى: فرع في مذاهبهم من الجمع بلا خوف ولا سفر ولا مطر ولا مرض، مذهبنا (الشافعي) ومذهب أبي حنيفة ومالك

وأحمد والجمهور أنه لا يجوز، وحكى ابن المنذر عن طائفة جوازه بلا سبب، قال:

وَجَوَّزَهُ ابْنُ سِيرِينَ لِحَاجِهِ أَوْ مَا لَمْ يَتَّخِذْهُ عَادَةً. <meta info="المجموع: ٢٦٤ / ٤"> [٢] type="ref" class="ref"> </meta> وعلى كل تقدير فالمهم هو الدليل لا الأقوال، فإن وافقت الدليل فهو، وإلا فالمرجع هو الدليل.

[pagebreak](صفحة ٥٠٠)

ص: ٥٠١

الكتاب والجمع بين الصلاتين

قال سبحانه: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسُ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا». <meta info="الإسراء: ٧٨"> [١] type="ref" class="ref"> </meta>

إن الآيه متكفله لبيان أوقات الصلوات الخمسه، فلو قلنا بأن المراد من غسق الليل هو انتصافه، فيكون ما بين الدلوك وغسق الليل أوقاتاً للصلوات الأربع، غير أن الدليل دلّ على خروج وقت الظهرين بغروب الشمس، فيكون ما بين الدلوك والغروب وقتاً مشتركاً للظهرين كما يكون ما بين الغروب وغسق الليل وقتاً مشتركاً للمغرب والعشاء.

وربما يفسر الغسق بغروب الشمس، فعندئذ تتكفل الآيه لبيان وقت الظهرين وصلاحه الفجر دون المغرب والعشاء، والمعروف هو التفسير الأول.

قال الطبرسي: وفي الآيه دلالة على أن وقت صلاحه الظهر موسّع إلى آخر النهار، لأن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال إلى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع إلا أن الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى الغروب، والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب إلى الغسق وأفرد صلاحه الفجر بالذكر في قوله: «وقرآن الفجر» ففي الآيه بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان أوقاتها. <meta info="مجمع البيان: ٣ / ٤٣٤"> [٢] type="ref" class="ref"> </meta>

[pagebreak](صفحة ٥٠١)

ص: ٥٠٢

وما ذكرناه هو الذي نصّ عليه الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِتُدْلُوكَ الشَّمْسُ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ»، أربع صلوات سماهن الله وبينهن ووقتهن، وغسق الليل هو

انتصافه، ثم قال تبارك وتعالى: «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» فهذه الخامسة». <meta info=" نور الثقلين: ٣ / ٣٧٠، الحديث ٣٧٠. " [١] </meta " type="ref" class="ref"> وقال الصادق عليه السلام: «منها صلاتان أول وقتها من زوال الشمس إلا أن هذه قبل هذه، ومنها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا أن هذه قبل هذه». <meta info=" نور الثقلين: ٣ / ٢٠٢، الحديث ٣٧٧. " [٢] </meta " type="ref" class="ref"> وقال القرطبي: وقد ذهب قوم إلى أن صلاة الظهر يتمادى وقتها من الزوال إلى الغروب، لأن الله سبحانه علّق وجوبها على الدلوك وهذا دلوك كله؛ قاله الأوزاعي وأبو حنيفة في تفصيل، وأشار إليه مالك والشافعي في حاله الضرورة. <meta info=" الجامع لأحكام القرآن: ١ / ٣٠٤. " [٣] </meta " type="ref" class="ref"> وقال الرازي: إن فسرنا الغسق بظهور أول الظلمة - وحكاة عن ابن عباس وعطاء والنضر بن شميل - كان الغسق عبارة عن أول المغرب، وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثه أوقات: وقت الزوال، ووقت أول المغرب، ووقت الفجر.

[pagebreak](صفحة ٥٠٢)

ص: ٥٠٣

قال: وهذا يقتضى أن يكون الزوال وقتاً للظهر والعصر فيكون هذا الوقت مشتركاً بين هاتين الصلاتين، وأن يكون أول المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون هذا الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين، فهذا يقتضى جواز الجمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء مطلقاً، إلا أنه دلّ الدليل على أن الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز، فوجب أن يكون الجمع جائزاً لعذر السفر وعند المطر وغيره. <meta info=" التفسير الكبير: ٢١ / ٢٧. " [١] </meta " type="ref" class="ref"> وما حَقَّقَه الرازي في المقام، حقّ ليس وراءه شىء، لكن عدوله عنه، بحجّه «أنّ الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز لوجود الدليل» رجم بالغيب، إذ أى دليل

قام على عدم الجواز بلا عذر، فهل الدليل هو الكتاب؟

والكتاب حسب تحقيقه يدل على الجواز، أو السنّة وسيافيك تضافر النصوص على الجواز، أو الإجماع فليس عدم الجواز موضع إجماع، وقد عرفت القول بالجواز أيضاً من أهل السنّة، مضافاً إلى إطباق أئمّه أهل البيت عليهم السلام على الجواز؛ وليس وراء الكتاب والسنّة والإجماع حجّه، كما ليس وراء عبادان قريه. <meta info=" " وكم للإمام الرازي من مواقف مشرقه فى تحقيق ما هو الحقّ، الذى هو الأحقّ بالاتباع لكنّه عدل عنه لوجوه واهيه. لاحظ ما حقّقه حول مسح الرجلين فى تفسير قوله سبحانه: « وَأَمْسِيحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ »، وما ذكره حول المراد من قوله « وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ » فى تفسير قوله تعالى: « وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ » وغيرهما. </meta " [٢]>

[pagebreak](صفحة ٥٠٣)

ص: ٥٠٤

السنّة والجمع بين الصلاتين فى الحضر اختياراً

قد تضافت الروايات عن الصادق بالحق على جواز الجمع بين الصلاتين فى الحضر اختياراً رواها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد، فلنقدم ما رواه مسلم بالسند والتمن ثم نذكر ما نقله غيره.

١. حدّثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك، عن الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً فى غير خوف ولا سفر.

٢. وحدّثنا أحمد بن يونس وعون بن سلام جميعاً عن زهير، قال ابن يونس: حدّثنا زهير، حدّثنا أبو الزبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً بالمدينة فى غير خوف ولا سفر. قال أبو الزبير: فسألت سعيداً: لم فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عباس كما سألتنى فقال: أراد أن لا يخرج أحداً

من أُمَّته.

٣. وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالاً: حدثنا أبو معاوية؛ وحدثنا أبو كريب وأبو سعيد الأشج - واللفظ لأبي كريب - قالاً: حدثنا وكيع كلاهما عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا - مطر «في حديث وكيع» قال: قلت لابن عباس:

لِمَ فعل ذلك؟ قال: كي لا يُحرج أُمَّته. وفي حديث أبي معاوية قيل لابن عباس: ما أراد إلى ذلك؟ قال: أراد أن لا يحرج أُمَّته.

! [pagebreak] (صفحة ٥٠٤)

ص: ٥٠٥

٤. وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا سفيان بن عيينه، عن عمرو، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: صلّيت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً، قلت: يا أبا الشعثاء أظنه آخر الظهر وعجل العصر وآخر المغرب وعجل العشاء، قال: وأنا أظن ذاك. <meta info=" فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة بقريته الحديث الخامس. " </meta [١] <type="ref" class="ref"> ما ظنه - لو رجع إلى الجمع الصوري - ظن بلا - دليل وهو لا يغنى من الحق شيئاً، وهو مخالف لما تضافرت من أسناد ابن عباس.

٥. حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً <meta info=" لف ونشر غير مرتب، والمرتب منه: ثمانياً وسبعاً. " </meta [٢] <type="ref" class="ref"> الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

٦. وحدثني أبو الربيع الزهراني، حدثنا حماد، عن الزبير بن الخريت، عن عبد الله بن شقيق

قال: خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم، وجعل الناس يقولون: الصلاة الصلاة، قال: فجاءه رجل من بنى تميم لا يفتر ولا ينثنى: الصلاة الصلاة، فقال ابن عباس:

أتعلمنى بالسنة لا أم لك، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء. قال عبد الله بن شقيق: فحاك في صدري من ذلك شيء فأتيت أبا هريره فسألته، فصدق مقالته.

٧. وحدثنا ابن أبي عمر، حدثنا وكيع، حدثنا عمران بن حدير، عن

! [pagebreak] (صفحة ٥٠٥)

ص: ٥٠٦

عبد الله بن شقيق العقيلي قال: قال رجل لابن عباس: الصلاة، فسكت؛ ثم قال: الصلاة، فسكت؛ ثم قال: الصلاة، فسكت، ثم قال: لا أم لك أتعلمنا بالصلاة وكنا نجمع بين الصلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. <meta info=" شرح صحيح مسلم للنووي: ٥/٢١٣-٢١٨، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر. ومع أن العنوان خاص بالحضر نقل فيه ثلاث روايات جاء فيها الجمع بين الصلاتين في السفر تركنا نقلها، ولعله نقلها في هذا الباب إيعازاً بأن كيفية الجمع في الحضر مثلها في السفر كما سيوافيك بيانه. " <meta [1] <type="ref" class="ref"> هذا ما نقله مسلم في صحيحه، وإليك ما نقله غيره.

٨. أخرج البخاري عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى بالمدينة سبعاً وثمانياً: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، فقال أيوب: لعله في ليله مطيره؟ قال: عسى. <meta info=" صحيح البخاري: ١/١١٠، باب تأخير الظهر إلى العصر من كتاب الصلاة. " ٩ <meta [2] <type="ref" class="ref"> أخرج البخاري عن جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: صلى النبي صلى الله عليه وآله و

سلم سبعاً جميعاً وثمانياً جميعاً. <meta info=" صحیح البخاری: ۱/۱۱۳، باب وقت المغرب من كتاب الصلاة. " type="ref" class="ref">[۳]</meta> ۱۰

صلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم المغرب والعشاء. <meta info=" صحیح البخاری: ۱/۱۱۳، باب ذكر العشاء والعتمة. " type="ref" class="ref">[۴]</meta> ۱۱

الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بالمدينة من غير

! [pagebreak](صفحة ۵۰۶)

ص: ۵۰۷

خوف ولا مطر، قال: فقيل لابن عباس: ما أراد بذلك؟ قال: أراد أن لا يجرح أُمَّته.

قال الترمذی بعد نقل الحديث: حديث ابن عباس قد روى عنه من غير وجه، رواه جابر بن زيد وسعيد بن جبیر وعبد الله بن شقيق العقيلي. <meta info=" سنن الترمذی: ۱/۳۵۴، رقم الحديث ۱۸۷، باب ما جاء في الجمع في الحضر. ثم إنَّ محقق الكتاب أشار في الهامش إلى الوجوه التي روى بها هذا الحديث عن ابن عباس فلاحظ. " type="ref" class="ref">[۱]</meta> ۱۲

أخرج الإمام أحمد عن قتاده قال: سمعت جابر بن زيد، عن ابن عباس قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة في غير خوف ولا مطر، قيل لابن عباس: وما أراد لغير ذلك؟ قال:

أراد ألا يجرح أُمَّته. <meta info=" مسند أحمد: ۱/۲۲۳. " type="ref" class="ref">[۲]</meta> ۱۳

الإمام أحمد عن سفيان، قال عمر: وأخبرني جابر بن زيد أنه سمع ابن عباس يقول: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً، قلت له: يا أبا الشعثاء أظنّه

آخر الظهر وعجل العصر، وآخر المغرب وعجل العشاء، قال: وأظن ذلك. **<meta info="مسند أحمد: ١ / ٢٢١ وما ظنه ان أراد به الجمع الصوري، فهو ليس بحجّه حتى للظان، والظن لا- يغنى عن الحقّ شيئاً." [٣]>** **<ref" class="ref" type="ref">** ١٤ **</meta>**. أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن شقيق، قال: خطبنا ابن عباس يوماً بعد العصر حتى غربت الشمس وبدت النجوم وعلق الناس ينادونه

[pagebreak](صفحة ٥٠٧)

ص: ٥٠٨

الصلاة وفي القوم رجل من بني تميم فجعل يقول: الصلاة الصلاة، فغضب، قال: أتعلّمني بالسنة شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قال عبد الله: فوجدت في نفسي من ذلك شيئاً فلقيت أبا هريره فسألته فوافقه. **<meta info="مسند أحمد: ١ / ٢٥١." [١]>** **<ref" class="ref" type="ref">** ١٥ **</meta>**. أخرج مالك عن سعيد بن جبیر، عن عبد الله بن عباس أنه قال:

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر. **<meta info="موطأ مالك: ١ / ١٤٤، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر، الحديث ٤." [٣]>** **<ref" class="ref" type="ref">** ١٦ **</meta>**. أخرج أبو داود عن سعيد بن جبیر، عن عبد الله بن عباس، قال:

صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً في غير خوف ولا سفر.

قال مالك: أرى ذلك كان في مطر. **<meta info="سنن أبي داود: ٢ / ٦، الحديث ١٢١٠، باب الجمع بين الصلاتين. وسيوافيك الكلام في تفسير مالك للحديث." [٣]>** **<ref" class="ref" type="ref">** ١٧ **</meta>**. أخرج أبو داود عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، قال: صلى بنا رسول الله بالمدينة ثمانياً وسبعاً الظهر والعصر، والمغرب والعشاء.

قال أبو داود:

ورواه صالح مولى التوأمة، عن ابن عباس قال: فى غير مطر. <meta info="=meta info"> المصدر السابق، الحديث ١٢١٤. "

<type="ref" class="ref">[٤]</meta

[pagebreak](صفحة ٥٠٨)

ص: ٥٠٩

١٨. أخرج النسائى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظهر والعصر جميعاً والمغرب والعشاء جميعاً من غير خوف ولا سفر. <meta info="=meta info"> سنن النسائى: ١ / ٢٩٠، باب الجمع بين الصلاتين فى الحضر. " ١٩ <type="ref" class="ref">[١]</meta> أخرج النسائى عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلّى بالمدينة يجمع بين الصلاتين بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء من غير خوف ولا مطر، قيل له: إثم؟ قال: لئلا يكون على أمته حرج. <meta info="=meta info"> نفس المصدر. " [٢] <type="ref" class="ref">[٢]</meta> ٢٠. أخرج النسائى عن أبى الشعثاء، عن ابن عباس قال: صلّيت وراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً. <meta info="=meta info"> نفس المصدر. " ٢١ <type="ref" class="ref">[٣]</meta> أخرج النسائى عن جابر بن زيد، عن ابن عباس أنّه صلّى بالبصرة الأولى والعصر ليس بينهما شىء، والمغرب والعشاء ليس بينهما شىء فعل ذلك من شغل، وزعم ابن عباس أنّه صلّى مع رسول الله بالمدينة، الأولى والعصر ثمان سجّدت ليس بينهما شىء. <meta info="=meta info"> سنن النسائى: ١ / ٢٨٦، باب الوقت الذى يجمع فيه المقيم والمراد من ثمان سجّدت ثمان ركعات. " ٢٢ <type="ref" class="ref">[٤]</meta> أخرج الحافظ عبد الرزاق عن داود بن قيس، عن صالح مولى التوأمة أنّه سمع ابن عباس يقول: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر

[pagebreak](صفحة ٥٠٩)

ص: ٥١٠

والعصر، والمغرب والعشاء بالمدينة فى غير سفر ولا

مطر، قال: قلت لابن عباس: لم تراه فعل ذلك؟ قال: أراه للتوسعه على أمته. <meta info="مصنف عبد الرزاق: ٥٥٥ / ٢-٥٥٥> [١] type="ref" class="ref"> ٢٣. الحديث ٤٤٣٤. " ٢٣ </meta> [١] type="ref" class="ref"> أخرج عبد الرزاق عن ابن عباس قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر، بالمدينة في غير سفر ولا خوف، قال: قلت لابن عباس:

ولم تراه فعل ذلك؟ قال: أراد أن لا يخرج أحداً من أمته. <meta info="مصنف عبد الرزاق: ٥٥٥ / ٢-٥٥٥> [٢] type="ref" class="ref"> ٢٤. الحديث ٤٤٣٥. " ٢٤ </meta> [٢] type="ref" class="ref"> أخرج عبد الرزاق عن عمرو بن دينار أن أبا الشعثاء أخبره أن ابن عباس أخبره، قال: صليت وراء رسول الله ثمانياً جميعاً وسبعاً جميعاً بالمدينة، قال ابن جريج، فقلت لأبي الشعثاء: أتى لأظن النبي آخر من الظهر قليلاً وقدم من العصر قليلاً، قال أبو الشعثاء: وأنا أظن ذلك. <meta info="مصنف عبد الرزاق: ٥٥٥ / ٢-٥٥٥> [٣] type="ref" class="ref"> ٢٥. الحديث ٤٤٣٦. " ٢٥ </meta> [٣] type="ref" class="ref"> قلت: ما ظن ابن جريج وصدقه أبو الشعثاء ظن لا يغنى من الحق شيئاً، وحاصله: أن الجمع كان صورياً لا حقيقياً. وسيوافيك ضعف هذا الحمل وأن الجمع الصوري يوجب الإحراج أكثر من التفريق، فإن معرفه أواخر الوقت من الصلاة الأولى وأوائله من الصلاة الثانية أشكل من الجمع.

٢٥. أخرج عبد الرزاق عن عمرو بن شعيب، عن عبد الله بن عمر قال: جمع لنا رسول الله مقيماً غير مسافر بين الظهر والعصر فقال رجل

[pagebreak](صفحة ٥١٠)

ص: ٥١١

لابن عمر: لم ترى النبي فعل ذلك؟ قال: لأن لا يُخرج أمته إن جمع رجل. <meta info="مصنف عبد الرزاق: ٥٥٥ / ٢-٥٥٥> [١] type="ref" class="ref"> ٢٦. الحديث ٤٤٣٧. " ٢٦ </meta> [١] type="ref" class="ref"> أخرج الطحاوي في «معاني الآثار» بسنده عن جابر بن عبد الله قال:

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء في المدينة للرخص من غير خوف ولا- عله. <meta info="معانى الآثار: ١ / ١٦١. " ٢٧ >[٢]</meta> type="ref" class="ref"> أخرج الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (المتوفى عام ٤٣٠هـ) عن جابر بن زيد أنّ ابن عباس جمع بين الظهر والعصر، وزعم أنّه صلّى مع رسول الله بالمدينة الظهر والعصر. <meta info="حليه الأولياء: ٣ / ٩٠، باب جابر بن زيد. " type="ref" " ٢٨ >[٣]</meta> class="ref"> أخرج أبو نعيم عن عمرو بن دينار قال: سمعت أبا الشعثاء يقول: قال ابن عباس (رض): صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانى ركعات جميعاً وسبع ركعات جميعاً من غير مرض ولا- عله. <meta info="حليه الأولياء: ٣ / ٩٠، باب جابر بن زيد. " type="ref" class="ref">[٤]</meta> ٢٩ " أخرج البزار في مسنده عن أبي هريره قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الصلاتين في المدينة من غير خوف. <meta info="مسند البزار: ١ / ٢٨٣، الحديث رقم ٤٢١. " type="ref" class="ref">[٥]</meta> ٣٠ " أخرج الطبراني في الأوسط والكبير بسنده عن عبد الله بن

[pagebreak](صفحة ٥١١)

ص: ٥١٢

مسعود قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يعنى بالمدينة - بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فقيل له فى ذلك، فقال: صنعت ذلك لئلا تحرج أميتى. <meta info="المعجم الكبير: ١٠ / ٢٦٩، الحديث ١٠٥٢٥. " type="ref" " >[١]</meta> <class="ref"> هذه ثلاثون حديثاً جمعناها من الصحاح والسنن والمسانيد، وبسطنا الكلام فى النقل، ليقف القارئ على أنّها أحاديث اعتنى بنقلها حفاظ المحدثين وأكابرهم، ولا يمكن لأحد أن يتناكرها أو يرفضها، وهناك روايات مبثوثة فى كتب الحديث أعرضنا

عن ذكرها لأجل الاختصار. <meta info=" لاحظ المعجم الأوسط: ٩٤/٢ وكنز العمال: ٢٤٦/٨ - ٢٥١، برقم ٢٢٧٦٤ و ٢٢٧٦٧ و ٢٢٧٧١، ٢٢٧٧٤، ٢٢٧٧٧، ٢٢٧٧٨. <type="ref" class="ref">[٢]</meta " وهذه الأسانيد المتوفرة تنتهي إلى الأشخاص التاليه أسماؤهم:

١. عبد الله بن عباس حبر الأمة.

٢. عبد الله بن عمر.

٣. أبو أيوب الأنصاري مضيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٤. أبو هريره الدوسي.

٥. جابر بن عبد الله الأنصاري. ٦. عبد الله بن مسعود.

[pagebreak](صفحة ٥١٢)

ص: ٥١٣

تبريرات لرفض الجمع بين الصلاتين

والروايات صريحه في أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جمع بالمدينه بين الصلاتين من غير خوف ولا مطر ولا عله، جمع لبيان جواز الجمع ومشروعيته لئلا يتوهم متوهم بأنّ التفريق فريضه لما كان صلى الله عليه وآله وسلم يستمر على التوقيت والإتيان في وقت الفضيله، ولكنه بعمله أثبت أنّ الجمع جائز وإن كان التوقيت أفضل.

ولما كان مضمون الروايات مخالفاً للمذاهب الفقهيه الرائجه حاول غير واحد من المحدثين وأهل الفتيا إخضاع الروايات إلى فتوى الأئمه مكان أخذها مقياساً لتمييز الحق عن الباطل، فترك كثير منهم العمل بهذه الروايات، غير أنّ لفيماً منهم عملوا بها وأفتوا على ضوئها، ذكر أسماءهم ابن رشد في «بدايه المجتهد» والنووي في «المجموع» على ما مرّ، ونخصّ عذراً من الأعذار التي التجأ إليها المخالف، وهو أنّ الجمع كان صورياً لا حقيقياً وسيتضح لك وجهه.

الجمع كان صورياً

إنّ غير واحد ممّن تعرض لحلّ هذه الأحاديث التجأ إلى أنّ الجمع لم يكن جمعاً حقيقياً كما في الجمع في السفر، بل كان جمعاً صورياً، بمعنى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم أّخر الظهر إلى حد بقي من وقتها مقدار أربع ركعات فصلّى

[pagebreak](صفحة ٥١٣)

ص: ٥١٤

الظهر ويأتياها دخل وقت العصر وصلّى العصر فكان جمعاً بين الصلاتين مع أنّ كلّ واحد من الصلاتين أتى بها في وقتها. وهذا هو الظاهر من غير واحد من شراح الحديث، وإليك كلماتهم.

١. قال النووي: ومنهم من تأوّل على تأخير الأولى إلى آخر وقتها فصلّاها فيه فلمّا فرغ منها دخلت الثانية فصلّاها فصارت صلاته صورته جمع.

ثمّ رده وقال: وهذا أيضاً ضعيف أو باطل، لأنّه مخالف للظاهر مخالفه لا تُحتمل، وفعل ابن عباس البدي ذكرناه حين خطب، واستدلّاه بالحديث لتصويب

فعله وتصديق أبي هريره له وعدم إنكاره، صريح في ردّ هذا التأويل. <meta info=" شرح صحيح مسلم: ٢٢٥ / ٥. " </meta [١]> [type="ref" class="ref"] وكان على النووي أن يرد عليه بما ذكرناه، وهو أنّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جمع بين الصلاتين بغيه رفع الحرج عن الأُمَّه، والجمع بالنحو المذكور أكثر حرجاً من التفريق.

قال ابن قدامه: إنّ الجمع رخصه، فلو كان على ما ذكره لكان أشدّ ضيقاً وأعظم حرجاً من الإتيان بكلّ صلاه في وقتها، لأنّ الإتيان بكلّ صلاه في وقتها أوسع من مراعاة طرفي الوقتين بحيث لا يبقى من وقت الأولى إلّا قدر فعلها.

[pagebreak](صفحه ٥١٤)

ص: ٥١٥

ثمّ لو كان الجمع هكذا، لجاز الجمع بين العصر و المغرب، والعشاء والصبح ولا خلاف بين الأُمَّه في تحريم ذلك والعمل بالخبر على الوجه السابق إلى الفهم منه أولى من هذا التكلّف. <meta info=" المغنى: ١١٣ / ٢ - ١١٤، ذكره في نقد كلام من حمل الجمع بين الصلاتين في السفر، ولما كان المناط واحداً نقلناه في المقام. " [١]> [type="ref" class="ref"] </meta << كما أنّ المقدسى في الشرح الكبير <meta info=" الشرح الكبير في ذيل المغنى: ١١٥ / ٢. " [type="ref" class="ref"] </meta > [٢]> [class="ref"] ردّ على هذا التأويل بنفس ما ذكره ابن قدامه، واللفظ في كلا-الكتابين واحد ولذلك اقتصرنا بلفظ ابن قدامه.

نعم أنّهما ردّا بما نقلناه عنهما على من فسّر جواز الجمع بين الصلاتين للمسافر بالجمع الصورى، ولما كان ملاك الجمع في كلا المقامين (المسافر والحاضر) واحداً، وهو رفع الحرج والمشقه عن الأُمَّه، وكان الجمع الصورى مُخرجاً على نحو أشد، أثبتنا كلامهما في المقام أيضاً.

ولأجل ما ذكرنا حمل الخطأبى الجمع في الروايه على الجمع الحقيقى دون الصورى، فقال:

ظاهر اسم «الجمع» عرفاً لا يقع على من

أخر الظهر حتى صلاها في آخر وقتها وعجل العصر فصلها في أول وقتها، لأن هذا قد صلى كل صلاة منهما في وقتها الخاص بها.

[pagebreak](صفحة ٥١٥)

ص: ٥١٦

قال: وإنما الجمع المعروف بينهما أن تكون الصلاتان معاً في وقت إحداهما، ألا ترى أن الجمع بعرفه بينهما ومزدلفه كذلك.
<meta info="معالم السنن: ٥٢ / ٢، ح ١١٦٣؛ عون المعبود: ١ / ٤٦٨. [١]>

نجز الكتاب بيد مؤلفه جعفر السبحاني عامله الله بلطفه وكرمه

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

٨ شعبان المعظم

١٤٢٦ هـ

[pagebreak](صفحة ٥١٦)

ص: ٥١٧

ه) دار التعارف، بيروت.

١٧. اقتضاء الصراط المستقيم: ابن تيميه (٦٦١-٧٢٨ هـ) دار المعرفه، بيروت.

١٨. إلهيات الشفاء: الشيخ الرئيس ابن سينا (المتوفى ٤٢٨ هـ) منشورات بیدار، إيران.

١٩. الأم: محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠-٢٠٤ هـ) دار المعرفه، بيروت-١٤٠٨ هـ.

٢٠. الأمالي: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣ هـ) قم-١٤٠٤ هـ.

٢١. الإمامه والسياسه: ابن قتيبه عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى ٢٧٦ هـ) مطبعه مصطفى محمد، مصر.

٢٢. إمتاع الأسماع: أحمد بن علي المقرئزي (المتوفى ٨٤٥ هـ) طبع القاهره.

٢٣. الانتصار: أبو الحسين الخياط المعتزلي، تحقيق د. ينج، طبع

[pagebreak](صفحه ٥٢١)

ص: ٥٢٢

مصر-١٣٤٤ هـ.

٢٤. أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري) مؤسسه الأعلمی، بيروت-١٣٩٤ هـ.

٢٥. الإنصاف في مسائل دام فيها الخلاف: جعفر السبجاني (مؤلف هذا الكتاب) مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسه-١٤٢٣ هـ.

٢٦. أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفى ٤١٣ هـ) مكتبه الحقيقه، تبريز-١٣٧١ هـ.

٢٧. الإيضاح: الفضل بن شاذان (المتوفى ٢٦٠ هـ) منشورات جامعه طهران، طهران-١٤٠٤ هـ.

٢٨. الإيقاظ من الهجعه: الحر العاملي محمد بن الحسن (المتوفى ١١٠٤ هـ) مؤسسه السيده المعصومه عليها السلام، قم-١٤٢٣ هـ.

حرف الباء

٢٩. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (المتوفى ١١١٠ هـ) مؤسسه الوفاء، بيروت-١٤٠٣ هـ.

٣٠. بدايه المجتهد: ابن رشد القرطبي محمد بن أحمد (٥٢٠-٥٩٥ هـ) دار المعرفه، بيروت-١٤٠٣ هـ.

٣١. البدايه والنهائيه: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (المتوفى ٧٧٤هـ)

[pagebreak](صفحه ٥٢٢)

ص: ٥٢٣

دار الفكر، بيروت - ١٤٠٢ هـ.

٣٢. البدعه، مفهومها، حدها وآثارها ومواردها: جعفر السبحاني (مؤلف هذا الكتاب) مؤسسسه الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسه - ١٤١٦ هـ.

٣٣. البدعه في مفهومها الإسلامى: عبد الملك عبد الرحمن السعدى، مطبعه النواعير، الرمادى - ١٩٩٢ م.

٣٤. بصائر

الدرجات: محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي (المتوفى ٢٩٠ هـ) منشورات مكتبه المرعشي النجفي، قم المقدسه- ١٤١٤ هـ.

٣٥. بلوغ الإرب في معرفه أحوال العرب: محمود شكري الآلوسي، دار الكتاب العربي، مصر، الطبعة الثالثة.

٣٦. بلوغ المرام: ابن حجر العسقلاني (المتوفى ٨٥٢ هـ) دار النهضة، مصر.

٣٧. البيان في تفسير القرآن: السيد أبو القاسم الخوئي (١٣٢٠-١٤١٣ هـ) دار الزهراء، بيروت- ١٣٩٥ هـ.

٣٨. البيان في أخبار صاحب الزمان: محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي (المتوفى ٦٥٨ هـ) مطبوع مع كتاب «كفايه الطالب» للمؤلف، دار إحياء تراث أهل البيت، طهران.

[pagebreak](صفحة ٥٢٣)

ص: ٥٢٤

حرف التاء

٣٩. تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي (المتوفى ١٢٠٥ هـ) مكتبه الحياه، بيروت.

٤٠. تاريخ بغداد: أحمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ) المكتبه السلفيه، المدينه المنوره.

٤١. تاريخ الطبري: محمد بن جرير (المتوفى ٣١٠ هـ) مؤسسه الأعلمي، بيروت.

٤٢. تاريخ القرآن: أبو عبد الله بن نصر الله الزنجاني (١٣٠٩-١٣٦٠ هـ) طبع مصر- ١٣٥٤ هـ.

٤٣. تاريخ المذاهب الإسلاميه: محمد أبو زهره (المتوفى ١٣٩٦ هـ) دار الفكر العربي، بيروت.

٤٤. تحف العقول: الحسن بن علي الحرّاني (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسه الأعلمي، بيروت- ١٣٩٤ هـ.

٤٥. تذكره الفقهاء: العلّامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦ هـ) مؤسسه آل البيت، قم المقدسه.

٤٦. تفسير الخازن: علاء الدين محمد البغدادي، طبع القايره.

٤٧. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب): محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤-٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[pagebreak](صفحة ٥٢٤)

ص: ٥٢٥

٤٨. تفسير الطبري (جامع البيان): محمد بن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠ هـ) دار المعرفه، بيروت.

٤٩. تفسير العياشي: محمد بن مسعود بن محمد الكوفي (من أعلام القرن الثالث الهجري) المكتبة الإسلامية.

٥٠. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى ٦٧١ هـ) دار إحياء التراث

العربي، بيروت- ١٤٠٥ هـ.

٥١. تفسير القمي: علي بن إبراهيم (من أعلام القرن الثالث والرابع الهجري) مؤسسه دار الكتاب للطباعة والنشر، قم- ١٤٠٤ هـ.

٥٢. تفسير النهر الماد (المطبوع بهامش البحر المحيط): محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الأندلسي الغرناطي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٣. تنوير الحوالك: جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١ هـ) دار الكتب العلميّه، بيروت- ١٤١٨ هـ.

٥٤. تهذيب الأحكام: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلاميّه، طهران- ١٣٩٧.

٥٥. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢ هـ) دار الفكر، بيروت- ١٤٠٤ هـ.

[pagebreak](صفحه ٥٢٥)

ص: ٥٢٦

٥٦. تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (المتوفى ٣٧٠ هـ) تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، طبع الهيئه المصريه للكتاب- ١٩٧٥ م.

٥٧. التوحيد: الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦-٣٨١ هـ) مكتبه الصدوق، طهران.

٥٨. تيسير المطالب في أمالي الإمام علي بن أبي طالب: يحيى بن الحسين (المتوفى ٤٢٤ هـ).

حرف الجيم

٥٩. جامع الأصول: ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد (٥٤٤-٦٠٦ هـ) دار الفكر، بيروت- ١٤٠٣ هـ.

٦٠. جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي (المتوفى ٧٩٥ هـ) طبع الهند.

٦١. جامع مسانيد أبي حنيفه: محمد بن محمود الخوارزمي (٥٩٣-٦٦٥ هـ) دار الكتب العلميّه، بيروت.

٦٢. جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد: محمد بن محمد بن سليمان المغربي (المتوفى ١٠٩٤ هـ) مؤسسه علوم القرآن، بيروت.

٦٣. جواهر الكلام: محمد حسن النجفي (المتوفى ١٢٦٦ هـ) دار

[pagebreak](صفحه ٥٢٦)

ص: ٥٢٧

الكتب الإسلاميه، إيران ١٣٩٢ هـ.

حرف الحاء

٦٤. حليه الأولياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (المتوفى ٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت - ١٣٨٧ هـ.

حرف الخاء

٦٥. الخراج: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن خنيس الأنصاري البغدادي (١١٣ - ١٨٢ هـ) طبع بولاق -

٦٦. الخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٧. الخصال: الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفى ٣٨١ هـ) منشورات مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم - ١٤٠٣ هـ.

٦٨. خطط الشام: محمد كرد علي، مصر - ١٩٦٣ م.

٦٩. الخلاف: الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠ هـ) دار الكتب العلمية، قم.

٧٠. الخوارج والشيعة: يوليوس فلهوزن، ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوى، وكالة المطبوعات، الكويت.

[pagebreak](صفحة ٥٢٧)

ص: ٥٢٨

حرف الدال

٧١. الدر المنثور: جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٣ هـ.

٧٢. دعائم الإسلام: القاضى أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور التميمى المغربى (المتوفى ٣٦٣ هـ) دار المعارف - ١٣٨٣ هـ.

٧٣. دلائل النبوه: أحمد بن الحسين البيهقى (٣٨٤-٤٥٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٠٥ هـ.

حرف الراء

٧٤. الرجال: النجاشى أحمد بن علي (٣٧٢-٤٥٠ هـ) دار الأضواء، بيروت - ١٤٠٩ هـ.

٧٥. الرحله: ابن جبير (المتوفى ٦١٤ هـ) دار صادر، بيروت.

٧٦. الرحله: الإمام الشافعى: محمد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤ هـ).

٧٧. الرسائل: الشريف المرتضى (المتوفى ٤٣٦ هـ) تحقيق السيد أحمد الحسينى، منشورات مكتبه الشريف المرتضى العامه، الكاظميه، العراق - ١٣٨٦ هـ.

٧٨. الرسائل: المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣ هـ) ضمن مصنفات الشيخ المفيد، قم - ١٤١٣ هـ.

[pagebreak](صفحة ٥٢٨)

٧٩. رساله مختصره فى السدل: الدكتور عبد الحميد بن المبارك بن عبد اللطيف آل شيخ مبارك، دبی - ١٤١٤ هـ.

٨٠. روح المعانى: أبو الفضل شهاب الدين محمود البغدادي الآلوسی (المتوفى ١٢٧٠ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٨١. الروض الأنف: أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي (٥٠٨ - ٥٨١ هـ).

٨٢. روض الجنان فى شرح إرشاد الأذهان: الشهيد الثانى زين الدين العاملى (٩١١ - ٩٦٥ هـ) مؤسسه آل البيت عليهم السلام، الطبعة الحجرية، إيران.

روضه الواعظين: محمد بن علي الفَتَّال النيسابوري (من علماء القرن السادس الهجري) منشورات الرضى، قم المقدسه.

حرف الزاء

٨٤. زاد المعاد: ابن قيم الجوزيه (المتوفى ٧٥١هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت.

حرف السين

٨٥. سبل السلام فى شرح بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الكحلانى الصنعانى المعروف بالأمير (١٠٩٩-١١٨٢هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٣٧٩هـ.

[pagebreak](صفحه ٥٢٩)

ص: ٥٣٠

٨٦. سعد السعود: على بن موسى بن جعفر بن طاووس (المتوفى ٦٦٤هـ) المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف- ١٣٦٩هـ.

٨٧. السنن: ابن ماجه محمد بن يزيد القزوينى (٢٠٧-٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٣٩٥هـ.

٨٨. السنن: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٨٩. السنن: الترمذى محمد بن عيسى بن سوره (٢٠٩-٢٧٩هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٩٠. السنن: الدارقطنى على بن عمر (٣٠٦-٣٨٥هـ) دار المحاسن، القايره.

٩١. السنن: الدارمى عبد الله بن عبد الرحمن (١٨١-٢٥٥هـ) دار إحياء السنه النبويه.

٩٢. السنن: النسائى أحمد بن شعيب (٢١٥-٣٠٣هـ) دار الفكر، بيروت- ١٣٤٨هـ.

٩٣. السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقى (المتوفى ٤٥٨هـ) دار المعرفه، بيروت- ١٤٠٦هـ.

٩٤. السلفيه مرحله زمنيّه لا مذهب إسلامى: محمد سعيد رمضان البوطى، دار الفكر، دمشق- ١٤١٧هـ.

[pagebreak](صفحه ٥٣٠)

ص: ٥٣١

٩٥. السيره الحلبيه: على بن إبراهيم الحلبي (المتوفى ١٠٤٤هـ) المكتبه الإسلاميه، بيروت.

٩٦. السيره النبويه: عبد الملك بن أيوب بن هشام الحميري (المتوفى ٢١٣ أو ٢١٨ هـ) دار التراث العربي، بيروت.

٩٧. سيرتنا وستتنا: العلامه عبد الحسين الأميني (١٣٢٠-١٣٩٠ هـ) المطبعه الحيدريه، النجف الأشرف.

حرف الشين

٩٨. شرح التجريد: علاء الدين القوشجي، طبعه حجر، تبريز.

٩٩. شرح النووي على صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى بن شرف (٦٣١-٦٧٦ هـ) دار القلم،

١٠٠. شرح نهج البلاغه: ابن أبي الحديد المعتزلى (المتوفى ٦٥٥ هـ) دار إحياء الكتب العربيه، القاهره- ١٣٧٨ هـ.

١٠١. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقى (٣٨٤-٤٥٨ هـ) دار الكتب العلميه، بيروت.

١٠٢. شفاء السقام فى زياره خير الأنام: على بن عبد الكافى السبكى (٦٨٣-٧٥٦ هـ) مصر، الطبعة الرابعه- ١٤١٩ هـ.

[pagebreak](صفحه ٥٣١)

ص: ٥٣٢

حرف الصاد

١٠٣. الصحيح: البخارى محمد بن إسماعيل (المتوفى ٢٥٦ هـ) مكتبه عبد الحميد أحمد حنفى، مصر- ١٣١٤ هـ.

١٠٤. الصحيح: مسلم بن الحجاج القشيرى (المتوفى ٢٦١ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت.

١٠٥. الصراط المستقيم: زين الدين أبو محمد على بن يونس العاملى (المتوفى ٨٧٧ هـ) نشر المكتبه المرتضويه لإحياء الآثار الجعفريه.

١٠٦. صلح الإخوان: داود بن سليمان البغدادي النقشبندى الخالدى (المتوفى ١٢٩٩ هـ) طبع بمبى.

١٠٧. الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمى (المتوفى ٩٧٤ هـ) مكتبه القاهره، مصر- ١٣٨٥ هـ.

حرف الطاء

١٠٨. الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (المتوفى ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت- ١٣٨٠ هـ.

حرف العين

١٠٩. عده الأصول: الشيخ محمد بن الحسن الطوسى (٣٨٥-٤٦٠ هـ) مؤسسه آل البيت عليهم السلام، قم المقدسه.

[pagebreak](صفحه ٥٣٢)

ص: ٥٣٣

١١٠. العروه الوثقى: السيد محمد كاظم الطباطبائى اليزدى (المتوفى ١٣٣٧ هـ) دار الكتب الإسلاميه، طهران- ١٣٨٨ هـ.

١١١. علل الشرائع: الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ) مؤسسه الأعلمی، بیروت - ١٤٠٨ هـ.

١١٢. عون المعبود فی شرح سنن أبی داود: محمد شمس الحق العظیم آبادی تحقیق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفکر، بیروت.

١١٣. العین: الخلیل بن أحمد الفراهیدی (١٠٠ - ١٧٥ هـ) مؤسسه دار الهجره، ایران - ١٤٠٩ هـ.

١١٤. عیون الأثر (المعروف بالسیره النبویه): محمد بن عبد الله بن یحیی (المتوفى ٧٣٤ هـ) دار الحضاره للطباعه والنشر - ١٤٠٦ هـ.

١١٥. عیون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ) مؤسسه الأعلمی، بیروت -

حرف الغين

١١٦. غايه المرام: السيد هاشم البحراني (المتوفى ١١٠٧ هـ) طبعه حجر، إيران.

١١٧. الغدير: العلامة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت - ١٣٨٧ هـ.

[pagebreak](صفحة ٥٣٣)

ص: ٥٣٤

١١٨. غرر الحكم ودرر الكلم: عبد الواحد الأمدي التميمي (من علماء القرن الخامس الهجري) مؤسسه الأعلمي، بيروت - ١٤٠٧ هـ.

١١٩. الغيبة: محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) مؤسسه المعارف الإسلاميه، قم المقدسه.

حرف الفاء

١٢٠. الفتاوى الكبرى: ابن تيميه (المتوفى ٧٢٨ هـ) دار القلم، بيروت - ١٤٠٧ هـ.

١٢١. فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢٢. الفتنة الكبرى: طه حسين، القاهرة - ١٩٥١ م.

١٢٣. فتوح البلدان: أبو الحسن البلاذري (المتوفى ٢٧٩ هـ) المكتبه التجاريه، مصر - ١٩٥٩ م.

١٢٤. الفتوحات المكيه: محيي الدين ابن العربي (المتوفى ٦٣٨ هـ) دار الإحياء، بيروت.

١٢٥. فرق الشيعه: الحسن بن موسى النوبختي (من أعلام القرن الثالث الهجري) دار الأضواء، بيروت - ١٤٠٤ هـ.

١٢٦. فرقان القرآن: سلامه القضاعي العزامي الشافعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[pagebreak](صفحة ٥٣٤)

ص: ٥٣٥

١٢٧. الفصول المهمه: ابن الصباغ المالكي (المتوفى ٨٥٥ هـ) المكتبه الحيدريه، النجف الأشرف - ١٣٨١ هـ.

١٢٨. الفقه الإسلامي وأدلته: الدكتور وهبه الزحيلي، دار الفكر، دمشق - ١٤١٧ هـ.

١٢٩. فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة: علي السالوس، مكتبة ابن تيمية، الكويت - ١٣٩٨ هـ.

١٣٠. الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣١. الفقه على المذاهب الخمسة: محمد جواد مغنیه (المتوفى ١٤٠٠ هـ) دار العلم للملايين، بيروت - ١٩٧٩ م.

١٣٢. الفهرست: ابن النديم محمد بن إسحاق (٢٩٦-٣٨٥ هـ) القاهرة - ١٣٤٨ هـ.

١٣٣. فى رحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام: السيد محسن الأمين العاملى (المتوفى ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت - ١٤٠٠ هـ.

حرف

١٣٤. القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (٧٢٩-٨١٧هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٤١٢هـ.

[pagebreak](صفحة ٥٣٥)

ص: ٥٣٦

حرف الكاف

١٣٥. الكافى: محمد بن يعقوب الكلينى (المتوفى ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلاميه، طهران- ١٣٩٧هـ.

١٣٦. الكامل فى التاريخ: ابن الأثير الجزرى محمد بن محمد (المتوفى ٦٣٠هـ) دار صادر، بيروت.

١٣٧. الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري (المتوفى ٥٣٨هـ) مكتبه مصطفى البابى الحلبي، القاهره- ١٣٦٧هـ.

١٣٨. كشف الارتياح: السيد محسن الأمين العاملى (المتوفى ١٣٧١هـ) منشورات مكتبه الحرمين، قم- ١٣٨٢هـ.

١٣٩. كفايه المهتدى فى معرفه المهتدى: محمد بن محمد مير لوحى الحسينى الموسوى المشهور بالنقيبى (من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى).

١٤٠. كمال الدين: الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١هـ) طهران- ١٤٠٥هـ.

١٤١. كنز العمال: المتقى الهندى (المتوفى ٩٧٥هـ) مؤسسه الرساله، بيروت- ١٤٠٥هـ.

[pagebreak](صفحة ٥٣٦)

ص: ٥٣٧

حرف اللام

١٤٢. لسان العرب: العلامه ابن منظور محمد بن مكرم (المتوفى ٧١١هـ) قم- ١٤٠٥هـ.

١٤٣. لسان الميزان: أحمد بن على بن حجر العسقلانى (المتوفى ٨٥٢هـ) مؤسسه الأعلمى، بيروت.

حرف الميم

١٤٤. المبسوط: محمد بن أحمد السرخسى (المتوفى ٤٨٣هـ) دار المعرفه، بيروت- ١٤٠٦هـ.

١٤٥. مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسى (٤٧١-٥٤٨ هـ) دار المعرفه، بيروت- ١٤٠٨ هـ.

١٤٦. مجمع الزوائد: على بن أبى بكر الهيثمى (٧٣٥-٨٠٧ هـ) دار الكتاب العربى، بيروت- ١٤٠٢ هـ.

١٤٧. مجمع الفائده والبرهان فى شرح إرشاد الأذهان: المقدس أحمد الأردبىلى (المتوفى ٩٩٣ هـ) مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم.

١٤٨. المجموع شرح المذهب للشيرازى: أبو زكريا محيى الدين بن شرف النووى (٦٣١-٦٧٦ هـ) مكتبه الإرشاد، جدّه.

[pagebreak]!(صفحه ٥٣٧)

ص: ٥٣٨

١٤٩. محاسن التأويل: جمال الدين القاسمى (المتوفى ١٣٣٢ هـ) دار الفكر، بيروت- ١٣٩٨ هـ.

١٥٠. المحلّى: ابن حزم الأندلسى محمد على بن أحمد (المتوفى ٤٥٦ هـ)

ه) دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٥١. المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٢٩٠-١٣٧٧ هـ) طبع مصر.
١٥٢. مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (المتوفى ٣٤٥ هـ) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت- ١٩٦٥ م.
١٥٣. المستدرک: الحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله (المتوفى ٤٠٥ هـ) دار المعرفه، بيروت.
١٥٤. مستدرک الوسائل: المحدث الحسين بن محمد تقى النورى (١٢٥٤-١٣٢٠ هـ) مؤسسه آل البيت، قم- ١٤٠٧ هـ.
١٥٥. المستصفى فى علم الأصول: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (المتوفى ٥٠٥ هـ) دار الكتب العلميه، بيروت.
١٥٦. المسند: أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١ هـ) دار الفكر، بيروت.
١٥٧. المسند: البزار: أحمد بن عمرو (المتوفى ٢٩٢ هـ).
١٥٨. المسند: الشافعى: محمد بن إدريس (١٥٠-٢٠٤ هـ) دار الكتب العلميه، بيروت.
- [pagebreak](صفحه ٥٣٨)
- ص: ٥٣٩
١٥٩. المصنّف: أبو بكر بن أبى شيبه (المتوفى ٢٣٥ هـ) دار الفكر، بيروت- ١٤٠٩ هـ.
١٦٠. المصنّف: عبد الرزاق بن همام الصنعانى (١٢٦-٢١١ هـ) دار الكتب السلفيه، القاهره.
١٦١. معالم السنن: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابى البستى (المتوفى ٣٨٨ هـ) المكتبه العلميه، بيروت.
١٦٢. معانى الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامه الأزدي الطحاوى (٢٣٩-٣٢١ هـ) دار الكتب العلميه، بيروت.
١٦٣. معانى القرآن وإعراجه: يحيى بن زياد الفراء (المتوفى ٢٠٧ هـ) طهران.
١٦٤. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠-٣٦٠ هـ) دار الكتب العلميه، بيروت- ١٤٢٠ هـ.
١٦٥. المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠-٣٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٤٠٩ هـ.
١٦٦. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى (٢٦٠-٣٦٠ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٤٠٤ هـ.
١٦٧. المغنى: عبد الله بن قدامه (٥٤١-٦٢٠ هـ) مطبعه الإمام، مصر.

ص: ٥٤٠

١٦٨. مغنى اللبيب: ابن هشام: عبد الله بن يوسف الأنصارى

(المتوفى ٧٦١هـ) بيروت - ١٩٧٩ م.

١٦٩. مفاهيم القرآن: جعفر السبحاني (تولد ١٣٤٧ هـ مؤلف هذا الكتاب) مؤسسه الإمام الصادق، قم المقدسه.

١٧٠. المفردات: الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني (المتوفى ٥٠٢ هـ) المكتبه المرتضويه، طهران.

١٧١. مقاتل الطالبين: أبو الفرج الإصفهاني (٢٨٤-٣٥٦ هـ) النجف الأشرف.

١٧٢. مقالات الإسلاميين: علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفى ٣٢٤ هـ) الطبعة الثالثة - ١٤٠٠ هـ.

١٧٣. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى ٣٩٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة - ١٣٦٦ هـ.

١٧٤. الملل والنحل: الشهرستاني محمد بن عبد الكريم (٤٧٩-٥٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت - ١٤٠٢ هـ.

١٧٥. مناقب ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨-٥٨٨ هـ) المطبعة العلميه، قم.

١٧٦. منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر: لطف الله الصافي

[pagebreak](صفحة ٥٤٠)

ص: ٥٤١

الكلبيگانی، مرکز نشر کتاب، طهران - ١٣٧٣ هـ.

١٧٧. منتخب كنز العمال (المطبوع في هامش مسند أحمد): المتقى الهندي (المتوفى ٩٧٥ هـ) دار الفكر.

١٧٨. من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (المتوفى ٣٨١ هـ) مؤسسه النشر الإسلامی، قم.

١٧٩. الموطأ: مالك بن أنس (المتوفى ١٧٩ هـ) دار الآفاق الجديده، بيروت - ١٤٠٣ هـ.

١٨٠. الموسوعه الفقهيه الكويتيه: وزاره الأوقاف والشؤون الإسلاميه، الكويت - ١٤١٤ هـ.

١٨١. ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (المتوفى ٧٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

حرف النون

١٨٢. نزهه الناظر وتنبیه الخاطر: الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري) مؤسسه الإمام

المهدی عجل الله فرجه الشريف، قم - ١٤٠٨ هـ.

١٨٣. نظريه الإمامه: أحمد محمود صبحي، دار المعارف، مصر.

١٨٤. النهايه: ابن الأثير الجزري مبارك بن محمد (المتوفى ٦٠٦هـ)

[pagebreak] (صفحه ٥٤١)

ص: ٥٤٢

مؤسسه إسماعيليان، قم - ١٤٠٥ هـ.

١٨٥. نهج البلاغه: جمع الشريف الرضى (٣٥٩-٤٠٦هـ) بيروت - ١٣٨٧ هـ.

١٨٦. نور الثقلين: عبد على بن جمعه العروسي الحويزي (المتوفى ١١١٢ هـ)

مؤسسه إسماعيليان، قم- ١٤١٢ هـ.

١٨٧. نيل الأوطار: محمد بن علي بن محمد (١١٧٢-١٢٥٥ هـ) دار الكتب العلميه، بيروت.

حرف الواو

١٨٨. الوثائق السياسيه: محمد حميد الله، دار النفائس؛ بيروت- ١٤٠٧ هـ.

١٨٩. وسائل الشيعه: الحر العاملي محمد بن الحسن (١٠٣٣-١١٠٤ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٤٠٣ هـ.

١٩٠. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: علي بن أحمد السمهودى (المتوفى ٩١١ هـ) دار إحياء التراث العربى، بيروت- ١٤٠١ هـ.

١٩١. وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلكان (٦٠٨-٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضى، قم- ١٣٦٤ هـ.

[pagebreak](صفحه ٥٤٢)

ص: ٥٤٣

حرف الياء

١٩٢. ينابيع الموده: سليمان بن إبراهيم البلخى القندوزى (المتوفى ١٢٩٤ هـ) مطبعه اختر، إسلامبول- ١٣٠١ هـ.

١٩٣. اليواقيت والجواهر فى عقائد الأكابر: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصارى المغربى المعروف بالشعرانى (من أعيان

القرن العاشر الهجرى) مكتبه ومطبعه مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر- ١٣٧٨ هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩